سيد الخواتم

جيه.آر.آر.تولكين

عودة الملك

3

نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

الجزء الثالث من ملحمة جيه.آر.آر.تولكين الرائعة "سيد الخواتم"

دخل أفراد رفقة الخاتم في مغامرات منفصلة أثناء إنجاز المهمة وسيرها في طريق التنفيذ. أما أراجورن الذي كشف أنه الوريث الخفي لملوك الغرب القدامى فقد انضم إلى خيالة روهان ضد قوى آيزنجارد، واشترك في نصر هورنبرج الذي تحقق بكل صعوبة وبأس. أما ميري وبيبين وكانا قد تعرضا للاختطاف من جانب الأوركيين فقد هربا إلى غابة فانجورن وهناك قابلا الإنتيين.

وعاد جندلف فيما يشبه المعجزة وهزم الساحر الشرير - سارومان. وفي نفس الوقت فإن سام وفرودو راحا يتقدمان باتجاه موردو لتدمير الخاتم وبرفقتهما سميجول - جولام، وهو لا يزال مهووسًا بـ «شيئه الثمين». وبعد معركة مع أنثى العنكبوت العملاق -شيلوب- ترك سام سيده ظنًا منه أنه مات، ولكن فرودو كان لا يزال على قيد الحياة في أيدي الأوركيين. وكانت جيوش سيد الظلام تتجمع باستمرار.

"قصة رويت بشكل أكثر من رائع، بكل ألوان التشويق والإثارة والحبكة ".

«نيوستيتس مان»

"عالم من الإثارة والمتعة، استمر مع العمل من بدايته إلى نهايته."

«الجارديان»




6 221133 338714

نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

www.nahdetmisr.com

العنوان: سيد الخواتم - عودة الملك - ج3
تأليف: جيه آر آر تولكين
ترجمة: فرج الله سيد محمد
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Published by Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution upon arrangement with HarperCollins Publishers Limited of 77-85 Fulham Palace Road, London W6 8JB.

ترجمة كتاب The Lord of the Rings: The Return of the King تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - بترخيص من شركة HarperCollins Publishers Limited



الترقيم الدولي: 0-4114-14-977
رقم الإيداع: 2007/19313
الطبعة 1، يناير 2009

الإدارة العامة:
21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576

المركز الرئيسي:
80 المنطقة الصناعية الرابعة - 6 أكتوبر
تليفون: 38330287 - 38330289 02
فاكس: 38330296

مركز التوزيع:
18 شارع كامل صدقي - الفجالة - القاهرة
تليفون: 25909827 - 25908895 02
فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية:
408 طريق الحرية - رشدي
تليفون: 5462090 03

فرع المنصورة:
13 شارع المستشفى الدولي التخصصي - متفرع من شارع عبدالسلام عارف - مدينة السلام
تليفون: 2221866 050

Website: www.nahdetmisr.com E-mail: publishing@nahdetmisr.com — customerservice@nahdetmisr.com
rights@nahdetmisr.com

ثلاثة خواتم لملوك الجن تحت السماء،
سبعة لسادة الأقزام في أبهائهم الحجرية،
تسعة للبشر الفانين المحتوم عليهم بالموت،
واحد لسيد الظلام في عرشه المظلم
في أرض موردور حيث ترقد الأشباح.
واحد يحكمها جميعًا، واحد يجدها جميعًا،
خاتم واحد يجمعها جميعًا وفي الظلمة يوحدها
في أرض موردور حيث ترقد الأشباح.

نبذة مختصرة عن الأجزاء السابقة

هذا هو الجزء الثالث من ملك الخواتم.

الجزء الأول، صحبة الخاتم، أخبرنا كيف اكتشف جندلف الأشيب أن الخاتم الذي كان يملكه فرودو والهوبيتي كان في حقيقة الأمر هو الخاتم الأوحد، سيد جميع خواتم السلطة. وقد قص علينا هذا الجزء فرار فرودو ورفاقه من المقاطعة الهادئة التي هي مقرهم وديارهم، يطاردهم رعب خيالة موردور السود، حتى وصلوا أخيرًا، بمساعدة أراجورن جوال إريادور، عبر المخاطر اليائسة إلى منزل إروند في ريفنديل.

وهناك عقد «مجلس إروند» العظيم، والذي تقرر فيه محاولة تدمير الخاتم، وتم اختيار فرودو ليكون حامل الخاتم. وتم عندئذ اختيار رفاق الخاتم، والذين كانوا سيساعدون فرودو في مهمته: ليصل - إذا استطاع - إلى جبل النار في موردور، وأرض العدو نفسه، حيث لا يمكن تدمير الخاتم إلا في هذا المكان وحده. وكان من بين هذه الصحبة أراجورن، وبورومير ابن ملك جوندور، ممثلين للبشر؛ وليجولاس ابن ملك جن غابة ميركوود، عن الجن؛ وجيملي أبن جولين من الجبل الأعزل، عن الأقزام؛ وفرودو مع خادمه ساموايز، وقريبيه الشابين مريادوك وبرجرين، عن الهوبيتيين؛ وجندلف الأشيب.

وانطلق الرفاق في رحلتهم سرًا مرتحلين بعيدًا عن ريفنديل في الشمال، حتى احتاروا في محاولتهم عبور المجاز العالي - مجاز كارادراس في الشتاء، وقادهم جندلف عبر البوابة الخفية ودخل أنفاق موريا الشاسعة، بحثًا عن طريق أسفل الجبال. وهناك، في معركة مع روح الجحيم المروعة، سقط جندلف في هوة مظلمة. ولكن أراجورن، الآن وقد تم كشف أنه هو الوريث الخفي لملوك الغرب القدماء، قاد المجموعة مواصلين السير من بوابة موريا الشرقية، عبر أرض الجن - أرض لورين، وهبوطًا عبر نهر أندوين، حتى وصلوا إلى مساقط راوروس. ولقد أدركوا بالفعل أن رحلتهم كانت مراقبة من جانب الجواسيس، وأن المخلوق جولام، الذي كان في وقت من الأوقات يملك الخاتم وكان لايزال يشتهيه ويرغب فيه، كان يتبع طريقهم وخط سيرهم.

وقد بات الآن ضروريًا بالنسبة لهم أن يقرروا ما إذا كان ينبغي عليهم أن يدوروا شرقًا إلى موردور؛ أو يواصلوا سيرهم مع بورومير لمساعدة ميناس تيريث، المدينة الرئيسية في جوندور، في الحرب القادمة؛ أو ينبغي عليهم أن ينقسموا. وعندما أضحى واضحًا أن

المحتـــويـــات

حامل الختم كان مصممًا على مواصلة رحلته اليائسة إلى أرض العدو، حاول بورومير أن يستولي على الخاتم بالقوة. وانتهى الجزء الأول بسقوط بورومير في غواية الخاتم؛ وبهروب واختفاء فرودو وخادمه ساموايز؛ وبتفرق الباقين من الصحبة من جراء هجوم مباغت شنه عليهم جنود الأوركيين، بعضهم كان في خدمة سيد الظلام - سيد موردور، وكان بعضهم الآخر في خدمة الخائن سارومان في آيزنجارد. وقد بدا أن مهمة حامل الخاتم قد لحقت بها الكارثة وأصابها الدمار بالفعل.

الجزء الثاني، (الكتاب الثالث والكتاب الرابع)، البرجان، يحكي قصة أعمال كل الصحبة بعد تفكك رفقة الخاتم. يحكي الكتاب الثالث حكاية توبة وموت بورومير، وجنازته في قارب وقد عهد به لمساقط راوروس؛ وسقوط مريادوك وبرجرين في الأسر على أيدي الجنود الأوركيين، الذين حملوهما باتجاه آيزنجارد فوق السهول الشرقية لروهان؛ وعن مطاردة أراجورن وليجولاس وجيملي لهم.

وعندئذ ظهر خيالة روهان. جيش من الخيالة، بقيادة إيومر المارشال، أحاطوا بالأوركيين على حدود غابة فانجورن، ودمروهم؛ ولكن الهوبيتيين هربا إلى الغابة وهناك قابلا تريبرد الإنتي، السيد السري لفانجورن. وفي صحبته شاهدا استيقاظ غضب القوم الأشجار وسيرهم إلى آيزنجارد.

وفي نفس الوقت، قابل أراجورن ورفاقه إيومر عائدًا من القتال. وقد زودهم بالخيل، وواصلوا سيرهم بالخيل إلى الغابة. وهناك بينما كانوا يبحثون دون جدوى عن الهوبيتيين، قابلوا جندلف مرة أخرى، وقد عاد من الموت، وقد أصبح عندئذ الخيال الأبيض، إلا أنه كان لا يزال مسربلًا بلباس أبيض. وساروا معه في روهان إلى تلال الملك ثيودن - ملك المارك، حيث قام جندلف بشفاء الملك العجوز وأنقذه من تعويذات وأسحار وورمتنج، مستشاره الشرير، الحليف السري لسارومان. وساروا عندئذ مع الملك وجيشه ضد قوات آيزنجارد، وشاركوا في النصر مفقود الأمل لقلعة هورنبرج. بعد ذلك قادهم جندلف إلى آيزنجارد، ووجدوا الحصن العظيم مدمرًا، دمره القوم الأشجار، وكان سارومان وورمتنج محاصرين في برج أورثانك الذي لا يقهر.

في الحوار الذي دار أمام الباب، رفض سارومان أن يتوب، وخلعه جندلف وكسر عصاه، تاركًا إياه ليقظة الإنتيين. ومن نافذة عالية ألقى وورمتنج بحجر على جندلف؛ ولكنه أخطأه، والتقطه برجرين. وتبين أن هذا الحجر كان واحدًا من الحجارة الثلاثة المتبقية - أحجار البالانتير، الحجارة المبصرة، حجارة نومينور. وفي وقت لاحق من الليل

خضع برجرين لغواية الحجر؛ وسرقه ونظر فيه، وهكذا كشف نفسه لساورون. وانتهى الكتاب بمجيء النازجول فوق سهول روهان، أطياف الخاتم يركبون جيادًا مطهمة طائرة، نذير حرب وشيكة. وأعطى جندلف حجر البالانتير لأراجورن، وأخذ برجرين وانطلق بحصانه إلى ميناس تيريث.

وتحول الكتاب الرابع إلى فرودو وساموايز، وقد ضاعا الآن في تلال إمين مويل الموحشة. وقد حكى كيف هربا من التلال، وكيف لحق بهما سميجول - جولام؛ وكيف روض فرودو جولام وكاد يتغلب على حقده، بحيث قادهما جولام عبر المستنقعات الميتة والأراضي المخربة إلى موراننون، البوابة السوداء لأرض موردور في الشمال.

وهناك كان مستحيلًا الدخول، وقبل فرودو نصيحة جولام: البحث عن «مدخل سري» كان هو يعرفه، بعيدًا في الجنوب في جبال الظل، الجدران الغربية لموردور. وبينما كانوا يسيرون إلى هناك، أخذتهم قوة استكشافية من بشر جوندور كان يقودها فارامير أخي بورومير. واكتشف فارامير طبيعة مهمتهم، ولكنه قاوم الإغراء الذي كان بورومير قد خضع له، وأرسلهما في المرحلة الأخيرة من رحلتهما إلى سيريث أنجول، مجاز العنكبوت؛ على الرغم من أنه حذرهما أنه كان مكانًا لخطر مهلك، أخبرهما جولام عنه أقل مما كان يعرف. ولما وصلا مفترق الطرق وأخذا الطريق إلى المدينة الموحشة - مدينة ميناس مورجول، صدرت ظلمة عظيمة من موردور، مغطية كل الأراضي والبلدان. وبعد ذلك أرسل ساورون جيشه الأول، يقوده الملك الأسود - ملك أطياف الخاتم: لقد بدأت حرب الخاتم.

وقاد جولام الهوبيتيين إلى طريق سري كان يتحاشى ميناس مورجول، وفي الظلمة وصلوا أخيرًا إلى سيريث أنجول. وهناك عاد جولام للشر، وحاول أن يخدعهما ويدفع بهما إلى حارسة المجاز الوحشية، شيلوب. وحبط عمله بسبب بطولة ساموايز، الذي صد هجومه، وجرح شيلوب.

وينتهي الجزء الثاني بخيارات ساموايز. ولما كانت شيلوب قد لدغت فرودو، فإنه رقد ميتًا، حسبما بدا: لابد وأن تنتهي المهمة في كارثة ودمار، أو أنه يتحتم على ساموايز أن يهجر سيده. وأخيرًا أخذ الخاتم وحاول أن يواصل المهمة اليائسة بمفرده. ولكنه بينما كان على وشك العبور إلى أرض موردور، جاء أوركيون من ميناس مورجول وهبطوا من برج سيريث أنجول الذي كان يحرس تاج المجاز. ولما كان ساموايز مختفيًا لأنه كان يلبس الخاتم، فقد علم من شجار الأوركيين أن فرودو لم يمت ولكنه كان مخدرًا. وراح يطاردهم

حتى وقت متأخر للغاية، ولكن الأوركيين حملوا جسد فرودو هابطين إلى نفق يقود إلى البوابة الخلفية لبرجهم. وراح ساموايز في غيبوبة حيث أغلقت البوابة في وجهه في صوت مدو.

هذا الجزء، وهو الجزء الثالث والأخير، سوف يخبرنا عن الاستراتيجية المقابلة لكل من جندلف وساورون، وصولاً إلى الكارثة النهاية ونهاية الظلمة العظيمة. ونعود أولاً إلى أحداث القتال في الغرب.

عـودة الملـك

الجـــزء الثالث

مـــن

سـيـد الخـواتـم

الكتـاب الخامـس

الفصل الأول

ميـنـــاس تـيـريـــث

نظر بيبين من وراء معطف جَنْدَلْف الذي كان يحتمي به، وتساءل ما إذا كان مستيقظًا أم لا يزال نائمًا، لا يزال في الحلم سريع الحركة الذي أحيط به منذ أن بدأت الرحلة العظيمة؛ كان العالم المظلم يندفع سريعًا، وكانت الريح تدوي عاليًا في أذنيه، ولم يكن يستطيع أن يرى أي شيء سوى النجوم المتسارعة، وبعيدًا على يمينه الظلال الشاسعة قبالة السماء حيث كانت جبال الجنوب تنطلق مسرعة أمامها، وحاول في نُعاس أن يحسب أوقات ومراحل رحلتهم، ولكن ذاكرته كانت ناعسة وغير متيقنة.

كانت هناك أول مرحلة من رحلتهم ساروها منطلقين بسرعة هائلة دون توقف، وعندئذ في الفجر رأى وهجًا شاحبًا من ذهب، وقد وصلوا إلى المدينة الساكنة والمنزل العظيم الخاوي على التل. ولم يكادوا يصلون إلى حماه حتى كان الظل المجنح قد مر مرة أخرى، وذوى الرجال من الخوف. ولكن جَنْدَلْف تحدث بكلمات منخفضة الصوت إليه، ونام في ركن من الأركان، متعبًا بيد أنه كان قلقًا، لا يكاد يدرك ما يحدث من ذهاب وقدوم، وحديث الرجل، وما كان يقوم به من إعطاء الأوامر. وبعدئذ مرة أخرى الركوب والسير، الركوب والسير في الليل. كانت هذه هي الليلة الثانية، كلا، الثالثة منذ أن نظر في الحجر[1]. وبهذه الذكرى البشعة استيقظ تمامًا، وراح يرتعش، وأصبحت ضوضاء الريح مملوءة بأصوات مهددة مروعة.

وتوهج ضوء في السماء، وهج من نار صفراء وراء حواجز مظلمة، وانكمش بيبين مرتعدًا، وأصابه الخوف للحظة، متسائلًا إلى أي بلد مخيف مروع كان جَنْدَلْف يحمله، وفرك عينيه، وبعد ذلك رأى أن ذلك كان هو القمر يرتفع فوق الظلال الشرقية، وقد كاد يصبح بدرًا مكتملًا عندئذ، وهكذا فإن الليل لم يكن قد انقضى منه كثير بعد، وسوف تستمر الرحلة المظلمة لساعات. وتحرك في مكانه وراح يتحدث.

وقال متسائلًا: «أين نحن يا جَنْدَلْف؟».

فأجابه الساحر بقوله: «في مملكة جوندور. لا تزال أرض أنورين تمر بنا».

وساد صمت مرة أخرى لبعض الوقت، وبعد ذلك صاح بيبين فجأة وهو يتشبث بمعطف جَنْدَلْف «ما هذا؟ انظر! نار، نار حمراء! هل هناك تنانين في هذه الأرض؟ انظر، هناك نار أخرى!».

(1) الإشارة هنا إلى ما جاء في الفصل العاشر (صوت سارومان)، الفصل الحادي عشر (حجر بالانتير) من الكتاب الثالث. (المترجم)

وإجابة على ذلك صاح جَنْدَلْف بصوت عال في حصانه: «انطلق يا شادوفاكس! يجب أن نسرع. الوقت يدهمنا. انظر! منارات جوندور مشتعلة، تطلب المساعدة. لقد اشتعلت الحرب. انظر هناك، هي النار على أمون دين[1]، وهناك لهب على إيلناك[2]؛ وها هم هناك ينطلقون مسرعين غربًا: ناردول[3]، وإريلاس[4]، ومين رِيمون[5]، وكالينهاد[6]، والهاليفيرين[7]، على حدود روهان».

ولكن شادوفاكس توقف مؤقتًا في عدوه، مخففًا من سرعته حتى صارت مشيًا، وبعدئذ رفع رأسه وراح يصهل. ومن خارج الظلمة جاء ردًا عليه صهيل آخر لخيول أخرى قادمة؛ وفي الوقت الحالي سُمعت أصوات حوافر، وانطلق خيالة ثلاثة مندفعين مثل أشباح طائرة في القمر وتلاشوا في الغرب. عندئذ استجمع شادوفاكس شتات نفسه وقوته وقفز منطلقًا بعيدًا، وراح الليل ينساب فوقه مثل ريح هادرة.

أصبح بيبين ناعسًا مرة أخرى وراح يعير قليلًا من الانتباه لما كان جَنْدَلْف يخبره به عن عادات جوندور، وكيف كان لدى سيد المدينة منارات بنيت على قمم التلال الممتدة على كلا جانبي حدود سلسلة الجبال العظيمة، ووضعوا حراسات عند تلك النقط حيث كانت هناك دائمًا خيل جديدة على أتم الاستعداد لحمل خيالته الذين يخرجون في مهامّ ورسائل إلى روهان في الشمال، أو إلى منطقة بيلفَلاس[8] في الجنوب. وقال: «لقد مضى زمن طويل منذ أن أضيئت منارات الشمال، وفي أيام جوندور الخوالي لم تكن حاجة إليها؛ لأنه كان لديهم الحجارة السبعة». وتململ بيبين في قلق.

وقال له جَنْدَلْف: «نم مرة أخرى، ولا تخف! لأنك لست ذاهبًا مثل فرودو إلى موردور، ولكن إلى ميناس تيريث، وهناك ستكون آمنًا مثلما يمكن أن تكون في أيّ مكان في هذه الأيام. إذا سقطت جونْدور، أو تم الاستيلاء على الخاتم، ففي هذه الحالة لن تكون المقاطعة ملاذًا آمنًا».

«إنك لا تواسيني» قال ذلك بيبين، ولكن النوم مع ذلك زحف عليه. كان آخر شيء يتذكره قبل أن يغوص في حلم عميق ومضة من قمم بيضاء عالية، تتوهج مثل جزر

(1) Amon Din معناها ['Silent Hill'] أي التل الصامت (المترجم)

(2) Eilenach المنارة الثانية من منارات جوندور السبع (المترجم)

(3) [<Fiery head>] Nardol أي القمة النارية وهي المنارة الثالثة (المترجم)

(4) Erelas المنارة الرابعة (المترجم)

(5) Min-Rimmon المنارة الخامسة (المترجم)

(6) Calenhad المنارة السادسة (المترجم)

(7) Halifirien ومعناها [Holy Mount] أي الجبل المقدس، وهو اسم في روهان يطلق على أمون أنوار [Amon Anwar] (المترجم)

(8) Belfalas منطقة على الشاطئ الجنوبي في جوندور على الخليج الذي يحمل نفس الاسم (المترجم)

طافية فوق السحب وهي تلتقط نور القمر المتجه نحو الغرب. وتساءل أين كان فرودو، وإذا كان بالفعل في موردور، أم أنه مات؛ ولم يكن يعلم أن فرودو من مكان بعيد جدًا كان ينظر إلى نفس القمر وهو يغرب فيما وراء جوندور قبل مجيء النهار.

استيقظ بيبين على جلبة الأصوات. يوم آخر من الاختباء وقد انقضت ليلة من الترحال ومرت سريعًا. كان الوقت وقت الشفق: كان الفجر البارد قريبًا منهم مرة أخرى، وكانت السدم الرمادية الباردة من حولهم في كل مكان. وقف شادوفاكس يتصبب عرقًا، ولكنه رفع رقبته عاليًا في كبرياء وفخر ولم تَبْدُ عليه أي علامة إرهاق أو تعب. ووقف إلى جواره الكثير من الرجال طوال القامة المتلفعين بمعاطف ثقيلة، ولاح وراءهم في السديم جدار من حجر، كان يبدو مخربًا في جزء منه، ولكن قبل أن ينقضي الليل بالفعل، راح يسمع صوت عمل وكد متسارعَين: قرع المطارق، وطقطقة الموالج، وصرير العجلات. راحت المشاعل والشعلات تتوهج وهجًا باهتًا هنا وهناك في الضباب. كان جَنْدَلْف يتحدث مع الرجال الذين كانوا يسدون طريقه، وبينما كان بيبين ينصت أدرك أنه هو نفسه كانت تجري مناقشة بخصوصه.

قال قائد مجموعة الرجال: «نعم، حقًا، إننا نعرفك، يا ميثرانديرِ، وأنت تعرف كلمات المرور إلى البوابات السبع ولك مطلق الحرية في أن تتقدم. ولكننا لا نعرف رفيقك. من ذا يكون؟ قزم من الجبال في الشمال؟ إننا لا نريد أي غرباء في بلادنا في هذا الوقت، ما لم يكونوا محاربين عظامًا يمكننا الوثوق في إخلاصهم وفي مساعدتهم».

فقال جَنْدَلْف: «سوف أضمنه أمام عرش دنثور، أما بالنسبة للشجاعة والبسالة، فهذا لا يمكن حسابه بطول القامة، لقد مر عبر الكثير من المعارك والأخطار أكثر مما مررت به يا إنجولد على الرغم من أن طولك ضعف طوله؛ وهو يأتي الآن من هجوم وقصف آيزينجارد التي نحمل أخبارًا منها، وعليه من التعب شيء عظيم، وإلا كنت سأوقظه؛ اسمه بيرجرين، رجل باسل جدًا».

«رجل؟». قال ذلك إنجولد في شك وريبة، وضحك الآخرون.

«رجل!». صاح بيبين، وقد استيقظ الآن تمامًا. «رجل! حقيقة لا! إنني هوبيتي ولستُ أكثر شجاعة وبسالة من كوني رجلًا، باستثناء ما يكون ربما من وقت لآخر حسب الضرورة. لا تدع جَنْدَلْف يخدعك!».

فقال إنجولد: «الكثيرون ممن يأتون الأعمال العظيمة ربما لن يقولوا أكثر من ذلك، ولكن ما معنى هوبيتي؟».

وأجابه جَنْدَلْف بقوله: «نصف. كلا، ليس ذلك الذي تم التحدث عنه» أضاف ذلك لما رأى العجب في وجوه الرجال. «ليس هو، ولكنه واحد من عشيرته».

فقال بيبين: «نعم، وواحد خرج في الرحلة معه، وقد كان معنا بورومير الذي هو من مدينتكم، وأنقذني في ثلوج الشمال، وأخيرًا ذُبح وهو يدافع عني ضد الكثير من الأعداء».

وقال جنْدَلْف: «السلام! أخبار ذلك الحزن كان ينبغي أن يتم إبلاغها أولًا إلى الأب».

فقال إنجولد: «لقد تم تخمينها بالفعل؛ لأنه كانت هناك نُذر شؤم هنا في الآونة الأخيرة. والآن لننطلق سريعًا؛ لأن سيد ميناس تيريث سيكون متلهفًا لأن يرى أي شخص يحمل آخر أخبار عن ابنه، سواء كان ذلك رجلًا أو . . .».

فقال بيبين: «هوبيتي. هناك خدمة صغيرة يمكنني أن أقدمها لسيدك، ولكن ما يمكنني أن أفعله سوف أفعله، متذكرًا بورومير الشجاع».

«الوداع!». قال ذلك إنجولد؛ وأفسح الرجال طريقًا لشادوفاكس، ومر عبر بوابة ضيقة في الجدار. وصاح إنجولد قائلًا: «أتمنى أن تجلب المشورة الجيدة لدنثور في حاجته، ولنا جميعًا، يا ميثراندير! ولكنك تأتي بأخبار عن الحزن والخطر، كما هي عادتك، حسب قولهم».

وأجابه جنْدَلْف: «لأنني نادرًا ما آتي إلا عندما تكون هناك حاجة إلى مساعدتي وعوني. أما بالنسبة للمشورة، فإنني أقول لك إنك متأخر أكثر من اللازم في إصلاح جدار بلنور[1]. سوف تكون الشجاعة الآن أفضل دفاعاتك ضد العاصفة القريبة القادمة هذا وذاك هو الأمل الذي أجلبه. لأنه ليست كل الأخبار التي أجلبها شريرة. ولكن اتركوا مَوالِجكم وتشحذوا سيوفكم!».

وقال إنجولد: «سوف يتم الانتهاء من العمل قبل المساء، هذا هو الجزء الأخير من الجدار الذي يتم تشييده للدفاع: وهو الأقل تعرضًا للهجوم؛ لأنه يطل باتجاه أصدقائنا في روهان. هل تعرف أيًا منهم؟ هل سيجيبون الداعي، في رأيك؟».

«نعم، سوف يأتون، ولكنهم خاضوا الكثير من المعارك دعمًا وتأييدًا لكم، لم يعد هذا الطريق أو أي طريق آخر يطل في اتجاه السلامة. لتكونوا متيقظين! ولكن لولا جنْدَلْف بشير العواصف[2] كنتم سترون جيشًا من الأعداء يخرجون من أنورين وليس هناك خيالة من روهان. ومع ذلك ربما يمكنك هذا. الوداع لكم جميعًا، ولا تناموا!».

ومر جنْدَلْف عندئذ إلى الأرض الشاسعة فيما وراء راماس إيكور. هكذا كان رجال جوندور يطلقون على الجدار الخارجي الذي بنوه بكد وعمل عظيمين، بعد سقوط إثيلين تحت ظل عدوهم. كان يجري لمسافة عشرة فراسخ أو يزيد من سفوح الجبال ثم يأتي عائدًا مرة أخرى لنفس المسافة، ضامًا بين أسواره حقول بلنور: أراضي إقليمية

(1) Pelennor وهي [<Fenced Land>] أي «الأرض المسورة» (المترجم)

(2) Stormcrow اسم كانوا يطلقونه على جنْدَلْف في روهان؛ لأنه كان لا يجلب سوى الأخبار السيئة في رأيهم (المترجم)

جميلة وخصبة على المنحدرات والمصاطب الطويلة التي تنزل إلى المستويات العميقة لنهر أندوين. وعند أبعد نقطة للجدار من البوابة العظيمة للمدينة، في الشمال الشرقي، كان الجدار على بعد أربعة فراسخ، وهناك من ضفة كالحة كان يطل على السهول الطويلة إلى جوار النهر، وقد بناه الرجال عاليًا وقويًا؛ لأنه عند تلك النقطة على مجاز محاط بجدران، دخل الطريق من مخاضات وجسور أوسجيلياث ومر عبر بوابة عليها حراسة ومحمية بين أبراج معدة للقتال. وعند أقرب نقطة من الجدار، كان على بعد يزيد قليلًا على فرسخ واحد من المدينة، وكان ذلك في الجنوب الشرقي. هناك كان نهر أندوين حيث كان يسير في منحنى واسع مثل الركبة حول تلال إمين أرنين في إثيلين الجنوبية ينحني بشدة غربًا، وراح الجدار الخارجي يرتفع على ضفته مباشرة؛ وأسفل منه كانت تقع أرصفة ومراسي هارلوند للسفن التي كانت تأتي نحو أعلى النهر من الأراضي الجنوبية.

كانت الأراضي الإقليمية غنية، بها تربة محروثة والكثير من البساتين، وكانت المزارع والبيوت هناك بالأفران ومخازن الحبوب، والحظائر والزرائب، والكثير من الجداول تتدفق عبر الأرض الخضراء من الأراضي الجبلية وهبوطًا إلى نهر أندوين. ولكن الرعاة والمزارعين الذين كانوا يسكنون هناك لم يكونوا كثيرين، وكان الجزء الأعظم من سكان جوندور يعيشون في الدوائر السبعة للمدينة، أو في الوديان المرتفعة للحدود الجبلية، في لوسارناخ[1]، أو بعيدًا نحو الجنوب في ليبنين[2] الجميلة بأنهارها الخمسة السريعة. هناك كان يسكن قوم أشداء بين الجبال والبحر، كانوا يعتبرون رجال جوندور، ولكن دمهم كان خليطًا، وكانوا قومًا قصيري القامات بشرتهم داكنة بينهم أولئك الذين جاء آباؤهم على نحو أكثر من البشر المنسيين الذين سكنوا في ظل التلال في السنوات المظلمة قبل مجيء الملك. ولكن فيما وراء ذلك، في الأراضي العظيمة لبيلفلاس، كان يسكن الأمير إمراهيل في قلعته قلعة دُول أمروث إلى جوار البحر، وكان من دم راقٍ، كما كان قومه كذلك أيضًا، رجالًا طوالًا وبهم كبرياء ولهم أعين بلون البحر الرمادي.

والآن، وبعد أن كان جنْدَلْف قد سار لبعض الوقت بحصانه، زاد ضوء النهار في السماء، وأوقظ بيبين نفسه ونظر لأعلى. كان يقع على شماله بحر من سديم، يرتفع مكونًا ظلًا قاتمًا في الشرق؛ ولكن إلى يمينه رفعت جبال عظيمة رءوسها، متراوحة من الغرب إلى نهاية شديدة الانحدار ومفاجئة، كما لو أن النهر في صناعته للأرض قد انفجر عبر حاجز عظيم، شاقًا واديًا عظيمًا ليكون أرض معركة وجدال في أوقات

(1) Lossarnach ومعناها [<Vale of flowers>] أي وادي الزهور (المترجم)

(2) Lebennin أي منطقة أم الأنهار الخمسة الجميلة (المترجم)

قادمة. وهناك حيث كانت جبال إريد نيمرايس البيضاء تصل إلى نهايتها رأى كما وعده جندلف الكتلة المظلمة لجبل ميندولوين، الظلال القرمزية العميقة لوديانه العالية، ووجهه الأبيض الذي يزداد بياضًا مع تقدم النهار. وفوق ركبته البارزة نحو الخارج كانت توجد المدينة المحمية، بجدرانها السبعة المبنية من الصخر التي كانت قوية وقديمة للغاية لدرجة أنها كانت تبدو وكأنها لم تُبنَ بل شُقت من عظام الأرض بأيدي عمالقة.

وبينما كان بيبين يحدق في ذهول مرت الجدران متغيرة من اللون الرمادي إلى الأبيض، وراحت تصطبغ بحمرة ضعيفة في الفجر؛ وفجأة صعدت الشمس فوق الظل الشرقي وأرسلت شعاعًا ضرب بقوة وجه المدينة، عندئذ صاح بيبين بصوت عال، لأن برج إكثيليون[1]، وهو يقف عاليًا في نطاق أعلى الجدران، كان يسطع قبالة السماء، متوهجا مثل عقد من لؤلؤ وفضة، طويل وجميل وحسن الشكل، وكانت قمته تتوهج كما لو كانت مصنوعة من البللور؛ وراحت شارات بيضاء تتكسر وترفرف من الشرفات المفرجة في نسيم الصباح، وعاليًا وعلى البعد سمع رنين واضح كما لو كان يأتي من أبواق فضية.

وهكذا سار جَنْدَلْف وبرجرين إلى البوابة العظيمة لبشر جوندور عند شروق الشمس، وتراجعت أبوابها الحديدية منفتحة أمامهما.

وصاح الرجال: «ميثراندير! ميثراندير! والآن فإننا نعلم أن العاصفة قريبة حقًا!».

فقال جَنْدَلْف: «إنها وشيكة وفوقكم، لقد كنت أركب على أجنحتها. دعوني أمر! يجب أن أصل إلى سيدكم دنثور، مادامت ولايته قائمة. مهما يكن ما يحدث، لقد وصلتم إلى نهاية جوندور التي كنتم قد عرفتموها. دعوني أمر!».

وعندئذ تراجع الرجال أمام صوته الآمر ولم يسألوه أي أسئلة أخرى، على الرغم من أنهم كانوا يحدقون في ذهول في الهوبيتي الذي كان جالسًا أمامه وفي الحصان الذي كان يحمله؛ لأن أناس المدينة كانوا يستخدمون الخيل قليلًا جدًا وكانت نادرًا ما ترى في شوارعهم، يستثنى من ذلك فقط تلك الخيل التي كان يمتطيها حملة رسائل سيدهم. وقالوا: «بكل تأكيد هذا واحد من جياد ملك روهان المطهمة؟ ربما سيأتي الروهيريمين قريبًا ليعضددونا». ولكن شادوفاكس راح يمشي في خيلاء عبر الطريق المتعرج الطويل.

وقد كان نمط ميناس تيريث المعماري أنها بنيت على سبعة مستويات، كان كل منها يغوص هابطًا إلى التل، وكان هناك جدار حول كل واحد من هذه المستويات، وفي كل جدار كانت هناك بوابة. ولكن البوابات كانت موضوعة في خط واحد: البوابة

(1) Ecthelion أي [Steward of Gondor]، قهرمان جوندور (المترجم)

العظيمة في المدينة. كان هناك جدار عند النقطة الشرقية للدائرة، ولكن الجدار التالي كان نصف مواجه للجنوب، والثالث نصف مواجه للشمال، وهكذا لأعلى جيئة وذهابًا؛ وهكذا فإن الطريق الممهد الذي كان يصعد باتجاه القلعة استدار أولًا في ذلك الاتجاه وبعدها في ذاك عبر سطح التل. وفي كل مرة كان الطريق يعبر فيها خط البوابة العظيمة كان يسير عبر نفق مقنطر، مخترقًا جدارًا صخريًا عظيمًا كان جزؤه الهائل البارز نحو الخارج يقسم جميع دوائر المدينة باستثناء الدائرة الأولى إلى قسمين. ولأنه كان جزئيًا في الشكل البُدائي للتل، وجزئيًا بواسطة الصناعة العظيمة والعمل الشاق في الماضي، كان يقف عاليًا من الناحية الخلفية للبلاط الملكي خلف البوابة معقل حجري شاهق، كانت حافته حادة مثل رافدة سفينة تواجه الشرق. وراح يرتفع عاليًا، حتى وصل إلى مستوى أعلى دائرة، وكان متوجًا بشرفة مفرجة؛ حتى يكون بإمكان أولئك الذي يكونون في القلعة، مثل بحارة في سفينة هائلة، أن ينظروا من قمته بشكل متعامد لأسفل على البوابة التي تقع على بعد مسافة سبعمائة قدم أسفل منهم. كما كان مدخل القلعة أيضًا يطل نحو الشرق، ولكنه كان يغوص في قلب الصخر؛ ومن هناك راح منحدر طويل تضيئه المصابيح يجري صاعدًا إلى البوابة السابعة. وهكذا وصل الرجال أخيرًا إلى البلاط العالي، وقصر النافورة أمام سفوح البرج الأبيض: الذي كان طويلًا وحسن الشكل، المسافة من قاعدته إلى قمته خمسون قامةً، حيث كانت راية القهرمانات ترفرف عاليًا على ارتفاع ألف قدم فوق السهل.

لقد كانت قلعة قوية حقًا، بحيث لا يمكن الاستيلاء عليها بواسطة جيش من الأعداء، مادام هناك أي أشخاص في داخلها يمكنهم حمل السلاح؛ إلا إذا استطاع عدو أن يأتي من الخلف ويتسلق الجنبات الأقل ارتفاعًا في جبل ميندولوين، وهكذا يصل إلى الكتف الضيق الذي كان يصل تل الحراس بالكتلة الجبلية. ولكن ذلك الكتف الذي كان يرتفع إلى ارتفاع الجدار الخامس، كان مسورًا بمتاريس عظيمة مرتفعة عاليًا إلى الجرف الذي كان معلقًا على نهايته الغربية؛ وفي تلك المساحة كانت توجد المنازل، والقبور ذات القباب للملوك والسادة السابقين صامتة إلى الأبد بين الجبل والبرج.

وحدق بيبين في عجب متزايد في المدينة الصخرية العظيمة التي كانت أكبر وأروع من أي شيء حلم به؛ أعظم وأقوى من أيزنجارد، وأكثر جمالًا بكثير. ولكنها كانت في الحقيقة تتداعى سنة بعد سنة إلى تدهور؛ وكانت بالفعل ينقصها نصف الرجال الذين كان يمكن أن يسكنوا في يسر وراحة هناك. في كل شارع كانوا يمرون بمنزل أو بهو عظيم كانت قد نحتت فوق أبوابه وبواباته المقنطرة الكثير من الحروف الجميلة ذات الأشكال الغريبة والقديمة: أسماء حسب تخمين بيبين لها لرجال عظام وعشائر عظيمة سكنوا

هناك في وقت من الأوقات؛ ولكنها كانت الآن صامتة، ولم يكن هناك أي وقع أقدام يُسمع على أرصفتها الواسعة، كما لم يكن هناك صوت يُسمع في أبهائها، ولا يُرى أي وجه يطل من باب أو من نافذة خالية.

وأخيرًا خرجوا من الظل إلى البوابة السابعة، والشمس الدافئة التي كانت ترسل أشعتها إلى ما وراء النهر، بينما كان فرودو يمشي في وديان إثيلين، راحت تتوهج هنا على الجدران الملساء والأعمدة الرواسي الراسخة، والقنطرة العظيمة، والتي كان حَجَر العَقْد المركزي منحوتًا فيها على هيئة رأس متوج وملكي. ونزل جَنْدَلْف من على الحصان؛ لأنه لم يكن مسموحًا لأي حصان أن يدخل القلعة، وضحى شادوفاكس بنفسه متحملًا اقتياده بعيدًا بناء على كلمة همس بها سيده إليه في صوت منخفض.

كان حراس البوابة مرتدين ثيابًا سوداء، وكانت خوذاتهم ذات أشكال غريبة، ذات تيجان مرتفعة، بواقيات طويلة للذقن ملاصقة بإحكام للوجه، وفوق واقيات الذقن كانت موضوعة أجنحة بيضاء لطيور البحر؛ ولكن الخوذات كانت تتوهج بوهج فضي؛ لأنها كانت في حقيقة الأمر مصنوعة من الميثريل، أمتعة توارثوها من مجد الأيام الخوالي. وفوق المعاطف السوداء التي كانوا يرتدونها فوق دروعهم كانت هناك شجرة مزهرة مطرزة باللون الأبيض مثل الثلج تحت تاج فضي والنجوم كثيرة الأطراف. كان هذا هو الزي المميز لورثة إلنديل، ولم يكن أحد يرتديه الآن في جوندور كلها، باستثناء حراس القلعة أمام بلاط النافورة في المكان الذي نمت فيه ذات مرة الشجرة البيضاء.

لقد كان يبدو بالفعل أن أخبار قدومهما قد سبقتهما؛ وفي الحال تم السماح لهما بالدخول، في صمت، وبدون أي سؤال. وسار جَنْدَلْف سريعًا بخطوات واسعة عبر البلاط الذي كان مرصوفًا برصيف أبيض. راحت نافورة جميلة تلعب هناك في شمس الصباح، وكانت ترقد حولها مروج خضراء براقة؛ ولكن في الوسط، كانت تقف شجرة ميتة، متدلية فوق البركة، وكانت القطرات المتساقطة، نقطًا في حزن، من أفرعها القاحلة المكسرة عائدة إلى الماء الصافي مرة أخرى.

وحدق بيبين فيها وهو يسرع وراء جَنْدَلْف. كان المكان يبدو حزينًا، هكذا فكر مع نفسه، وتساءل عن سبب ترك الشجرة الميتة في هذا المكان حيث كان كل شيء عداها معتنًى به ومرتبًا للغاية.

سبعة نجوم وسبع صخور وشجرة بيضاء واحدة

وعادت إلى ذهنه الكلمات التي كان جَنْدَلْف قد غمغم بها. وعندئذ وجد نفسه على أبواب البهو العظيم أسفل البرج المتوهج؛ ووراء الساحر راح يمر بحراس الأبواب الطوال الصامتين ودخل ظلال المنزل الحجري الباردة التي ترجع الصدى.

مشوا عبر ممر مرصوف، طويل وخاو، وبينما كانوا يسيرون راح جَنْدَلْف يتكلم بصوت منخفض مع بيبين. «حاذر كلماتك، أيها السيد برجرين! ليس هذا وقت لجسارة الهوبيتين. ثيودن رجل عجوز طيب. دنثور من نوع آخر، فخور وماكر، رجل من سلالة أعظم بكثير، كما أنه أقوى بكثير على الرغم من أنه لا يطلق عليه لقب ملك. ولكنه سوف يتحدث كثيرًا معك، ويسألك كثيرًا، حيث إنك تستطيع أن تخبره عن ابنه بورومير. لقد كان يحبه حبًا جمًا: ربما أكثر من اللازم؛ وربما كان السبب في ذلك أنهما كانا مختلفين متغايرين. ولكن تحت ذلك الحب سوف يظن أنه من الأيسر أن يعلم ما يريده منك أكثر مما يمكن أن يعلمه مني. لا تخبره أكثر مما ينبغي عليك، واترك مسألة مهمة فرودو تمامًا ودعها وشأنها. سوف أتعامل مع ذلك الأمر في حينه. ولا تقل أي شيء عن أراجورن أيضًا، ما لم يتحتم عليك ذلك».

وهمس بيبين قائلًا: «ولم لا؟ ما الخطب بالنسبة لسترايدار؟ لقد كان يقصد أن يأتي إلى هنا، أليس كذلك؟ وسوف يصل بنفسه قريبًا، على أية حال».

فقال جَنْدَلْف: «ربما، ربما. ومع ذلك فإنه إذا أتى، فمن المحتمل أن يكون ذلك بطريقة لا يتوقعها أحد، ولا حتى دنثور نفسه. سوف يكون من الأفضل على هذا النحو. على الأقل ينبغي أن يأتي دونما إعلان مسبق منا بقدومه».

وتوقف جَنْدَلْف أمام باب عال من معدن مصقول. «انظر، أيها السيد بيبين، ليس هناك وقت لأن أشرح لك الآن تاريخ جوندور؛ على الرغم من أنه ربما كان من الأفضل، لو أنك كنت قد علمت شيئًا ما عنها، عندما كنت تصطاد الطيور في أعشاشها وتجري هاربًا في غابة المقاطعة. افعل ما آمرك به! إنه ليس من الحكمة عندما تجلب أخبار وفاة وريثه لسيد عظيم أن تتحدث كثيرًا أكثر من اللازم عن قدوم شخص إذا جاء سوف يطالب بالملكية. هل هذا يكفي؟».

فقال بيبين في ذهول واندهاش: «الملكية؟».

فقال جَنْدَلْف: «نعم. لو أنك كنت قد سرت كل هذه الأيام بأذنين مغلقتين وعقل نائم، استيقظ الآن!». وطرق الباب.

وفُتح الباب، ولكن لم يكن هناك أحد يمكن رؤيته وهو يفتحه. نظر بيبين إلى بهو عظيم. كانت تضيئه نوافذ عميقة في الأجنحة الواسعة على كل جانب، فيما وراء صفوف الأعمدة التي كانت تدعم السقف وترفعه. كانت حجارة المنليث من الرخام الأسود، ترتفع إلى تيجان أعمدة عظيمة منحوتة في أشكال كثيرة غريبة من الحيوانات والأوراق؛ وفوقها بكثير راحت القنطرة الواسعة تتوهج بلون ذهبي كليل، مركب في داخلها زخارف دقيقة متشابكة عديدة الألوان تنساب متدفقة. لم تكن هناك أي أشياء

معلقة أو شباك مكونة من طوابق، ولا أي أشياء من مواد محبوكة أو من خشب، كانت ظاهرة يمكن رؤيتها في ذلك البهو المهيب الطويل؛ ولكن بين الأعمدة كانت تقف مجموعة صامتة من صور طويلة محفورة في حجر بارد.

وفجأة ذكر ذلك بيبين بالحجارة المقطوعة في أرجوناث، وأصابته رهبَة، وهو ينظر لأسفل عبر ذلك الطريق طريق الملوك الذين ماتوا منذ زمن طويل. وفي النهاية البعيدة فوق قاعدة من درجات كثيرة كان هناك موضوع عرش مرتفع تحت ظُلة من رخام لها شكل خوذة متوجة؛ وكانت هناك صورة لشجرة مزهرة محفورة وراءها على الجدار ومرصعة بالجواهر. ولكن العرش كان خاليًا. عند أسفل المنصة، على أسفل درجة وكانت عريضة وعميقة، كان هناك مقعد حجري، أسود وغير مزخرف، وكان يجلس عليه رجل عجوز يحدق في حِجْره. وكانت هناك عصا بيضاء في يده لها مقبض ذهبي. لم ينظر لأعلى. وفي وقار راحا يسيران عبر السطح الطويل باتجاهه، حتى وقفا على بعد ثلاث خطوات من كرسي قدميه. وعندئذ راح جَنْدَلْف يتحدث.

«مرحبًا، سيد وقهرمان ميناس تيريث، دنثور بن إكثيليون! لقد جئتُ بنصيحة وأخبار في هذه الساعة المظلمة».

عندئذ نظر الرجل العجوز لأعلى. رأى بيبين وجهه المجعد بعظامه الأبية وبشرته التي كانت مثل العاج، والأنف الطويل المعقوف بين العينين العميقتين السوداوين؛ ولم يذكره ذلك كثيرًا ببورومير مثلما ذكره بأراجورن، وقال الرجل العجوز «مظلمة حقًا هي الساعة، وفي تلك الأوقات أنت معتاد على القدوم، يا ميثرانديري. ولكن على الرغم من أن كل الأمارات تنبئ بأن مصير جوندور يقترب، فإن هذه الظلمة الآن بالنسبة لي أقل من الظلمة الخاصة بي أنا نفسي. لقد أُخبرتُ أنك تحضر معك شخصًا رأى ابني يموت. أهذا هو؟».

وقال جَنْدَلْف: «إنه هو. واحد من الاثنين. الآخر مع ثيودن ملك روهان وقد يأتي فيما بعد. إنهما من الأنصاف[1]، مثلما ترى، ولكنه ليس ذلك هو الذي تحدثت عنه التكهنات والنذر».

فقال دنثور في تجهم: «بيد أنه نصف مع ذلك، وإنني أكن القليل من الحب للاسم، حيث إن تلك الكلمات الملعونة جاءت لتقلق مجالسنا وتبعد ابني بعيدًا عن تلك المهمة الجامعة قائدة إياه إلى حتفه. ابني بورومير الغالي! إننا بحاجة إليك الآن. كان ينبغي أن يذهب فارامير بدلًا منه».

وقال جَنْدَلْف: «كان سيذهب. ولكن لا تكن ظالمًا في حزنك! لقد أخذ بورومير المهمة

(1) Halfling أي «النصف» والجمع «أنصاف»، وهي التسمية التي تطلق على الواحد من الهوبيتيين. (المترجم)

لنفسه ولم يكن ليسمح لأي أحد آخر أن يأخذها. لقد كان رجلًا نزاعًا إلى السيطرة، كان شخصًا يأخذ ما يرغب فيه. لقد سرتُ بعيدًا مرتحلًا معه وعلمت الكثير عن طبعه ومزاجه. ولكنك تتحدث عن موته. لقد جاءتك أخبار عن ذلك قبل أن نأتي؟».

«لقد وصلت إليّ هذه الأخبار» قال ذلك دنثور، ووضع عصاه ورفع من حِجْره الشيء الذي كان يحدق فيه. أمسك في كل يد بنصف بوق عظيم مشقوق من منتصفه: قرن ثور بري مرصع بالفضة.

وصاح بيبين: «هذا هو البوق الذي كان يحمله بورومير دائمًا!».

فقال دنثور: «بكل تأكيد. وأنا بدوري حملته، وهكذا فعل كل ابن أكبر في منزلنا، بعيدًا إلى الوراء إلى السنين الخوالي قبل الزائلة قبل سقوط الملوك، منذ أن كان فورونديل والد ماردِيل يصطاد ماشية أرو[1] البرية في حقول رون[2] البعيدة. لقد سمعته يدوي على نحو خافت غير جلي فوق التخوم الشمالية منذ ثلاثة عشر يومًا مضت، وقد حمله النهر إليّ مكسورًا: إنه لن يدوي بعد ذلك أبدًا». وتوقف عن الحديث وساد صمت ثقيل. وفجأة وجه نظرته السوداء إلى بيبين. «ماذا تقول عن ذلك أيها النصف؟».

وقال بيبين متلعثمًا: «ثلاثة عشر، ثلاثة عشر يومًا. نعم، أظن أن هذا صحيح. نعم، كنت أقف بجانبه، وهو ينفخ البوق. ولكن لم تأت أية مساعدة. فقط المزيد من الأوركيين».

فقال دنثور وهو ينظر بشدة إلى وجه بيبين: «هكذا إذن. كنت أنت هناك؟ أخبرني بالمزيد! لم لم تأت أية مساعدة؟ وكيف هربت، بيد أنه لم يهرب، وهو ما كان عليه من كونه رجلًا عظيمًا، ولم يكن يقاومه ويصده سوى أوركيين؟».

واحمر وجه بيبين ونسي خوفه وقال: «أعظم الرجال قد يقتله سهم واحد، في حين أن بورومير اخترقت جسده الكثير من السهام. عندما رأيته آخر مرة، سقط إلى جوار شجرة ونزع رمحًا مريشًا بريش أسود من جنبه. ثم أصبتُ بالإغماء وأخذوني أسيرًا. لم أره بعد ذلك، ولا أعرف أكثر من ذلك. ولكني أُجل ذكراه كل إجلال؛ لأنه كان في منتهى البسالة. لقد مات لينقذنا، ميريادوك الذي كان من عشيرتي وأنا، وقد وقعنا في كمين في الغابة أوقعنا فيه جند سيد الظلام؛ وعلى الرغم من أنه قد سقط وفشل، فإن امتناني ليس بقليل على حال من الأحوال».

بعد ذلك نظر بيبين إلى الرجل العجوز في عينيه؛ لأن الكبرياء تحركت بشكل غريب بداخله، لا يزال يلدغه ذلك الاستخفاف والشك في ذلك الصوت البارد. «خدمة صغيرة، بلا شك، سوف يعتقد سيد عظيم من سادة البشر أن يجدها في هوبيتي، نصف من المقاطعة الشمالية؛ ولكن لما كان الأمر على ما هو عليه، فإنني سوف أعرضها،

(1) Araw [A name of Oromë in Middle-earth] أي اسم لـ «Oromë» أي الصياد العظيم، في الأرض الوسطى. (المترجم)

(2) Rhûn ومعناها ('East') أي الشرق، وتطلق على وجه العموم على أراضي الشرق الأقصى في الأرض الوسطى (المترجم)

ردًا لديني». ونزع معطفه الرمادي جانبًا، واستل بيبين سيفه الصغير ووضعه عند قدمي دنثور.

ابتسامة شاحبة، مثل وهج شمس باردة في أمسية شتوية، مرت على وجه الرجل العجوز؛ ولكنه حنى رأسه ومد يده، واضعًا قطعتي البوق جانبًا، وقال: «أعطني السلاح!».

ورفعه بيبين وقدم المقبض له، وقال له دنثور: «من أين أتى هذا؟ الكثير والكثير من السنين ترقد عليه. بكل تأكيد هذا سيف صنعه أقرباؤنا وعشيرتنا في الشمال في الماضي السحيق».

وقال له بيبين: «لقد جاء من التلال الجنائزية التي تقع على حدود بلادي. ولكن لا تسكن هناك سوى المخلوقات الشريرة الآن، ولن أتحدث طواعية أكثر من ذلك عنهم».

فقال دنثور: «أرى أن حكايات غريبة منسوجة حولك، ومرة أخرى يظهر أن المظاهر قد تعطي فكرة خاطئة عن الإنسان أو عن النصف. إنني أقبل خدمتك. لأن الكلمات لا تروعك أو ترهبك؛ كما أنك تتمتع بلطف الحديث والكياسة، على الرغم من أن وقع ذلك قد يبدو غريبًا بالنسبة لنا في الجنوب. وسوف نكون بحاجة إلى جميع أولئك الذي يتمتعون باللطف والكياسة، سواء كانوا كبارًا أو صغارًا، في الأيام القادمة. لتؤدي القسم أمامي الآن!».

فقال جَنْدَلف: «خذ المقبض، وكرر وراء السيد، إذا كنت قررت ذلك».

فقال بيبين: «لقد قررتُ».

ووضع الرجل العجوز السيف على حجْره، ووضع بيبين يده على المقبض، وراح يقول ببطء وراء دنثور:

«أقسم أن أكون مخلصًا لجوندور وأخدمها بإخلاص، وكذلك لسيد وقهرمان المملكة، وأن أقسم أن أتحدث وألزم الصمت، وأن أفعل وأن أكون، وأن آتي وأن أذهب، في الحاجة وفي الرخاء، في السلام أو الحرب، في العيش أو الممات، من هذه الساعة فصاعدًا، حتى يصرفني سيدي ويطلق سراحي، أو حتى يأخذني الموت، أو ينتهي العالم. هكذا أقول أنا برجرين بن بالادين من مقاطعة الأنصاف».

«وهذا أسمعه أنا دنثور بن إكثيليون، سيد جوندور، قهرمان الملك الأعلى، ولن أنسى ذلك، كما لن أتوانى في مكافأة ذلك الذي تم إعطاؤه: الإخلاص بالحب، والشجاعة بالشرف، والحنث في اليمين بالانتقام».

وبعد ذلك استعاد بيبين سيفه ووضعه في غمده.

وقال دنثور: «والآن، أمري الأول لك: تحدث ولا تصمت! أخبرني بقصتك كاملة، وانتبه بحيث تستدعي كل ما في استطاعتك عن بورومير، ابني. اجلس الآن وابدأ!». وبينما كان يتحدث ضرب ناقوسًا فضيًا كان يقع قريبًا من مسند قدميه، وفي

الحال جاء الخدام. ورأى بيبين عندئذ أنهم كانوا يقفون في فجوات على كلا جانبي الباب، مختبئين بينما كان هو وجَنْدَلف يدخلان.

وقال دنثور: «أحضروا النبيذ والطعام ومقاعد للضيوف، واحرصوا على ألا يزعجنا أحد لمدة ساعة».

وقال متحدثًا إلى جَنْدَلف: «هذا كل ما ينبغي علي أن أمنحه لكما من وقت؛ لأن هناك أشياء كثيرة أخرى علي أن أعيرها انتباهي. أشياء كثيرة أكثر أهمية، ربما قد يبدو، ومع ذلك فإنها بالنسبة لي أقل إلحاحًا. ولكن ربما يكون بإمكاننا الحديث مرة أخرى في نهاية اليوم».

فقال جَنْدَلف: «وقبل ذلك، هذا ما نتمناه؛ لأنني لم أسر إلى هنا من أيزنجارد، مسافة مائة وخمسين فرسخًا، بسرعة الريح، فقط لأحضر لك محاربًا صغيرًا واحدًا، مهما يكن لطفه وكياسته. أليس يعني شيئًا بالنسبة لك أن ثيودن قد خاض معركة عظيمة، وأن إيزنجارد قد هزمت، وأنني قد كسرتُ عصا سارومان؟».

«هذا يعني الكثير بالنسبة لي. ولكنني أعرف قدرًا كافيًا بالفعل عن هذه الأعمال لإسداء النصح لي فيما يتصل بتهديد الشرق». وحول عينيه السوداوين إلى جَنْدَلف، وعندئذ رأى بيبين شبهًا بين الاثنين، وأحس بالتوتر بينهما، كما أنه رأى تقريبًا خطًا من نار مدخنة، تنسحب من عين إلى عين، قد تنفجر فجأة متحولة إلى لهب.

وبدا دنثور حقًا أكثر شبهًا بكثير بساحر عظيم من جَنْدَلف نفسه، أكثر ملكية وجمالًا وقوة؛ وأكبر سنًا. ولكن بحاسة أخرى غير الإبصار أدرك بيبين أن جَنْدَلف كانت لديه قوة أعظم وحكمة أعمق، وجلال كان مختفيًا. وكان أكبر سنًا، أكبر سنًا بكثير. وتساءل مع نفسه: «بكم من السنين كان يكبره؟». وبعدئذ فكر في مدى الغرابة في أنه لم يفكر في ذلك من قبل أبدًا. لقد قال تريبيرد شيئًا ما عن السحرة، ولكن حتى في ذاك الوقت لم يفكر في جَنْدَلف كواحد من هؤلاء السحرة. ماذا كان جَنْدَلف؟ في أي وقت سحيق ومكان بعيد جاء إلى العالم، ومتى سوف يغادره؟ وعندئذ انقطعت تأملاته، ورأى أن دنثور وجَنْدَلف كانا لا يزالان ينظران إلى بعضهما عينًا في عين، كما لو كان كل منهما يقرأ عقل الآخر. ولكن دنثور كان أول من سحب نظرته.

وقال: «نعم، لأنه على الرغم من أن الصخور قد ضاعت، حسب قولهم، فلا يزال سادة جوندور يمتلكون بصرًا أكثر حدة من الرجال الأدنى، وتأتيهم الكثير من الرسائل. ولكن اجلس الآن!».

وعندئذ جاء الرجال يحملون كرسيًا ومقعدًا آخر صغيرًا بدون ظهر، وأحضر أحدهم صينية عليها إبريق فضي وكئوس، وكعكة بيضاء. وجلس بيبين، ولكنه لم

يستطع أن يأخذ عينيه بعيدًا عن السيد العجوز. هل كان الأمر كذلك، أم أن الأمر ببساطة أنه كان يتخيل ذلك، أنه بينما كان يتحدث عن الحجارة تركز وهج مفاجئ من عينيه على وجه بيبين؟

«والآن أخبرني حكايتك، يا تابعي» قال ذلك دنثور، في نصف لطف، ونصف سخرية واستهزاء. «لأن كلمات شخص كان ابني صديقًا له ستكون على الرحب والسعة حقًا».

لم ينس بيبين قط تلك الساعة في البهو العظيم تحت عين سيد جوندور الثاقبة النافذة، وهو يطعن بين الفينة والفينة بأسئلته الماكرة، وهو مدرك طوال الوقت لوجود جَنْدَلْف إلى جانبه، يراقب وينصت، و(هكذا شعر بيبين) يكبح حنقًا ونفاد صبر متزايدين. وعندما انقضت الساعة ودق دنثور الناقوس مرة أخرى، أحس بيبين بالإعياء والإرهاق. وفكر مع نفسه: «لا يمكن أن تكون الساعة أكثر من التاسعة. يمكنني الآن أن أتناول الإفطار ثلاث مرات بلا توقف».

وقال دنثور: «لتقد السيد ميثرانديير إلى المبيت الذي أُعدَّ له، ويمكن أن يقيم رفيقه معه في الوقت الحاضر، إذا شاء. ولكن ليكن معلومًا أنني قد جعلته الآن يقطع قسمًا على نفسه أن يكون في خدمتي، وسوف يطلق عليه اسم برجرين بن بالادين وسوف يتم تعليمه كلمات السر الأقل شأنًا. أرسلوا الأخبار إلى القادة أنهم سيمثلون أمامي هنا، بمجرد أن تدق الساعة الثالثة تقريبًا.

«وأنت، يا سيدي ميثرانديير، سوف تأتي أيضًا، متى وكيفما تشاء. لن يعيقك أي شيء من القدوم عليَّ في أي وقت، باستثناء ساعات نومي القصيرة فقط. دع حنقك من حماقة رجل عجوز يزول، وبعد ذلك عد إليَّ لمواساتي!».

فقال جَنْدَلْف: «حماقة؟ كلا، يا سيدي، عندما تصبح خرفًا فإنك ستموت. يمكنك حتى أن تستخدم حزنك كغطاء. أتظن أنني لا أفهم غرضك في استجواب شخص يعرف أقل قدر من المعلومات لمدة ساعة، بينما أنا أجلس إلى جواركما دون أن أفعل شيئًا؟».

ورد عليه دنثور: «إذا كنت تفهم ذلك، فلتكن راضيًا إذن. سوف يكون الكبرياء حماقة تستخف بالمساعدة والمشورة عند الحاجة؛ ولكنك توزع تلك العطايا وفقًا لخططك الخاصة. بيد أن سيد جوندور لن يجعله أحد أداة لأغراض أناس آخرين، مهما تكن جدارتهم وقدرتهم. وبالنسبة له ليس هناك من غرض أسمى في العالم وهو قائم الآن من مصلحة جوندور؛ وحكم جوندور، يا سيدي، فهو لي وليس لأي رجل آخر، إلا إذا جاء الملك مرة أخرى».

فقال جَنْدَلْف: «إلا إذا جاء الملك مرة أخرى؟ حسنًا، يا سيدي القهرمان، إنها لاتزال مهمتك أن تحافظ على مملكة ضد ذلك الحدث، الذي يعتني به قليلون الآن. في تلك المهمة سوف تنال كل المساعدة التي تشاء ويسرك أن تطلبها. ولكني سأقول لك هذا: ليس حكم أي مملكة لي؛ لا حكم جوندور ولا حكم أي مملكة أخرى، كبيرة كانت أو صغيرة. ولكن كل الأشياء القيمة والهامة التي تتعرض للخطر فيما عليه العالم من وضع الآن، هذه هي ما أعتني وأهتم به. وبالنسبة لي، فإنني لن أقصر كلية في مهمتي أو أخفق فيها، على الرغم من أن جوندور قد تهلك، إذا مر أي شيء عبر تلك الليلة التي لا يزال يمكن أن تصبح جميلة أو تحمل فاكهة وزهورًا مرة أخرى في أيام قادمة. لأنني أنا أيضًا قهرمان. ألم تعلم ذلك؟». وبهذه الكلمات استدار وراح يخطو خطوات واسعة من البهو وبيبين يجري إلى جواره.

لم ينظر جَنْدَلْف إلى بيبين ولم يتحدث معه بكلمة واحدة وهما يمضيان. أحضرهما مرشدهما من أبواب البهو، وبعد ذلك قادهما عبر بلاط النافورة إلى ممر بين بنايات حجرية عالية. بعد عدة منعطفات وصلوا إلى منزل قريب من جدار القلعة في الجانب الشرقي، ليس ببعيد عن الكتف التي كانت تربط التل بالجبل. في الداخل، في الطابق الأول فوق الشارع، صعودًا عبر سلم واسع مشقوق، وصل بهما إلى غرفة جميلة، مضاءة ومتجددة الهواء، بها أشياء وسيمة مدلاة لها بريق ذهب غير محددة الأشكال. كان بها النزر اليسير من الأثاث، إذ لم يكن بها سوى منضدة صغيرة، ومقعدين ودكة؛ ولكن كانت هناك على كل جانب فجوات بها ستائر وأسرَّة مفروشة بفرش جيدة بالداخل كما كانت بها أوعية وأحواض للاغتسال. كانت هناك ثلاث نوافذ عالية ضيقة كانت تطل باتجاه الشمال فوق المنحنى العظيم لنهر أندوين، لا تزال ملفعة بالسُّدُم، باتجاه تل إمين مويل ومساقط راوروس على البعد. كان بيبين مضطرًا للصعود على الدكة لينظر فوق العتبة الصخرية العميقة.

«هل أنت غاضب مني يا جَنْدَلْف؟». قال له ذلك، عندما خرج مرشدهما وأغلق الباب. «لقد فعلتُ أفضل ما كان باستطاعتي».

فقال جَنْدَلْف وهو يضحك فجأة: «لقد فعلت حقًا!». وجاء ووقف إلى جوار بيبين، وقد وضع ذراعه حول كتفي الهوبيتي، وراح يحدق نحو الخارج من النافذة. راح بيبين ينظر ببعض الدهشة في الوجه الذي بات عندئذ قريبًا للغاية من وجهه هو، لأن صوت تلك الضحكة كان مرحًا ومسرورًا. ولكنه رأى في وجه الساحر في البداية خطوط الهم والحزن فقط؛ على الرغم من أنه بينما كان ينظر بمزيد من التدقيق أدرك أنه تحت كل هذا كانت هناك فرحة عظيمة: ينبوع من مرح يكفي لجعل مملكة تضحك، لو أنه فاض وتدفق.

وقال الساحر: «حقًا لقد فعلت أفضل ما كان باستطاعتك، وأتمنى أن يكون هناك وقت طويل قبل أن تجد نفسك في زاوية ضيقة مرة أخرى بين مثل هذين الرجلين

العجوزين الرهيبين. ومع ذلك فإن الرجل العجوز قد عرف منك أكثر مما يمكن أن تكون قد خمنت يا بيبين. إنك لم تستطع أن تخفي حقيقة أن بوروميرلم يقد الصحبة من موريا، وأنه كان هناك واحد بينكم يتمتع بشرف ورفعة كان قادمًا إلى ميناس تيريث؛ وأنه كان لديه سيف شهير. يفكر البشر كثيرًا في حكايات الأيام الخوالي في جوندور؛ وقد فكر دنثور طويلًا في قصيدة وفي كلمات لعنة إسيلدور، منذ أن رحل بورومير.

«إنه لا يشبه رجالًا آخرين في هذا الوقت، يا بيبين، وأيًا كانت السلالة التي انحدر منها من الأب إلى الابن، فبمجرد مصادفة محضة دم الغربيين[1] يجري حقًا فيه على وجه التقريب؛ مثلما كان يجري في ابنه الآخر، فارامير، بيد أنه لم يكن يجري في بورومير الذي كان يحبه أعظم حب. إن لديه بعد نظر. يمكنه أن يدرك، إذا هو ركز إرادته إلى هناك، الكثير مما يجري في عقول الرجال، حتى عقول أولئك الذين يقطنون بعيدًا. من الصعب خداعه، ومن الخطر محاولة ذلك.

«تذكر ذلك! لأنك الآن قد أديت القسم على أن تكون في خدمته. لا أدري ما الذي وضع ذلك في رأسك، أو في صدرك، وجعلك تفعله. ولكنك أحسنت صنعًا. إنني لم أعقك أو أمنعك؛ لأن العمل الكريم يجب ألا تكبحه المشورة الفاترة. لقد لمس قلبه، كما أن ذلك (إذا جاز لي القول) قد كان سارًا لمزاجه. وعلى الأقل فإنك حر الآن بحيث يمكنك أن تتحرك حسبما تشاء في ميناس تيريث عندما لا تكون في مهمة؛ لأن هناك جانبًا آخر لهذا الأمر. إنك تحت إمرته؛ ولن ينسى. عليك بالحذر مع ذلك!».

ولزم الصمت وتنهد. «حسنًا، ليست هناك حاجة إلى التفكير فيما قد يجلبه الغد. وذلك لشيء واحد فقط، الغد سوف يجلب ما هو أسوأ من اليوم بكل تأكيد، على مدى أيام كثيرة قادمة. وليس هناك شيء أكثر من ذلك يمكنني أن أفعله لمنع ذلك. لقد نصبت الطاولة، وراحت القطع تتحرك. هناك قطعة أرغب في العثور عليها بشكل كبير وهي فارامير، وهو الآن وريث دنثور. لا أعتقد أنه في المدينة؛ ولكن ليس لدي وقت لأن أجمع الأخبار. يجب أن أذهب يا بيبين. يجب أن أذهب إلى مجلس هذا السيد وأعرف ما يمكنني معرفته. ولكن العدو بدأ الحركة، وهو على وشك أن يفتح لعبته الكاملة. ومن المحتمل أن ترى البيادق الكثير من ذلك مثل أي قطعة أخرى، يا برجرين بن بالادين، جندي جوندور. لتشحذ سيفك!».

وذهب جندلف إلى الباب، وهناك استدار وقال: «إنني في عجلة من أمري يا بيبين. أسد إلي معروفًا عندما تخرج. حتى قبل أن تستريح، إذا لم تكن متعبًا للغاية. اذهب واعثر على شادوفاكس وتأكد من طريقة إيوائه. هؤلاء الناس لطيفون مع

(1) Westernesse وهي ترجمة [Númenor] ومعناها ['Westland'] أي الأرض الغربية (المترجم)

الحيوانات؛ لأنهم قوم طيبون وحكماء، ولكن لديهم مهارة في التعامل مع الخيل أقل من بعض الحيوانات».

وبهذه الكلمات خرج جندلف؛ وبينما كان يفعل ذلك، جاءته نغمة جرس واضح جميل يدق في برج من أبراج القلعة. دق ثلاث دقات، مثل الفضة في الهواء، وتوقف: الساعة الثالثة منذ شروق الشمس.

بعد دقيقة ذهب بيبين إلى الباب وهبط السلم ونظر في الشارع حوله. كانت الشمس تسطع عندئذ دافئة ومشرقة، وألقت الأبراج والمنازل العالية بظلال طويلة واضحة باتجاه الغرب. راح جبل ميندولوين يرفع قمته البيضاء ومعطفه الثلجي عاليًا في الهواء الكئيب. راح الرجال المسلحون يذرعون المكان جيئة وذهابًا في طرقات المدينة، كما لو كانوا يتحركون عند دقات الساعة لتغيير نقاط ونوبات الحراسة والمراقبة.

وقال بيبين بصوت عال لنفسه: «كنا سنطلق عليها الساعة التاسعة في المقاطعة. هذا هو الوقت تمامًا لتناول إفطار لطيف بجوار النافذة المفتوحة في شمس الربيع الساطعة. وكيف يمكنني أن أرغب في الحصول على إفطار! هل هو موجود على الإطلاق لدى هؤلاء القوم، أم أنه قد انتهى؟ ومتى يتناولون العشاء، وأين؟».

وفي هذا الوقت لاحظ وجود رجل مرتديًا ثيابًا سوداء وبيضاء، يأتي عبر الشارع الضيق من وسط القلعة باتجاهه. أحس بيبين بالوحدة وقرر أن يتحدث والرجل يمر به؛ ولكن لم تكن لديه حاجة إلى ذلك. لقد جاء الرجل إليه مباشرة.

وقال له: «أنت برجرين النصف؟ لقد أخبرت أنك قد أقسمت على أن تكون في خدمة سيد المدينة. مرحبًا بك!». ومد يده، وصافحه بيبين.

«أسمي برجوند ابن بارانور. ليست لدي نوبات حراسة اليوم، وقد تم إرسالي لأعلمك كلمات السر، وأخبرك بعض الأشياء الكثيرة التي ستود معرفتها بلا شك. وبالنسبة لي، فإنني سوف أتعلم منك أيضًا، لأننا لم نر قبل ذلك قط «نصف» في هذه البلاد على الرغم من أننا قد سمعنا شائعات عنهم، فإن القليل قد قيل عنهم في أي حكاية نعرفها. علاوة على ذلك، فإنك صديق ميثراندير. هل تعرفه جيدًا؟».

فقال بيبين: «حسنًا. لقد عرفته طوال حياتي القصيرة كلها، إذا جاز لك القول؛ ومؤخرًا سافرت بعيدًا معه. ولكن هناك الكثير يمكن قراءته في ذلك الكتاب، ولا أدعي أنني قد رأيت أكثر من صفحة أو صفحتين. ولكن ربما لا أكون أعرفه جيدًا مثل أي شخص آخر إلا قليلًا. كان أراجورن هو الشخص الوحيد من صحبتنا، في رأيي، الذي كان يعرفه حقًا».

فقال برجوند: «أراجورن؟ من هو؟».

وتلعثم بيبين وقال: «آه، لقد كان رجلًا. كان يسير معنا في رحلتنا. أظن أنه في روهان الآن».

«لقد ذهبتَ إلى روهان، حسبما أسمع. هناك الكثير يمكن أن أسألك عنه بشأن هذه البلاد أيضًا؛ لأننا وضعنا كثيرًا من الأمل القليل لدينا في شعبها. ولكني أنسى مهمتي، والتي كانت تتمثل في البداية في أن أجيب على أي أسئلة سوف تسألها. ما الذي تريد أن تعرفه، أيها السيد برجرين؟».

فقال بيبين: «حسنًا، إذا سمحت لي أن أقول ذلك، هناك سؤال ملتهب في عقلي في الوقت الحالي وهو: حسنًا ماذا عن طعام الإفطار وما شابه ذلك؟ أقصد، ما هي أوقات الطعام، إذا كنت تفهم ما أقول، وأين هي غرفة الطعام، إذا كانت هناك غرفة للطعام؟ والحانات؟ لقد نظرتُ، ولكني لم أر واحدة قط ونحن نسير صاعدين، على الرغم أنني قد منيتُ نفسي بأمل رشفة من شراب بمجرد أن وصلنا إلى ديار الرجال الحكماء واللطفاء».

ونظر برجوند إليه في رزانة وخشونة وقال: «رجل حملات قديم، فيما أرى. إنهم يقولون إن الرجال الذين يخرجون للحربِ في الميدان ينظرون دائمًا إلى الأمل التالي المتمثل في الطعام والشراب؛ على الرغم من أنني، أنا نفسي، لستُ رحالة. إذن فإنك لم تتناول طعامًا اليوم بعد؟».

وقال بيبين: «حسنًا، نعم، وحتى أكون لبقًا كيسًا في حديثي، نعم. ولكن ليس أكثر من كأس من نبيذ وكعكة بيضاء أو كعكتين لطفًا من سيدك؛ ولكنه انهال على لقاءها بساعة من الأسئلة، وهذا عمل يسبب الجوع».

وضحك برجوند وقال: «على الطاولة قد يفعل الرجال الصغار الأعمال الأكثر عظمة، هكذا نقول. ولكنك تناولت إفطارك مثلك مثل أي رجل في القلعة، وبشرف أعظم. هذا حصن وبرج للحراسة وهو الآن في وضع الحرب. إننا ننهض قبل أن تشرق الشمس، ونتناول لقمة في الضوء الرمادي، ونذهب إلى مهامنا وحراساتنا عند ساعة الفتح. ولكن لا تيئس!». وضحك مرة أخرى، لما رأى الامتعاض واليأس في وجه بيبين. «أولئك الذين كانت نوبتهم ثقيلة يأخذون قسطًا ينعش قوتهم في وسط النهار. عندئذ هناك الغداء، عند الظهيرة أو بعد ذلك حسبما تسمح به نوبات الحراسة؛ ويتجمع الرجال لتناول وجبة النهار، وكذلك المرح والطرب حسبما قد لا يكون لا يزال هناك مرح وطرب، عند ساعة الغروب تقريبًا.

«هيا! سوف نمشي قليلًا وبعد ذلك نذهب ونجد لنا بعض طعام وشراب، ونأكل ونشرب على الشرفة المفرجة، ونستطلع الصباح الجميل».

فقال له بيبين في استحياء: «لحظة واحدة! الجشع، أو الجوع بعد إذنك، أبعد ذلك عن عقلك. ولكن جندلف، ميثراندير حسبما تنادونه أنتم، طلب مني أن أعتني بحصانه شادوفاكس، جواد مطهم عظيم من روهان، والمفضل لدى الملك، هكذا أُخبرتُ، على الرغم من أنه قد أعطاه لميثراندير لقاء خدماته. أعتقد أن سيده الجديد يحب الحيوان

أكثر مما يحب الكثير من البشر، وإذا كانت نيته الحسنة ذات أي قيمة بالنسبة لهذه المدينة، فإنك ستعامل شادوفاكس بكل شرفٍ وإجلال: بعطف أكبر مما عاملت به هذا الهوبيتي، إذا كان ممكنًا».

وقال برجوند: «الهوبيتي؟».

ورد عليه بيبين: «هذا هو الاسم الذي نطلقه على أنفسنا».

فقال برجوند: «إنني سعيد لأن أتعلم ذلك الاسم؛ لأنه قد يمكنني الآن أن أقول إن هذه اللكنات الغريبة لا تفسد الحديث الجميل، وأن الهوبيتيين قوم مهذبون. ولكن هيا! سوف تعرفني بهذا الحصان الجيد. إنني أحب الحيوانات، ونادرًا ما نراها في هذه المدينة الحجرية؛ لأن قومي أتوا من الوديان الجبلية، وقبل ذلك من إثيلين. ولكن لا تخف!». ستكون الزيارة قصيرة، مجرد زيارة مجاملة، وسوف نعود من هناك إلى مخزن المأكولات والمشروبات».

ووجد بيبين أن شادوفاكس كان في مكان جيد وكان يحظى بعناية جيدة. لأنه في الدائرة السادسة، خارج جدران القلعة، كانت هناك بعض المرابض حيث كانت فيها مجموعة قليلة من خيل سريعة، إلى جوار ثكنات حملة رسائل سيد المدينة: الرسل دائمًا مستعدون للذهاب على الفور بناء على أمر عاجل من دنثور أو من كبار قادته. ولكن الآن كانت جميع الخيل والخيالة بالخارج بعيدًا.

راح شادوفاكس يصهل بينما كان بيبين يدخل الإسطبل ويدير رأسه، وقال بيبين: «صباح الخير! سوف يأتي جندلف سريعًا قدر استطاعته. إنه مشغول، ولكنه يرسل تحياته، وأنا هنا لأتأكد من أن كل شيء على ما يرام معك؛ وأنك تستريح، وهذا ما أتمناه، بعد رحلاتك الطويلة الشاقة».

وهز شادوفاكس رأسه وضرب الأرض بحوافره. ولكنه سمح لبرجوند أن يربت على رأسه بلطف، وأن يضربه على خاصرتيه الكبيرتين.

وقال برجوند: «يبدو وكأنه كان يتوق توقًا شديدًا إلى سباق، ولم يكن قد جاء من رحلة طويلة مؤخرًا. كم هو قوي وأبي! أين سرجه؟ لا بد أنه ثمين وجميل».

فقال بيبين: «ليس هناك من سرج ثري وجميل بالشكل الكافي بالنسبة له. لن يكون عليه أي سرج. إذا هو وافق ورضي على حملك، فسوف يحملك؛ وإذا لم يوافق، حسنًا، فلن تروضه شكيمة أو لجام أو سوط أو سير. الوداع يا شادوفاكس! تحلَّ بالصبر. المعركة قادمة».

ورفع شادوفاكس رأسه وراح يصهل، لدرجة أن الإسطبل قد ارتج، وغطيا آذانهما. واستأذنا، وقد تأكدا أن المعلف كان مليئًا جيدًا.

«والآن إلى مغلقنا نحن» قال ذلك برجوند، وقاد بيبين عائدًا إلى القلعة، ومن هناك إلى باب في الجانب الشمالي من البرج العظيم. وهناك راحا يهبطان سلمًا طويلًا باردًا إلى ممر ضيق كانت تضيئه المصابيح. كانت هناك فتحات صغيرة في الجدران في الجانب، وكانت واحدة منها مفتوحة.

وقال برجوند: «هذا هو المخزن ومستودع الغذاء الخاص بجماعتي من الحراس».

وقال عبر الفتحة: «مرحبًا يا تارجون! لا يزال الوقت مبكرًا، ولكن لدينا قادم جديد أخذه سيد المدينة إلى خدمته. لقد سار لمسافة طويلة وبعيدة شادًا حزامه بقوة، وقد عانى معاناة شديدة هذا الصباح، وهو جائع. أعطنا ما لديك!».

حصلوا عليه هناك من خبز وزبد وجبن وتفاح: آخر مخزون الشتاء، متغضن لكنه سليم وحلو؛ وإبريق جلدي من نبيذ مصنوع حديثًا، وأطباق وكئوس خشبية. وضع كل ذلك في سلة مصنوعة من أعواد الخيزران الرفيعة صعدوا مرة أخرى عائدين إلى الشمس؛ وجاء برجوند ببيبين إلى مكان في النهاية الشرقية من الشرفة العظيمة الناتئة حيث كانت هناك كوة في الجدران وكان هناك مقعد حجري أسفل العتبة. من هناك، كانا يطلان على الصباح من فوق العالم.

وأكلا وشربا؛ وراحا عندئذ يتحدثان عن جوندور وطرقها وعاداتها، وأحيانًا عن المقاطعة والبلدان الغريبة التي رآها بيبين. وقد كان برجوند دائمًا وهما يتحدثان أكثر اندهاشًا، وكان ينظر باندهاش أكثر إلى الهوبيتي، وهو يهز ساقيه القصيرتين وهو جالس فوق المقعد، أو واقف على أطراف أصابعه عليه ليطل من فوق العتبة على الأراضي التي كانت أسفل منهما.

وقال برجوند: «إنني لن أخفي عنك يا سيدي برجرين أنك تبدو تقريبًا بالنسبة لنا كواحد من أطفالنا، صبي عمره تسع سنين أو قرابة ذلك، وأرجوك أن تعذرني في حماقتي».

فقال بيبين: «إنني أعذرك. على الرغم من أنك لستَ مخطئًا كثيرًا. إنني لا أزال أكثر قليلًا من صبي في تقويم وحساب شعبي وقومي، ويتبقى أربع سنوات قبل أن «أبلغ سن الرشد»، مثلما نقول في المقاطعة. ولكن لا تبتئس بشأني. تعال وانظر وأخبرني ما يمكن أن أراه».

كانت الشمس عندئذ تصعد، وراحت السُّدُم التي كانت في الوادي أسفل منهما تنقشع بعيدًا. كانت آخرها تطفو بعيدًا، فوق رأسيهما مباشرة، مثل حزم من سحابة بيضاء يحملها النسيم الخانق من الشرق، كانت عندئذ تطير وتشد أعلام القلعة وكذلك راياتها البيضاء. وبعيدًا إلى أسفل في قاع التل، على بعد قرابة خمسة فراسخ قدرما تستطيع العين أن تقفز، كان يمكن عندئذ رؤية النهر العظيم رماديًا ومتوهجًا، يخرج من الشمال

الغربي، وينحني في امتداد عظيم واندفاع جارف جنوبًا ثم غربًا مرة أخرى، حتى غاب عن الرؤية في ضباب ووهج، بعيدًا حيث يقع هنالك البحر على مسافة خمسين فرسخًا.

كان بيبين يرى كل حقول بيلينور ممتدة أمامه، تظهر في هيئة نقط على البعد بمزارعها وجدرانها الصغيرة، وحظائرها وزرائبها، ولكن لم يكن يرى في أي مكان أية ماشية أو حيوانات. كانت هناك الكثير من الطرق والمسارات تقطع الحقول الخضراء، وكان هناك الكثير من الحركة جيئة وذهابًا: كانت هناك عربات تتحرك في أسراب تجاه البوابة العظيمة، وكانت هناك أخرى تمر خارجه. وكان من وقت لآخر يظهر خيّال راكبًا حصانه، ويقفز من على السرج ويسرع إلى المدينة. ولكن كان معظم المارة يخرجون عبر الطريق السريع الرئيسي، وكان ذلك يدور جنوبًا، ثم ينحني بشكل أسرع من النهر وهو يدور حول التلال، ويعبر سريعًا ويختفي عن الأنظار. كان واسعًا وممهدًا جيدًا، وكان يجري عبر حافته الشرقية مجاز أخضر واسع تسير فيه الخيل، وفيما وراء ذلك كان يقوم جدار. كان الخيالة يعدون بخيلهم جيئة وذهابًا، ولكن كان الشارع كله يبدو مخنوقًا بالعربات الذاهبة جنوبًا. ولكن سريعًا ما رأى بيبين أن كل شيء كان في واقع الأمر جيد الترتيب: كانت العربات تتحرك في ثلاثة خطوط، كانت واحدة منها أكثر سرعة تجرها الجياد؛ وأخرى أكثر بطئًا، عربات عظيمة بها خزائن جميلة كثيرة الألوان، تجرها الثيران؛ وعبر الحافة الغربية من الطريق كان هناك الكثير من العربات الخفيفة الأصغر حجمًا يدفعها رجال يمشون في جهد جهيد.

وقال له برجوند: «هذا هو الطريق إلى وديان توملادن ولوسارناخ والقرى الجبلية، وبعد ذلك يظل يسير إلى لبيبين. هاهي تذهب آخر العربات التي تحمل بعيدًا إلى الملاذات والملاجئ كبار السن والأطفال والنساء اللائي يجب أن يذهبن معهم. يجب أن يذهبوا جميعًا من البوابة والطريق خالٍ لمسافة فرسخ قبل الظهيرة: كان هذا هو الأمر. إنها ضرورة حزينة». وتنهد. «قليل من هذه العربات ربما التي تنطلق مدوية سوف تلتقي مرة أخرى. وكان هناك دائمًا قليل من الأطفال في هذه المدينة؛ ولكن الآن لا يوجد أي أطفال باستثناء بعض الصبية الصغار الذين لن يرحلوا، وقد يجدون مهمة يقومون بها: ابني أنا واحد من هؤلاء».

ولزما الصمت لبعض الوقت. وراح بيبين يحدق في قلق اتجاه الشرق، كما لو كان قد يرى في أي لحظة آلاف الأوركيين يتدفقون فوق الحقول. وراح يتساءل وهو يشير إلى أسفل إلى منتصف المنحنى العظيم لنهر أندوين: «ما الذي يمكنني أن أراه هناك؟ هل هذه مدينة أخرى، أم ما هذا؟».

فقال برجوند: «لقد كانت مدينة، المدينة الرئيسية في جوندور، ولم تكن هذه سوى قلعة منها؛ لأن هذه أنقاض حصن أوسجيلياث على كلا جانبي نهر أندوين الذي استولى

عليه أعداؤنا وأحرقوه منذ زمن طويل. بيد أننا استرددناه في أيام شباب دنثور: لا لنقيم فيه، بل لنحتفظ به كقاعدة أمامية، ولنعيد بناء الجسر لمرور جيوشنا. وعندئذ جاء الخيالة البشعون من ميناس مورجول».

«الخيالة السود؟». قال ذلك بيبين، وقد فتح عينيه، وكانتا واسعتين وسوداوين بهما خوف قديم استيقظ من جديد.

فقال برجوند: «نعم، كانوا سودًا، وأرى أنك تعرف شيئًا عنهم، على الرغم من أنك لم تتحدث عنهم في أيٍ من حكاياتك».

وقال بيبين بصوت منخفض: «نعم أعرف شيئًا عنهم، ولكني لن أتحدث عنهم الآن، إننا قريبون جدًا، قريبون جدًا». وتوقف عن الكلام ورفع عينيه فوق النهر، وبدا له أن كل ما يستطيع أن يراه هو ظل كبير ومهدد. ربما كان جبالًا تلوح على حافة الإبصار، وقد صارت حوافها المسننة سلسة من جراء المسافة التي تقارب عشرين فرسخًا من الهواء السديمي؛ ربما لم يكن ذلك سوى جدار من سحاب، وفيما وراء ذلك لا تزال هناك أيضًا ظلمة أكثر قتامة. ولكن بينما كان ينظر بدا لعينيه أن الظلمة كانت تتزايد وتتجمع، بطيئًا جدًا، وترتفع في بطء لتغطي مناطق الشمس.

وقال برجوند في هدوء: «قريبًا جدًا من موردور؟ نعم. ها هي تقع هناك. إننا نادرًا ما نذكرها؛ ولكننا نسكن منذ الأبد وأمامنا هذا الظل نراه: أحيانًا يبدو أضعف وأكثر بعدًا؛ وأحيانًا أخرى أكثر قربًا وأكثر ظلمة. إنه يكبر ويصبح أكثر ظلمة وشرًا حاليًا؛ ولذلك فإن خوفنا وقلقنا يكبر أيضًا. ومنذ أقل من سنة استعاد الخيالة السود المعابر وقد ذُبح الكثيرون من أفضل رجالنا. وقد كان بورومير هو الذي رد العدو أخيرًا من هذا الشاطئ الغربي، ونحن لا نزال نسيطر على النصف القريب من أوسجيلياث. لوقت قصير. ولكننا ننتظر حاليًا هجومًا ضاريًا جديدًا هناك. ربما يكون الهجوم الرئيسي للحرب التي ستأتي».

فقال بيبين: «متى؟ هل لديك أي تخمين؟ لأنني رأيتُ المنارات الليلة الماضية وحملة الرسائل والمهام؛ وقال جندلف إن ذلك كان علامة على أن الحرب قد بدأت. كان يبدو في عجلة ملحة. ولكن الآن يبدو كل شيء وقد أبطأ مرة أخرى».

وقال برجوند: «ليس ذلك إلا لأن كل شيء جاهز الآن. ليس هذا سوى النفس العميق قبل الانقضاض».

«ولكن لماذا كانت المنارات مضاءة ليلة أمس؟».

وأجاب برجوند: «عندما تحاصر بالفعل، فإنه يكون قد فات الأوان كثيرًا للإرسال لطلب المساعدة. ولكني لا أعرف ما سيستقر عليه الرأي بين سيد المدينة وقادته. لديهم الكثير من الطرق لجمع الأخبار. والسيد دنثور على عكس غيره من الرجال: إنه يرى

بعيدًا. يقول البعض إنه وهو يجلس وحده في غرفته العالية في البرج ليلًا، ويميل بفكره في هذا الاتجاه أو ذاك، يمكنه أن يقرأ بعضًا من المستقبل؛ وأنه سوف يقوم في بعض الأحيان بالتفتيش حتى في عقول العدو، ويتصارع معه. ولهذا السبب فإنه عجوز، وقد بلي قبل أوانه. ولكن مهما يكن ذلك، فإن سيدي فارامير بالخارج، فيما وراء النهر في مهمة خطيرة، وربما يكون قد أرسل أخبارًا.

«ولكن إذا عرفتَ ما هو رأيي فيما أضاء المنارات، فقد كانت الأخبار التي جاءت مساء أمس من لبيبين. هناك أسطول عظيم يقترب من مصاب نهر أندوين، مجهز بقراصنة أومبار[1] في الجنوب. لقد انقطعوا منذ زمن بعيد عن خوفهم من عظمة جوندور، وقد حالفوهم مع العدو، والآن يقومون بهجوم كبير في سبيل هذه القضية؛ لأن هذا الهجوم سوف يجتذب الكثير من المساعدة التي كنا نتطلع إلى الحصول عليها من لبيبين وبيلفالاس، حيث الناس هناك أشداء وعديدون. ويتزايد ذهاب أفكارنا إلى الشمال إلى روهان؛ كما أن فرحتنا تزداد مع أخبار النصر هذه التي تجلبها معك.

«ومع ذلك» وتوقف هنا ووقف، ونظر حوله، شمالًا وشرقًا وجنوبًا «فإن الأعمال في أيزنجارد يجب أن تحذرنا أننا قد وقعنا الآن في شبكة وإستراتيجية حربية عظيمتين. لم تعد هذه مناوشة أو مشاجرة عند المخاضات، غارة من إثيلين ومن أنورين، كمين ونهب غنائم. إنها حرب عظيمة جرى التخطيط لها لمدة طويلة، ونحن لسنا سوى قطعة واحدة فيها، مهما يكن ما يقوله الفخر والكبرياء غير ذلك. الأشياء تتحرك في الشرق الأدنى فيما وراء البحر الداخلي، هكذا جاءت الأخبار؛ وشمالًا في غابة ميركوود وفيما وراء ذلك؛ وجنوبًا في هاراد. والآن فإن هذا سيكون اختبارًا لجميع الممالك، إما أن تصمد، وإما أن تسقط تحت الظل.

«ولكن، يا سيدي برجرين، فإن لنا هذا الشرف: إننا نحمل على الدوام الوطأة العظمى للكراهية الرئيسية لسيد الظلام؛ لأن تلك الكراهية تأتي من أعماق الزمن وفوق أعماق البحر. هنا سوف تنزل ضربة المطرقة بأشد ما يكون. ولذلك السبب جاء ميثراندير إلى هنا بتلك العجلة. لأنه إذا نحن سقطنا، من الذي سيصمد؟ كما أنه يا سيدي برجرين هل ترى أي أمل يقول إننا سنصمد؟».

ولم يحر بيبين جوابًا. ونظر إلى الجدران العظيمة، والأبراج وكذلك الرايات الباسلة، والشمس في السماء العالية، وبعدئذ إلى الظلمة المتجمعة في الشرق؛ والتفكير في الأصابع الطويلة لذلك الظل: في الأوركيين في الغابات وفي الجبال، وخيانة

---

(1) Corsairs of Umbar Umbar مرفأ طبيعي عظيم إلى جنوب خليج بيلفالاس، وقد استولى عليه طوال العصر الثالث رجال معادون لجوندور عرفوا باسم [Corsairs of Umbar] وهم قراصنة من الأراضي التي تقع جنوب جوندور. (المترجم).

أيزنجارد، وطيور العين الشريرة، والخيالة السود حتى في طرق المقاطعة ومجازاتها وفي الرعب المجنح، الأطياف. وانتفض، وبدا الأمل وقد ذبل. وحتى عند تلك اللحظة ارتعشت الشمس لثانية وأظلمت، كما لو أن جناحًا مظلمًا قد مر عبرها. وتقريبًا فيما وراء السمع ظن أنه قد سمع، عاليًا وبعيدًا في السماء، صوت صرخة: ضعيفة، بيد أنها تسحق الفؤاد، شرسة قاسية وباردة. وامتقع وجهه والتصق بالجدار.
وسأل برجوند: «وماذا كان ذلك؟ شعرتَ أنت أيضًا بشيء ما؟».
وغمغم بيبين قائلًا: «نعم. إنه علامة سقوطنا، وظل الهلاك، خيال شرس في الجو».
وقال برجوند: «نعم، ظل الهلاك. أخشى أن ميناس تيريث سوف تسقط. الليل يأتي. إن دفء دمي نفسه يبدو وقد سُرق مني».

وجلسا معًا لبعض الوقت ورأساهما محنيان ولم يتحدثا. بعد ذلك فجأة نظر بيبين لأعلى ليرى أن الشمس كانت لا تزال مشرقة وأن الرايات لا تزال تنساب في النسيم. وهز نفسه، وقال: «لقد مر. كلا، لن يصاب قلبي باليأس بعد. لقد سقط جَنْدَلْف، وها هو قد عاد وهو معنا الآن. إننا قد نصمد، حتى ولو كنا على ساق واحدة، أو على الأقل تُركنا حتى على رُكبنا».
«صحيح قولك!». صاح برجوند بهذه الكلمات، وقد نهض وراح يذرع المكان جيئة وذهابًا بخطى واسعة. «كلا، على الرغم من أن جميع الأشياء حتمًا ستصل إلى نهاية في الزمان في نهاية الأمر، فإن جوندور لن تهلك مع ذلك. ليس إلا أن يتم الاستيلاء على الجدران من جانب خصم طائش ويبني تلًا من الجثث أمامها. لا تزال هناك معاقل أخرى، وطرق سرية للهرب إلى الجبال. سوف يظل الأمل والذكرى حيين في وادٍ ما خفي حيث يكون العشب أخضر».
وقال بيبين: «وعلى حد سواء، فإنني أتمنى أن لو كان الأمر قد انتهى خيرًا كان أو شرًا. إنني لستُ محاربًا على الإطلاق وأكره أي تفكير في المعركة؛ ولكن الانتظار على حافة معركة لا يمكنني الهروب منها هو الأسوأ من ذلك كله. لكم يبدو طويلًا هذا اليوم بالفعل! لقد كنتُ سأصبح أكثر سعادة، لو أننا لم نكن ملزمين بالوقوف وبالمراقبة، ولا نأتي – أي حركة، ولا نضرب في أي مكان أولًا. لم تكن هناك أي ضربة كانت ستضرب في روهان، في رأيي، لولا جَنْدَلْف».
وقال برجوند: «آه، ها أنت ذا تضع أصبعك على موضع الألم الذي يشعر به الجميع!».
«ولكن الأشياء قد تتغير عندما يعود فارامير. إنه جسور، أكثر جسارة مما يعتقده الكثيرون؛ لأنه في هذه الأيام يكون الرجال بطيئين في الاعتقاد أن قائدًا يمكن أن يكون حكيمًا وملمًا بمطويات المعرفة والغناء، وهو فيما هو عليه، ومع ذلك فهو رجل يتصف

بالإقدام والجسارة وسرعة الحكم في الميدان. ولكن ذلك هو فارامير. أقل تهورًا وتلهفًا من بورومير، ولكن ليس أقل تصميمًا وعزمًا. ولكن ما الذي يمكنه أن يفعله حقًا؟ لا يمكننا أن نهاجم جبال المملكة البعيدة هناك. إن قدرتنا قد صارت قصيرة، ولا يمكننا أن نضرب حتى يأتي خصم ما في النطاق الذي تصل إليه. عندئذ ينبغي أن تكون يدنا ثقيلة!». وضرب مقبض سيفه بقوة.
ونظر بيبين إليه: طويلًا وأبيًا ونبيلًا، مثله مثل جميع الرجال الذين رآهم حتى الآن في تلك البلاد؛ ووهج في عينه وهو يفكر في المعركة، وراح يفكر، بيد أنه لم ينبس بكلمة: «يا للحسرة! إنني أحس بيدي خفيفة مثل ريشة. قال جَنْدَلْف: بيدق شطرنج؟ ربما؛ ولكن في لوحة الشطرنج غير الصحيحة».

وهكذا راحا يتحدثان حتى وصلت الشمس إلى أقصى ارتفاع لها، وفجأة دقت أجراس الظهيرة، وكانت هناك حركة في القلعة؛ لأن الجميع باستثناء الحراس كانوا ذاهبين لتناول طعامهم.
وقال برجوند: «هل ستأتي معي؟ ربما تشاطرني طعامي لهذا اليوم. لا أدري إلى أي سرية سوف يتم ضمك؛ أو ربما يضعك سيد المدينة تحت إمرته هو شخصيًا. ولكنك ستكون على الرحب والسعة. وسوف يكون من الجيد أن تقابل كثيرًا من الرجال قدر استطاعتك، بينما لا يزال هناك وقت لذلك».
فقال بيبين: «سيكون من دواعي سروري أن آتي معك. إنني وحيد، في حقيقة الأمر. لقد تركتُ أفضل صديق لي في روهان، وليس لدي أي شخص لأتحدث معه أو لأن أمزح معه. ربما يكون بإمكاني حقًا أن أنضم إلى سريتك؟ هل أنت القائد؟ إذا كان الأمر كذلك، يمكنك أن تأخذني معك، أو تتحدث بشأني في هذا الأمر؟».
وضحك برجوند وقال: «كلا، كلا. إنني لستُ قائدًا. ليس لدي أي منصب أو رتبة أو سيادة، إنني لستُ سوى محارب عادي في السرية الثالثة بالقلعة. ولكن، يا سيدي برجرين، لأن تكون محاربًا عاديًا في حرس برج جوندور فإن هذا يعتبر وجاهة في المدينة، ومثل أولئك الرجال يكونون من ذوي الشرف في البلاد».
وقال بيبين: «إذن فهذا فوق قدري بكثير. خذني إلى غرفتنا، وإذا لم يكن جَنْدَلْف هناك، فسوف أذهب إلى حيث تشاء كضيف لك».

ولم يكن جَنْدَلْف في الغرفة ولم يكن قد أرسل أية رسالة؛ ولذلك ذهب بيبين مع برجوند وتم تقديمه لرجال السرية الثالثة. وبدا أن برجوند قد حصل على قدر كبير من الشرف من ذلك مثل ضيفه؛ لأن بيبين كان مُرحبًا به كثيرًا للغاية. لقد كان هناك بالفعل

الكثير من الكلام في القلعة عن رفيق ميثراندير ورفقته الطويلة مع السيد[1]؛ وسرت شائعة أن أمير الأنصاف قد خرج من الشمال ليعرض التحالف مع جوندور وخمسة آلاف سيف. وقال البعض إنه عندما يأتي الخيالة من روهان، فإن كل واحد منهم سيحمل وراءه محاربًا من الأنصاف صغيرًا ربما، بيد أنه باسل وقوي.

على الرغم من أن بيبين كان لزامًا عليه بكل أسى أن يدمر هذه القصة المليئة بالأمل، إلا إنه لم يستطع أن يتخلص من رتبته الجديدة، التي تناسب فقط، حسب اعتقاد الرجال، شخصًا كان صديقًا لبورومير ونال الشرف والتشريف من السيد دنثور؛ وشكروه للمجيء بينهم، وتعلقوا بسيوفه وحكاياته عن الأراضي الخارجية، وأعطوه الكثير من الطعام والنبيذ قدر رغبته. في حقيقة الأمر، الشيء الوحيد الذي كان يقلقه هو أن يكون «حذرًا» وفقًا لنصيحة جندلف، وألا يدع لسانه يتحرك بالقيل والقال بحرية وانفلات مثلما هي عادة أي هوبيتي بين الأصدقاء.

وأخيرًا نهض برجوند، وقال: «الوداع في هذا الوقت، لدي نوبة حراسة الآن حتى غروب الشمس، تمامًا مثل الآخرين هنا، في رأيي. ولكنك إذا كنت وحيدًا، كما تقول، ربما ستحتاج إلى مرشد مرح يتجول بك في المدينة. من الممكن أن يذهب ابني معك بكل سرور. ولد طيب، إذا جاز لي القول. إذا كان ذلك يعجبك، اهبط إلى أدنى دائرة، واسأل عن دار الضيافة القديم في راث سلرداين، شارع لامبرايتس. سوف تجده هناك مع صبيان آخرين ممن تبقوا في المدينة. قد تكون هناك أشياء جديرة بالمشاهدة عند البوابة الكبيرة قبل أن تغلق».

وخرج، وفي الحال بعده تبع جميع الآخرين. كان اليوم لا يزال صحوًا، على الرغم من أنه راح يصبح غائمًا، وكان حارًا بالنسبة لشهر مارس، حتى وصلوا إلى الجنوب. كان بيبين يشعر بالنوم، ولكن المسكن كان يبدو كئيبًا، وقرر النزول واستكشاف المدينة. أخذ عدة لقيمات كان قد ادخرها لشادوفاكس، وقد قبلها بكل كرم، على الرغم من أن الحصان لم يكن ينقصه شيء. بعدئذ مشى هابطًا في عدة طرقات متعرجة.

راح الناس يحدقون فيه كثيرًا وهو يمر. كان الرجال أمامه لطفاء بشكل كبير للغاية، يحيونه على طريقة جوندور وهم يحنون رءوسهم ويضعون أيديهم على صدورهم؛ ولكن من ورائه كان يسمع الكثير من النداءات، بينما كان أولئك الموجودون بالخارج ينادون على الآخرين الذين كانوا بالداخل ليأتوا ويروا أمير الأنصاف، رفيق ميثراندير. استخدم الكثيرون لغة أخرى غير لغة الحديث الدارجة، ولكن لم يمض

(1) الإشارة هنا إلى بورومير (المترجم)

وقت طويل قبل أن يتعلم على الأقل ما كانت تعنيه Emil i Pheriannath [1] وعلم أن لقبه كان قد جاء قبله وسبقه إلى المدينة.

ووصل أخيرًا إلى شوارع مقنطرة والكثير من المجازات والأرصفة الجميلة إلى أدنى وأوسع دائرة، وهناك تم توجيهه إلى شارع لامبرايتس، طريق عريض يسير باتجاه البوابة الكبيرة. ووجد فيه دار الضيافة القديمة، وهي بناية كبيرة من حجر رمادي تظهر عليها آثار العوامل الجوية به جناحان يجريان للوراء من الشارع، وبينهما مرج أخضر، كان يقع وراءه المنزل كثير النوافذ، يقع به بطول واجهته الأمامية سقيفة قائمة على أعمدة ومجموعة من سلالم تهبط إلى العشب. كان الصبية يلعبون بين الأعمدة، الأطفال الوحيدون الذين رآهم بيبين في ميناس تيريث، وتوقف لينظر إليهم. في الوقت الحالي لمحه واحد منهم؛ وبصرخة قفز عبر العشب وأتى إلى الشارع، وتبعه آخرون عديدون. ووقف هناك أمام بيبين، يحدق فيه من أعلى لأسفل.

وقال الصبي: «مرحبًا! من أين أنت؟ أنت غريب في المدينة».

فقال بيبين: «كنتُ، ولكنهم يقولون إنني أصبحتُ رجلًا من جوندور».

وقال الصبي: «هيا تعال! إذن فنحن جميعًا رجال هنا. ولكن كم عمرك، وما اسمك؟ عمري عشر سنوات بالفعل، وسوف يصير طولي قريبًا خمسة أقدام. إنني أطول منك. ولكن أبي، علاوة على ذلك حارس، وهو من أطول الناس. ماذا عن أبيك؟».

فقال بيبين: «أي سؤال سوف أجيب عليه أولًا؟ يقوم أبي بزراعة الأرض حول ويتويل بالقرب من تاكبورو في المقاطعة. وعمري حوالي تسعة وعشرين، وهكذا فإنني أفوقك في هذه؛ على الرغم من أن طولي ليس سوى أربعة أقدام، ومن غير المحتمل أن أنمو أكثر من ذلك، باستثناء الأجناب».

وقال الصبي وصفر: «تسعة وعشرون! يا للعجب، أنت كبير فعلًا! كبير مثل عمي أيورلاس. مع ذلك ...». وأضاف في أمل: «فإنني أراهن أن بإمكاني أن أغرسك على رأسك أو أن أطرحك على ظهرك».

وقال بيبين وهو يضحك: «ربما يكون بإمكانك ذلك لو أنني تركتك تفعلها. وربما يمكنني أن أفعل ذات الشيء لك: إننا نعرف بعض حيل المصارعة في بلادي الصغيرة. حيث أعتبر أنا، دعني أخبرك بهذا، كبيرًا وقويًا بشكل غير عادي؛ ولم أسمح لأي أحد قط أن يغرسني على رأسي. ولذلك فإنني إذا وقعت في محنة ووضعت في اختبار، ولم يفلح أي شيء آخر، فقد يتحتم عليَّ أن أقتلك؛ لأنك عندما تكون أكبر سنًا فسوف تعلم أن الأشخاص ليسوا دائمًا ما يبدون عليه؛ وعلى الرغم من أنك قد تكون قد نظرت

(1) معناها أمير الأنصاف، وهو اللقب الذي أطلقوه عليه (المترجم)

إليّ وأعتبرتني صبياً غريباً غضّاً وفريسة سهلة، فدعني أحذرك: إنني لستُ كذلك، إنني نصف[1]، صلب وجسور وشرير!». وكشر بيبين تكشيرة بشعة ظهرت على وجهه لدرجة أن الولد تراجع للوراء خطوة، ولكن في الحال عاد وقبضتاه مطبقتان وبريق المعركة في عينيه.

وضحك بيبين وقال: «لا! لا تصدق ما يقوله الغرباء عن أنفسهم أيضًا! إنني لستُ محاربًا. ولكن سوف يكون أكثر أدبًا على أية حال بالنسبة للمتحدي أن يكشف عن هويته وماهيته».

وعندئذ كبح الولد نفسه في غرور وكبرياء، وراح يقول: «أنا برجيل ابن برجوند الحارس».

وقال بيبين: «هذا ما ظننته، لأنك تبدو مثل أبيك. إنني أعرفه، وهو أرسلني لأعثر عليك».

«لماذا إذن لم تقل ذلك في الحال؟». قال ذلك برجيل، وفجأة ظهرت على وجهه نظرة رعب وفزع. «لا تخبرني أنه قد غير رأيه، وسوف يرسلني بعيدًا مع الخادمات! ولكن لا، لقد ذهبت العربات الأخيرة».

فقال بيبين: «رسالته أقل سوءًا من ذلك، إذا لم تكن جيدة. إنه يقول إذا كنت تفضل ذلك على غرسي على أم رأسي، فقد تتجول بي حول المدينة لبعض الوقت وتسلي وحدتي. يمكنني أن أحكي لك بعض الحكايات عن بلدان بعيدة مقابل ذلك».

وضرب برجيل يديه ببعضهما، وضحك في ارتياح، وصاح قائلًا: «هيا إذن! كنا سنذهب إلى البوابة في الحال لنشاهد. سوف نذهب الآن».

«ما الذي يحدث هناك؟».

«قادة المناطق النائية من المتوقع أن يظهروا على الطريق الجنوبي عند غروب الشمس. تعال معنا وسوف ترى».

وأثبت برجيل أنه رفيق جيد، أفضل صحبة تمتع بها بيبين منذ أن افترق هو وميري، وفي الحال راحا يضحكان ويتحدثان في مرح وحبور وهما يتجولان في الشوارع، غير آبهين بنظرات الناس الكثيرة إليهما. وقبل أن يمضي وقت طويل وجدا أنفسهما في حشد ذاهب باتجاه البوابة الكبيرة. وهناك زاد قدر بيبين كثيرًا جدًا في تقدير برجيل؛ لأنه عندما ذكر اسمه وكلمة السر، حياه الحارس وتركه يمر بحرية؛ أما ما كان أكثر من ذلك، فقد سمح له أن يأخذ رفيقه معه.

وقال برجيل: «هذا جيد! لم يعد يُسمح لنا نحن الصبية بالمرور عبر البوابة بدون أن يكون معنا شخص كبير. الآن سوف نرى أفضل».

(1) الإشارة في كلمة [نصف] إلى الاسم الذي يطلق على الهوبيتيين. (المترجم)

وفيما وراء البوابة، كان هناك حشد من الرجال عبر حافة الطريق، وحافة المساحة الكبيرة الممهدة التي كانت تسير إليها جميع الطرق المؤدية إلى ميناس تيريث. تحولت جميع الأعين نحو الجنوب، وفي الحال ارتفع صوت همهمة وغمغمة: «هناك غبار يرتفع على البعد! إنهم قادمون!».

وشق بيبين وبرجيل طريقهما للأمام إلى مقدمة الحشد، وراحا ينتظران. ودوت الأبـواق على بعد مسافة ما، وتدافعت أصوات التحية والابتهاج باتجاههم مثل ريح حاشدة. وعندئذ جاء صوت نفخ بوق عال وكان الناس يصيحون في كل مكان حولهما.

«فورلونج! فورلونج!». سمع بيبين الرجال يصيحون بهذا الاسم، وسأل: «ماذا يقولون؟».

فأجابه برجيل: «لقد أتى فورلونج، فورلونج العجوز البدين، حاكم أراضي لوسارناخ. هذه هي البلاد التي يعيش فيها أجدادي. هيا! ها هو ذا قد أتى. فورلونج العجوز الطيب!».

وجاء في مقدمة الحشد يتقدم الطريق حصان ضخم هائل الأطراف، وكان يركب عليه رجل عريض المنكبين ضخم محيط جسمه، ولكنه كان عجوزًا ولحيته شيباء، بيد أنه كان مرتديًا درعًا وخوذة سوداء ويحمل حربة طويلة ثقيلة. وكان يسير وراءه في كبرياء وفخر صف من الرجال يثيرون التراب والغبار وراءهم، مدججين بالسلاح ويحملون فئوس الحرب الكبيرة؛ وكانت وجوههم متجهمة، وكانوا أقصر قامة وكانت بشرتهم أكثر دكنة بحال من الأحوال من أي رجال سبق أن وقعت عين بيبين عليهم في جوندور.

وصاح الناس: «فورلونج! القلب الحقيقي، الصديق الحقيقي!». ولكن عندما مر رجال لوسارناخ، فإنهم راحوا يغمغمون: «قليلون جدًا! مائتين، ماذا يكونون؟ لقد كنا نأمل أن يكون عددهم عشرة أضعاف هذا العدد. سوف تكون هذه الأخبار الجديدة عن الأسطول الأسود. إنهم يمنحوننا فقط عُشر قوتهم. ومع ذلك فإن كل قليل يعتبر مكسبًا».

وهكذا جاءت السرايا وتلقت التحيات والصياح ومروا عبر البوابة، رجال المناطق النائية يسيرون للدفاع عن مدينة جوندور في ساعة مظلمة؛ ولكنهم دائمًا قليلون للغاية، دائمًا أقل مما كان الأمل يتطلع إليه أو تتطلبه الحاجة. رجال وادي رينجلو وراء ابن سيدهم، درفورين يسيرون بخطى واسعة على أقدامهم: ثلاثمائة. من مرتفعات مورثوند، وادي الجذور العظيمة، دوينهير الطويل مع ابنيه، دويلين ودروفين، وخمسمائة من الرماة. من إقطاعة أنفلاس، شاطئ جوندور الطويل هناك بعيدًا، صف طويل من الرجال من شتى الأنواع، صيادون ورعاة ورجال من قرى صغيرة، مجهزون جهازًا قليلًا ضئيلًا باستثناء أهل بيت جولاسجيل سيدهم. من لامدون، عدد

قليلٌ من سكان التلال المتجهمين، بدون قائد. الصيادون من إثير، حوالي مائة أو أكثر تم أخذهم من السفن واستبقاؤهم. هيرلوين الجميل من التلال الخضراء من بيناث جلين مع ثلاثمائة من الرجال البواسل في ثيابهم الخضراء. وأخيرًا والأكثر كبرياء وفخرًا، إمراهيل، أمير دُول أمروث، أقارب الملك، برايات مزخرفة تحمل شعاره وهو السفينة والإوزة الفضية، وسرية من الفرسان في كامل عدتهم وعتادهم يمتطون جيادًا رمادية؛ ووراءهم سبعمائة من الرجال المسلحين، طوال القامة مثل ساداتهم، عيونهم رمادية اللون، شعرهم أسود داكن، يغنون وهم يأتون.

وكان هذا كل شيء، كان العدد أقل من ثلاثة آلاف على وجه الإجمال. لم يكن ليأتي أكثر من ذلك. ومرت صيحاتهم ووطء أقدامهم الثقيلة إلى المدينة وتلاشت. وقف النظارة في صمت لبعض الوقت. وتعلق الغبار في الجو، لأن الريح كانت قد خمدت وكان المساء ثقيلًا. كانت ساعة الختام تقترب وتزداد قربًا بالفعل، وكانت الشمس الحمراء قد ذهبت وراء جبل ميندولوين. وجاء الظل وهبط على المدينة.

ونظر بيبين لأعلى، وبدا له أن السماء قد صارت رمادية، كما لو أن سحابة هائلة من غبار ودخان كانت معلقة فوقهم، وجاء الضوء كليلًا كئيبًا عبرها. ولكن في الغرب فإن الشمس التي كانت في طريقها للغروب قد صبغت كل الدخان بلون النار، وكان جبل ميندولوين يقف عندئذ أسود قبالة كنف يحترق مبعثرة عليها جمرات النار. «وهكذا ينتهي يوم جميل في غضب وحنق!». قال ذلك، ناسيًا الصبي الذي كان يقف إلى جواره.

وقال برجيل: «هكذا هو، إذا لم أكن قد عدتُ قبل أجراس غروب الشمس. هيا! ها هو البوق ينطلق لغلق البوابات».

وعادا إلى المدينة يدًا بيد، وكانا آخر من مرا بالبوابة قبل أن تُغلق؛ وعندما وصلا إلى شارع لامبرايتس دوت جميع الأجراس في الأبراج في قداسة. وراحت الأضواء تقفز في الكثير من النوافذ، ومن المنازل وعنابر الرجال المسلحين عبر الجدران جاءت أصوات الأغاني.

وقال برجيل: «الوداع الآن. خذ تحياتي إلى أبي، واشكره على الصحبة التي أرسلها لي. أرجوك عد سريعًا. إنني أتمنى تقريبًا الآن أنه لم تكن هناك أي حرب؛ لأنه ربما كان بإمكاننا أن نقضي أوقاتًا مرحة سعيدة. ربما كنا قد خرجنا في رحلة إلى لوسارناخ، إلى منزل أجدادي؛ إنه من الجيد أن تذهب إلى هناك في الربيع، الغابات والحقول مليئة بالزهور والورد. ولكن ربما يمكننا أن نذهب إلى هناك معًا مع ذلك. إنهم لم يتمكنوا قطُّ من التغلب على ملكنا، وأبي باسل شجاع للغاية. الوداع وأتمنى لك العودة بسلام!».

وافترقا وعاد بيبين سريعًا باتجاه القلعة. بدا الطريق طويلًا، وراح يشعر بالحر والجوع الشديد؛ وأطبق الليل سريعًا وحالكًا. لم يكن هناك نجم واحد يخترق السماء. كان قد تأخر على وجبة النهار في مطعم الجنود، وحياه برجوند في سرور، وأجلسه إلى جواره ليسمع أخبارًا عن ابنه. بعد تناول الطعام، بقي بيبين لبعض الوقت، وبعد ذلك استأذن بالانصراف؛ لأنه كانت قد ألمت به سحابة غريبة من حزن وكآبة، وكان عندئذ يرغب كثيرًا جدًا في رؤية جَنْدَلْف مرة أخرى.

«هل يمكنك أن تجد طريقك؟». قال ذلك برجوند عند باب الردهة الصغيرة، في الجانب الشمالي من القلعة، حيث كانوا قد جلسوا. «إنها ليلة مظلمة سوداء، بل هي الأكثر ظلمة وسوادًا منذ أن جاءت الأوامر بإعتام الأضواء داخل المدينة، ولم يعد يُسمح بأن يسطع أي ضوء من خارج الجدران. ويمكنني أن أمنحك أخبارًا عن أمر آخر: سوف يتم استدعاؤك إلى الملك دنثور في وقت مبكر من الغد. أخشى أنك لن تلحق بالسرية الثالثة. مع ذلك فإننا نأمل في اللقاء مرة أخرى. الوداع ونم في سلام!».

كانت التكنة مظلمة، باستثناء فانوس صغير كان موضوعًا على طاولة. لم يكن جَنْدَلْف هناك. وكانت الظلمة لا تزال مستقرة على بيبين وازدادت ثقلًا عليه. وصعد على الدكة وحاول النظر من النافذة، ولكن كان الأمر شبيهًا بالنظر في بركة من حبر. ونزل وأغلق المصاريع وذهب إلى فراشه. ورقد لبعض الوقت وراح ينصت لأصوات عودة جندلف، وبعد ذلك راح في نوم مضطرب كله قلق.

في الليل، أيقظه ضوء، ورأى أن جَنْدَلْف قد جاء وكان يذرع المكان جيئة وذهابًا وراء ستارة الفجوة التي كانت في الجدار. كانت هناك شموع على الطاولة ولفائف من جلد. وسمع صوت الساحر يتنهد، ويغمغم: «متى سيعود فارامير؟».

«مرحبًا!». قال ذلك بيبين، وهو يطل برأسه ويدسه حول الستارة. «ظننتُ أنك قد نسيتني تمامًا. إنني سعيد لرؤيتك تعود. لقد كان يومًا طويلًا».

فقال جَنْدَلْف: «ولكن الليل سيكون قصيرًا للغاية. لقد عدتُ إلى هنا؛ لأنه ينبغي أن أنال بعضًا من هدوء وحدي. ينبغي عليك أن تنام، في فراش مادام بإمكانك ذلك. عند شروق الشمس سوف آخذك إلى الملك دنثور مرة أخرى. كلا، عندما يأتي الاستدعاء بذلك، ليس عند شروق الشمس. لقد بدأت الظلمة. لن يكون هناك أي فجر».

الفصل الثاني
عبور المجموعة الرمادية

عندما عاد ميري إلى أراجـورن، كان جَنْدَلْف قد ذهب، وضاعت حوافر شادوفاكس في الليل، والتي كانت تضرب الأرض بقوة. لم تكن لديه سوى حزمة خفيفة من متاع؛ لأنه كان قد فقد حزمته في بارث جالين، وكان كل ما لديه عدة أشياء قليلة مفيدة كان قد التقطها من بين الحطام في أيزنجارد. كان الحصان هاسوفل عليه السرج بالفعل. ووقف ليجولاس وجيملي بحصانهما بالقرب منه.

وقال أراجورن: «وهكذا يظل هناك أربعة من الصحبة. سوف نسير معًا. ولكننا لن نذهب وحدنا، حسب ظني. الملك عازم الآن على الخروج في الحال. منذ قدوم الظل المجنح، فإنه يرغب في العودة إلى التلال تحت ستار من الليل».

وقال ليجولاس: «وبعد ذلك إلى أين؟».

وأجابه أراجورن بقوله: «لا يمكنني القول بعد. أما بالنسبة للملك، فسوف يذهب إلى التفقد العسكري الذي أمر به في إدوراس، أربع ليالٍ من الآن. وهناك، في ظني، سوف يسمع أخبارًا عن الحرب، وسوف يسير خيالة روهان إلى ميناس تيريث. ولكن فيما يخصني أنا، وأي شخص سوف يذهب معي...».

وصاح ليجولاس: «أنا واحد!». وقال القزم: «ومعه جيملي!».

وقال أراجورن: «حسنًا، بالنسبة لي أنا، الأمر مظلم أمامي. يجب علي أن أسير أنا أيضًا إلى ميناس تيريث، ولكني لا أرى الطريق الآن بعد. كنت أعد الأساليب والطرق لمدة ساعة».

وقال ميري: «لا تتركني وراءك! إنني لم أكن ذا فائدة كبيرة بعد؛ ولكني لا أريد أن أنحني جانبًا، مثل متاع سوف يتم طلبه عندما يتم كل شيء. لا أظن أن الخيالة سوف يريدون أي إزعاج مني الآن. على الرغم من ذلك بالطبع فإن الملك قال إنني سأجلس إلى جواره عندما يعود إلى منزله وأخبره كل شيء عن المقاطعة».

فقال أراجورن: «نعم، وطريقك يقع معه، في ظني، يا ميري. ولكن لا تبحث عن المرح في النهاية. سوف يكون الأمر طويلًا وبعيدًا. فيما أخشى، قبل أن يجلس ثيودن في راحة مرة أخرى في ميديوسلد. سوف تذبل الكثير من الآمال في هذا الربيع المر».

وسريعًا كان الجميع على أهبة الاستعداد للرحيل: أربعة وعشرون حصانًا، وكان جيملي وراء ليجولاس، وميري أمام أراجـورن. في الوقت الحالي كانوا يسيرون

بخيلهم سريعًا عبر الليل. لم يكن قد مر طويلًا منذ أن عبروا الروابي عند مخاضات نهر الآيزن، عندما جاء خيال يعدو مسرعًا من مؤخرة صفهم.

وقال للملك: «يا مولاي، هناك خيالة وراءنا. بينما كنا نعبر المخاضات، ظننت أنني سمعتهم. الآن نحن متأكدون. إنهم يلحقون بنا، إنهم يسيرون بقوة وبسرعة».

وفي الحال أمر ثيودن بالتوقف. واستدار الخيالة وأمسكوا بحرابهم. ونزل أراجورن ووضع ميري على الأرض، ووقف وهو مستلٌ سيفه إلى جوار ركاب الملك. وعاد إيومر ورفيقه الفارس إلى المؤخرة. وشعر ميري أنه أكثر شبهًا بمتاع ليست هناك حاجة إليه من أي وقت آخر، وتساءل، إذا كان هناك قتال، ما الذي ينبغي عليه أن يفعله. وبفرض أن حامية الملك الصغيرة قد تم تطويقها وهزيمتها، ولكنه هرب إلى الظلمة وحيدًا في الحقول البرية في روهان دونما أدنى فكرة عن المكان الذي هو فيه في الأميال اللانهائية، وفكر قائلًا: «ليس من فائدة!». واستل سيفه وشد حزامه.

وغطت السحابة العظيمة المسرعة القمر الذي كان في طريقه للمغيب، ولكنه ظهر مرة أخرى واضحًا صافيًا. وعندئذ سمعوا جميعًا صوت الحوافر، وفي نفس اللحظة رأوا أشكالًا مظلمة تأتي سريعًا على الطريق من المخاضات. وتوجه نور القمر هنا وهناك على أسنة الحراب. ولم يكن بالإمكان تخمين عدد المطاردين، ولكن كان يبدو أنهم لا يقلون عن حامية الملك، على الأقل.

عندما كانوا على بعد حوالي خمس عشرة خطوة، صاح إيومر بصوت عال: «اثبت محلك! اثبت محلك! من الذي يسير بخيله في روهان؟».

وأوقف المطاردون جيادهم المطهمة فجأة. وتبع ذلك صمت؛ وبعد ذلك في نور القمر، شوهد خيال ينزل من على حصانه ويمشي بطيئًا للأمام. وكانت يده بيضاء وهو يمدها، وقد كانت كفه نحو الخارج، كعلامة على السلام؛ ولكن رجال الملك أمسكوا بأسلحتهم. وعلى بعد عشر خطوات، توقف الرجل، كان طويلًا، ظلٌ مظلمٌ يقف أمامهم. عندئذ دوى صوته عاليًا وصافيًا.

«روهان؟ هل قلت روهان؟ هذه كلمة سعيدة. إننا نبحث عن هذه الأرض في عجلة من على بعد مسافة كبيرة».

وقال إيومر: «لقد وجدتموها. عندما عبرتم المخاضات هناك، دخلتموها. ولكنها مملكة ثيودن الملك. لا أحد يسير بحصانه هناك إلا إذا كان بإذن منه هو. من أنت؟ وما هو سبب عجلتكم؟».

وصاح الرجل قائلًا: «إنني هالباراد دونادان، جوال من الشمال. إننا نبحث عن شخص اسمه أراجورن بن أراثورن، وسمعنا أنه كان في روهان».

وصاح أراجورن قائلًا: «وها أنتم قد وجدتموه أيضًا!». وأعطى لجام حصانه

لميري، وجرى للأمام وعانق القادم الجديد، وقال: «هالباراد! من كل مصادر الفرح، هذه الفرحة هي الأقل توقعًا!».

وتنهد ميري تنهيدة ارتياح. لقد ظن أن هذه كانت حيلة أخيرة من حيل ساروماني، ليوقع بالملك في كمين بينما لا يوجد معه سوى عدد قليل من الرجال من حوله؛ ولكن يبدو أنه لن تكون هناك حاجة إلى الموت دفاعًا عن ثيودن، ليس بعد على أية حال. ووضع سيفه في غمده.

وقال أراجورن وقد التفت للوراء: «كل شيء على ما يرام. هؤلاء بعض من عشيرتي من البلاد البعيدة التي أسكن فيها. ولكن لماذا أتوا، وكم عددهم، فسوف يخبرنا هالباراد بذلك».

وقال هالباراد: «هناك ثلاثون معي. هؤلاء هم من عشيرتنا الذين أمكن جمعهم في عجلة؛ ولكن الأخوين إلادان وإلروهير جاءا معنا، رغبة منهما في الذهاب إلى الحرب. لقد سرنا بسرعة قدر استطاعتنا عندما جاء استدعاؤك وأمرك بالقدوم».

فقال أراجورن: «ولكني لم أستدعكم، إلا عن طريق التمني. دائمًا ما كانت أفكاري تتحول إليكم، ونادرًا أكثر من هذه الليلة؛ ولكني لم أرسل أي أخبار. ولكن هيا! كل هذه الأمور يمكن أن تنتظر. لقد وجدتمونا نسير في عجلة وفي خطر. سيروا معنا الآن، إذا كان الملك يأذن بذلك».

لقد كان ثيودن سعيدًا حقًا بالأخبار، وقال: «إن هذا أمر جيد! إذا كان هؤلاء القوم من عشيرتك شبهك بأي حال من الأحوال، يا سيدي أراجورن، ثلاثون من أولئك الفرسان سوف يكونون قوة لا يمكن عدها بالرءوس».

وعندئذ واصل الخيالة سيرهم مرة أخرى، وركب أراجورن لبعض الوقت مع الدونادانيين؛ وعندما كانوا قد تحدثوا عن الأخبار في الشمال وفي الجنوب، قال إلروهير له:

«إن معي بعض كلمات لك من أبي: الأيام قصيرة. إذا كنت في عجلة، فتذكر مجازات الموتى».

وأجابه أراجورن بقوله: «لقد كانت أيامي تبدو لي دائمًا قصيرة للغاية بحيث لا يمكنني تحقيق رغبتي. ولكن عجلتي ستكون عظيمة حقًا قبل أن آخذ ذلك الطريق».

وقال إلروهير: «سوف يرى ذلك سريعًا. ولكن دعنا ألا نتكلم أكثر من ذلك عن هذه الأشياء على الطريق المكشوف!».

وقال أراجورن لهالباراد: «ما ذلك الذي تحمله يا ابن عشيرتي؟»؛ لأنه رأى أنه كان يحمل هراوة طويلة بدلًا من الحربة، كما لو كانت راية، ولكنها كانت ملفوفة بدقة في قطعة قماش سوداء مربوطة بالكثير من السيور الجلدية.

وأجابه هالباراد: «إنها هدية أحضرها لك من سيدة ريفنديل. لقد صنعتها سرًا، واستغرقت صناعتها طويلًا. ولكنها أرسلت أيضًا بعض الكلمات لك: الأيام الآن قصيرة. إما أن يأتي أملنا، أو ينتهي الأمل. ولذلك أرسل لك ما كنتُ قد صنعته من أجلك. الوداع، أيها الحجر الجني!».

وقال أراجورن: «الآن أعرف ما تحمله. لتحمله عني لبعض الوقت مع ذلك!». واستدار ونظر على البعد إلى الشمال أسفل النجوم العظيمة، وبعدئذ لزم الصمت ولم ينبس ببنت شفة طوال وقت الرحلة الليلية.

كان الليل قد تقدم وأصبح الشرق رماديًا عندما ساروا صاعدين أخيرًا من الوادي العميق[1] وعاد إلى هورنبرج. وهناك كان عليهم أن يرقدوا ويستريحوا لفترة وجيزة ويتشاوروا فيما بينهم.

وظل ميري نائمًا حتى أيقظه ليجولاس وجيملي، وقال له ليجولاس: «الشمس عالية في السماء. لقد استيقظ الجميع ويتحركون في نشاط. هيا، أيها السيد الكسول، وانظر إلى هذا المكان مادام باستطاعتك ذلك!».

وقال جيملي: «كانت هناك معركة في هذا المكان منذ ثلاث ليال، ولعبتُ هنا أنا وليجولاس لعبة تفوقتُ بها أنا بعدد أوركي واحد. تعال لترى كيف كانت! وهنالك توجد الكهوف، يا ميري، كهوف العجائب! هل سنقوم بزيارتها، يا ليجولاس، في اعتقادك؟».

وقال الجني: «كلا! ليس هناك وقت لذلك. لا تفسد العجب والدهشة بالعجلة! لقد أعطيتُك كلمتي بأن أعود إلى هنا معك، إذا حدث وجاء مرة أخرى يوم من سلام وحرية. ولكن الوقت قريب من وقت الظهيرة الآن، وعند تلك الساعة فإننا نأكل، وبعد ذلك نبدأ رحلتنا مجددًا، حسبما سمعتُ».

ونهض ميري وتثاءب. لم تكن الساعات القليلة التي نامها كافية تقريبًا؛ كان متعبًا فضلًا عن كونه حزينًا مكتئبًا. كان يفتقد بيبين، وشعر أنه لم يكن سوى عبء وحمل، في حين كان الجميع يضعون خططًا للسرعة في عمل لم يكن يفهمه فهمًا كاملًا. وقال متسائلًا: «أين أراجورن؟».

في غرفة عالية في قلعة وحصن هورنبرج. إنه لم يسترح ولم ينم في رأيي. لقد ذهب إلى هناك منذ ساعات، قائلًا إنه يجب أن يخلو إلى نفسه للتفكير، ولم يذهب معه سوى ابن عشيرته هالباراد؛ ولكن هناك شك أسود أو هم يطبق عليه ويظهر على وجهه.

وقال جيملي: «إنهم صحبة غريبة، هؤلاء القادمون الجدد. رجال أشداء وتبدو

(1) Deeping-coomb الوادي الذي يؤدي إلى وادي هيلم [Helm's Deep]. (المترجم)

عليهمّ أمارات الجلال والفخامة، كما أن خيالة روهان يبدون كصبية تقريبًا إلى جوارهم؛ لأنهم رجال وجوههم متجهمة، مرهقون مثل صخور أتت عليها عوامل التعرية في الجزء الأعظم منها، حتى مثل أراجورن نفسه؛ وهم صامتون».

وقال ليجولاس: «بل إنهم مثل أراجورن في لطفهم ودماثتهم، إذا هم كسروا صمتهم. وهل شاهدت الأخوين إلادان وإلروهير؟ إن عتادهما أقل كآبة من الآخرين، وفيهما جمال، كما أنهما بواسل مثل سادات الجن؛ وليس هذا أمرًا يدعو للعجب والدهشة في أبناء إلروند سيد ريفنديل».

وسأل ميري: «لماذا أتوا؟ هل سمعت شيئًا عن ذلك؟». وكان قد ارتدى ملابسه الآن، وألقى بمعطف رمادي على كتفيه لافًا إياه حولهما؛ ومر الثلاثة خارجين معًا باتجاه بوابة حصن هورنبرج المدمرة.

وقال جيملي: «لقد أجابوا الاستدعاء الذي صدر لهم، كما سمعتَ. وصلت الأخبار إلى ريفنديل، حسبما يقال: أراجورن بحاجة إلى أهل عشيرته. لينطلق الدونادانيون على خيلهم إليه في روهان! ولكن من أين أتت هذه الرسالة، فإنهم في شك من ذلك الآن. أرسلها جندلف، في تخميني وظني».

فقال ليجولاس: «كلا، جلدريل. ألم تتحدث من خلال جندلف عن خروج المجموعة الرمادية من الشمال؟».

وقال جيملي: «نعم، لقد أصبت الحقيقة. سيدة الغابة! إنها تقرأ الكثير من القلوب والرغبات. والآن لم لا نتمنى الحصول على بعض من قومنا نحن يا ليجولاس؟».

ووقف ليجولاس أمام البوابة واستدار بعينيه اللامعتين بعيدًا نحو الشمال ونحو الشرق، وأصاب وجهه الجميل القلق، وأجابه بقوله: «لا أظن أنه سيأتي أي منهم. ليست هناك أي حاجة لديهم تدعوهم للخروج للحرب؛ الحرب هي التي تسير بالفعل إلى أرضهم».

ومشى الرفاق الثلاثة لبعض الوقت معًا، متحدثين عن هذه الجولة وتلك من المعركة، وهبطوا من البوابة المكسورة، وعبروا التلال الجنائزية للذين سقطوا قتلى في المرجة إلى جانب الطريق، حتى وقفوا عند خندق هيلم ونظروا إلى الوادي. كان تل الموت يقف بالفعل هناك، أسود وطويلًا وصخريًا، وكان يمكن بكل وضوح رؤية ما كان من وطء ودهس للعشب الذي أحدثه الهورنيون[1]. لقد كان الدونالانديون[2] ورجال كثيرون من حامية حصن هورنبرج يعملون في الخندق أو في الحقول وحول الجدران المهدمة من

(1) Huorns الأشجار تحت إمرة الإنتيين التي جاءت لمعركة حصن الهورنبرج وأوقعت بالأوركيين. (المترجم)

(2) Dunlendings – سكان دونالاند Dunland [أي أرض التلال] وهم بقايا جنس قديم من البشر عاشوا في وقت من الأوقات في إريد نيمرايس. (المترجم)

جراء الضرب؛ ولكن بدا كل شيء هادئًا بشكل غريب: واد منهك يستريح بعد عاصفة عظيمة. وسريعًا عادوا وذهبوا إلى وجبة منتصف النهار في قاعة هورنبرج.

كان الملك هناك بالفعل، وبمجرد أن دخلا فإنه نادى على ميري وأمر بوضع مقعد له إلى جواره، وقال ثيودن: «إنه ليس كما كنت سأرغب فيه؛ لأن هذا يشبه قليلًا منزلي الجميل في إدوراس. وقد ذهب صديقك، من يمكن أن يكون هنا أيضًا؟ ولكن قد يمضي وقت طويل قبل أن نجلس، أنا وأنت، على الطاولة العالية في ميديوسيلد؛ لن يكون هناك وقت لتناول الطعام والولائم عندما أعود إلى هناك. ولكن هيا الآن! لتأكل وتشرب، ودعنا نتحدث معًا مادام بإمكاننا ذلك. وبعد ذلك سوف تركب معي».

فقال ميري في دهشة وابتهاج: «هل سيمكنني ذلك؟ سوف يكون هذا رائعًا!». إنه لم يشعر بامتنان أكثر من هذا قط عن أي عطف في الكلمات. «أخشى أنني أقف فقط في طريق الجميع، ولكني أود أن أفعل أي شيء باستطاعتي، تعلم ما أقول».

وقال الملك: «إنني لا أشك في ذلك. لقد أمرت بتجهيز فرس قزم لك. سوف يحملك سريعًا مثله مثل أي حصان على الطرقات التي سنسلكها؛ لأنني سوف أخرج من حصن هورنبرج عبر الممرات الجبلية، ليس عن طريق السهل، وهكذا نصل إلى إدوراس عن طريق دونهارو حيث تنتظرني السيدة إيووين. سوف تكون فارسي المرافق إذا شئت. هل هناك عدة حرب في هذا المكان يا إيومر، يمكن أن يستخدمها القائد الهوبيتي؟».

فأجابه إيومر بقوله: «ليست هناك أي مخازن عتاد كبيرة هنا يا مولاي. ربما يمكن العثور على خوذة خفيفة تناسبه؛ ولكن ليس لدينا أي درع أو سيف لشخص له قامة كقامته».

قال ميري: «لديّ سيف»، ونزل من على كرسيه، واستل من غمده الخلفي سيفه الصغير اللامع. وامتلأ فجأة بالحب لهذا الرجل العجوز، وركع على إحدى ركبتيه، وأخذ يده وقبلها، وصاح قائلًا: «هل يمكن لي أن أضع سيف ميريادوك ابن المقاطعة على حجرك، أيها الملك ثيودن؟ لتأخذ خدمتي، إذا شئت!».

فقال له الملك: «إنني آخذها بكل سرور»؛ ووضع يديه الطويلتين على شعر الهوبيتي البني، وباركه. وقال: «انهض الآن يا ميريادوك، فارس روهان لدى أهل بيت ميديوسيلد! خذ سيفك واحمله إلى حظ طيب سعيد!».

وقال له ميري: «ستكون أبًا بالنسبة لي».

وقال ثيودن: «لفترة قصيرة من الوقت».

وراحا يتحدثان بعد ذلك معًا وهما يتناولان الطعام، حتى تحدث إيومر عندئذ قائلًا: «إن الوقت قارب من الساعة التي حددناها للخروج يا مولاي. هل آمر الرجال لأن يطلقوا الأبواق؟ ولكن أين أراجورن؟ إن مكانه خال ولم يأكل».

وقال ثيودن: «سوف نستعد للخروج، ولكن لترسل مرسالًا إلى السيد أراجورن يخبره بأن الساعة قد قاربت».

ومر الملك مع حراسه وميري إلى جانبه هابطين من بوابة الحصن إلى حيث كان الخيالة قد تجمعوا في المرجة. كان الكثيرون منهم راكبين خيلهم. سوف يكون حشدًا عظيمًا؛ لأن الملك لم يترك سوى حامية صغيرة في الحصن، وكل أولئك الذين كان بالإمكان توفيرهم ركبوا إلى مستودع الأسلحة في إدوراس. لقد كانت ألف حربة قد خرجت بالفعل حقًا بعيدًا في الليل؛ ولكن لا يزال هناك قرابة خمسة آلاف أخرى لتخرج مع الملك، وهؤلاء في معظمهم رجال من حقول ووديان ويستفولد.

وجلس الجوالة منفصلين قليلًا، صامتين، في سرية مرتبة، مسلحة بالحراب والأقواس والسيوف. كانوا مرتدين معاطف رمادية داكنة، وكانت أغطية رءوسهم ملقاة عندئذ على الخوذة والرأس. كانت جيادهم قوية ومن سلالة ضخمة أبية، ولكن شعرها كان خشنًا غليظًا؛ وكان هناك واحد يقف دون خيال، حصان أراجورن الذي كانوا قد أحضروه له من الشمال؛ وكان اسمه روهرين. لم تكن هناك ومضة لحجر أو ذهب، ولا أي شيء جميل في جميع عتادها وسروجها الحربية؛ كما أن خيالتها لم يكونوا يحملون أي شارات أو علامات، سوى أن كل معطف كان مثبتًا على الكتف الأيسر بدبوس من فضة له شكل نجم مشع.

وركب الملك حصانه، سنومين، وركب ميري إلى جواره على حصانه القزم: وكان اسمه ستيبا. وخرج إيومر عندئذ من البوابة، وكان معه أراجـورن، وكان هالباراد يحمل الهراوة الكبيرة الملفوفة بدقة في قطعة القماش السوداء، وكان هناك رجلان طويلان، لم يكونا كبيرين ولا صغيرين في السن. كانا يشبهان بعضهما كثيرًا، أبناء إلروند، وكان قليلون الذين يمكنهم التفريق بينهما: شعرهما أسود، وعيونهما رمادية، ووجهاهما جميلان كجمال الجن، يلبسان ثيابًا متشابهة من درع براق أسفل معاطف رمادية فضية. وسار وراءهما ليجولاس وجيملي. ولكن ميري لم تكن عيناه إلا على أراجورن فقط، لقد كان التغيير الذي رآه فيه مذهلًا للغاية، كما لو أن سنين كثيرة قد سقطت على رأسه في ليلة واحدة. كان وجهه كئيبًا، رمادي اللون ومرهقًا.

وقال وهو يقف إلى جوار حصان الملك: «إنني مضطرب الذهن يا مولاي. لقد سمعت أخبارًا غريبة، وأرى أخطارًا جديدة بعيدًا هناك. لقد أثقلني الفكر كثيرًا وأجهدني، والآن أخشى أنه يتحتم علي أن أغير هدفي. أخبرني يا ثيودن وأنت تسير الآن إلى دونهارو: كم من الوقت ستستغرق حتى تصل إلى هناك؟».

فقال إيومر: «إنها الآن ساعة كاملة بعد الظهيرة. قبل ليلة اليوم الثالث من الآن ينبغي أن نكون قد وصلنا إلى المعقل. سوف يكون القمر عندئذ قد جاوز اكتماله،

سوف يتم عقد الاجتماع الحاشد والتفقد العسكري الذي أمر الملك به في اليوم التالي لذلك. لا يمكننا أن نسرع أكثر من ذلك، إذا كنا نريد استجماع قوة روهان».

ولزم أراجورن الصمت للحظة، وغمغم قائلًا: «ثلاثة أيام، وسوف يكون التفقد العسكري لروهان قد بدأ وحسب. ولكني أرى أنه لا يمكن تعجيل الأمر الآن». ونظر لأعلى، وبدا أنه قد اتخذ قرارًا ما؛ كان وجهه أقل اضطرابًا. «عندئذ، بإذنك يا مولاي، يجب أن نأخذ خطة جديدة لنفسي ولأهل عشيرتي. يجب أن نسير في طريق خاص بنا، ولن يكون ذلك سرًا بعد. لأنه بالنسبة لي قد انقضى زمن التسلل. سوف أسير شرقًا بأسرع طريق، وسوف أسلك مجازات الموتى».

فقال ثيودن وهو يرتعش: «مجازات الموتى! لماذا تتحدث عنها؟». والتفت إيومر وراح يحدق في أراجورن، وبدا لميري أن وجوه خيالة روهان الذين كانوا يجلسون في نطاق السمع أصبحت شاحبة عند سماعها للكلمات. وقال ثيودن: «إذا كانت توجد مثل تلك المجازات في الحقيقة، فإن بوابتها في دونهارو؛ ولكن لا يمكن لأي رجل حي أن يمر عبرها».

وقال إيومر: «واأسفاه! يا أراجورن يا صديقي! كنت أتمنى أن نسير معًا للحرب؛ ولكن إذا كنت تبحث عن مجازات الموتى، فإن افتراقنا قد حان عندئذ، وإن احتمال التقائنا مرة أخرى على الإطلاق تحت الشمس صغير».

فقال أراجورن: «سوف أسلك هذا الطريق، بالرغم من ذلك كله. ولكني أقول لك، يا إيومر، إننا قد نلتقي مرة أخرى مع ذلك في المعركة، حتى ولو وقفت بيننا جميع خيل موردور».

وقال له ثيودن: «سوف تفعل ما تشاء، يا سيدي أراجورن. إنه مصيرك، ربما، أن تطأ مجازات غريبة لا يجرؤ آخرون على وطئها. إن هذا الافتراق يحزنني، وقد صغرت قوتي من جرائه؛ ولكن الآن ينبغي علي أن أسلك الطرق الجبلية ولا أتأخر أكثر من ذلك. الوداع!».

فقال أراجورن: «الوداع يا مولاي! لتسر إلى شهرة عظيمة! الوداع، يا ميري! إنني أتركك في أيد طيبة، أفضل مما كنا نتمنى عندما قمنا بتعقب الأوركيين إلى غابة فانجورن. سوف يواصل ليجولاس وجيملي مطاردتهما معي، هذا ما أتمناه؛ ولكننا لن ننساك».

وقال ميري: «الوداع!». ولم يجد أكثر من ذلك ليقوله. أحس أنه صغير للغاية، وكان متحيرًا ومكتئبًا من جراء كل هذه الكلمات الكئيبة. لقد افتقد، أكثر من أي وقت مضى، ذلك المرح الذي لا يمكن إخماده والذي كان يشيعه بيبين. وكان الخيالة على أهبة، وكانت خيلهم تتململ قلقًا؛ تمنى أنْ لو بدءوا السير وأنهى الأمر.

وعندئذ تحدث ثيودن إلى إيومر، ورفع يده وصاح عاليًا، وبهذه الكلمة انطلق الخيالة في سيرهم. ساروا فوق الخندق وبعد ذلك هبطوا عبر الوادي، وبعدها، وقد داروا سريعًا نحو الشرق، أخذ الطريق الذي كان يدور حول سفوح الجبال لمسافة تقارب الميل حتى انحنى جنوبًا ليمر عائدًا بين التلال ويختفي عن الرؤية. وسار أراجورن إلى الخندق وراح يشاهد حتى كان رجال الملك بعيدًا أسفل الوادي. عندئذ التفت إلى هالباراد؛ وقال له:

«ها هم ثلاثة ممن أحبهم يذهبون، والأصغر وليس الأقل. إنه لا يعرف إلى أي مصير يسير؛ ولكنه لو عرف، فإنه سوف يذهب مع ذلك».

وقال هالباراد: «شعب صغير، ولكن قيمته عظيمة هم قوم المقاطعة. قليل ذلك الذي يعرفونه عن كدنا الطويل للحفاظ على حدودهم؛ ومع ذلك فإنني لا أضن عليهم بذلك».

وقال أراجورن: «والآن حبكت مصائرنا معًا. ومع ذلك، واحسرتاه! هنا يجب أن نفترق. حسنًا، يجب أن أتناول قليلًا من الطعام، وبعدئذ يجب علينا أيضًا أن نسرع بعيدًا. هيا يا ليجولاس ويا جيملي! يجب علي أن أتحدث معكما بينما أتناول الطعام».

وعادوا معًا إلى حصن هورنبرج؛ بيد أن أراجورن جلس لبعض الوقت في صمت على الطاولة التي كانت موجودة في البهو، وانتظر الآخرون حديثه. وقال جيملي أخيرًا: «هيا! تحدث وأرح نفسك، وتخلص من هذا الظل! ماذا حدث منذ أن عدنا إلى هذا المكان الكئيب في ذلك الصباح الكئيب؟».

وأجابه أراجورن بقوله: «صراع أكثر تجهمًا وكآبة بحال من الأحوال من جانبي من معركة حصن هورنبرج. لقد نظرتُ في حجر أورثانك، يا أصدقائي».

وصاح جيملي في تعجب، والخوف والدهشة على وجهه: «نظرت في ذلك الحجر المسحور الملعون! هل قلت أي شيء له؟ حتى جندلف كان يخشى تلك المواجهة».

وقال له أراجورن في تجهم وعيناه تومضان: «لقد نسيتَ إلى من تتحدث. ما الذي تخشى أن أكون قد قلته له؟ ألم أصرح بلقبي صراحة على أبواب إدوراس؟ كلا، يا جيملي»، قال ذلك بصوت أكثر انخفاضًا، وترك التجهم وجهه، وبدا مثل واحد كان يعاني ويكد في ألم أرق عينيه على مدار ليال كثيرة. «كلا، يا أصدقائي، إنني أنا السيد الشرعي للحجر، ولي الحق ولدي القوة في استخدامه، أو هكذا هو حكمي وتقديري. الحق لا يمكن الشك فيه. القوة كانت كافية بالكاد».

وتنفس نفسًا عميقًا. «لقد كان صراعًا مريرًا، وكان الإرهاق والإعياء يمر بطيئًا. لم أتحدث معه بكلمة، وفي النهاية انتزعت الحجر لإرادتي ومشيئتي الخاصة. ذلك فقط سوف يجد من الصعب احتماله. وراح ينظر إلي. نعم، يا سيدي جيملي، لقد رآني، ولكن تحت قناع آخر غير ذلك الذي تراني فيه أنت الآن. إذا كان ذلك سيساعده،

فإنني أكون إذن قد أسأت صنعًا. ولكني لا أظن ذلك. لأن يعرف أنني كنتُ أعيش وأمشي في الأرض، فإن هذا كان ضربة لفؤاده، حسب ظني وتقديري؛ لأنه لم يكن يعرف ذلك حتى الآن. الأعين التي في حجر أورثانك لا ترى عبر درع ثيودن؛ ولكن ساورون لم ينس إسيلدور وسيف إلنديل. والآن في هذه الساعة تحديدًا من خططه وحبائله الكبيرة، فإن وريث إسيلدور والسيف قد كُشفا؛ لأنني أريته السيف وقد أعيد صنعه. إنه ليس عظيمًا للغاية بعد، ولكنه فوق الخوف؛ كلا، الشك دائمًا ما يزعجه ويقض مضجعه».

وقال جيملي: «ولكنه يدير سلطانًا وملكًا عظيمًا، مع ذلك، والآن فإنه سوف يضرب بسرعة أكبر».

فقال أراجورن: «الضربة المتسرعة غالبًا ما تضل طريقها وهدفها. يجب أن نضغط على عدونا، لا أن ننتظر حتى يتحرك هو. انظروا يا أصدقائي، عندما سيطرت على الحجر وتحكمتُ فيه، تعلمتُ أشياء كثيرة. رأيتُ خطرًا هائلًا غير مرغوب فيه قادمًا إلى جوندور من الجنوب وسوف يستنزف قوة عظيمة من دفاع ميناس تيريث. وإذا لم تتم مواجهته بسرعة، فإنني أعتقد أن المدينة ستضيع قبل أن تمضي عشرة أيام».

فقال جيملي: «إذن فلا بد أنها ستضيع؛ لأن أي مساعدة هنالك يمكن أن يتم إرسالها إلى هناك، وكيف يمكن أن تصل إلى هناك في الوقت المناسب؟».

ورد أراجورن بقوله: «ليست لدي مساعدة يمكنني إرسالها، ولذلك يتحتم عليَّ أن أذهب بنفسي. ولكنْ هناك طريق واحد فقط عبر الجبال سوف يصل بي إلى الأراضي الساحلية قبل أن يضيع كل شيء. ذلك هو طريق مجازات الموتى».

فقال جيملي: «مجازات الموتى! إنه اسم بشع وشرير؛ وقليل حب أهل روهان له، حسبما رأيتُ. هل يمكن للأحياء أن يستخدموا هذا الطريق ولا يهلكوا؟ بل وحتى إذا مررت عبر ذلك الطريق، ما الذي سيستفيده عدد قليل للغاية من مواجهة ضربات موردور؟».

ورد أراجـورن بقوله: «لـم يستخدم الأحـياء ذلـك الطريق أبـدًا منذ قدوم الروهيريميين؛ لأنه مغلق أمامهم. ولكن في تلك الساعة المظلمة، فإن وريث إسيلدور قد يستخدمه، إذا واتته الجرأة والجسارة على ذلك. أنصتوا! هذه هي الأخبار التي يحضرها لي أبناء إلروند من أبيهم في ريفنديل، أحكم الحكماء في العلوم والمعارف: مُرُوا أراجورن أن يتذكر كلمات العراف، ومجازات الموتى».

فقال ليجولاس: «وما عساها أن تكون كلمات العراف؟».

فقال أراجورن: «هكذا تحدث مالبيث العراف، في أيام أرفيدوي، آخر الملوك في فورنوست:

فوق الأرض يرقد هنالك ظل طويل،
أجنحة الظلمة ممتدة باتجاه الغرب.
البرج يرتعش؛ من قبور الملوك
يقترب الهلاك. الموتى يستيقظون؛
لأن ساعة الحانثين في أيمانهم قد حانت:
سوف يقفون مجددًا عند حجر إريك
ويسمعون هناك بوقًا يدوي في التلال.
لمن سيكون البوق؟ من الذي سيناديهم
من الشفق المظلم، الأناس المنسيون؟
وريثه ذلك الذي أقسموا أمامه اليمين.
من الشمال سوف يأتي، سوف تدفعه الحاجة:
سوف يعبر الباب إلى مجازات الموتى.

فقال جيملي: «طرق مظلمة، بلا شك، ولكن ليست أكثر ظلمة بالنسبة لي من تلك الهراوات».

وقال له أراجورن: «لو أنك فهمتني بشكل أفضل، فإنني أطلب منك أن تأتي معي؛ لأنني سوف أسلك هذا الطريق الآن. ولكني لا أذهب مسرورًا؛ فقط لأن الحاجة تدفعني. ولذلك، فإنني سأطلب منك أن تأتي بمحض إرادتك وباختيارك؛ لأنك سوف تجد التعب والنصب والخوف العظيم، وربما ما هو أسوأ من ذلك».

فقال جيملي: «سوف أذهب معك حتى في طريق مجازات الموتى، وإلى أي نهاية قد تقودنا إليها مهما تكن».

وقال ليجولاس: «وسوف آتي أنا أيضًا؛ لأنني لا أخشى الموتى».

وقال جيملي: «أتمنى ألا يكون الأناس المنسيون قد نسوا كيف يقاتلون، وإلا فإنني لا أجد أي سبب لإقلاقنا لهم».

وقال أراجورن: «هذا سوف نعرفه إذا حدث على الإطلاق ووصلنا إلى إريك. ولكن القسم الذي حنثوا فيه كان أن يقاتلوا ضد ساورن، ولذلك يجب عليهم أن يقاتلوا، إذا كانوا يريدون إنجاز هذا القسم؛ لأنه في إريك لا يزال هناك حجر أسود كان قد أحضره حسبما قيل من نومينور إسيلدور؛ وكان قد وضع على تل، وأقسم عليه ملك الجبال قسم الولاء له، في بداية مملكة جوندور».

ولكن عندما عاد ساورون وزادت عظمته وقوته مرة أخرى، استدعى إسيلدور بشر الجبال لإنجاز قسمهم، ولكنهم لم يفعلوا؛ لأنهم كانوا قد عبدوا ساورون في السنوات المظلمة.

عندئذ قال إسيلدور لملكهم: «سوف تكون أنت آخر ملك. وإذا أثبت الغرب أنه أكثر عظمة وقوة من السيد الأسود، فإن هذه اللعنة أضعها عليك وعلى قومك: ألا تستريحوا أبدًا حتى يتم إنجاز قسمكم. لأن هذه الحرب سوف تستمر على مدار سنين لا حصر لها، وسوف يتم استدعاؤكم ودعوتكم مرة أخرى قبل النهاية». وفروا أمام حنق إسيلدور وغضبه، ولم يجرءوا على الخروج للحرب في جانب ساورون؛ وأخفوا أنفسهم في أماكن سرية في الجبال ولم تكن لهم أي تعاملات مع بشر آخرين، ولكنهم راحوا يتضاءلون بطيئًا في التلال القاحلة. ويقع رعب الموتى الذين لا ينامون حول تل إريك وجميع الأماكن التي بقي فيها هؤلاء القوم. «ولكن ينبغي علي أن أسلك هذا الطريق، حيث إنه ليس هناك من أحد حي يمكن أن يساعدني».

ووقف، وصاح: «تعالوا!». واستل سيفه، ووَمض في قاعة البرج التي كان يضيئها الشفق. «إلى صخرة إريك! إنني أبحث عن، وأسعى إلى، مجازات الموتى. ليأت معي أولئك الذين يرغبون ويشاءون!».

ولم يدر ليجولاس أو جيملي جوابًا، ولكنهما نهضا وتبعا أراجورن من القاعة. وعلى المرجة الخضراء، راح ينتظر في سكون وصمت، الجوالة ذوو أغطية الرأس. وركب ليجولاس وجيملي حصانهما. وقفز أراجورن على حصانه روهيرين. عندئذ رفع هالباراد بوقًا عظيمًا، وراحت نفخته تدوي في وادي هيلم: وبذلك قفزوا جميعًا مندفعين بعيدًا، يسيرون في الوادي مثل الرعد، بينما راح جميع الرجال الذي تركوا في الخندق أو في الحصن يحدقون في ذهول واندهاش.

وبينما كان ثيودن يمر عبر مجازات بطيئة في التلال، فإن المجموعة الرمادية عبرت سريعًا فوق السهل، وفي اليوم التالي فيما بعد الظهيرة وصلوا إلى إدوراس؛ وهناك توقفوا لفترة وجيزة فقط، قبل أن يعبروا الوادي صعودًا، وهكذا وصلوا إلى دونهارو عندما حل الظلام.

وحيتهم السيدة إيووين وكانت سعيدة لقدومهم؛ لأنها لم تكن قد رأت أي رجال أعظم من الدونادانيين وابني إلروند الجميلين؛ ولكن عينيها استقرت على أراجورن أكثر منهم جميعًا. وعندما جلسوا جميعًا لتناول العشاء معها، تحدثوا معًا، وسمعت أخبار كل ما قد حدث منذ أن سار ثيودن بعيدًا، الأمر الذي لم تصلها أخبار عنه بعد سوى الأخبار المتعجلة؛ وعندما سمعت عن المعركة في وادي هيلم ومذبحة خصومهم الهائلة، وعن هجوم ثيودن وفرسانه، عندئذ أشرقت عيناه ولمعت.

ولكنها قالت أخيرًا: «أيها السادة، إنكم مرهقون متعبون، وسوف تذهبون الآن إلى فرشكم بذلك القدر من الراحة والملاءمة بقدر ما يمكن إنجازه في عجلة. ولكن سوف يتم غدًا العثور على مسكن أكثر جمالًا لكم».

ولكن أراجورن قال: «كلا أيتها السيدة، لا تقلقي بشأننا! إذا استطعنا أن نبقى هنا الليلة ونتناول إفطارنا غدًا، فسوف يكون هذا كافيًا. لأنني أسير في مهمة عاجلة للغاية وملحة، ومع أول ضوء في الصباح يجب علينا أن نمضي».

وابتسمت له وقالت: «إذن فقد كان هذا صنيعًا طيبًا وعطوفًا منك يا سيدي أن تسير كل هذه الأميال خارجًا عن طريقك لتجلب أخبارًا لايووين، ولتتحدث معها في منفاها».

وقال أراجورن: «في الواقع، لا يمكن لأي شخص أن يعد هذه الرحلة مضيعة، ومع ذلك يا سيدتي، فإنني لم أكن لآتي إلى هنا، لولا أن ذلك الطريق الذي ينبغي علي أن أسلكه يقودني إلى دونهارو».

وأجابت كشخص لا يحب ما قيل: «إذن يا سيدي فإنك ضللت الطريق؛ لأنه ليس هناك أي طريق يجري من وادي هاروديل شرقًا أو غربًا؛ ومن الأفضل أن تعود مثلما جئت».

فقال هو: «كلا يا سيدتي. إنني لم أضل طريقي؛ لأنني سرتُ في هذه الأرض قبل أن تولدي وتشرفيها وتجمليها. هناك طريق يخرج من هذا الوادي، وهذا الطريق سوف أسلكه. غدًا سوف أسير عبر مجازات الموتى».

عندئذ راحت تحدق فيه كشخص أصابته صاعقة، وابيض وجهها، ولم تتحدث بأي كلمة أخرى لمدة طويلة، بينما جلس الجميع في صمت، ولكنها قالت أخيرًا: «ولكن يا أراجـورن هل مهمتك أن تسعى إلى الموت؟ لأن هذا هو كل ما ستجده على ذلك الطريق. إنهم لا يطيقون مرور الأحياء».

فقال أراجورن: «قد لا يطيقون مروري، ولكن على الأقل سوف أغامر وأمُرّ. ليس أمامي أي طريق آخر يخدم غرضي».

وقالت له: «ولكن هذا جنون: لأنني أرى هنا رجالًا ذوي شهرة وبسالة، يجب ألا تأخذهم إلى الظلال والظلمة، ولكن ينبغي أن تقودهم إلى الحرب، حيث هناك حاجة إلى الرجال. أرجـوك أن تبقى وتسير مع أخـي؛ لأن قلوبنا جميعًا سوف تكون مسرورة، وسوف يكون أملنا أكثر إشراقًا».

وأجابها بقوله: «إنه ليس جنونًا، يا سيدتي؛ لأنني أذهب في طريق قدر علي. ولكن أولئك الذين يتبعونني يفعلون ذلك بمحض إرادتهم؛ وإذا هم أرادوا الآن أن يبقوا ويسيروا مع الروهيريميين، يمكنهم أن يفعلوا ذلك. ولكني سأسلك طريق مجازات الموتى، وحدي، إذا لزم الأمر».

وبعد ذلك لم يتحدثوا أكثر من هذا، وراحوا يأكلون في صمت؛ ولكن عينيها كانتا دائمًا على أراجورن، ورأى الآخرون أن عقلها كان يتعذب عذابًا عظيمًا. وأخيرًا نهضوا، واستأذنوا من السيدة، وشكروها على رعايتها، وذهبوا إلى استراحتهم.

ولكن بينما كان أراجورن يذهب إلى الحجرة التي كان سينام فيها مع ليجولاس

وجيملي، وكان رفاقه قد دخلوا، جاءت السيدة إيووين بعده ونادت عليه. واستدار ورآها كوهج في النهار؛ لأنها كانت مرتدية ثوبًا أبيض؛ ولكن عينيها كانتا مشتعلتين.

وقالت له: «أراجورن، لماذا تذهب في هذا الطريق المميت؟».

وأجابها بقوله: «لأنه يجب علي ذلك. بهذه الطريقة فقط يمكنني أن أرى أي أمل في إنجاز دوري في الحرب ضد ساورون. إنني لا أختار طرق الخطر، يا إيووين. لو كنت أستطيع أن أذهب حيث يسكن قلبي، بعيدًا في الشمال، فإنني كنت سأكون الآن متجولًا في وادي ريفنديل الجميل».

ولزمت الصمت لبعض الوقت، كما لو كانت تتأمل فيما عساه أن يكون معنى ذلك. وبعدئذ وضعت يدها فجأة على ذراعه، وقالت: «إنك سيد صارم، وقوي العزيمة، وهكذا يكسب الرجال الشهرة». وتوقفت عن الكلام، ثم قالت بعد ذلك: «سيدي، إذا كان يتوجب عليك الذهاب، فدعني إذن أسير في عقبك وأتبعك. لقد تعبتُ من التسلل والهروب في التلال، وأرغب في مواجهة الخطر والمعركة».

وأجابها قائلًا: «مهمتك مع شعبك».

وصاحت قائلة: «سمعتُ كثيرًا جدًا عن المهمة والواجب. ولكن ألستُ من منزل إيورل، سيدة دروع وحرب ولستُ مربية أطفال؟ لقد انتظرتُ على أقدام مرتعشة وقتًا طويلًا بالشكل الكافي. وحيث إنها لم تعد ترتعش بعد، فيما يبدو، ألا يمكن لي الآن أن أمضي حياتي حسبما أشاء؟».

وأجابها قائلًا: «قليلون قد يفعلون ذلك بكل شرف. ولكن فيما يتصل بك، يا سيدتي: ألم تقبلي مسئولية حكم الشعب حتى عودة مليكهم؟ إذا لم تكوني قد وقع عليك الاختيار، ففي هذه الحالة كان سيتم وضع مارشال أو قائد في نفس المكان، وما كان ليسير بعيدًا تاركًا مهمته، إذا هو تعب منها أو ملّ أو لا».

وقالت في مرارة: «هل سيتم اختياري دائمًا؟ هل سأترك دائمًا وراءهم عندما يرحل الخيالة، لأعنى بالمنزل في حين يكسبون هم الشهرة، وأوفر الطعام والفُرُش عندما يعودون؟».

فقال لها: «قد يحين الوقت سريعًا، عندما لا يعود أحد. ستكون هناك حاجة عندئذ إلى البسالة والشجاعة دون شهرة؛ لأنه لن يتذكر أحد الأعمال التي فُعلت، في الدفاع الأخير عن ديارك. ولكن الأعمال لن تكون أقل بسالة لأنها لم تمتدح».

وأجابته قائلة: «جميع كلماتك لا تقول سوى شيء واحد: أنت امرأة، ودورك في المنزل. ولكن عندما يموت الرجال في ميدان القتال والشرف، يكون لديك الإذن أن تحرقي في المنزل؛ لأن الرجال لن يحتاجوا إليها بعد ذلك. ولكني من منزل إيورل ولست خادمة. يمكنني أن أركب الخيل وأدير السيف، ولا أخشى الألم أو الموت».

وسألها: «ما الذي تخشينه يا سيدتي؟».

فقالت له: «القفص. أن أبقى خلف القضبان، حتى يقبل بها الاستعمال والشيخوخة، وتكون كل فرصة لإنجاز أعمال عظيمة قد ولت فيما وراء الاسترجاع أو الرغبة».

«ولكنك أشرت علي ألا أغامر على الطريق الذي اخترتُه، لأنه خطير!».

فقالت له: «هكذا قد ينصح الواحد الآخر. ولكني لا أطلب منك أن تفر من وجه الخطر، ولكن أن تسير إلى ساحة القتال حيث يمكن لسيفك أن يحقق الشهرة والنصر. إنني لا أرى شيئًا ساميًا وممتازًا يُطرح على نحو غير ضروري».

وقال لها: «ولا أنا كذلك. ولذلك فإنني أقول لك يا سيدتي: ابقيْ هنا! لأنه ليست لديك أي مهمة تذهبين فيها إلى الجنوب».

«ولا هؤلاء الآخرون الذين يذهبون معك. إنهم يذهبون فقط؛ لأنهم لا يستطيعون أن ينفصلوا عنك ويفارقوك لأنهم يحبونك». عندئذ استدارت واختفت في الليل.

وعندما طلع ضوء النهار في السماء ولكن لم تكن الشمس قد أشرقت فوق الجبال العالية بعد في الشرق، استعد أراجورن للرحيل. كانت صحبته كلها ممتطية الخيل، وكان على وشك أن يقفز على سرجه، عندما جاءت السيدة إيووين لتودعهم. كانت مرتدية ثياب الخيالة ومحزمة بسيف. كانت تحمل في يدها كأسًا، ووضعته على شفتيها وشربت قليلًا، متمنية لهم سرعة جيدة؛ وبعد ذلك أعطت الكأس لأراجورن، وشرب منها، وقال: «الوداع، يا سيدة روهان! إنني أشرب نخب الحظ السعيد لأهل بيتك، ونخبك، ونخب جميع شعبك. لتقولي لأخيك: فيما وراء الظلال قد نلتقي مرة أخرى!».

عندئذ بدا لجيملي وليجولاس اللذين كانا قريبين أنها كانت تبكي، وفي واحدة صارمة للغاية وأبية بدا ذلك أكثر حزنًا وألمًا. ولكنها قالت: «أراجورن، هل ستذهب؟».

فقال لها: «سوف أذهب».

«إذن ألن تدعني أسير مع هذه الصحبة، مثلما طلبتُ منك؟».

فقال لها: «لن أدعك يا سيدتي؛ لأن هذا لا يمكنني أن أمنحه لك دون إذن من الملك ومن أخيك؛ ولن يعودا حتى الغد. ولكني أحسب الآن كل ساعة، في الواقع كل دقيقة. الوداع!».

عندئذ نزلت على ركبتيها وقالت: «أرجوك!».

قال لها: «كلا يا سيدتي»، وأخذها من يدها ورفعها. عندئذ قبل يدها، وقفز على السرج، وانطلق بعيدًا، ولم يلتفت وراءه؛ ولم ير أحدًا سوى أولئك الذين كانوا يعرفونه جيدًا وكانوا قريبين منه، الألم الذي كان يتحمله.

ولكن إيووين وقفت ساكنة مثل تمثال نحت من حجر، ويداها مقبوضتان في

جنبيها، وراقبتهم حتى مروا واختفوا في الظلال تحت جبل دويمُربرج[1]، الذي كان فيه باب الموتى. وعندما غابوا عن الرؤية، استدارت، تتعثر مثل شخص أعمى، وعادت إلى مخدعها. ولكن لم ير أحد من قومها هذا الافتراق؛ لأنهم اختبئوا خوفًا ولم يجرءوا على الخروج حتى طلع النهار تمامًا، وكان الغرباء المتهورون قد ذهبوا.

وقال بعضهم: «إنهم مخلوقات جنية ليذهبوا إلى حيث ينتمون، إلى الأماكن المظلمة، ولا يعودون. الأوقات بها من الشر ما يكفي».

كان الضوء لا يزال معتمًا وهم يسيرون؛ لأن الشمس لم تكن قد صعدت بعد فوق السلاسل السوداء من الجبل المسكون أمامهم. وحل بهم خوف، وبينما كانوا يمرون بين صفوف الحجارة القديمة وصلوا آنذاك إلى ديمهولت. وهناك تحت كآبة الأشجار السوداء التي لم يكن بالإمكان حتى لليجولاس أن يتحملها طويلًا وجدوا مكانًا أجوف يفتح عند جذر الجبل، وفي طريقهم مباشرة كان يقف حجر وحيد هائل وضخم مثل أصبع القدر.

قال ذلك جيملي: «إني أحس برعب بالغ». ولكن الآخرين كانوا صامتين، ولكنه خمد؛ إذ سقط على إبر شجر التنوب شديدة الرطوبة عند قدميه. لم تمر الخيل من الحجر المخيف المتوعد حتى ترجل الخيالة من عليها وقادوها في المكان. وهكذا وصلوا أخيرًا إلى العمق في الوادي الصغير المنعزل؛ وكان يقف هناك جدار صخري عمودي، وفي الجدار كان الباب المظلم فاغرًا أمامهم مثل فم الليل. كانت هناك علامات وأشكال منحوتة فوق قنطرته الواسعة باهتة للغاية بحيث لا يمكن قراءتها، وكان الخوف يتدفق منه مثل بخار رمادي.

وتوقفت المجموعة، ولم يكن هناك قلب بينهم لم يرتجف خوفًا، إلا إذا كان ذلك قلب ليجولاس الجني الذي لم تكن أشباح البشر تخيفه.

وقال هالبارد: «هذا باب شرير، وحتفي يرقد وراءه. ومع ذلك سوف أتجرأ وأمر منه؛ ولكن لن يدخل أي حصان».

فقال أراجورن: «ولكن يجب أن ندخل، وبناء عليه يجب أن تدخل الخيل أيضًا؛ لأنه إذا نحن مررنا عبر هذه الظلمة، فهناك فراسخ كثيرة ترقد فيما وراء ذلك، وكل ساعة تضيع منا سوف تجعل انتصار ساورون أكثر قربًا. اتبعوني!».

عندئذ تقدمهم أراجورن وقاد الطريق، وكانت تلك قوة إرادته في تلك الساعة التي جعلت جميع الدونادانيين وخيلهم يتبعونه. وفي حقيقة الأمر الحب الذي كانت تكنه خيل الجوالة لخيالتها كان عظيمًا للغاية لدرجة أنها كانت راغبة في مواجهة حتى رعب

(1) Dwimorberg The Haunted Mountain أي الجبل المسكون. (المترجم)

البائس، إذا كانت قلوب سادتها ثابتة راسخة وهم يمشون إلى جوارها. ولكن أرود، حصان روهان، رفض الطريق، ووقف متعرقًا ومرتعشًا في خوف، كان منظره ثقيل الوطأة ومحزنًا. عندئذ وضع ليجولاس يديه على عينيه وغنى بعض كلمات انسابت ناعمة في الظلمة، حتى أكره على أن يتم اقتياده، ومر ليجولاس داخلًا. وهناك كان يجلس جيملي القزم وقد تُرك وحده.

وارتعشت ركبتاه، وكان غاضبًا جدًا من نفسه، وقال: «ها هو شيء لم يُسمع به من قبل! جني سوف يذهب تحت الأرض ولا يجرؤ قزم على ذلك!». وبهذه الكلمات قفز نحو الداخل. ولكن بدا له أنه كان يجر قدميه على العتبة وكأنهما كانتا من رصاص؛ وفي الحال نزلت على عينيه غشاوة من عمى، حتى على جيملي ابن جولين الذي سار غير هياب في كثير من الأماكن العميقة في العالم.

كان أراجورن قد أحضر معه مشاعل من دونهارو، وعندئذ سار أمامهم حاملًا واحدًا منها ورافعًا إياه عاليًا؛ وجاء إلادان في المؤخرة يحمل مشعلًا آخر، وجيملي يمشي متعثرًا وراءه، وهو يناضل حتى يتخطاه. لم يكن يرى أي شيء سوى لهب المشاعل الضعيف؛ ولكن عندما كانت المجموعة تتوقف، كان يبدو أن هناك همسًا لانهائيًا من أصوات في كل مكان حوله، غمغمة بكلمات بلسان غير أي لسان سبق أن سمعه من قبل.

لم يهاجم المجموعة أي شيء أو يعترض طريقهم، ومع ذلك راح الخوف يزيد بشكل مستمر على القزم وهو يواصل السير: كان معظم ذلك نابعًا من علمه أنه لم يكن عندئذ هناك طريق للرجوع؛ كانت جميع المجازات وراءهم مكتظة بمجموعة غير مرئية مجهولة كانت تتبعهم في الظلمة.

وهكذا مر وقت لا يحصى، حتى رأى جيملي منظرًا ظل كارهًا بعد ذلك، على الدوام، أن يسترجعه. كان الطريق واسعًا، بقدر ما يستطيع أن يحدد، ولكن الصحبة وصلت عندئذ إلى مكان كبير خال، ولم تعد هناك أي جدران على أي جانب من الجانبين. كان الرعب ثقيلًا عليه للغاية لدرجة أنه كان لا يكاد يستطيع المشي. وبعيدًا على اليسار راح شيء يتوهج في الظلمة بينما كان مشعل أراجورن يقترب. عندئذ توقف أراجورن وذهب لينظر ما عسى ذلك أن يكون.

وغمغم القزم قائلًا: «ألا يشعر بأي خوف؟ في أي كهف آخر كان جيملي ابن جولين سيكون الأول الذي يجري إلى وميض الذهب. ولكن ليس هنا! لندعه وشأنه!».

ومع ذلك اقترب، ورأى أراجورن ينحني، في حين أمسك إلادان بالمشعلين رافعًا إياهما عاليًا. كانت ترقد أمامه عظام رجل عظيم. كان مرتديًا قميصه، وكان سرجه لا يزال ملقى هناك بكامله؛ لأن هواء الكهف كان جافًا مثل التراب، وكانت درعه مزخرفة مطلية بالذهب. وكان حزامه من ذهب وعقيق أحمر، وكان غنيًا بالذهب

والخوذة فوق رأسه ذات العظام البارزة الكثيرة ووجهه لأسفل على الأرض. كان قد سقط بالقرب من الجدار البعيد للكهف، حسبما كان بالإمكان رؤيته آنذاك، وكان يقف أمامه باب حجري مغلق بشدة: كانت عظام أصابعه لا تزال قابضة على الشروخ وظاهرة فيها. كان يرقد إلى جواره سيف محزز ومكسور، كما لو كان قد ضرب به الصخر في يأسه الأخير.

لم يمسه أراجورن، ولكن بعد أن حدق فيه في صمت لبعض الوقت نهض وتنهد وغمغم قائلًا: «إلى هذا المكان لن تأتي أبدًا أزهار السيمبلميني[1] حتى نهاية العالم. تسعة تلال جنائزية وسبعة هناك الآن خضراء بالعشب، وعبر كل السنين الطويلة كان يرقد عند الباب الذي لا يمكنه أن يفتحه. إلى أي مكان يؤدي هذا الباب؟ لماذا سوف يمر؟ لا يمكن لأحد أن يعرف!».

«لأن تلك ليست مهمتي!». صاح بهذه الكلمات، وقد استدار وراح يتحدث للظلمة وراءه همسًا: «لتحتفظ بمستودعاتك وأسرارك مخفية في السنين الملعونة! كل ما نطلبه هو السرعة. دعنا نمر، وعندئذ تعال! إنني أستدعيك إلى صخرة إريك!».

ولم تأته أي إجابة، إلا إذا كان ذلك صمتًا مطبقًا تامًا أكثر ترويعًا وتخويفًا من الهمسات التي كانت قبله؛ وبعد ذلك جاءت نفخة من برد قارس ارتعشت فيها المشاعل وانطفأت، ولم يكن بالإمكان إعادة إشعالها. ومن الوقت الذي تبع ذلك، سواء كان ساعة أو عدة ساعات، لم يتذكر جيملي سوى القليل. وواصل الآخرون سيرهم، ولكنه كان دائمًا في المؤخرة، يطارده رعب متخبط كان يبدو دائمًا أنه حوله ليمسك به؛ وجاءت وراءه غمغمة مثل صوت الظل لكثير من الأقدام. وراح يسير متعثرًا متخبطًا حتى صار يحبو مثل حيوان على الأرض وشعر أنه لم يعد بإمكانه الاحتمال أكثر من ذلك: يجب عليه إما أن يجد نهاية ويهرب وإما يجري عائدًا في جنون ليقابل الخوف الذي يتبعه.

وفجأة سمع خرير الماء، صوت قوي وواضح مثل حجر يسقط في حلم من ظل مظلم. وزاد الضوء، ويا للعجب! مرت المجموعة عبر بوابة أخرى، ذات قنطرة عالية وعريضة، وكان يجري إلى جوارهم جدول مائي صغير؛ وفيما وراء ذلك، كان يهبط في شكل حاد، طريق بين جرف شديد الانحدار، له حواف حادة مثل السكاكين متجهة نحو السماء فوقها. كان ذلك الشق عميقًا وضيقًا للغاية لدرجة أن السماء كانت مظلمة، وكانت تتوهج فيها نجوم صغيرة. وكما علم جيملي بعد ذلك، كانت لا تزال هناك ساعتان قبل غروب الشمس من اليوم الذي خرجوا فيه في رحلتهم من دونهارو؛

(1) Simbelmyne هي الزهرة المسماة [Evermind] وهي [The white grave-flower] أي زهرة المقابر البيضاء. (المترجم)

علىً الرغم من أن كل ما كان بإمكانه أن يعرفه عندئذ أن هذا ربما كان شفقًا في سنة لاحقة أو في عالم آخر.

وركبت المجموعة الخيل مرة أخرى عندئذ، وعاد جيملي إلى ليجولاس. وساروا في طابور وراء بعضهم، وحل المساء ومعه سماء زرقاء داكنة؛ وظل الخوف يطاردهم. واستدار ليجولاس ليتحدث إلى جيملي فنظر للوراء ورأى القزم أمام وجهه الوهج في عيني الجني اللامعتين. وكان يركب وراءهما إلادان، آخر واحد في المجموعة، ولكنه لم يكن الأخير من أولئك الذين سلكوا الطريق المنحدر.

وقال ليجولاس: «الموتى يتبعوننا. إنني أرى أشكال رجال وخيل، ورايات شاحبة مثل قطع ممزقة من سحابة، وحراب مثل أجمات الشتاء في ليلة سديمية. الموتى يتبعوننا».

وقال إلادان: «نعم، الموتى يسيرون وراءنا. لقد تم استدعاؤهم».

وخرجت المجموعة أخيرًا من الوادي الضيق، فجأة كما لو كانوا قد خرجوا من شق في جدار؛ وكانت ترقد أمامهم نجود واد عظيم، وراح جدول الماء إلى جوارهم يتدفق هابطًا بصوته البارد فوق الكثير من الشلالات.

وسأل جيملي: «أين نحن في الأرض الوسطى؟». وأجابه إلادان: «لقد هبطنا من منبع نهر مورثوند[1]، النهر البارد العظيم الذي يتدفق أخيرًا ليصب في البحر الذي يغسل جدران دُول أمروث. ولن تحتاج إلى معرفة أصل اسمه: البشر يسمونه الجذر الأسود».

لقد صنع وادي مورثوند خليجًا عظيمًا يضرب بقوة في الأسطح الجنوبية شُديدة الانحدار للجبال. كان العشب نامياً في منحدراته شديدة الانحدار؛ ولكن كان كل شيء مظلمًا معتمًا في تلك الساعة؛ لأن الشمس كانت قد ولت، وراحت المصابيح على مسافة بعيدة أسفل منهم تتوهج في منازل البشر. كان الوادي غنيًا، وكان الكثير من البشر يسكنون هناك.

عندئذ صاح أراجورن بصوت عال ودون أن يلتفت للوراء حتى يسمعه الجميع: «أصدقائي، انسوا تعبكم! سيروا الآن، سيروا! يجب أن نصل إلى صخرة إريك قبل أن ينقضي هذا اليوم، والطريق لا يزال طويلًا أمامنا». ولذلك وبدون النظر للوراء راحوا يسيرون في الحقول الجبلية، حتى وصلوا إلى جسر فوق التيار الجارف ووجدوا طريقًا كان يهبط إلى الأرض.

وانطفأت الأضواء في المنزل والكفر عندما وصلوا، وأغلقت الأبواب، وراح

(1) Morthond وهو [The river of the Blackroot Vale] أي نهر وادي الجذر الأسود. (المترجم)

الأشخاص الذين كانوا في الحقول يصرخون في رعب ويجرون في جموح وجنون مثل ظبي يتعقبه الصياد. وراحت ترتفع باستمرار نفس الصرخة في الليل المتكاثر: «ملك الموتى! ملك الموتى جاء إلينا!».

وراحت الأجراس تدق على البعد أسفل منهم، وفر جميع الرجال أمام وجه أراجورن؛ ولكن المجموعة الرمادية كانت تسير مثل الصيادين لما كانوا عليه من عجلة، حتى كانت خيلهم تتعثر في سيرها من الإعياء والإرهاق. وهكذا، قبل منتصف الليل تقريبًا، وفي ظلمة سوداء مثل الكهوف في الجبال، وصلوا أخيرًا إلى تل إريك.

لقد كان الرعب من الموتى يرقد كثيرًا على ذلك التل وعلى الحقول الخاوية من حوله؛ لأنه كان يوجد فوق القمة حجر أسود، دائري مثل كرة ضخمة، بطول رجل، على الرغم من أن نصف الحجر كان مدفونًا في الأرض. كان يبدو غير أرضي، كما لو أنه كان قد سقط من السماء، حسبما كان البعض يعتقدون؛ ولكن أولئك الذين كانوا لا يزالون يذكرون علوم البلاد الغربية أخبروا أنه كان قد تم إحضاره من أطلال نومينور وهناك وضعه إسيلدور في هذا المكان. لم يكن يجرؤ أي شخص من سكان الوادي على الاقتراب منه، ولا السكنى بالقرب منه؛ لأنهم كانوا يقولون إنه كان مكان التقاء رجال الظل، وهناك كانوا يجتمعون في أوقات الخوف، محتشدين حول الحجر ويتهامسون.

إلى ذلك الحجر جاءت المجموعة وتوقفت في هدأة الليل. عندئذ أعطى إلروهير إلى أراجورن بوقًا فضيًا، ونفخ فيه؛ وبدا لأولئك الذين كانوا يقفون قريبًا منه أنهم سمعوا صوت أبواق ترد عليه، كما لو كان صدى في كهوف عميقة بعيدة للغاية. لم يسمعوا أي صوت آخر، ومع ذلك كانوا مدركين لوجود مجموعة كبيرة احتشدت في كل مكان حول التل الذي كانوا يقفون فيه؛ وهبطت من الجبال ريح باردة مثل نفس الأشباح. ولكن أراجورن ترجل من على حصانه، وصاح بصوت عظيم وهو يقف إلى جوار الصخر:

«أيها الحانثون في أيمانكم، لماذا جئتم؟».

وسُمع صوت يأتي من الليل يرد عليه، كما لو كان يأتي من مكان بعيد:

«لإنجاز قسمنا والتمتع بالسلام والطمأنينة».

عندئذ قال أراجورن: «لقد حانت الساعة أخيرًا. الآن أذهب إلى بيلارجير[1] فوق نهر أندوين، وسوف تتبعونني. وعندما تصبح كل هذه البلاد خالية ونظيفة من خدام ساورون، فإنني سوف أعتبر القسم قد تم إنجازه، وسوف تتمتعون بالسلام والطمأنينة وترحلون إلى الأبد؛ لأنني أنا إليسار، وريث إسيلدور سيد جوندور».

(1) Pelargir مدينة ومرفأ على نهر أندوين العظيم. (المترجم)

وبهذه الكلمات أمر هالباراد أن يبسط الراية التي كان قد جلبها معه؛ ويا لعجب ما رأوا! كانت سوداء وإذا كان هناك أي سحر أو حيلة فيها، فقد كانت مختبئة في الظلمة. عندئذ عم صمت، ولم يسمع لا همس ولا تنهيد مرة أخرى طوال الليل. وخيمت المجموعة إلى جوار الصخر، ولكنهم ناموا قليلًا، بسبب الخوف من الظلال التي كانت تحيط بهم من كل اتجاه.

ولكن عندما طلع الفجر، باردًا وشاحبًا، نهض أراجورن في الحال، وقاد المجموعة في الحال في رحلة هي الأعظم عجلة والأكبر إعياء. سبق لهم أن جربوه وعرفوه، باستثنائه هو وحده، ولم يسيطر عليهم ويجعلهم يواصلون سيرهم سوى إرادته. لم يكن ليحتمل ذلك أي بشر فانين، لا أحد سوى الدونادانيين أهل الشمال، ومعهم جيملي القزم وليجولاس الجني.

مروا برقبة تارلانج ووصلوا إلى لاميدون[1]؛ وكانت مجموعة الظلال تحتشد وراءهم وكان الخوف يسير أمامهم، حتى وصلوا إلى مدينة كالمبل فوق نهر سيريل، وهبطت الشمس مثل دم وراء بيناث جيلين[2] بعيدًا في الغرب وراءهم. لقد وجدوا مدينة ومخاضات نهر سيريل مهجورة؛ لأن الكثيرين من الرجال كانوا قد خرجوا بعيدًا للحرب، وفر كل من تركوا إلى التلال عند سماع شائعة قدوم ملك الموتى.

ولكن لم يأت أي فجر في اليوم التالي، ومرت المجموعة الرمادية إلى ظلمة عاصفة موردور وتاهت عن بصر الفانين وصارت خارج نطاق رؤيتهم؛ ولكن الموتى تبعوهم.

(1) Lamedon منطقة في جوندور الوسطى. (المترجم)

(2) Pinnath Gelin التلال الخضراء في غرب جوندور. (المترجم)

الفصل الثالث
جيـــش روهـــان

في هذا الوقت، كانت جميع الطرق تجري معًا إلى الشرق لتقابل قدوم الحرب وبداية الظل. وبينما كان بيبين يقف عند البوابة العظيمة للمدينة رأى أمير دول أمروث يسير براياته، وجاء ملك روهان هابطًا من التلال.

وكان النهار يذبل ويذوي. في الأشعة الأخيرة من الشمس، ألقى الخيالة ظلالًا طويلة مدببة راحت تسير أمامهم. كانت الظلمة بالفعل قد زحفت أسفل أشجار التنوب المغمغمة التي كانت تكسو جنبات الجبل شديدة الانحدار. وراح الملك يسير عندئذ بطيئًا عند نهاية اليوم. وفي الوقت الحالي، دار الطريق حول كتف صخري أجرد ضخم وقفز في ظلمة الأشجار التي كانت تتنهد بصوت منخفض هامس. وراحوا يسيرون لأسفل أكثر وأكثر في طابور طويل متعرج. عندما وصلوا أخيرًا إلى قاع الخور الذي وجدوه ذلك المساء قد هبط في الأماكن العميقة. واختفت الشمس. راح الشفق يرقد فوق مساقط المياه.

طوال اليوم راح يجري أسفل منهم نهر متدافع من المجاز العالي الذي كان وراءهم، يشق طريقه الضيق بين جدران مكسوة بأشجار الصنوبر؛ وراح عندئذ يتدفق عبر بوابة صخرية نحو الخارج ويمر إلى واد أكثر اتساعًا. وتبعه الخيالة، وفجأة كان يقع أمامهم وادي هارodيل، عاليًا مدويًا بصخب المياه في المساء. وهناك التحم نهر سنوبورن[1] الأبيض بالنهر الذي كان أصغر منه، وراح يتدافع ويتدفق مزبدًا على الصخور، هابطًا إلى إدوراس والتلال الخضراء والسهول. وبعيدًا إلى اليمين عند رأس الوادي العظيم، لاح جبل ستارك هورن[2] فوق كتفه الفسيح ملفوفًا بالسحاب؛ ولكن قمته المسننة، والتي كانت مكسوة بثلج دائم، راحت تتوهج عاليًا فوق العالم، زرقاء الظلال فوق الشرق، ملطخة بحمرة من غروب الشمس في الغرب.

ونظر ميري في دهشة وعجب إلى ذلك البلد الغريب الذي كان قد سمع عنه حكايات كثيرة في طريقهم الطويل. كان عالمًا لا سماء له، لم تر عيناه فيه عبر خلجان معتمة من هواء ظلالي سوى منحدرات عالية باستمرار، وجدران عظيمة من صخر وراء جدران عظيمة، وجرف متجهمة عابسة يغطيها السديم. وجلس للحظة نصف حالم،

(1) Snowbourn النهر الذي كان يتدفق من وادي هارو (ديل) .. (المترجم)

(2) Starkhorn اسم جبل في روهان. وجزء horn معناه (peak) أي قمة. وقد أوصى المؤلف بعدم ترجمة الاسم كله. (المترجم)

ينصتُ إلى صوت المياه، وهمس الأشجار المظلمة، وقعقعة الصخر، والصمت الهائل المترقب الذي كان جاثمًا وراء كل صوت. كان يحب الجبال، أو كان قد أحب التفكير فيها وهي تسير على حافة قصص جُلبت من أماكن بعيدة بعيدة؛ ولكن آنذاك حمله هابطًا به لأسفل الثقل الذي لا يطاق للأرض الوسطى. كان يتوق إلى أن يحجُب عن نفسه هذه الضخامة والامتداد الشاسع في غرفة هادئة إلى جوار النار.

كان متعبًا للغاية؛ لأنه على الرغم من أنهم كانوا يسيرون ببطء، فإنهم كانوا يسيرون مع قليل جدًا من الراحة. وساعة بعد ساعة على مدار ثلاثة أيام كلها إرهاق وإعياء كان يهرول صعودًا وهبوطًا فوق مجازات، وخلال وديان ووهاد طويلة، وعبر الكثير من الجداول والأنهار. أحيانًا في الأماكن التي كان الطريق فيها أكثر اتساعًا كان يركب إلى جوار الملك، دون أن يلاحظ أن الكثيرين من الخيالة ابتسموا لرؤية الاثنين معًا: الهوبيتي على حصانه الصغير القزم الرمادي الأشعث، والملك روهان على حصانه الأبيض الجميل. عندئذ تحدث مع ثيودن، مخبرًا إياه عن دياره وأعمال أهل المقاطعة، أو ينصت بدوره لحكايات عن المارك ورجالها القدماء العظام. ولكن معظم الوقت، وخاصة في ذلك اليوم الأخير، كان ميري يركب وحده وراء الملك مباشرة، ولم يقل أي شيء، ومحاولًا أن يفهم حديث روهان الرنان البطيء الذي كان يسمع الرجال وراءه يستخدمونه. كانت لغة يبدو أن بها كلمات كثيرة كان يعرفها، على الرغم من أنه كان يتم التحدث بها بشكل أكثر ثراء وأكثر قوة منها في المقاطعة، ومع ذلك لم يستطع أن يضم الكلمات مع بعضها. في بعض الأوقات كان أحد الخيالة يرفع صوته الواضح في أغنية مثيرة محركة، وكان ميري يحس بقلبه يقفز بداخله، على الرغم من أنه لم يكن يعرف ما يدور حوله.

وعلى حد سواء كان وحيدًا، ولم يكن وحيدًا على هذا النحو الآن أكثر منه في نهاية اليوم. وتساءل أين يتوجب على بيبين في كل هذا العالم الغريب أن يذهب؛ وما عسى أن يكون قد حل بأراجورن وليجولاس وجيملي. عندئذ فجأة مثل لمسة باردة على قلبه فكر في فرودو وسام، وقال لنفسه معاتبًا ومؤنبًا: «لقد نسيتهما! ومع ذلك فإنهما أكثر أهمية من جميع الباقين منا. وجئتُ لمساعدتهما؛ ولكن الآن لا بد أنهما على بعد مئات الأميال، إذا كانا لا يزالان على قيد الحياة». وارتجف.

وقال إيومر: «وادي هاروديل أخيرًا! إن رحلتنا قاربت على الانتهاء تقريبًا». وتوقفوا. وراحت مجازات الخور تنحدر بشكل شديد. لم يكن بالإمكان أن تُرى سوى ومضة فقط من الوادي العظيم في الظلمة أسفل منهم كما لو كانت تأتي عبر نافذة. كان هناك مصباح صغير واحد يُرى متوجهًا إلى جوار النهر.

وقال ثيودن: «قد تكون الرحلة قد انتهت، ولكن لا يزال أمامي مسافة كبيرة عليَّ أن أقطعها. في الليلة الماضية كان القمر بدرًا، وفي الصباح سوف أسير إلى إدوراس إلى اجتماع المارك».

وقال له إيومر بصوت منخفض: «إذا أردت مشورتي ورأيي فعليك أن تعود إلى هنا، حتى تنتهي الحرب، سواء خسرناها أو انتصرنا فيها».

وابتسم ثيودن. «كلا يا بني لأنني سوف أناديك بهذا الاسم، فلا تتحدث بكلمات وورمتونج المنخفضة في أذني العجوزين!». ولملم نفسه ونظر للوراء على صف الرجال الطويل وهو يتلاشى في الغسق وراءهما. «يبدو أنها سنوات طويلة في حساب الأيام والأزمان قد انقضت منذ أن سرت غربا؛ ولكني لن أتوكأ على عصا مرة أخرى أبدًا. في حالة خسارة الحرب، ما عساها أن تكون الفائدة من اختبائي في التلال؟ وفي حالة النصر، أي حزن سوف يكون، حتى ولو سقطتُ، مستنزفًا آخر ما لدي من قوة؟ ولكن سوف نترك هذا الأمر الآن. الليلة سوف أرقد في معقل دونهارو. مساء واحد من سلام وطمأنينة، على الأقل، لا يزال أمامنا. دعنا نواصل سيرنا!».

في الغسق المتزايد جاءوا هابطين الوادي. وهنا راح نهر سنوبورن يتدفق بالقرب من الجدران الغربية للوادي، وفي الحال قادهم الطريق إلى مخاضة حيث كانت المياه الضحلة تدمدم عالية على الصخور.

كانت هناك حراسة على المخاضة. ولما اقترب الملك، قفز الكثير من الرجال خارجين من ظل الصخور؛ وعندما رأوا الملك صاحوا بأصوات مسرورة: «ثيودن الملك! ثيودن الملك! ملك المارك يعود!».

عندئذ أطلق واحد منه نفخة بوق طويلة. وراح صداها يُسمع في الوادي. وردت عليه أبواق أخرى، وراحت المصابيح تسطع عبر النهر.

وفجأة ارتفع صوت جماعي ضخم من أبواق من مكان عال فوقهم، يأتي من مكان أجوف، حسبما كان يبدو، جمعت درجات أصواتهم في صوت واحد وأطلقها تتدافع وتضرب على الجدران الصخرية.

وهكذا عاد ملك المارك منتصرًا من الغرب إلى دونهارو أسفل سفوح الجبال البيضاء. وهناك وجد القوة المتبقية من شعبه متجمعة بالفعل؛ لأنه بمجرد أن شاع خبر قدومه سار القادة لملاقاته عند المخاضة، حاملين رسائل من جَنْدَلْف. كان على رأسهم دونهير، زعيم شعب وادي هاروديل، وقال له:

«عند الفجر، منذ ثلاثة أيام مضت يا مولاي، جاء شادوفاكس مثل الريح من الغرب إلى إدوراس، وجلب جَنْدَلْف أخبارًا عن انتصارك ليسر بها قلوبنا. ولكنه جلب أخبارًا أيضًا منك بالإسراع في تجميع الخيالة. وعندئذ جاء الظل المجنح».

وقال ثيودن: «الظل المجنح؟ ونحن رأيناه أيضًا، ولكن ذلك كان في هدأة الليل قبل أن يتركنا جَنْدَلْف».

وقال له دونهير: «ربما يا مولاي. ولكنه هو نفسه، أو واحد آخر مثله، ظلمة طائرة في شكل طائر هائل، مرت فوق إدوراس في ذلك الصباح، وارتعش كل الرجال خوفًا؛ لأنه كان منحنيًا فوق ميديوسيلد، وجاء منخفضًا، حتى كاد يلمس الجَمْلون[1]، جاءت صيحة أوقفت قلوبنا. عندئذ أشار علينا جَنْدَلْف بأن لا نتجمع في الحقول، ولكن أن نلقاك هنا في الوادي تحت الجبال. وطلب منا ألا نشعل المزيد من المصابيح أو النيران أكثر من أقل القليل الذي تتطلبه الحاجة. وهكذا فعلنا. كان جَنْدَلْف يتحدث بنفوذ عظيم. كنا نثق به أنه مثلما كنت سترغب وتشاء. لم يرَ أي شيء في وادي هاروديل من هذه الأشياء الشريرة».

وقال ثيودن: «لقد أحسنتم صنعًا. سوف أسير الآن إلى المعقل، وهناك قبل أن أخلد إلى الراحة سوف أقابل المارشالات القادة. اطلبوا منهم أن يأتوا إليَّ بأسرع ما يمكن!».

وراح الطريق عندئذ يقودهم نحو الشرق في خط مستقيم عبر الوادي، والذي كان عرضه عند تلك النقطة أكثر قليلًا من نصف الميل. كانت هناك مسطحات ومروج من عشب خشن، كان مظلمًا الآن في ظل الليل الذي راح يحل بالمكان، تقع في كل مكان حولهم، ولكن في المقدمة على الجانب البعيد من الوادي رأى ميري جدارًا عابسًا، آخر طبقة خارجية من الجذور العظيمة لجبل ستارك هورن، شقه النهر على مدار عصور مضت.

في جميع المساحات المستوية الخالية كان هناك حشد هائل من الرجال. كان بعضهم محتشدًا على جانب الطريق، يحيون الملك والخيالة الذين جاءوا من الغرب بصيحات سعيدة؛ ولكن كانت هناك صفوف من خيام وحجيرات، وصفوف من خيل مشدودة إلى أوتاد، ومخزون كبير من سلاح، ورماح مكومة تلمع مثل أجمات الأشجار المزروعة حديثًا، كلها ممتدة بعيدًا على بعد مسافة كبيرة وراءهم وكلها مرتبة. والآن كانت هناك مجموعة كبيرة تتحول إلى ظل، ومع ذلك، على الرغم من أن هواء الليل القارص كان يهب باردًا من المرتفعات، لم يتوهج أي مصباح، ولم يتم إشعال أي نار. راح الحراس الذين كانوا يرتدون معاطف ثقيلة يجوبون المكان جيئة وذهابًا.

وتساءل ميري كم كان يبلغ الخيالة الذين كانوا موجودين؟ لم يستطع أن يخمن عددهم في الظلمة المتكاثرة، ولكن بدا له مثل جيش عظيم، قوامه عدة آلاف. وبينما كان يحدق من جانب إلى جانب ظهرت مجموعة الملك أسفل الجرف الذي كان يلوح أمامه على الجانب الغربي من الوادي؛ وهناك بدأ الطريق فجأة في الصعود، ونظر

(1) الجَمْلون الجزء الأعلى، المثلث الزوايا من جدار مكتنف بسطحين منحدرين (قاموس المورد) (المترجم)

ميري لأعلى في ذهول. كان على طريق لم يرَ له شبيهًا من قبل، عمل رائع صنعته أيدي البشر في سنوات تقع خارج نطاق الأغنية. وراح يتعرج لأعلى، يلتف مثل ثعبان، يشق طريقه عبر المنعطف الصخري شديد الانحدار. كان شديد الانحدار مثل درجات السلم، وراح يلتف للوراء وللأمام وهو يصعد. كان يمكن للخيل أن تسير فوقه، وكان يمكن دفع العربات فوقه ببطء؛ ولكن لا يمكن لأي عدو أن يأتي في هذا الطريق، إلا إذا جاء من الهواء، إذا كان محميًا من أعلى. في كل منعطف من الطريق كانت هناك حجارة عظيمة قائمة كانت قد نُحِتَت على أشكال البشر، ضخمة أجسادهم وأطرافهم خرقاء، جاثمون متصالبة سيقانهم وأذرعهم القصيرة البدينة مطوية على بطونهم البدينة. فقد بعضهم من البلى الذي أصابهم عبر السنين جميع السمات والملامح باستثناء الفتحات السوداء لأعينهم التي كانت لا تزال تحدق بحزن في المارة. قليلًا ما كان الخيالة ينظرون إليهم. كانوا يسمونهم رجال البوكيل الهمجيين[1]، وكانوا قليلًا ما يأبهون بهم: لم تكن قد تركت فيهم أي قوة أو رعب؛ ولكن ميري راح يحدق فيهم بعجب وشعور بالشفقة تقريبًا، وهم يبدون للعيان بحزن في الغسق.

بعد وقت قصير نظر للوراء ووجد أنه كان قد صعد بالفعل بعض المئات من الأقدام فوق الوادي، ولكنه كان لا يزال يرى بعيدًا أسفل منه على نحو مظلم صف متعرج من الخيالة يعبر المخاضة ويصطف بطول الطريق باتجاه المعسكر الذي أعد لهم. الملك وحده وحراسه كانوا يصعدون إلى المعقل.

وأخيرًا وصلت مجموعة الملك إلى حافة حادة، ومر الطريق الصاعد إلى شق بين الجدران الصخرية، وهكذا راح يصعد منحدرًا قصيرًا ويخرج منه إلى مرتفع أرضي واسع. كان البشر يسمونه فيريتفيلد، حقل جبلي أخضر من عشب ومرج، عاليًا فوق المسارات التي كانت تغوص عميقًا لنهر سنوبورن، موضوعة على كنف الجبال العظيمة وراءه: ستارك هورن باتجاه الجنوب، ونحو الشمال كتلة إرينساجا المسننة مثل المنشار، وواجه الخيالة بينها الجدار الأسود العابس لجبل دويمربرج[2]، الجبل المسكون يخرج من منحدرات شديدة الانحدار لأشجار الصنوبر الكثيبة داكنة الألوان. وكان هناك خط مزدوج يقسم النجد المرتفع إلى قسمين من صخور قائمة لا أشكال لها تضاءلت في الغسق وتلاشت في الأشجار. أولئك الذين كان يجرءون على تتبع ذلك الطريق وصلوا سريعًا إلى ديمهولت أسفل جبل دويمربرج، وتهديد العمود الصخري، والظل الواسع للباب المحظور.

(1) Púkel-men من الممكن حسب المؤلف الاحتفاظ بالجزء Púkel دون ترجمة، وغالبًا ما ينظر إلى الكلمة على وجه العموم على أنها مساوية لكلمة Drúedain أي البشر الهمجيين (المترجم)

(2) Dwimorberg = The Haunted Mountain؛ أي الجبل المسكون (المترجم)

ذلك كان ملاذ دونهارو المظلم من صنيع البشر الذي نُسوا منذ زمن طويل. ضاع اسمهم ولم تكن تخلده لا أغنية ولا أسطورة.

لم يكن بإمكان أي أحد من روهان أن يعلم الغرض الذي صنعوا من أجله هذا المكان، كمدينة أو كمعبد سري أو كقبر للملوك. هنا راحوا يكدون ويكدحون في سنين الظلام، قبل أن تأتي أي سفينة على الإطلاق إلى الشواطئ الغربية، أو قبل أن تبنى جندور مملكة الدونادانيين؛ والآن فإنهم قد تلاشوا، ولم يترك سوى رجال البوكيل الهمجيين، الذين لا يزالون جالسين عند منعطفات الطريق.

راح ميري يحدق في صفوف الصخور السائرة؛ كانت بالية وسوداء؛ كان بعضها هزيلًا، وكان بعضها متساقطًا، وكان البعض مشروخًا أو مكسرًا؛ كانت تبدو مثل صفوف من أسنان عجوز جائعة. وتساءل عما عساها أن تكون، وتمنى أن لو كان الملك لن يتبعهم إلى الظلمة فيما وراء هذا المكان. عندئذ رأى أنه كانت هناك مجموعات من خيام وحجيرات على كل جانب من الطريق الحجري؛ ولكن لم تكن هذه موضوعة بالقرب من الأشجار، بل بدا أنها تحتشد بعيدًا عنها باتجاه حافة الجُرف. كان العدد الأعظم في اليمين، حيث كان حقل فيرينفيلد أكثر اتساعًا؛ وفي الشمال كان هناك معسكر أصغر، كان يقف في وسطه فسطاط طويل. ومن هذا الجانب خرج خيال عندئذ لملاقاتهم، وأخذوا جانبًا من الطريق.

ولما اقتربوا، رأى ميري أن الخيال كان امرأة شعرها مضفر طويل يتوهج في الشفق، ولكنها كانت تلبس خوذة وكانت مرتدية ثيابًا حتى خصرها مثل المحاربين وكانت محزمة بسيف.

وصاحت قائلة: «مرحبًا، يا ملك المارك! إن قلبي سعيد بعودتك».

وقال ثيودن: «وأنت يا إيووين، هل كل شيء على ما يرام معك؟».

وأجابته قائلة: «كل شيء على ما يرام»؛ ولكن بدا لميري أن صوتها قد خانها، وكان من الممكن أن يظن أنها كانت تبكي، إذا كان بالإمكان اعتقاد أن يصدر ذلك الفعل من وجه بهذه الصرامة. «كل شيء على ما يرام. لقد كان طريقًا مرهقًا بالنسبة للأشخاص الذين يسلكونه، وقد انفصلوا فجأة عن ديارهم. كانت هناك كلمات قاسية؛ لأنه مضى زمن طويل منذ أن ساقتنا الحرب من الحقول الخضراء؛ ولكن لم تكن هناك أي أعمال شريرة. كل شيء الآن مرتب، حسبما ترى. وقد تم إعداد سكنى لك؛ لأنها كانت لديّ أخبار كاملة عنك وعرفت بساعة وصولك».

فقال إيومر: «إذن فقد جاء أراجورن. ألا يزال هنا؟».

«لا، لقد مضى»؛ قالت ذلك إيووين وهي تلتفت بعيدًا وتنظر إلى الجبال المظلمة قبالة الشرق والجنوب.

وسألها إيومر: «وإلى أين ذهب؟».

وأجابته هي بقولها: «لا أدري. جاء في الليل، وسار بعيدًا صباح أمس، قبل أن تصعد الشمس فوق قمم الجبال. لقد مضى».

وقال ثيودن: «أنت محزونة يا ابنتي. ما الذي حدث؟ أخبريني، هل تحدث عن ذلك الطريق؟». وأشار بعيدًا عبر خطوط الصخور المظلمة باتجاه جبل دويمربرج. «عن طريق مجازات الموتى؟».

وقالت له إيووين: «نعم يا مولاي. وقد عبر إلى الظل الذي لا يرجع منه أحد. لم أستطع ثنيه عما كان ينتويه. لقد مضى».

وقال إيومر: «إذن فقد تفرقت بنا السبل. لقد ضاع. يجب علينا أن نسير بدونه، وأملنا يتضاءل ويذوي».

وفي بطء مروا عبر المرج وعشب المناطق المرتفعة، ولم يعودوا يتحدثون، حتى وصلوا إلى فسطاط الملك. وهناك وجد ميري أن كل شيء كان مجهزًا، وأنه هو نفسه لم يُنس. تم نصب خيمة صغيرة له إلى جوار سكنى الملك؛ وهناك جلس وحده، بينما راح الرجال يذرعون المكان جيئة وذهابًا؛ ذاهبين إلى الملك ومتشاورين معه. وحل الليل وتغطت رؤوس الجبال نصف المرئية باتجاه الجنوب بالنجوم، ولكن الشرق كان مظلمًا وكئيبًا. وتلاشت الصخور السائرة بطيئًا وغابت عن الرؤية، ولكن مازال ما وراءها، أكثر سوادًا من الظلمة، يجثم الظل الهائل الرابض لجبل دويمربرج.

وغمغم قائلًا لنفسه: «طريق مجازات الموتى. طريق مجازات الموتى؟ ماذا يعني كل هذا؟ لقد تركوني كلهم الآن. لقد ذهبوا جميعًا إلى هلاك معين: جندلف وبيبين إلى الحرب في الشرق؛ وسام وفرودو إلى موردور؛ وسترايدار وليجولاس إلى طريق مجازات الموتى. ولكن دوري سوف يأتي سريعًا بالشكل الكافي حسب ظني. وإني لأعجب ما الذي يتحدثون جميعًا عنه، وما الذي ينوي الملك أن يفعله؛ لأنه يجب علي أن أذهب إلى حيث يذهب هو الآن».

في وسط هذه الأفكار الكئيبة، تذكر فجأة أنه كان جائعًا للغاية، ونهض ليذهب ويرى إذا كان أي شخص آخر في هذا المعسكر الغريب يشعر بنفس الشعور. ولكن في تلك اللحظة نفسها انطلق بوق مدويًا، وجاء رجل ليستدعيه، فارس الملك ليكون في الخدمة على مائدة الملك.

في الجزء الداخلي من الفسطاط كانت هناك مساحة صغيرة، محاطة بستائر مطرزة ومكسوة بالجلود؛ وهناك على طاولة صغيرة كان الملك يجلس مع إيومر وإيووين، ودونهير، سيد هاروديل. وقف ميري إلى جوار مقعد الملك وانتظر في خدمته بانتظار الأوامر، حتى التفت الرجل العجوز إليه، وقد عاد من تفكير عميق، وابتسم، وقال له:

«تعال أيها السيد مريادوك! إنك لن تقف. سوف تجلس إلى جواري، مادمت أنا في بلادي، وتبهج قلبي بالحكايات».

وتم إفساح مكان للهوبيتي على الجانب الأيسر للملك، ولكن لم يطلب أحد أي حكايات. كان هناك في واقع الأمر القليل من الكلام، وراحوا يأكلون ويشربون في الجزء الأعظم من الوقت في صمت حتى سأل ميري أخيرًا وقد استجمع شجاعته السؤال الذي كان يعذبه، وقال:

«مرتين الآن يا مولاي سمعتُ فيهما عن طريق مجازات الموتى. ما هي هذه المجازات؟ وأين ذهب سترايدار أقصد الملك أراجورن؟».

وتنهد الملك، ولكن لم يجبه أحد، حتى تحدث إيومر أخيرًا قائلًا: «إننا لا ندري، وقلوبنا مثقلة بالحزن. ولكن بالنسبة لمجازات الموتى، فإنك أنت نفسك قد سرت على درجاتها الأولى. كلا، إنني لا أتحدث بكلمات مشئومة! الطريق الذي صعدناه هو المدخل إلى الباب، هناك في ديمهولت. ولكن ما الذي يقع وراءه، فلا يعرفه أي رجل».

وقال ثيودن: «لا يعرفه أي رجل، ولكن الأسطورة القديمة، التي ندر التحدث بها حاليًا، لديها شيء لتقصه وتنقله. إذا كانت هذه الحكايات القديمة تخبر الحقيقة التي جاءت متنقلة من أب إلى ابن في منزل إيورل، ففي هذه الحال فإن الباب الذي يقع أسفل جبل دويمربرج يؤدي إلى طريق سري يسير أسفل الجبل إلى نهاية منسية. ولكن لم يغامر أحد قط بالدخول فيه للتفتيش عن أسراره، منذ أن قام بالدور ابن بريجو بعبور الباب ولم يرَ بين البشر بعد ذلك أبدًا مرة أخرى. لقد أقسم قسمًا طائشًا، وهو ينفخ البوق حتى آخر نفس في ذلك الاحتفال الذي أقامه بريجو احتفالًا بميديوسيلد التي بنيت حديثًا، ولم يعد أبدًا إلى الكرسي العالي الذي كان هو وريثًا له.

«يقول العامة إن الرجال الميتين من سنوات الظلام يحرسون الطريق ولن يطيقوا أو يسمحوا لأي رجل حي أن يأتي إلى قاعاتهم الخفية؛ ولكن في بعض الأوقات فإنهم هم أنفسهم قد يرون مارين عبر الباب نحو الخارج مثل ظلال ويهبطون عبر الطريق الصخري. عندئذ يقوم شعب هاروديل بإحكام غلق أبوابهم وتغطية نوافذهم وينتابهم الخوف. ولكن الموتى نادرًا ما يخرجون ويأتون ولا يحدث ذلك إلا في أوقات القلق العظيم والموت القادم».

وقالت إيووين في صوت منخفض: «ولكن يُقال إنه في هاردويل في الليالي التي لا يظهر فيها القمر منذ وقت قصير فقط مرت مجموعة كبيرة في زي غريب. من أين أتوا، لا يدري أحد، ولكنهم ذهبوا صاعدين الطريق الصخري وتلاشوا في التل، كما لو أنهم ذهبوا إلى اجتماع».

وسأل ميري: «إذن لماذا سلك أراجورن ذلك الطريق؟ ألا تعرفون أي شيء من شأنه أن يفسر ذلك؟».

فقال إيومر: «إلا إذا كان قد تحدث بكلمات معك بصفتك صديقًا له لم نسمعها نحن، لا يستطيع أي أحد الآن في أرض الأحياء أن يعرف غرضه».

وقالت إيووين: «بدا لي أنه تغير تغيرًا كبيرًا منذ أن رأيته المرة الأولى في منزل الملك، أكثر تجهمًا وأكبر سنًا. ظننته مقدورًا عليه الموت، وأنه مثل شخص يناديه الموتى».

وقال ثيودن: «ربما يكون قد تم استدعاؤه، وقلبي يحدثني أنني لن أراه مرة أخرى. إلا أنه رجل ملكي له مصير وشأن عظيم. وتعزي بهذا يا ابنتي حيث إنه يبدو أنك تحتاجين إلى العزاء والمواساة في حزنك على هذا الضيف. يُقال إنه عندما جاء شعب إيورل[1] من الشمال ومروا أخيرًا عبر نهر سنوبورن، باحثين عن أماكن حصينة يلوذون بها في وقت الحاجة، فإن بريجو وابنه بالدور صعدوا سلم المعقل وهكذا جاءوا أمام الباب. على العتبة كان يجلس رجل عجوز، كبير السن بما يفوق أي تخمين لعدد السنين؛ طويل وكان مظهره ملكي الهيئة، ولكن عندئذ كان ذابلًا ضعيفًا كصخر عجوز. حقًا لأنهم اعتبروه حجرًا؛ لأنه لم يكن يتحرك، ولم ينطق بكلمة، حتى حاولوا المرور منه والدخول. وعندئذ خرج منه صوت، كما لو كان يخرج من الأرض، ولدهشتهم تحدث باللغة الغربية: الطريق مغلق.

«عندئذ توقفوا ونظروا إليه ورأوا أنه كان لا يزال حيًا؛ ولكنه لم ينظر إليهم. وراح صوته يقول مجددًا الطريق مغلق. لقد صنعه أولئك الذين هم موتى، والموتى يحرسونه ويحفظونه، حتى يحين الوقت. الطريق مغلق.

وقال بالدور: «ومتى سيأتي ذلك الوقت؟». ولكنه لم يحصل على أي إجابة قط؛ لأن الرجل العجوز مات في تلك الساعة ووقع على وجهه؛ ولم يعلم قومنا أي أخبار أخرى عن السكان القدامى في الجبال منذ ذلك الحين. ولكن ربما يكون الوقت الذي جرى التكهن به قد جاء أخيرًا، وقد يعبر أراجورن».

فقال إيومر: «ولكن كيف سيكتشف رجل ما إذا كان الوقت قد حان أم لا، اللهم إلا عن طريق التجرؤ وعبور الباب؟ ولن أمر من هذا الطريق حتى ولو كانت جميع حشود موردور تقف أمامي، وكنت وحيدًا وليس أمامي أي ملاذ آخر. يا للحسرة أن تحل حالة مزاجية دافعة للموت برجل عظيم القلب على هذا النحو في هذه الساعة من الحاجة! أليست هناك أشياء شريرة بالقدر الكافي بالخارج دون البحث عنها تحت الأرض؟ الحرب على الأبواب».

وتوقف عن الكلام؛ لأنه عند تلك اللحظة كان هناك صخب بالخارج، صوت رجل يصيح باسم ثيودن، واعتراض الحراس.

(1) Eorlingas شعب إيورل؛ أي الروهيريميين. (المترجم)

في هذا الوقت، اندفع قائد الحرس من جانب الستارة وقال: «رجل هنا يا مولاي، حامل رسالة من جوندور. وهو يرغب في أن يمثل أمامكم في الحال».

فقال ثيودن: «دعه يدخل!».

ودخل رجل طويل، وحبس ميري صرخة؛ للحظة بدا له أن بورومير كان على قيد الحياة مرة أخرى وقد عاد. عندئذ رأى أن الأمر لم يكن كذلك؛ لقد كان الرجل غريباً، على الرغم من أنه كان شبيهًا ببورومير كما لو كان واحدًا من أقاربه، طويلًا ورمادي العينين وبه فخر وكبرياء. كان مرتديًا ثياب الخيالة وعليه معطف أخضر داكن على معطف من درع رقيق؛ في مقدمة خوذته كان مصنوعًا نجم ذهبي. كان يحمل في يده سهمًا واحدًا، مريشًا بريش أسود أسلاكه من صلب، ولكن السن كانت مطلية بلون أحمر.

ونزل على إحدى ركبتيه وقدم السهم لثيودن، وقال: «مرحبًا يا ملك الروهيريميين، صديق جوندور! أنا هيرجون، حامل رسائل دنثور الذي يجلب لك هذه الأمارة على الحرب. إن جوندور في مسيس الحاجة. لطالما ساعدنا الروهيريميين، ولكن الآن فإن الملك دنثور يطلب كل قوتكم وكل سرعتكم، خشية أن تسقط جوندور في النهاية».

«السهم الأحمر!». قال ذلك ثيودن وقد أمسك به كشخص قد وصل إليه استدعاء انتظره طويلًا ولكنه كان مروعًا عندما وصل. وارتعشت يده. «لم يُر السهم الأحمر في المارك في كل سنوات عمري! هل وصل الأمر حقًا إلى هذا؟ وماذا يعتقد الملك دنثور ما عسى أن تكون كل قوتي وسرعتي عليه؟».

فقال هيرجون: «أنت أفضل من يعرف ذلك يا مولاي. ولكن قبل أن يمضي زمن طويل قد يصل الأمر إلى أن يتم تطويق ميناس تيريث، وما لم تكن لديك القوة لكسر حصار ضربته قوى كثيرة، فإن الملكَ دنثور يأمرني أن أقول إنه يرى أن أسلحة الروهيريميين القوية من الأفضل أن تكون داخل جدرانه من أن تكون خارجها».

«ولكنه يعلم أننا شعب يفضل القتال على صهوة الجياد وفي العراء، وأننا أيضًا شعب مشتت وهناك حاجة إلى الوقت لتجميع خيالتنا. إنه غير صحيح يا هيرجون أن سيد ميناس تيريث يعلم أكثر مما يضع في رسالته؛ لأننا بالفعل في حرب، حسبما تكون قد رأيت، ولا تجدنا جميعًا غير مجهزين ومستعدين لقد كان جندلف الأشيب بيننا، بل وحتى في هذا الوقت فإننا نحتشد ونجمع كل قواتنا لمعركة في الشرق».

وأجابه هيرجون: «إن ما قد يعرفه أو يخمن الملك دنثور بشأن كل هذه الأشياء لا يمكنني قوله. ولكن حقًا فإن حالتنا ماسة يائسة. إن مولاي لا يصدر لكم أي أوامر، إنه يرجوكم فقط أن تتذكروا الصداقة القديمة والأيمان التي أقسمتموها منذ زمن طويل، ولمصلحتك وخيرك أن تفعل كل ما قد يكون بإمكانك. لقد ورد إلينا أن ملوكًا كثيرين قد ساروا من الشرق إلى خدمة موردور. من الشمال إلى حقل داجورلاد هناك مناوشة

وإشاعة حرب. في الجنوب، الهارادريميين يتحركون، وقد حل الخوف بكل أراضينا الساحلية، لهذا السبب فإن تلك المساعدة القليلة سوف تأتينا. أسرعوا! لأن مصير وقتنا سوف يتقرر أمام جدران ميناس تيريث، وإذا لم يتم كبح المد وصده هناك، فإنه سوف يتدفق عندئذ ويطغى على جميع حقول روهان الجميلة، وحتى في هذا المعقل بين التلال لن يكون هناك أي ملجأ أو مأوى يلاذ به».

وقال ثيودن: «أخبار شريرة، ولكنها ليست كلها غامضة لم نخمنها. ولكن قل لدنثور أنه حتى لو أن روهان نفسها لم تستشعر أي خطر، فإننا سوف نهب لمساعدته مع ذلك. ولكننا تعرضنا لخسارة كبيرة في معاركنا مع سارومان الخائن، ولا يزال يتوجب علينا أن نفكر في جبهتنا في الشمال والشرق، وأخباره تجعل ذلك واضحًا. إن قوة بهذه العظمة مثل سيد الظلام تبدو الآن قد تجمعت قد تحتوينا جيدًا في معركة أمام المدينة ومع ذلك تضرب بقوة عظيمة عبر النهر بعيدًا فيما وراء بوابة الملوك.

«ولكننا لن نتحدث بكلمات الحذر والتدبر أكثر من ذلك. سوف نأتي. لقد تم ترتيب أخذ الأسلحة من المستودع ليوم غد. عندما يتم ترتيب كل شيء، سوف نخرج. عشرة آلاف حربة كان بإمكاني أن أرسلها تسير على صهوة الخيل على السهل لترعب خصومكم. سوف تكون أقل الآن، فيما أخشى؛ لأنني لن أترك معاقلي دون حراسة. بيد أن ستة آلاف على الأقل سوف يسيرون ورائي. قل لدنثور أنه في هذه الساعة فإن ملك المارك نفسه سوف يأتي إلى أرض جوندور، على الرغم من أنه ربما لا يعود. ولكنه طريق طويل، ويجب أن يصل الإنسان والحيوان إلى النهاية بقوة تكفي للقتال. ربما يستغرق الأمر أسبوعًا من صباح غد قبل أن تسمع صيحة أبناء إيورل قادمين من الشمال».

فقال هيرجون: «أسبوع! إذا كان لا بد من ذلك، فلا بد منه. ولكن من المحتمل أن لا تجد سوى جدران مهدمة في سبعة أيام من الآن، ما لم تأت نجدة أخرى غير متوقعة. ومع ذلك، فقد تقوم على الأقل بإقلاق الأوركيين والبشر ذوي البشرة الداكنة من وليمتهم في البرج الأبيض».

وقال ثيودن: «على الأقل سوف نفعل ذلك. ولكن أنا نفسي قدمتُ لتوي من معركة ورحلة طويلة، وسوف أذهب الآن لأستريح. ابقَ هنا هذه الليلة. عندئذ سوف تنظر إلى جيش روهان المحتشد وتسير بعيدًا وأنت أكثر سرورًا بالمنظر، والأسرع من أجل الراحة. في الصباح التشاور والنصيحة تكون أفضل، والليل يغير الكثير من الأفكار».

وبهذه الكلمات وقف الملك، ووقفوا جميعًا، وقال: «اذهبوا الآن كل إلى مخدعه، وناموا جيدًا. وأنت أيها السيد مريادوك، لا أحتاج إلى المزيد الليلة. ولكن استعد لاستدعائي لك بمجرد أن تشرق الشمس».

ورد ميري بقوله: «سوف أكون مستعدًا، حتى لو أمرتني أن أخرج معك في طريق مجازات الموتى».

وقال الملك: «لا تتكلم بكلمات مشئومة. لأنه قد يكون هناك أكثر من طريق يحمل ذلك الاسم. ولكني لم أقل إنني سآمرك أن تذهب معي إلى أي طريق. طابت ليلتك!».

وقال ميري: «لن أترك هنا، ليتم استدعائي وطلبي عند العودة! لن أترك هنا، لن أترك». وراح يكرر هذه العبارة لنفسه مرارًا وتكرارًا حتى راح في النوم أخيرًا في خيمته.

وأيقظه رجل وهو يهزه، ويصيح: «استيقظ، استيقظ، استيقظ أيها السيد هولبيتلا[1]!»؛ وأخيرًا عاد ميري من حلم عميق وجلس وهو يحدق فيما حوله. وفكر مع نفسه لا تزال الدنيا مظلمة جدا، وسأله قائلًا:

«ما الخطب؟».

«الملك يطلبك».

وقال ميري: «ولكن الشمس لم تشرق بعد».

«كلا، ولن تشرق اليوم، أيها السيد هولبيتلا. ولن تشرق أبدًا مرة أخرى، هكذا يظن الواحد تحت هذه السحابة. ولكن الوقت لا يتوقف، على الرغم من أن الشمس قد تكون قد ضاعت. أسرع!».

وسريعًا وضع ميري بعض الثياب على جسمه ونظر للخارج. كان العالم مظلمًا. الهواء نفسه كان يبدو بنيًا، وكانت كل الأشياء حوله سوداء ورمادية ولا ظلال لها؛ كان هناك سكون عظيم. لم يكن هناك شكل لسحابة يمكن رؤيته، ما لم يكن بعيدًا جدًا باتجاه الغرب، حيث كانت أصابع الظلمة العظيمة البعيدة المتحسسة لا تزال تزحف مندفعة إلى الأمام وتسرب ضوء قليل عبرها. وكان معلقًا فوقهم سقف ثقيل، مظلم كئيب وعديم الملامح، وبدا الضوء يذبل لا يكبر.

رأى ميري الكثير من الأشخاص واقفين، ينظرون لأعلى ويغمغمون؛ كانت جميع وجوههم كئيبة وحزينة، وكان بعضها خائفًا. وبقلب غائر شق طريقه إلى الملك. كان هيرجون خيال روهان هناك أمامه، وإلى جواره كان يقف عندئذ رجل آخر، مثله ومرتديًا زيًا مثله، ولكنه كان أقصر وأعرض. وعندما دخل ميري كان يتحدث مع الملك، وقال:

«إنه يأتي من موردور يا مولاي. لقد بدأ ليلة أمس عند غروب الشمس. من التلال في الطية الشرقية من مملكتكم رأيته يرتفع ويزحف عبر السماء، وطوال الليل وأنا أسير كان يسير ورائي يأكل النجوم. والآن فإن السحب العظيمة تتعلق فوق الأرض من هنا إلى جبال الظل؛ وهو يزداد عمقًا. لقد بدأت الحرب بالفعل».

(1) Holbytlan الأصل القديم لكلمة ‹Hobbit› أي الهوبيتي. (المترجم)

وجلس الملك في صمت لبعض الوقت. وأخيرًا تحدث قائلًا: «وهكذا فقد وصلنا إليها في النهاية، معركة زماننا العظيمة، التي ستختفي من الوجود فيها الكثير من الأشياء. ولكن على الأقل لن تعود هناك حاجة إلى الاختفاء. سوف نسير في الطريق المستقيم وفي الطريق المكشوف في العراء وبكل ما لدينا من سرعة. سوف يبدأ الجيش المسير في الحال، ولن ننتظر لأي شخص يتخلف. هل لديكم مخزون جيد في ميناس تيريث؟ لأنه إذا كان يتوجب علينا أن نسير الآن بكل سرعة وعجلة، عندئذ ينبغي علينا أن نسير خفافًا، ليس معنا سوى ما يكفي من الطعام والشراب حتى نصل إلى المعركة».

وأجابه هيرجون: «لدينا مخزون كبير للغاية أعددناه منذ زمن طويل. سيروا الآن بخفة وسرعة قدر استطاعتكم!».

فقال ثيودن: «عندئذ ناد على السفراء يا إيومر. ليتم تنظيم وترتيب الخيالة!».

وخرج إيومر، وفي الوقت الحالي دوت الأبواق في المعقل، وأجابتها أبواق كثيرة أخرى من أسفل؛ ولكن أصواتها لم تعد تدوي واضحة وشجاعة مثلما كانت قد بدت لميري في الليلة السالفة. بدت له كئيبة وخشنة في الهواء الثقيل، تنعق بشكل مشئوم.

والتفت الملك إلى ميري وقال: «إنني ذاهب إلى الحرب أيها السيد مريادوك. بعد وقت قصير سوف أسلك الطريق. إنني أعفيك من خدمتي، ولكن ليس من صداقتي. سوف تبقى هنا، وإذا أردت، سوف تخدم السيدة إيووين، التي ستحكم الشعب بدلًا مني».

وقال ميري متلعثمًا: «ولكن، ولكن يا مولاي، لقد قدمت لك سيفي. لا أريد أن افترق عنك بمثل هذه الطريقة، أيها الملك ثيودن. ومثلما ذهب أصدقائي جميعًا إلى القتال، فسوف يكون من الخزي والعار عليّ أن أظل هنا».

فقال ثيودن: «ولكننا نركب على خيل طويلة وسريعة، ومهما يكن قلبك عظيمًا، لا يمكنك أن تركب تلك الحيوانات».

فقال ميري: «عندئذ اربطوني على ظهر واحد منها، أو اتركوني أتعلق على ركاب، أو شيء ما. إنه طريق طويل للغاية بحيث لا يمكنني أن أقطعه جريًا؛ ولكني سوف أجري، إذا لم أستطع الركوب، حتى لو أنني أبليت قدميّ ووصلت متأخرًا بعد أسابيع».

وتبسم ثيودن، وقال: «بدلًا من ذلك يمكنني أن أحملك معي على حصاني سنومين. ولكن على الأقل سوف تركب معي إلى إدوراس وتنظر إلى ميديوسيلد؛ لأنني سوف أسلك ذلك الطريق. يمكن أن يحملك ستيبا[1] إلى هذا المكان: لن يبدأ السباق العظيم حتى نصل السهول».

(1) Stybba حصان ميري في الجبال البيضاء. (المترجم)

عندئذ نهضتْ إيووين، وقالت: «هيا الآن يا مريادوك. سوف أريك العدة التي جهزتها لك». وخرجا معًا. وقالت له إيووين وهما يمران بين الخيام: «هذا الطلب فقط طلبه أراجورن مني، أنه ينبغي تجهيزك للمعركة. وقد وافقت على ذلك قدر استطاعتي؛ لأن قلبي يخبرني أنك ستحتاج إلى هذه العدة والعتاد قبل النهاية».

وعندئذ قادت ميري إلى حجرة صغيرة بين ثكنات حراس الملك؛ وهناك أحضر لها صانع الدروع خوذة صغيرة، ودرعًا مدورًا، وعدة أخرى.

وقالت إيووين: «ليس لدينا درع واقٍ يناسبك، وليس هناك أي وقت لنصنع لك درعًا واقيًا؛ ولكن ها هي أيضًا سترة شديدة من جلد، وحزام، وسكين. ولديك سيف».

وانحنى ميري، وأرته السيدة الدرع الذي كان شبيهًا بالدرع الذي أُعطي لجيملي، وكان يظهر عليه شعار الحصان الأبيض، وقالت: «خذ كل هذه الأشياء، واحملها إلى حظ سعيد! الوداع الآن، أيها السيد مريادوك! ولكن ربما نلتقي مرة أخرى، أنا وأنت».

وهكذا كان وسط ظلمة متكاثرة، استعد ملك المارك ليقود خيالته إلى الطريق الشرقي. وكانت القلوب مثقلة بالأحزان وذوى الكثير منها في الظل. ولكنهم كانوا شعبًا صارمًا، ومخلصًا لمليكهم، وسُمع القليل من البكاء أو الغمغمة، حتى في المعسكر في المعقل حيث كان يتم إيواء المنفيين من إدوراس، نساء وأطفالا وشيوخًا. كان الهلاك يحلق فوقهم، ولكنهم كانوا يواجهونه في صمت.

ومرت ساعتان سريعتان، وجلس الملك عندئذ على حصانه الأبيض، يتوهج في العتمة. وبدا أبيًا وطويلًا، على الرغم من أن الشعر الذي كان ينساب تحته خوذته الطويلة كان مثل الثلج؛ وتعجب الكثيرون منه وتشجعوا لرؤيته غير محني الظهر غير هيّاب.

وهناك على السهول الواسعة إلى جوار النهر الصاخب انتظموا في الكثير من السرايا تقارب خمسمائة خيالة وخمسة في كامل عدتهم مدججين بالسلاح، والكثير من المئات من رجال آخرين بخيل إضافية عليها أحمال خفيفة. وانطلق صوت بوق واحد. ورفع الملك يده، وبعد ذلك بدأ جيش المارك يتحرك. سار في المقدمة اثنا عشر من رجال منزل الملك، خيالة ذوو شهرة. عندئذ تبعهم الملك مع إيومر على يمينه. وكان قد ودع إيووين قبل ذلك فوق في المعقل، وكانت الذكرى حزينة؛ ولكن عندئذ حول عقله إلى الطريق الذي كان يقع أمامهم. ووراءه كان ميري يركب ستيبا مع خيالة موردور حملة الرسائل، ووراءهم مرة أخرى اثنا عشر آخرون من منزل الملك. ومروا عبر الطوابير الطويلة من الرجال المنتظرين بوجوه صارمة ثابتة رابطة الجأش. ولكن عندما كانوا قد وصلوا تقريبًا إلى نهاية الصف نظر واحد إلى أعلى يحدق بشدة في الهوبيتي. رجل شاب، ظنه ميري وهو ينظر إليه بدوره، أقل طولًا وضخامة

من معظم الآخرين. وشاهد وهج عينين رماديتين صافيتين؛ وعندئذ ارتعش؛ لأنه خطر بباله أنه كان وجه شخص لا أمل لديه يذهب سعيًا إلى الموت وبحثًا عنه.

وواصلوا سيرهم عبر الطريق إلى جوار نهر سنوبورن وهو يسير هادرًا متدفقًا على صخوره؛ عبر كفور أندرهارو وأبُورن، حيث كانت تطل عليهم من الأبواب المظلمة الكثير من وجوه النساء الحزينة؛ وهكذا بدون بوق أو قيثارة أو موسيقى من أصوات الرجال بدأت الرحلة العظيمة إلى الشرق التي كانت أغاني روهان مشغولة بها على مدار حيوات طويلة من البشر بعد ذلك.

من دونهارو المظلمة في الصباح المعتم
مع السادة والقادة سار ابن ثينجل:
ووصل إلى إدوراس، الأبهاء القديمة
لحكام المارك يغلفها السديم؛
وتلفعت الأشجار الذهبية بالظلمة.
وقال الوداع لشعبه الحر،
المدفأة والكرسي العالي، والأماكن المقدسة،
حيث احتفل طويلًا قبل أن يذبل الضوء.
وانطلق الملك سائرًا، والخوف وراءه،
والقدر أمامه. وحافظ على الولاء؛
والأيمان التي قطعها على نفسه، بر بها جميعًا
وانطلق ثيودن قدمًا. خمس أيام وليال
شرقًا وقدمًا سار شعب إيورل
عبر مناطق الفولد والفينمارتش والفيرينوود،
ستمائة حربة تحت قمة ميندولوين،
مدينة ملوك البحر في مملكة الجنوب
وقد حاصرها العدو، وطوقتها النار.
راح مصير الموت يدفعهم قدمًا. وتأخذهم الظلمة،
حصان وخيال؛ وعلى البعد ضربات الحوافر
غاصت في الصمت: هكذا تخبرنا الأغاني.

وكان حقًا في الظلمة المتراكمة أن وصل الملك إلى إدوراس، على الرغم من أن الوقت عندئذ لم يكن سوى الظهيرة حسب الساعة. وهناك توقف فقط لفترة قصيرة

وعزز جيشه بثلاث مجموعات من الخيالة كل منها عشرون رجلا جاءوا متأخرين إلى مستودع الأسلحة لأخذ أسلحتهم. والآن لما كانوا قد أكلوا استعد الملك للسير مرة أخرى، وودع فارسه المصاحب وداعًا لطيفًا. ولكن ميري رجاه للمرة الأخيرة ألا يفترق عنه.

وقال ثيودن: «ليست هذه رحلة لحصان مثل ستيبا، مثلما أخبرتُك من قبل. وفي معركة كهذه حسبما نعتقد في حقول جوندور ما الذي ستفعله، أيها السيد مريادوك، على الرغم من أنك نبيل من حملة السيف، وأعظم فؤادًا وشجاعة مما توحي به قامتك؟».

وأجابه ميري بقوله: «فيما يتصل بذلك، من الذي يمكنه أن يعرف؟ ولكن لماذا، يا مولاي، استقبلتني كحامل سيف، إذا لم يكن ذلك لأبقى إلى جوارك؟ ولن أدعهم يقولون في الأغاني أنني كنتُ دائمًا أُهمل وأتخلف في الوراء دائمًا وحسب!».

فأجابه ثيودن: «لقد استقبلتك للحفاظ عليك، وكذلك لتفعل مثلما قد آمرك. لن يستطيع أي من خيالتي أن يحملك كعبء. لو أن المعركة كانت أمام بواباتي، ربما كان سيتذكر أعمالك الشعراء والمغنون؛ ولكنها على بعد مائة واثنين فرسخ إلى موندبرج[1] حيث دنثور هو السيد هناك. لن أقول أكثر من ذلك».

وانحنى ميري وذهب بعيدًا في حزن، وراح يحدق في صفوف الفرسان. كانت السرايا والمجموعات قد استعدت بالفعل لبدء السير: كان الرجال يشدون أحزمة السروج، ويتحققون من السروج، ويربتون على خيلهم؛ راح بعضهم يحدق بقلق في السماء العابسة. وجاء خيال دون أن يلاحظه أحد وتحدث بصوت منخفض في أذن الهوبيتي، وهمس قائلًا:

«حيثما لا تريد الإرادة، يفتح طريق، هكذا نقول نحن؛ وهكذا قد وجدتُ نفسي». ونظر ميري لأعلى ورأى أنه كان الخيال الشاب الذي كان قد لاحظه في الصباح. «أنت ترغب في الذهاب إلى حيث يذهب ملك المارك: أرى ذلك في وجهك».

فقال ميري: «نعم أرغب في ذلك».

وقال الخيال: «إذن سوف تذهب معي. سوف أحملك أمامي، تحت معطفي حتى نكون بعيدين في الميدان، وهذه الظلمة أكثر ظلمة أيضًا. تلك الإرادة والرغبة يجب عدم إنكارها وحرمانها. لا تقل أكثر من ذلك لأي رجل، ولكن هيا!».

وقال ميري: «أشكرك حقًا! أشكرك يا سيدي، على الرغم من أنني لا أعرف اسمك».

وقال الخيال بصوت منخفض: «ألا تعرفه؟ إذن نادني درنهيلم».

(1) Mundburg اسم في روهان يطلق على [ميناس تيريث] ومعناه «Guardian Fortress» أي الحصن الحارس. (المترجم)

وهكذا حدث أنه عندما بدأ الملك المسير، جلس مريادوك الهوبيتي أمام درنهيلم، ولم يعبأ الجواد ويندفولا العظيم كثيرًا بالحمل؛ لأن درنهيلم كان أقل وزنًا من الكثير من الرجال، على الرغم من أن هيكله كان رشيقًا وجيد البنية.

وواصلوا سيرهم إلى الظل. وفي أجمات الصفصاف حيث كان نهر سنوبورن يتدفق إلى نهر إنتووش، على بعد اثني عشر فرسخًا إلى الشرق من إدوراس، عسكروا في تلك الليلة. وبعد ذلك واصلوا سيرهم مرة أخرى عبر منطقة فولدي[1]؛ وعبر منطقة فينمارتش[2]، حيث كانت على يمينهم تصاعد غابات البلوط الضخمة على جنبات التلال أسفل ظلال جبل هاليفيرين على حدود جوندور؛ ولكن على البعد على يسارهم كان السدم يرقد على المستنقعات تغذيه مصاب نهر إنتووش. وبينما كانوا يسيرون وصلت إليهم شائعات عن الحرب في الشمال. رجال عزل، يسيرون في جموح، أحضروا أخبارًا عن هجوم الأعداء على حدودهم الشرقية، وعن حشود الأوركيين وهي تسير في سهول روهان.

وصاح إيومر: «سيروا! سيروا! فات الأوان الآن لندور جانبًا. يجب أن تحمي مستنقعات الإنتووش جناحنا. نحتاج الآن إلى العجلة والسرعة. سيروا!».

وهكذا رحل الملك ثيودن من مملكته الخاصة، وميلًا فميلًا راح الطريق الطويل يتعرج بعيدًا، وتلال المنارات تسير أمامهم: كالينهاد، مين ريمون، إريلاس، ناردول. ولكن نيرانها كانت قد أطفئت. كانت جميع الأراضي مظلمة وساكنة؛ وراح الظل يزداد عمقًا أمامهم على الدوام، وراح الأمل يضعف في قلوب الجميع.

(1) Folde منطقة في روهان حول إدوراس. (المترجم)

(2) Fenmarch منطقة في روهان إلى الغرب من جدول ميرينج Mering Stream. (المترجم)

الفصل الرابع

حصـار جـونـدور

أيقظ جَنْدَلْف بيبين. أُشعلت الشموع في غرفتهما؛ لأنه لم يكن يأتي سوى ضوء معتم عبر النوافذ؛ كان الهواء ثقيلًا كما لو كان محملًا برعد وشيك.

وقال بيبين وهو يتثاءب: «كم الساعة الآن؟».

ورد عليه جَنْدَلْف: «بعد الساعة الثانية. حان الوقت لتنهض وتجعل نفسك حسن الطلعة. لقد تم استدعاؤك لسيد المدينة لتعرف مهامك وواجباتك الجديدة».

«وهل سيوفر لنا إفطارًا؟».

«لا! لقد وفرته أنا: هو كل ما ستحصل عليه حتى الظهيرة. يتم الآن توزيع الطعام في حصص حسب الأوامر».

ونظر بيبين في رثاء إلى الرغيف الصغير وقالب صغير غير كاف من زبد (هكذا فكر مع نفسه) خصص له ووضع أمامه، إلى جوار كأس من لبن ثخين، وقال: «لماذا أحضرتني إلي هنا؟».

فقال جَنْدَلْف: «أنت تعلم جيدًا. لأبعدك عن طريق الأذى؛ وإذا كنتَ لا تحب كونك هنا، يمكنك أن تتذكر أنك جلبت هذا على نفسك». ولم يتكلم بيبين بأكثر من ذلك.

وقبل أن يمضي وقت طويل، كان يمشي مع جَنْدَلْف مرة أخرى عبر الدهليز البارد إلى باب قاعة البرج. هناك كان دنثور يجلس في ظلمة كئيبة، مثل عنكبوت صبور عجوز، هكذا كان تفكير بيبين فيه؛ لم يكن يبدو أنه قد تحرك منذ يوم أمس. وأومأ لجَنْدَلْف بالجلوس، ولكن بيبين تُرك لبعضّ الوقت يقف دون أن يأبه به أحد. وفي الوقت الحالي التفت إليه الرجل العجوز:

«حسنًا أيها السيد برجرين، أتمنى أن تكون اعتدتَ بالأمس على نصيبك، وأنه كان على النحو الذي تحب؟ على الرغم من أنني أخشى أن مائدة الطعام ضئيلة في هذه المدينة أكثر مما يمكن أن تتمنى».

ساور بيبين شعور غير مريح ومقلق أن معظم ما كان قد قاله أو فعله كان معروفًا بحال من الأحوال لسيد المدينة، كما تم تخمين الكثير مما كان يفكر فيه أيضًا. ولم يجبه.

«ما الذي يمكن أن تفعله في خدمتي؟».

«ظننتُ يا سيدي أنك ستخبرني بواجباتي ومهامي».

وقال دنثور: «سوف أفعل، عندما أعلم ما أنت ملائم له. ولكن هذا سوف أعلمه في أسرع

وقت، ربما، إذا أبقيتُك إلى جواري. لقد طلب خادم غرفتي الإذن له للذهاب إلى الحامية الخارجية، ولذلك فإنك ستأخذ مكانه لبعض الوقت. سوف تقوم على خدمتي، وتحمل الرسائل، وتتحدث معي، إذا تركت لي الحرب والمجلس أي وقت فراغ. هل تستطيع الغناء؟».

فقال بيبين: «نعم. حسنًا، نعم، بشكل جيد على النحو الكافي لشعبي وقومي. ولكن ليست لدينا أغانٍ مناسبة للقاعات العظيمة والأوقات الشريرة، يا مولاي. نادرًا ما نغني عن أي شيء أكثر بشاعة من الريح أو المطر. ومعظم أغنياتي عن الأشياء التي تجعلنا نضحك؛ أو عن الطعام والشراب، بالطبع».

«ولماذا لن تكون تلك الأشياء غير مناسبة لقاعاتي، أو لتلك الساعات التي تشبه هذه الساعات؟ نحن الذين نعيش طويلًا تحت الظل قد نستمع بكل تأكيد للأصداء من أرض لم يقض مضجعها الظل؟ عندئذ قد نشعر أن يقظتنا لم تكن غير مثمرة، على الرغم من أنها قد لا تحصل على ما تستحق من شكر».

وحل الاكتئاب بقلب بيبين. إنه لم يستسغ فكرة أن يغني أي أغنية من أغاني المقاطعة لملك ميناس تيريث، وبكل تأكيد ليست الأغاني الهزلية التي يعرفها أفضل معرفة؛ كما أنها كانت أيضًا قروية ساذجة بالنسبة لمناسبة كهذه. ومع ذلك فإنه قد أُعفي من عناء المحنة في الوقت الحاضر. لم يؤمر بالغناء. والتفت دنثور إلى جَنْدَلْف، سائلًا أسئلة عن الرهويريميين وعن سياساتهم، ومركز إيومر، ابن أخ الملك. وتعجّب بيبين من القدر الذي كان يبدو أن الملك يعرفه عن شعب يعيش بعيدًا جدًا، على الرغم من أنه حسب ظنه لا بد أنه قد مضت سنين كثيرة مع ذلك منذ أن سار دنثور نفسه خارج بلاده.

وفي هذا الوقت أشار دنثور لبيبين وصرفه لبعض الوقت مرة أخرى، قائلًا: «اذهب إلى مستودعات الأسلحة في القلعة، واحصل على بزة وعتاد البرج لك. سوف يكون كل شيء معدًا. لقد صدر الأمر بذلك أمس. عد عندما تنتهي من ارتداء ذلك كله!».

وكان كما قال؛ وسريعًا وجد بيبين نفسه مرتديًا ملابس غريبة، كلها سوداء وفضية. كان لديك درع واقٍ صغير، كانت حلقاتها مصنوعة من صلب، ربما، ولكنها كانت سوداء مثل الكهرمان؛ وخوذة ذات تاج طويل بها أجنحة غربان صغيرة على كلا الجانبين، مرصعة بنجم فضي في وسط الدائرة. وفوق الدرع الواقي كان هناك معطف خارجي أسود، ولكنه كان مطرزًا على الصدر بلون فضي مع شارة الشجرة. وطويت ملابسه القديمة ووضعت جانبًا ليتم الاحتفاظ بها، ولكن سُمح له أن يحتفظ بمعطف لورين الرمادي، إلا أنه لم يُسمح له بارتدائه عندما يكون في نوبة خدمة. كان يبدو عندئذ، لو أنه كان يعرف ذلك، حقًا إميل آي فيرياناث[1]، أمير الأنصاف، الذي أطلقه عليه القوم؛ ولكنه شعر بقلق وعدم الراحة. وبدأت الكآبة تثقل مزاجه ومعنوياته.

(1) Ernil i Pheriannath الاسم الذي أطلق عليه، ومعناه أمير الأنصاف. (المترجم)

كانت الدنيا مظلمةً ومعتمة طوال اليوم. راح الظل الثقيل يزداد عمقًا من الفجر الذي لم ير الشمس حتى المساء، وكانت جميع القلوب في المدينة حزينة مغتمة؛ لأنه هناك فوقهم، كانت هناك سحابة عظيمة راحت تنطلق بطيئًا باتجاه الغرب من الأرض السوداء، تلتهم الضوء، تحملها ريح حرب؛ ولكن الهواء تحتها كان ساكنًا ولا نفس فيه، كما لو أن كل ما كان وادي أندوين كان ينتظر بداية ريح مدمرة.

وقرابة الساعة الحادية عشرة، ولما كان قد تم صرفه لبعض الوقت من الخدمة، خرج بيبين وذهب يبحث عن طعام وشراب ليبهج قلبه المثقل بالحزن والكآبة ويجعل مهمة الانتظار الملقاة عليه أكثر احتمالًا. وفي مطعم الجند قابل برجوند مرة أخرى، والذي كان قد عاد توًا من مهمة فوق حقول بيلينور خارجًا إلى أبراج الحراسة على الطريق المعبدة. وراحا يتجولان معًا إلى الجدران؛ لأن بيبين كان يشعر أنه محبوس في الداخل، وكان مخنوقًا حتى في القلعة العالية. والآن جلسا مرة أخرى جنبًا إلى جنب في الكُوة التي تطلب نحو الغرب، حيث كانا قد أكلا وتحدثا يوم أمس.

كانت الساعة ساعة الغروب، ولكن السحابة المظلمة الهائلة راحت عندئذ تمتد بعيدًا إلى الغرب، وعندما غاصت أخيرًا في البحر تمكنت الشمس من الهرب لترسل وهجًا قصيرًا تودع به اليوم قبل الليل، بينما كان فرودو يراها عند مفترق الطرق تمس رأس الملك الذي سقط. ولكن لم يأت أي وهج إلى حقول بيلينور، تحت ظل جبل مينودولوين: فقد كانت الحقول سمراء وكئيبة.

لقد بدا لبيبين بالفعل أنه قد مضت سنوات منذ أن جلس هناك قبل ذلك، في وقت شبه منسي عندما كان لا يزال هوبيتيًا طوافًا مرحَ الفؤاد تؤثر عليه قليلًا الأخطار التي مر عبرها. أما الآن فقد كان جنديًا صغيرًا في مدينة تستعد لهجوم عظيم، مرتديًا ملابس على الطريق الفخورة على كآبتها لبرج الحراس.

في زمان ومكان آخرين ربما كان بيبين سيكون مسرورًا وسعيدًا بزيه الجديد، ولكنه كان يدرك عندئذ أنه لم يكن يشارك في لعبة؛ لقد كان جديًا، وبإخلاص شديد، خادمًا لسيد صارم في أعظم الأخطار. كان الدرع الواقي ثقيلًا مرهقًا، وكانت الخوذة ثقيلة على رأسه. ألقى بمعطفه جانبًا ناحية الشرق. أدار نظراته المتعقبة بعيدًا عن الحقول المظلمة أسفل منه وتثاءب، وعندئذ تنهد.

وقال برجوند: «لعلك سئمتَ من هذا اليوم؟».

فقال بيبين: «نعم، للغاية: سئمتُ من البطالة والانتظار. لقد أضعتُ وقتي في الانتظار عبثًا أمام باب غرفة سيدي لساعات كثيرة بطيئة، بينما كان يتحاور مع جَندَلف والأمير وأشخاص آخرين عظماء. ولستُ معتادًا أيها السيد برجوند، على الانتظار

جائعًا في خدمة الآخرين وهم يأكلون. إنها تجربة قاسية على هوبيتي هذه. بلا شك سوف تظن أنه ينبغي علي الإحساس بالشرف بعمق أكثر. ولكن ما فائدة ذلك الشرف؟ في حقيقة الأمر بل ما فائدة الطعام والشراب تحت هذا الظل الزاحف؟ ما معنى هذا؟ الهواء نفسه يبدو ثقيلًا وكئيبًا! هل غالبًا ما تكون لديكم تلك الأجواء الكئيبة عندما تكون الريح في الشرق؟».

فقال برجوند: «كلا، ليس هذا هو الطقس الخاص بالعالم. إنها حيلة ومكيدة من خبثه وأذاه؛ بعض الغليان من الأدخنة من جبل النار يرسلها لتظلم القلوب وتصيبها بالكآبة هي والمجالس الاستشارية. وهذا ما تفعله حقًا. أتمنى أن يعود اللورد فارامير. إنه لن يكون مرعوبًا خائفًا. ولكن الآن، من يدري إذا كان سيعود على الإطلاق عبر النهر من الظلمة».

فقال بيبين: «نعم، جَندَلف هو الآخر قلق. لقد كان محبطًا، في ظني، لعدم وجود فارامير هنا. وأين ذهب واختلى مع نفسه؟ لقد ترك مجلس الملك قبل وجبة الظهيرة، ولن يمكن في حالة مزاجية كذلك، حسب ظني. ربما يكون لديه هاجس ما بأخبار سيئة».

وفجأة وبينما كانا يتحدثان أصابهما الخرس، وقد تجمدا كما لو كانا صخورًا مصغية. وانكمش بيبين خوفًا ورعبًا ويداه ضاغطتان على أذنيه؛ ولكن برجوند الذي كان ينظر للخارج من الشرفة المفرجة وهو يتحدث عن فارامير، ظل في مكانه، متصلبًا، محدقًا للخارج بعينين محدقتين. كان بيبين يعرف الصرخة المزلزِلة التي كان قد سمعها: لقد كانت هي نفس الصرخة التي كان قد سمعها منذ زمن طويل في مستنقعات المقاطعة، ولكن الآن زادت في قوتها وكراهيتها، مخترقة القلب بيأس سام.

وأخيرًا برجوند تحدث بشيء من جهد، وقال: «لقد أتوا! تشجع وانظر! هناك أشياء شريرة أسفل منا».

وفي نفور صعد بيبين إلى الكرسي ونظر للخارج فوق الجدار. كانت حقول بيلينور ترقد معتمة تحته، تتلاشى بعيدًا إلى الخط الذي لا يكاد يمكن تخمينه للنهر العظيم. ولكنه رأى عندئذ في الأجواء الوسطى أسفل منه خمسة أشكال مثل الطيور، تأتي مسرعة عبر النهر، مثل ظلال ليل جاء في غير أوانه، بشعة مثل طيور الجيف، بيد أنها كانت أكبر من النسور، وحشية قاسية مثل الموت. وعندئذ راحت تنقض عن قرب، وقد خاطرت واقتربت حتى صارت تقريبًا في مسافة قيد قوس من الجدران، وعندئذ دارت بعيدًا.

وغمغم بيبين قائلًا: «الخيالة السود! الخيالة السود من الجو!». وصاح قائلًا: «ولكن انظر، يا برجوند! إنهم يبحثون عن شيء ما، بكل تأكيد؟ انظر كيف يدورون وينقضون، دائمًا إلى أسفل على تلك النقطة هنالك! وهل ترى شيئًا يتحرك على الأرض؟ أشياء صغيرة سوداء. نعم، رجال على خيل: أربعة أو خمسة. نعم! لا أطيق ذلك! جَندَلف! جَندَلف أنقذنا!».

وارتفعت وانخفضت صرخة أخرى طويلة، وألقى بنفسه للوراء مرة أخرى من الجدار، وهو يلهث مثل حيوان يعقبه الصياد. وسمع عبر تلك الصرخة المرجفة صوت بوق ضعيف وبعيد فيما يبدو يأتي صاعدًا لأعلى من أسفل ينتهي بنبرة طويلة حادة.

وصاح برجوند: «فارامير! القائد فارامير! إنه نداؤه. القلب الشجاع! ولكن كيف يمكن أن ينتصر ليشق طريقه إلى البوابة، إذا كانت هذه الصقور الجهنمية الشريرة لديها أسلحة أخرى غير الخوف؟ ولكن انظر! إنهم ينتظرون. سوف يجتازون البوابة. لا! الخيل تجري في جنون. انظر! الرجال طرحوا على الأرض؛ إنهم يجرون على أقدامهم. لا، لا يزال واحد منهم على حصانه، ولكنه يسرع عائدًا إلى الآخرين. سوف يكون هذا هو القائد: يمكنه أن يسيطر على الحيوانات والبشر على السواء. نعم! هناك واحد من الأشياء الشريرة ينحني عليه. النجدة! النجدة! ألن يخرج أي أحد إليه؟ فارامير!».

وبهذه الكلمات قفز برجوند بعيدًا وجرى إلى الظلمة. وخجلًا من رعبه، في حين فكر برجوند الحارس أول ما فكر في القائد الذي يحبه، فإن بيبين نهض ونظر للخارج. في تلك اللحظة لمح وميضًا أبيض وفضيًا يأتي من الشمال، مثل نجم صغير يهبط في الحقول القاتمة. وراح يتحرك بسرعة سهم ويكبر وهو يأتي، متقاربًا بسرعة مع طيران الرجال الأربعة باتجاه البوابة. بدا لبيبين أن ضوءًا باهتًا كان منتشرًا حول هذا الوميض وراحت الظلال الثقيلة تفسح الطريق له؛ وعندئذ وهو يقترب، ظن بيبين أنه سمع، مثل صدى في الجدران، صوتًا عظيمًا ينادي، وصاح:

«جَنْدَلْف! جَنْدَلْف! إنه يأتي دائمًا عندما تكون الأشياء في أحلك الأوقات. استمر! استمر، أيها الخيال الأبيض! جَنْدَلْف، جَنْدَلْف!». وراح يصرخ في جموح ووحشية، مثل متفرج على سباق عظيم يشحذ عزيمة عدّاء الأمل في فوزه وراء كل تشجيع.

ولكن عندئذ أدركت الظلال السوداء المنقضة وجود القادم الجديد. انطلق واحد منها باتجاهه سريعًا؛ ولكن بدا لبيبين أنه رفع يده، ومنه خرج شعاع من ضوء أبيض وطعن لأعلى. وصرخ النازجول صرخة طويلة مولولة ومال بعيدًا؛ وبهذه الصرخة اضطرب الأربعة الآخرون، وعندئذ ارتفعوا في حركات لولبية سريعة للغاية وانطلقوا بعيدًا باتجاه الشرق متلاشين في السحابة المظلمة العابسة فوقهم؛ ولأسفل على حقول بيلينور بدا أن الدنيا صارت أقل ظلامًا لوهلة.

راح بيبين يراقب، ورأى الخيال والخيال الأبيض يتقابلان ويتوقفان، منتظرين أولئك الذين كانوا على الأقدام. وأسرع الرجال عندئذ خارجين لملاقاتهم من المدينة؛ وفي الحال اختفى الجميع عن الأنظار تحت الجدران الخارجية، وعلم أنهم كانوا يدخلون البوابة. ولما خمن أنهم سيأتون في الحال إلى البرج والقهرمان، فإنه أسرع إلى مدخل القلعة وهناك انضم إليه آخرون كثيرون كانوا يراقبون السباق والإنقاذ من فوق الجدران العالية.

لم يمض وقت طويل قبل أن يُسمع ضجيج في الشوارع التي تقود لأعلى من الدوائر الخارجية، وكان هناك الكثير من الابتهاج والصياح بأسماء فارامير وميثراندير. في هذا الوقت الحالي رأى بيبين المشاعل، وخيالين يقودان خيلهما ببطء يتبعهما حشد من الناس: كان أحدهما مرتديًا ثيابًا بيضاء بيد أنها لم تعد ساطعة، شاحب في الشفق كما لو أن ناره قد نضبت أو حُجبت؛ وكان الآخر أسمر وكان رأسه محنيًا. ونزلا من خيلهما، وبينما أخذ سائسٌ شادوفاكس والحصان الآخر، مشيا للأمام إلى الحارس الذي كان عند البوابة: جَنْدَلْف في ثبات، ومعطفه الرمادي ملقى للوراء، ولا تزال النار تضطرم في عينيه؛ أما الآخر فقد كان مرتديًا ثيابًا خضراء، وهو يمشي مترنحًا ببطء قليلًا كرجل مرهق أو مصاب بجروح.

واجتهد بيبين شاقًا طريقه للأمام بقوة وهما يمران تحت المصباح أسفل قنطرة البوابة، وعندما رأى وجه فارامير الشاحب حبس نفسه. لقد كان وجه شخص هاجمه خوف أو كرب عظيمان، ولكن سيطر عليهما وأصبح هادئًا مطمئنًا الآن. ووقف فخورًا ورزينًا للحظة وهو يتحدث إلى الحارس، ورأى بيبين وهو يحدق فيه إلى أي مدى كان الشبه بينه وبين أخيه كبيرًا، والذي كان بيبين قد أحبه منذ البداية، معجبًا بالطريقة العطوف على الرغم من جلالها وفخامتها لذلك الرجل العظيم. ولكن فجأة تحرك قلبه بشكل غريب لفارامير بمشاعر لم يعرفها من قبل. كان يقف أمامه واحد به سمات النبالة العالية الراقية مثلما تكشف ذلك عن أراجون في بعض الأوقات، ربما أقل علوًا ورقيًا، ولكن بالمثل أقل عظمة وبعدًا: واحد من ملوك البشر ولد في عصر لاحق، ولكن به لمسة من حكمة وحزن الجنس الأكبر سنًا والأقدم. علم عندئذ لماذا كان برجوند يتحدث عنه وينطق اسمه بحب. لقد كان قائدًا يتبعه الرجال، وسوف يتبعه هو، حتى تحت ظل الأجنحة السوداء.

وصاح بصوت عال مع الآخرين: «فارامير! فارامير!».

ولما أدرك فارامير صوته الغريب بين صخب رجال المدينة، التفت ونظر لأسفل إليه وكان مندهشًا، وقال:

«من أين أتيت؟ نصف، وفي زي البرج! من أين...؟».

ولكن بهذه الكلمات تقدم جَنْدَلْف إلى جواره وتحدث إليه قائلًا: «لقد جاء معي من أرض الأنصاف. لقد جاء معي. ولكن دعنا لا نتوانى ونتأخر هنا. هناك الكثير لتقوله وتفعله وأنت متعب مرهق. سوف يأتي معنا. حقًا يجب عليه أن يأتي؛ لأنه إذا لم ينس مهامه وواجباته الجديدة بسهولة أكثر مني، يجب عليه أن يقوم على خدمة سيده مرة أخرى في غضون هذه الساعة. تعال يا بيبين، اتبعنا!».

وهكذا وصلوا أخيرًا إلى الغرفة الخاصة لملك المدينة. وهناك تم إعداد مقاعد عميقة حول مجمرة من الفحم؛ وتم إحضار النبيذ؛ وهناك وقف بيبين، ولا يكاد يلاحظه أحد، وراء مقعد دنثور وأحس بتعبه وإعيائه قليلًا، وراح ينصت بلهف شديد للغاية لكل ما كان يُقال.

عندما كان فارامير يأخذ خبزًا أبيض ويشرب شربة من نبيذ، كان يجلس على مقعد واطئ على يسار والده. وجلس على الجانب الآخر على مسافة صغيرة جَنْدَلْف في كرسي من خشب منحوت؛ وبدا في بداية الأمر أنه نائم؛ لأنه في البداية تحدث فارامير فقط عن المهمة التي كان قد تم إرساله فيها منذ عشرة أيام، وجلب أخبارًا عن إثيلين وعن تحركات العدو وحلفائه؛ وأخبر عن القتال الذي دار على الطريق عندما تمت الإطاحة برجال هاراد وحيواناتهم العظيمة: قائد يقدم تقريره لسيده عن كل تلك المسائل والأمور كما كان قد غلب سماع ذلك من قبل، أشياء صغيرة عن حرب الحدود بدت عندئذ عديمة الفائدة وتافهة، مجردة من شهرتها.

عندئذ فجأة نظر فارامير إلى بيبين وقال: «ولكن الآن نأتي إلى أشياء غريبة. لأن هذا ليس هو النصف الأول الذي رأيته يمشي خارج الأساطير الشمالية إلى الأراضي الجنوبية».

وعند هذه الكلمات نهض جَنْدَلْف وقبض على ذراع كرسيه؛ ولكنه لم يقل شيئًا، وبنظرة أوقف التعجب على شفتي بيبين. نظر دنثور إلى وجوههم وأومأ برأسه، كما لو كان ذلك علامة على أنه قد قرأ الكثير هناك قبل أن يتم الحديث به. وببطء، بينما كان الآخرون يجلسون في صمت وسكون، حكى فارامير حكايته، وعيناه في الجزء الأعظم على جَنْدَلْف، على الرغم من أن نظراته كانت تتوجه من آن لآخر إلى بيبين، كما لو كان ينعش ذاكرته من آخرين كان قد رآهم.

وبينما كان يتم نشر قصته عن لقائه مع فرُودو وخادمه وعن الأحداث في هينيث أنون، أدرك بيبين أن يدي جَنْدَلْف كانتا ترتعشان وهما قابضتان على المقعد الخشبي. كانتا تبدوان بيضاويتين عندئذ وعجوزين للغاية، وبينما كان ينظر إليهما، فجأة في رعشة من خوف، علم بيبين أن جَنْدَلْف، جَنْدَلْف نفسه، كان مضطربًا، بل وحتى خائفًا. كان هواء الغرفة مطبقًا وساكنًا. وأخيرًا عندما تحدث فارامير عن فراقه للمسافرين وانفصاله عنهم، وعن قرارهم وعزمهم الذهاب إلى سيريث أنجول، فإن صوته انخفض، وهز رأسه وتنهد. عندئذ هب جَنْدَلْف واقفًا، وقال:

«سيريث أنجول؟ وادي مورجول؟ الوقت يا فارامير الوقت؟ متى افترقت عنهم؟ متى سيصلون ذلك الوادي الملعون؟».

فقال فارامير: «فارقتهم في الصباح منذ يومين. المسافة من ذلك المكان إلى وادي مورجولدوين خمسة عشر فرسخًا، إذا ساروا في خط مستقيم نحو الجنوب؛ وعندئذ سوف تظل أمامهم خمسة فراسخ إلى الجنوب من البرج الملعون. وبأقصى سرعة لا يمكنهم أن

يصلوا إلى هناك قبل اليوم، وربما لا يكونون قد وصلوا إلى هناك بعد. في واقع الأمر فإنني أرى ما تخشاه. ولكن الظلمة ليست بسبب مغامرتهم. فقد بدأت مساء أمس، وقد كانت كل إثيلين تحت الظل الليلة الماضية. إنه من الواضح لي أن العدو قد خطط طويلًا لهجوم علينا، وقد تقررت ساعة ذلك بالفعل قبل أن يغادر المسافرون على الإطلاق صحبتي».

وراح جَنْدَلْف يذرع المكان جيئة وذهابًا ويقول: «الصباح منذ يومين، ما يقارب ثلاثة أيام من الترحال! كم يبعد المكان الذي افترقتم عنده؟».

وأجابه فارامير بقوله: «قرابة خمسة وعشرين فرسخًا في خط مستقيم؛ ولذلك لا يمكنني أن أقطع المسافة بسرعة أكبر. رقدتُ مساء أمس في جزيرة كير أندروس[1]، الجزيرة الطويلة في النهر نحو الشمال التي نؤمنها وندافع عنها؛ ويتم الاحتفاظ بالخيل على الضفة القريبة. وبينما كانت الظلمة تقترب، علمتُ أنه كانت هناك حاجة إلى العجلة والسرعة، ولذلك سرتُ من هناك مع ثلاثة آخرين كان بالإمكان توفير جياد لهم. أرسلتُ الباقين من مجموعتي إلى الجنوب لتعزيز الحامية عند مخاضات مدينة أوسجيلياث. أتمنى ألا أكون قد أسأتُ صنعًا». ونظر إلى والده.

وصاح دنثور، وقد ومضت عيناه فجأة: «أسأت؟ لماذا تسأل؟ لقد كان الرجال تحت قيادتك وإمرتك. أم أنك تسأل عن رأي في كل أعمالك؟ إن احتمالك ضعيف في حضوري، ولكن مضى زمن طويل الآن منذ أن عدلت عن طريقك الخاص نزولًا على مشورتي ورأيي. انظر، لقد تحدثتَ بمهارة، كما هو شأنك دومًا؛ ولكني، ألم أرَ عينيك مثبتتين على ميثرانديرِ، تريد أن تعرف هل تحدثت جيدًا أم تحدثتَ أكثر من اللازم؟ لقد احتفظ بقلبك لديه لوقت طويل».

«يا بني، كبرت سن والدك، ولكنه لم يصبح خرفًا بعد. يمكنني أن أسمع وأرى، كما كان ديدني وعادتي؛ وقليل مما قلتَه جزئيًا أو لم تقله جزئيًا يخفى علي الآن. إنني أعرف الإجابة عن الكثير من الألغاز. واحسرتاه، واحسرتاه على بوروميرِ!».

وقال فارامير في هدوء: «إذا كان ما فعلتُه قد ضايقك ولا يرضيك يا أبي؛ فإنني كنت أتمنى أن لو عرفتُ رأيك ومشورتك قبل أن يُلقى بعبء وحمل قرار بهذا الثقل على كاهلي».

فقال دنثور: «وهل كان هذا سيفيد في تغيير رأيك وحكمك؟ في اعتقادي أنك كنت ستفعل نفس الشيء تمامًا. إنني أعرفك جيدًا. دائمًا هي رغبتك أن تبدو فخمًا مبجلًا وكريمًا مثل ملك من الملوك القدامى، كيس، لطيف. هذا من شأنه أن يلائم جيدًا واحدًا من جنس عال، إذا هو جلس في قوة وسلام. ولكن في ساعات اليأس فإن اللطف قد يكافأ بالموت».

(1) Cair Andros جزيرة في نهر أندوين شمال ميناس تيريث تحصنها جوندور للدفاع عن أنورين وحمايتها. (المترجم)

وقال فارامير: «ليكن ذلك».

وصاح دنثور: «ليكن ذلك! ولكن ليس بالنسبة لموتك فقط، أيها اللورد فارامير: بالنسبة لموت والدك أيضًا، وموت جميع شعبك الذين تعتبر حمايتهم هي دورك الآن وقد رحل بورومير».

فقال فارامير: «هل تود إذن أن لو كانت أماكننا قد تم تبادلها؟».

فقال دنثور: «نعم، إنني أتمنى ذلك حقًا؛ لأن بورومير كان مخلصًا لي ولم يكن تلميذًا لساحر. كان سيتذكر حاجة والده، وما كان ليضيع ما أعطاه له الحظ. كان سيجلب لي هدية عظيمة».

وللحظة لم يستطع فارامير السيطرة على نفسه وكبحها، وقال: «أود أن أطلب منك يا أبي أن تتذكر السبب في أنني أنا وليس هو كان في إثيلين. في واحدة من المناسبات كان لمشورتك ورأيك السيادة، ليس منذ زمن طويل. لقد كان سيد المدينة هو الذي أسند إليه هذه المهمة».

فقال دنثور: «لا تُقلب المرارة في الكأس التي مزجتها لنفسي. ألم أذقها الآن ليالي كثيرة على لساني، متوقعًا أن الأسوأ يرقد في الثفل[1] بعد مثلما أجده الآن في واقع الأمر؟ أتمنى أن لو لم يكن الأمر كذلك! ليت هذا الشيء كان قد وقع لي أنا!».

وقال جَنْدَلْف: «لِتُعزِ نفسك! لم يكن بورومير ليجلبه عليك بحال من الأحوال. إنه ميت، ومات على نحو جيد؛ أتمنى له أن يرقد في سلام! ولكنك تخدع نفسك. لقد كان سيمد يده إلى هذا الشيء، وعندما كان سيأخذه كان سيسقط. لقد كان سيحتفظ به لنفسه، وعندما كان سيعود ما كنتَ ستعرف ولدك».

وتصلب وجه دنثور وأصبح باردًا، وقال بصوت منخفض: «لقد وجدتَ بورومير أقل ملاءمة وأهلًا لصنائعك، أليس كذلك؟ ولكني أنا الذي كنتُ والده أقول إنه كان سيحضره لي. إنك حكيم ربما يا ميثراندير، ولكن مع كل ما لديك من فطنة وحدة ذهن، فإنك لا تملك كل الحكمة. ربما يمكن الوقوع على نصائح ليست هي بشباك للسحرة، ولا عجلة الحمقى. لدي في هذا الأمر معرفة وحكمة أكثر مما تعتقد».

وقال له جَنْدَلْف: «ما هي إذن حكمتك؟».

«بالقدر الكافي لأدرك أن هناك نوعين من الحماقة يجب تجنبهما. استخدام هذا الشيء أمر خطير. في هذه الساعة، إرساله في يدي نصف غبي أخرق إلى أرض العدو نفسه، الأمر الذي فعلته أنت، وابني هذا، فذلك جنون».

«وملك دنثور، ما الذي كان سيفعله؟».

(1) الثفل: خلاصة الشيء.

«لا شيء من ذلك. ولكن بكل تأكيد ما كان ليضع هذا الشيء في خطر، مهما يكن الرأي في ذلك، لا يفوقه أي شيء سوى أمل الأحمق، مخاطرًا بدمارنا الشامل والكامل، إذا استرد العدو ما كان قد فقده. كلا، كان ينبغي أن يتم الاحتفاظ به، مخفيًا، مخفيًا في مكان مظلم وعميق. لا يتم استخدامه، هذا ما أقوله ما لم يكن ذلك في أقصى درجات الحاجة الماسة لذلك، ولكن يوضع بعيدًا عن متناوله وقبضته، إلا من خلال نصر نهائي وحاسم للغاية لدرجة أنه عندما يحدث ذلك فإنه لن يقلقنا؛ لأننا سنكون قد متنا».

وقال جَنْدَلْف: «إنك تفكر، كما هي عادتك، يا مولاي، في جوندور فقط».

«ولكنْ هناك بشر آخرون وأحياء أخرى، ولا يزال هناك وقت سيأتي وعصور. وبالنسبة لي، فإنني حتى أرثى لخدامه وعبيده».

وأجابه دنثور بقوله: «وأين سيبحث البشر الآخرون عن المساعدة والنجدة، إذا سقطت جوندور؟ لو كان لدي ذلك الشيء الآن في السراديب المحصنة في هذه القلعة، لم نكن لنرتعش عندئذ خوفًا ورعبًا تحت هذه الظلمة والكآبة، خائفين من الأسوأ، وما كانت خططنا لتصاب بالاضطراب. إذا لم تكن تثق بي في تحملي للاختبار، فإنك لم تعرفني بعد».

وقال له جَنْدَلْف: «على الرغم من ذلك فإنني لا أثق بك. لو أنني كنتُ قد وثقتُ بك، لكنتُ قد أرسلت هذا الشيء لك لتحتفظ به ووفرتُ على نفسي وعلى الآخرين الكثير من الألم والعذاب. أما الآن وقد سمعتك تتحدث فإن ثقتي بك أقل ليست أكثر من ثقتي ببورومير. كلا، لتكبح حنقك وغضبك! إنني لا أثق بنفسي في هذا الأمر، وقد رفضتُ هذا الشيء، حتى كهدية عُرضت علي بدون مقابل. إنك قوي ويمكنك أن تسيطر على نفسك في بعض الأمور وتتحكم فيها يا دنثور؛ ولكنك لو كنت قد حصلت على هذا الشيء، فقد كان سيقهرك ويتغلب عليك. لو أنه دُفن تحت جذور جبل ميندولوين، فإنه كان مع ذلك سينهك عقلك ويضنيه، مع ازدياد الظلمة، والأشياء الأخرى الأسوأ التي ستأتي سريعًا وتحل بنا».

وتوهجت مجددًا للحظة عينا دنثور وهو يواجه جَنْدَلْف، وأحس بيبين مرة أخرى التوتر والشد بين إرادتيهما؛ ولكن الآن بدا تقريبًا كما لو أن نظراتهما كانت مثل سيفين من عين إلى عين، تومضان وهما تتبارزان. وارتعش بيبين متخوفًا من ضربة ما مخيفة مروعة. ولكن فجأة استرخى دنثور وأصبح رابط الجأش مرة أخرى. وهز كتفيه، وقال:

«لو امتلكتُه أنا! لو امتلكتَه أنت! كل تلك الكلمات ولو وإذا لا جدوى منها أو فائدة. لقد ذهب إلى الظل، ولن يكشف سوى الوقت عن المصير الذي ينتظره وينتظرنا. لن يطول الوقت. وفيما تبقى، دع كل أولئك الذين يحاربون العدو على طريقتهم أن يكونوا يدًا واحدة، ويتشبثوا بالأمل مادام باستطاعتهم ذلك، وبعد الأمل يتبقى لديهم الشجاعة والجسارة ليموتوا أحرارًا». والتفت إلى فارامير: «ما رأيك في حامية أوسجيلياث؟».

وقال له فاراميرْ: «إنها ليست قوية. لقد أرسلت مجموعة إيثيلين لتعزيزها، كما قلتَ».

وقال دنثور: «ليست كافية في رأيي. إن الضربة الأولى ستقع هناك. ستكون لديهم حاجة إلى قائد شديد صلب هناك».

فقال فارامير وهو يتنهد: «هناك وفي كل مكان آخر في أماكن كثيرة. وأأسفاه على أخي الذي أحببته أنا أيضًا!». ونهض من مكانه. «هل تأذن لي يا أبي؟». وعندئذ ترنح ومال على كرسي والده.

وقال دنثور: «إنك متعب، حسبما أرى ومرهق. لقد سرت بسرعة كبيرة ولمسافة كبيرة، وتحت ظلال الشر في الجو، حسبما أُخبرتُ به».

وقال له فارامير: «دعنا لا نتحدث عن ذلك!».

فقال له دنثور: «إذن فلن نتحدث عنه. اذهب الآن واسترح قدر استطاعتك. إن حاجة الغد ستكون أشد صرامة وقسوة».

استأذن الجميع عندئذ من ملك المدينة وذهبوا ليستريحوا مادام باستطاعتهم ذلك. وبالخارج كانت هناك ظلمة لا نجوم فيها بينما كان جَنْدَلْف، وبيبين إلى جواره يحمل مشعلًا صغيرًا، يشق طريقًا إلى غرفتهما. ولم يتحدثا حتى صارا وراء أبواب موصدة. عندئذ وأخيرًا أخذ بيبين يد جَنْدَلْف، وقال:

«أخبرني، هل هناك أي أمل؟ أقصد بالنسبة لفرودو؛ أو على الأقل بالنسبة لفرودو في المقام الأول».

ووضع جَنْدَلْف يده على رأس بيبين، وأجابه بقوله: «لم يكن هناك أمل كبير على الإطلاق. فقط أمل أحمق، حسبما أُخبرتُ به؛ وعندما سمعتُ عن سيريث أنجول». وتوقف عن الكلام ومشى بخطى واسعة إلى النافذة، كما لو أن عينيه يمكن أن تخترقا الليل في الشرق، وغمغم قائلًا: «سيريث أنجول! لماذا ذلك الطريق، إنني أتساءل؟». واستدار: «الآن فقط يا بيبين خار قلبي بداخلي عند سماع ذلك الاسم. ومع ذلك ففي الحقيقة أظن أن الأخبار التي جلبها فارامير بها بعض الأمل؛ لأنه يبدو واضحًا أن عدونا قد فتح حربه أخيرًا وأخذ الخطوة الأولى بينما كان فرودو لا يزال حرًا. ولذلك، الآن، وعلى مدار أيام كثيرة، فإنه سيجعل عينيه تدور في هذا الاتجاه وذاك، بعيدًا عن أرضه هو. ومع ذلك يا بيبين فإنني أحس على البعد بعجلته وخوفه. لقد بدأ مبكرًا أكثر مما كان ينبغي عليه. شيء ما حدث هو الذي حركه».

ووقف جَنْدَلْف للحظة مفكرًا، وغمغم: «ربما. ربما حتى حماقتك تكون قد ساعدت يا بني. دعني أرى: منذ خمسة أيام مضت الآن كان سيكتشف أننا قد قهرنا ساروما ن، وقد أخذنا الحجر. ومع ذلك ماذا عن هذا؟ لا يمكننا أن نستخدمه للوفاء بغرض كبير،

أو بدون أن يعلم هو. آه! إنني لأعجب. أراجورن؟ إن وقته يقترب. وهو قوي وصارم تحت ظاهره، يا بيبين؛ جريء وقوي العزم وقادر على أن يتخذ قراراته بنفسه ويتحدى المخاطر العظيمة عند الضرورة. ربما يكون الأمر كذلك. ربما يكون قد استعمل الحجر وكشف عن نفسه للعدو، متحديًا إياه، لهذا الغرض تحديدًا. وإنني لأعجب. حسنًا، إننا لن نعرف الإجابة حتى يأتي خيالة روهان، إذا لم يتأخروا ويأتوا بعد فوات الأوان. هناك أيام شريرة قادمة. لننم مادمنا نستطيع ذلك!».

فقال بيبين: «ولكن».

ورد جَنْدَلْف: «ولكن ماذا؟ لن أسمح إلا بـ «ولكن» واحدة الليلة».

فقال بيبين: «جولام. كيف بحق السماء يتحركان معه، بل وحتى يتبعانه؟ وإنني أرى أن فارامير لم يعجبه المكان الذي كان يأخذهم إليه أكثر مما يعجبك. ما الخطب؟».

فقال جَنْدَلْف: «لا يمكنني أن أجيب عن هذا الآن. ولكن قلبي يحدثني أن فرودو وجولام سوف يتقابلان قبل النهاية. سواء في خير أو في شر. ولكني لن أتحدث الليلة عن سيريث أنجول. الخيانة، الخيانة هي ما أخشاه؛ خيانة هذا المخلوق التعيس. ولكن ينبغي أن يكون الأمر هكذا. لنتذكر أن الخائن قد يخون نفسه ويفعل خيرًا لم يكن يقصده. يمكن أن يكون الأمر كذلك، أحيانًا. طابت ليلتك!».

وجاء اليوم التالي بصباح مثل غسق معتم، وأصيبت قلوب الرجال بالكآبة مرة أخرى، وقد كانت قد ارتفعت لبعض الوقت بعودة فارامير. لم تُر الظلال المجنحة مرة أخرى في ذلك اليوم، إلا أنه من وقت لآخر، عاليًا فوق المدينة، كانت تأتي صرخة ضعيفة، وكان الكثيرون ممن يسمعونها يقفون مذهولين بخوف ورعب عابرين، بينما كان الأقل جسارة وجرأة ينكمشون خوفًا ويبكون. والآن فقد ذهب فارامير مرة أخرى. وغمغم البعض: «الملك يدفع ابنه بشدة أكثر من اللازم، والآن يجب عليه أن يقوم بمهمة الاثنين، عن نفسه وعن الشخص الذي لن يعود». وراح الناس ينظرون دائمًا باتجاه الشمال، ويسألون: «أين هم خيالة روهان؟».

في الحقيقة لم يذهب فارامير بمحض اختياره هو. لكن ملك المدينة كان هو سيد المجلس، ولم يكن في ذلك اليوم في حالة مزاجية تجعله ينحني للآخرين. وفي الصباح الباكر، تم استدعاء المجلس. وهناك قرر جميع القادة أنه بسبب التهديد في الجنوب فإن قوتهم كانت ضعيفة للغاية بحيث لا يمكنها القيام بأي هجمة حربية من جانبهم، ما لم يحدث ويأتي خيالة روهان بالمصادفة مع ذلك. وفي نفس الوقت يجب أن يزودوا الجدران بالرجال وينتظروا.

وقال دنثور: «ولكن يجب ألا نترك باستخفاف الدفاعات الخارجية، لقد صُنع جدار الراماس[1] ببالغ جهد وكد. ويجب أن يدفع العدو ثمنًا باهظًا لعبوره النهر. وهذا لا يمكنه أن يفعله، بقوة لمهاجمة المدينة، سواء شمال كير أندروس بسبب المستنقعات، أو باتجاه الجنوب باتجاه ليبين بسبب اتساع النهر، وهذا يحتاج إلى الكثير من القوارب. إنه سوف ينزل بكل ثقله في أوسجيلياث، مثلما فعل من قبل عندما منعه بورومير من المرور».

فقال فارامير: «لم يكن هذا سوى امتحان. اليوم قد نجعل العدو يدفع عشرة أضعاف خسارتنا عند مروره ومع ذلك نأسف على المبادلة؛ لأنه يستطيع أن يخسر جيشًا أكثر من قدرتنا على أن نخسر سرية. كما أن انسحاب أولئك الذين نضعهم في أماكن متقدمة في الميدان في الخارج سوف يكون خطرًا إذا هو استطاع المرور بالقوة».

وقال الأمير: «وماذا عن كير أندروس؟ هذه أيضًا يجب الاستيلاء والسيطرة عليها، في حالة الدفاع عن أوسجيلياث. دعونا لا ننسى الخطر الذي يأتي من شمالنا. قد يأتي الروهيريميون، وربما لا يأتون. ولكن فارامير أخبرنا بقوة عظيمة تقترب على الدوام من البوابة السوداء. قد يخرج أكثر من جيش منها، ويهاجم من أجل فتح أكثر من ممر».

وقال دنثور: «يجب المخاطرة بالكثير في الحرب. كير أندروس مجهزة بالرجال والعتاد، ولن يكون بالإمكان إرسال أكثر من ذلك. ولكني لن أسلم النهر وبيلينور دون قتال لن أفعل ذلك مادام هناك قائد هنا لا تزال لديه الشجاعة ليقوم بتنفيذ إرادته ومشيئة ملكه».

عندئذ لزم الجميع الصمت. ولكن تحدث فارامير أخيرًا وقال: «إنني لا أعارض إرادتك ومشيئتك يا مولاي. حيث إنك حُرمت من بورومير، فسوف أذهب وأفعل ما بإمكاني أن أفعله بدلًا منه إذا أنت أمرت بذلك».

فقال دنثور: «وأنا آمر بذلك».

فقال فارامير: «الوداع إذن! ولكن إذا عدتُ، لتعيد النظر في تقديري مرة أخرى ولتحسن الظن بي!».

فقال دنثور: «هذا يعتمد على طريقة عودتك».

كان جندلف آخر من تحدث إلى فارامير قبل أن ينطلق شرقًا، حيث قال له: «لا تلق بحياتك وتضيعها في تهور وطيش أو في مرارة. سوف يحتاجون إليك هنا، لأشياء أخرى غير الحرب. أبوك يحبك يا فارامير وسوف يتذكر ذلك قبل النهاية. الوداع!».

وهكذا فقد انطلق السيد فارامير مرة أخرى، وقد أخذ معه قوة من الرجال من الذين كانوا راغبين في الخروج معه أو كان بالإمكان الاستغناء عنهم في المدينة. وعلى

(1) Rammas Echor راماس إيكور، هو الجدار الحدودي الذي بني حول حقول بيلينور [Pelennor Fields]. (المترجم)

الجدران راح البعض يحدقون عبر الظلمة باتجاه المدينة المدمرة، وكانوا يتساءلون عما حدث هناك؛ لأنه لم يكن بالإمكان رؤية أي شيء. وراح آخرون مثلما هي الحال دومًا ينظرون شمالًا ويحصون الفراسخ لثيودن في روهان، وقالوا: «هل سيأتي؟ هل سيتذكر تحالفنا؟».

فقال جندلف: «نعم سوف يأتي، حتى لو أتى بعد فوات الأوان. ولكن فكروا! في أحسن الظروف لم يكن السهم الأحمر ليصله منذ أكثر من يومين، والأميال طويلة من إدوراس».

كانت الدنيا ليلًا قبل أن تأتي الأخبار. سار رجل في عجلة من المخاضات، قائلًا: «إن جيشًا قد خرج من ميناس مورجول وكان يقترب بالفعل من أوسجيلياث؛ وقد انضمت إليه فيالق من الجنوب، الهارادريميون رجال شرسون وطوال القامة، وقال الرسول: «وقد علمنا أن القائد الأسود يقودهم مرة أخرى، وقد عبر الخوف منه يسبقه على النهر».

وبهذه الكلمات المشئومة، انتهى اليوم الثالث منذ أن قدم بيبين من ميناس تيريث. وذهب قليلون للراحة؛ لأن الأمل لدى أي منهم كان ضعيفًا، إنه حتى فارامير نفسه يمكن أن يستولي على المخاضات ويدافع عنها للأبد.

في اليوم التالي، على الرغم من أن الظلمة قد وصلت إلى ذروتها ولم تعد تصبح أكثر عمقًا بعد ذلك، فإن ثقلها كان أكثر على قلوب الرجال، وكان بهم خوف عظيم. وجاءت الأخبار مرة أخرى سريعًا. لقد استولى العدو على ممر أندوين. كان فارامير ينسحب إلى جدار بيلينور، حاشدًا رجاله إلى حصون الطريق المعبدة؛ ولكن كان عدد العدو يفوقه بمقدار عشرة أضعاف.

وقال الرسول: «إذا هو نجح على الإطلاق في الوصول إلى بيلينور، فإن عدوه سوف يكون في عقبيه. لقد دفعوا ثمنًا باهظًا لعبورهم، ولكن أقل فداحة مما كنا نأمل. لقد وُضعت الخطة على نحو جيد. ونرى الآن أنهم في السر كانوا يبنون منصات عائمة وزوارق بأعداد كبيرة في شرق أوسجيلياث. واحتشدوا من جانب إلى آخر مثل الخنافس. ولكن من يقهرنا هو القائد الأسود. قليلون الذين سيقفون ويبقون صامدين حتى أمام شائعة قدومه. إن قومه أنفسهم يرتجفون رعبًا منه، ويمكن أن يقتلوا أنفسهم انصياعًا لأوامر منه».

فقال جندلف: «إذن فهم يحتاجون إليّ هناك أكثر من الحاجة إليّ هنا»، وركب حصانه وانطلق في الحال، وتلاشى وهجه سريعًا عن الرؤية. ووقف بيبين طوال تلك الليلة وحيدًا ومؤرقًا على الجدار وهو يحدق باتجاه الشرق.

لم تكد أجراس النهار تدق مرة أخرى، مظهر كاذب في الظلمة الشديدة، عندما رأى بعيدًا جدًا نيرانًا ترتفع لأعلى، من جانب لآخر في الأماكن المعتمة حيث كانت تقف جدران بيلينور. وصرخ الحراس بصوت عال؛ ووقف جميع الرجال في المدينة حاملين السلاح. وفي هذا الوقت كان هناك من وقت لآخر وميض أحمر، وببطء عبر الهواء الثقيل كانت تسمع دمدمة وقعقعة كئيبة.

وصاح الرجال: «لقد استولوا على الجدار! إنهم ينسفون فتحات فيه. إنهم قادمون!».

وصاح برجوند في رعب: «أين فارامير؟ لا تقل إنه قد سقط!».

لقد كان جَنْدَلْف هو الذي جلب الأخبار الأولى. مع حفنة من الخيالة جاء في منتصف الصباح، يسير كحامية حراسة لصف من العربات. كانت مملوءة برجال جرحى، كل ما كان بالإمكان إنقاذه من ركام حصون الطريق المعبدة. وفي الحال ذهب إلى دنثور. كان سيد المدينة عندئذ جالسًا في غرفة عالية فوق بهو البرج الأبيض وبيبين إلى جانبه؛ وعبر النوافذ المظلمة، شمالاً وجنوبًا وشرقًا، راح يركز عينيه المظلمتين، كما لو كان يخترق ظلال الظلمة والهلاك في بعض اللحظات لينصت كما لو أن أذنيه كانتا عن طريق سحر قديم معين يمكن أن تسمعا صوت الحوافر كالرعد على السهول البعيدة.

وسأل: «هل جاء فارامير؟».

وقال جَنْدَلْف: «لا. ولكن كان لا يزال حيًا عندما تركته. ولكنه عازم على البقاء مع مؤخرة الجيش، خشية أن يصبح الانسحاب فوق حقول بيلينور هرجًا ومرجًا. ومن المحتمل أن يسيطر على رجاله معًا لفترة طويلة، ولكني أشك في ذلك. إنه يقاتل ضد عدو كبير للغاية؛ لأنه جاء واحد كنت أخشاه».

«لا.. سيد الظلام؟». صاح بيبين بهذه الكلمات، ناسيًا مكانه من فرط رعبه.

وضحك دنثور بمرارة وقال: «كلا، ليس بعد، أيها السيد برجرين! إنه لن يأتي إلا لينتصر عليّ عندما يكون قد فاز بكل شيء. إنه يستخدم آخرين أسلحة له. هكذا هي الحال مع جميع السادة العظام، إذا كانوا حكماء، أيها السيد النصف. وإلا لماذا أجلس هنا في برجي وأفكر، وأراقب، وأنتظر، مضحيًا حتى بأبنائي؟ لأنه لا يزال بإمكاني أن أتدبر الأمر وأحيك خطة له».

ووقف وفتح معطفه الأسود الطويل، ويا عجبًا ما رأوا! كان مرتديًا درعًا تحت معطفه، وحزامًا به سيف طويل، له مقبض عظيم في غمد أسود وفضي، وقال: «هكذا كنتُ أمشي، وهكذا على مدار الكثير من السنين الآن كنت أنام، خشية أن يصبح الجسم مع تقدم السن طريًا وجبانًا».

وقال جَنْدَلْف: «ولكن الآن تحت سيد باراد دُور[1] فإن القائد الأكثر شراسة بين كل قواده هو بالفعل سيد جدرانك الخارجية. ملك أنجمار منذ زمن طويل، الساحر المشعوذ، طيف الخاتم، سيد النازجول[2]، رمح الرعب في أرض ساورون، ظل اليأس».

وقال دنثور: «عندئذ يا ميثرانديرفلديك خصم يضاهيك؛ لأنه بالنسبة لي أنا، لقد عرفتُ منذ زمن طويل من هو القائد الأساسي لجيوش برج الظلام. هل هذا كل ما عدتَ لتقوله؟ أم أنه يمكن القول إنك قد انسحبت لأنك غلبت وتم التفوق عليك؟».

وارتعش بيبين، خشية أن يصيب جَنْدَلْف حنق مفاجئ، ولكن خوفه لم يكن له داع. وأجاب جَنْدَلْف بصوت منخفض: «ربما يكون كذلك. ولكن اختبار قوتنا لمّا يأت بعد. وإذا صدقت وصحت الكلمات التي جرى الحديث بها في الماضي، فإنه لن يسقط على يد إنسان، والمصير الذي ينتظره مخبأ عن الحكماء. ومع ذلك قد يكون الأمر كذلك، قائد اليأس لا يهجم متقدمًا للأمام بعد. إنه يحكم فضلًا عن ذلك على حسب الحكمة التي تحدثت بها من توك، من المؤخرة، دافعًا خدامه وعبيده في جنون قبله».

«كلا، بل إنني جئتُ لأحرس المصابين الذين يمكن شفاؤهم؛ لأن جدار الراماس قد تم كسره واختراقه بشكل كبير وواسع، وسوف يدخل جيش مورجول في الحال من نقاط كثيرة. وقد جئتُ في الأساس لأقول هذا. سوف تكون هناك معركة سريعًا في الحقول. يجب التجهيز لهجمة مفاجئة. لتكن من خيالة راكبين. حيث يرتكز عليهم أملنا القصير؛ لأن العدو لا يزال لديه إمداد ضعيف في شيء واحد فقط: لديه عدد قليل من الخيالة».

فقال دنثور: «ونحن أيضًا لدينا عدد قليل. إذن هل سيكون مجيء روهان في اللحظة الأخيرة».

فقال جَنْدَلْف: «من المحتمل أن نرى قادمين جددًا آخرين أولًا. الفارون من كير أندروس وصلوا بالفعل. لقد سقطت الجزيرة. لقد جاء جيش آخر من البوابة السوداء، عابرًا من الشمال الشرقي».

وقال دنثور: «لقد اتهمك البعض يا ميثرانديربالابتهاج لحمل الأخبار السيئة، ولكن بالنسبة لي لم تعد هذه أخبارًا: لقد كانت معروفة لي قبل حلول ليلة أمس. أما بالنسبة للهجوم المباغت، فقد فكرتُ فيه بالفعل. هيا بنا ننزل».

ومضى الوقت. وأخيرًا استطاع المراقبون على الجدران رؤية انسحاب السرايا الخارجية. مجموعات صغيرة من الرجال المتعبين، والذين كانوا غالبًا جرحى،

(1) Barad-dûr وهو «The Dark Towers» أي برج الظلام، برج ساورون في موردور. (المترجم)

(2) Nazgûl النازجول هم خدام الخواتم التسعة. وهم أيضًا الخيالة السود، والتسعة، والنازجول المجنحون، وأطياف الخاتم. (المترجم)

جاءت أولًا في قليل من الترتيب؛ كان بعضهم يجري في جموح كما لو كانوا يفرون من مطاردة. وبعيدًا نحو الشرق، راحت النيران البعيدة تومض، وعندئذ بدا أنها كانت تزحف هنا وهناك عبر السهل. كانت المنازل والحظائر تحترق. عندئذ جاءت من نقاط كثيرة أنهار صغيرة من لهب أحمر مسرعة، تنطلق متعرجة عبر الظلمة، متقاربة باتجاه خط الطريق العريض الذي كان يقود من بوابة المدينة إلى أوسجيلياث.

وغمغم الرجال: «العدو. لقد سقط الخندق. ها هم يأتون متدافعين عبر الفتحات! وهم يحملون مشاعل، فيما يبدو. أين هم قومنا؟».

وقارب الوقت عندئذ من المساء وفقًا للساعة، وكان الضوء معتمًا للغاية لدرجة أن الرجال طويلي النظر فوق القلعة كانوا يرون بوضوح قليل نحو الخارج فوق الحقول، باستثناء، فقط، الحرائق التي راحت تتكاثر بشكل دائم، وخطوط النيران التي كانت تزيد طولًا وسرعة. وأخيرًا، على بعد أقل من ميل من المدينة، ظهرت كتلة من الرجال أكثر ترتيبًا وأمكن رؤيتها، تسير لا تجري، لا تزال متماسكة مع بعضها.

وحبس المراقبون أنفاسهم، وقالوا: «لا بد أن فارامير هناك. يمكنه أن يتحكم في الإنسان والحيوان. سوف ينجح بالرغم من ذلك كله».

والآن فإن الانسحاب الرئيسي كان بالكاد على بعد مسافة فرسخين. من خارج الظلمة في الوراء كانت مجموعة صغيرة من الخيالة تعدو، كل ما تُرك من مؤخرة الجيش. ومرة أخرى استداروا على مسافة بعيدة، مواجهين خطوط النيران. عندئذ فجأة كان هناك صخب من صيحات شرسة. اجتاح خيالة من العدو مسرعين. أصبحت خطوط النيران شلالات متدفقة، وجاءت صفوف كثيرة من الأوركيين تحمل مشاعل، ورجال جنوبيون شرسون همجيون يحملون رايات حمراء، يصيحون بألسنة همجية، متدافعين بقوة، يلحقون بالمنسحبين ويباغتونهم. وبصرخة ثاقبة من السماء المظلمة سقطت الظلال المجنحة، النازجول ينحنون على القتلى.

وأصبح الانسحاب هرجًا ومرجًا. كان الرجال بالفعل يهربون، يفرون في جموع وبدون تفكير هنا وهناك، رامين أسلحتهم بعيدًا، وهم يصرخون في خوف، ويسقطون على الأرض.

وعندئذ دوى صوت بوق من القلعة، وأخيرًا أطلق دنثور الهجوم المباغت. كانوا مصطفين في نطاق ظل البوابة وتحت الجدران المتكشفة في الخارج، لقد كانوا ينتظرون لإشارته: جميع الرجال الراكبين الذين كانوا قد تُركوا في المدينة. عندئذ هبوا مندفعين، في تشكيل منظم، ومسرعين يعدون سريعًا، وهجموا وهم يصيحون صيحة عظيمة. ومن الجدران صعدت صرخة تجيب صرختهم؛لأنه في المقام الأول في الميدان انطلق فرسان البجع؛ فرسان دُول أمروث، مع أميرهم ورايته الزرقاء على رأسه.

وراحوا يصيحون: «أمروث من أجل جوندور! أمروث إلى فارامير!».

انطلقوا مثل الرعد يهجمون على العدو على كلا جانبي الانسحاب؛ ولكن تفوق عليهم وسبقهم جميعًا واحد من الخيالة، سريعًا مثل الريح في العشب: كان يحمله شادوفاكس، لامعًا، أميط عنه اللثام مرة أخرى، وضوء يشع من يده المرفوعة.

وزعقت أطياف الخاتم (النازجول) وانطلقت بعيدًا؛ لأن قائدهم لم يكن قد جاء بعد ليعترض النار البيضاء لعدوه. ولما كانت حشود مورجول منكبة على فريستها، وقد أخذوا بغتة بسرعة جامحة، انكسروا وتشتتوا مثل شرارات في عاصفة هوجاء. واستدارت المجموعات الخارجية بصيحة عظيمة وانقضت على المطاردين. وأصبح المطاردون مطاردين. وأصبح الانسحاب مذبحة. وأصبح الميدان مكسوًا بالجرحى والمصابين من الأوركيين والبشر، وارتفع دخان من مشاعل ألقيت بعيدًا، يتدافع ويفرقع نحو الخارج في صورة دخان دوار. وواصل الخيالة سيرهم واندفاعهم.

ولكن دنثور لم يسمح لهم بالذهاب بعيدًا. على الرغم من أنه تم كبح العدو وإيقافه، وتم دحره ودفعه في هذه اللحظة، فقد كانت هناك قوات عظيمة تتدفق قادمة من الشرق. وراح البوق يدوي مرة أخرى، معلنًا عن الانسحاب. وتوقفت خيالة جوندور. وأعيد تشكيل السرايا الخارجية وراء ستارها. وعندئذ وفي ثبوت جاءت تسير عائدة. وصلوا إلى بوابة المدينة ودخلوا، وهم يسيرون في فخر وكبرياء؛ وراح شعب المدينة ينظرون إليهم في فخر وكبرياء ويطلقون صيحات المديح، ومع ذلك فقد كانوا قلقين وفي قلوبهم هموم؛ لأن السرايا والمجموعات قلت بشكل خطير وكبير. لقد فقد فارامير ثلث رجاله. وأين كان هو؟

جاء هو آخر الجميع. ومر رجاله داخلين. وعاد الخيالة الراكبون، وفي مؤخرتهم راية دُول أمروث، والأمير. وكان يحمل بين ذراعيه أمامه على حصانه جثة قريبه، فارامير ابن دنثور، وُجد في ميدان المعركة المنكوب.

وصاح الرجال وهم يبكون في الشوارع والطرقات: «فارامير! فارامير!». ولكنه لم يجبهم، وحملوه بعيدًا صاعدين به الطريق المتعرج إلى القلعة وإلى والده. وبينما كان أطياف الخاتم ينحرفون جانبًا من هجوم الخيال الأبيض، جاء سهم مميت طائر، وإذا بفارامير، وقد كان يصد هجومًا لأحد محاربي هاراد وقد كان راكبًا حصانًا، يسقط على الأرض. لم ينقذه سوى هجوم دُول أمروث من سيوف الأراضي الجنوبية الحمراء التي كانت ستمزقه وهو راقد على الأرض.

أحضر الأمير إمراهيل فارامير إلى البرج الأبيض، وقال: «لقد عاد ابنك يا مولاي، بعد أعمال عظيمة». وقص كل ما كان قد رآه. ولكن دنثور نهض ونظر في وجه ابنه ولزم الصمت. عندئذ أمرهم أن يعدوا فراشًا في الغرفة ويضعوا فارامير عليه

ويرحلوا. ولكنه هو نفسه صعد وحده إلى الغرفة السرية تحت قمة البرج؛ ورأى الكثيرون من الذين كانوا ينظرون لأعلى إلى هذا المكان في ذلك الوقت ضوءاً باهتاً كان يتوهج ويومض من النوافذ الضيقة لبرهة، وعندئذ ومض ثم انطفأ. وعندما نزل دنثور مرة أخرى، ذهب إلى فارامير وجلس إلى جواره دون كلام، ولكن وجه الملك كان أسمر، أكثر شبهًا بالموت من وجه ابنه.

وهكذا إذن حوصرت المدينة أخيرًا، طوقتها حلقة من الخصوم والأعداء. وكُسر جدار الراماس وتم اختراقه، وتُركت حقول بيلينور للعدو. آخر كلمة تأتي من خارج الجدران أحضرها رجال يفرون عبر الطريق الشمالي قبل أن تغلق البوابة. كانوا هم بقايا الحراسة التي كانت موضوعة عند تلك النقطة حيث يجري الطريق من أنورين وروهان؛ المناطق الخارجية من البلاد. لقد قادهم إنجولد، وهو نفسه الذي أدخل جندلف وبيبين منذ أقل من خمسة أيام مضت، بينما كانت الشمس لا تزال مشرقة وكان هناك أمل في الصباح.

وقال: «ليست هناك أخبار عن الروهيريميين. لن تأتي روهان الآن، وإذا أتوا، فإن هذا لن ينفعنا. لقد أتى الجيش الجديد الذي لدينا أخبار عنه أولاً، من فوق النهر عن طريق أندروس، حسبما يقال. إنهم أقوياء: كتائب من الأوركيين التابعين لـ «العين»، وسرايا لا حصر لها من البشر من نوع جديد لم نقابله من قبل. ليسوا طويلاً، ولكن عريضًا وشرسًا، لهم لحى مثل الأقزام، يحملون فئوسًا عظيمة. من أرض وحشية ما في الشرق الفسيح أتوا، في اعتقادنا. إنهم يسيطرون على الطريق الشمالي؛ وقد عبر الكثيرون إلى أنورين. لا يمكن أن يأتي الروهيريميون».

وأغلقت البوابة. سمع الحراس طوال الليل صخب وضجيج العدو الذي كان يجوس بالخارج، يحرق الحقل والشجر، ويقطعون كل رجل يجدونه بالخارج، حيًا أو ميتًا. الأعداد التي كانت قد عبرت بالفعل فوق النهر لا يمكن تخمينها في الظلمة، ولكن عندما تسلل الصباح، أو ظله المعتم، فوق السهل، اتضح أنه حتى الخوف في الليل لم يكد يبالغ في إحصائهم كثيرًا. كان السهل مظلمًا بسراياهم ومجموعاتهم السائرة المتقدمة، وبقدر ما كانت الأعين تستطيع أن ترى بأقصى قدرة لديها في الظلمة، انبثقت، مثل فطريات كريهة، في كل مكان حول المدينة المحاصرة معسكرات كبيرة من خيام، سوداء أو حمراء داكنة.

كان الأوركيون، وهم مشغولون مثل النحل، يحفرون، يحفرون خطوطًا من خنادق عميقة في حلقة ضخمة، خارج نطاق الرمي من الجدران؛ ولما تم صنع

الخنادق تم ملء كل واحد منها بالنار، على الرغم من أنه لا يعرف أحد كيف أوقدت أو كيف غذيت، عن طريق المهارة أو عن طريق السحر والأعمال الشريرة. وظل العمل مستمرًا طوال اليوم، بينما كان رجال ميناس تيريث ينظرون غير قادرين على إعاقته. وبينما كان يتم استكمال كل خط من الخنادق، كانوا يرون عربات كبيرة تقترب؛ وسريعًا كان يتم تجهيز ووضع المزيد من سرايا العدو ومجموعاته، كل واحدة منها خلف غطاء من خندق، وآلات ضخمة لرمي القذائف. لم يكن هناك أي واحد فوق جدران المدينة كبير بالشكل الكافي ليصل بعيدًا أو ليوقف العمل.

في البداية ضحك الرجال ولم يخشوا من هذه المعدات بشكل كبير؛ لأن الجدار الرئيسي للمدينة كان مرتفعًا ارتفاعًا عظيمًا وكان سمكه مذهلًا، فقد بني قبل أن تضعف قوة وسحر نومينور في المنفى؛ وكان سطحه الخارجي شبيهًا ببرج أورثانك، صلبًا وأسود وأملس، لا يمكن قهره أو التغلب عليه لا بالحديد ولا بالنار، ولا يمكن كسره إلا بزلزال عنيف من شأنه أن يمزق الأرض نفسها التي يقف عليها الجدار.

وقالوا: «كلا، ولا حتى إذا جاء المجهول[1] هو نفسه، بل ولن يستطيع الدخول هنا مادمنا أحياء». ولكن البعض ردوا عليهم قائلين: «مادمنا أحياء؟ حتى متى؟ إن لديه سلاحًا استطاع أن يقهر أماكن كثيرة قوية منذ أن بدأ العالم. الجوع. ولقد تم قطع الطرق. لن تأتي روهان».

ولكن الآلات لم تضع قذائفها على الجدار الذي لا يمكن قهره. لم يكن قاطع طريق أو زعيم أوركي هو الذي أمر بالهجوم على أعظم خصم لسيد موردور. لقد كان يوجه الهجوم قوة وعقل من مكر وخبث. وبمجرد أن تم نصب المنجنيق، مع الكثير من الصراخ وصرير الحبال والروافع، بدءوا يرمون بالقذائف بارتفاعات شاهقة بشكل مذهل، لدرجة أنها كانت تمر فوق الشرفة المفرجة مباشرة وتسقط في ارتطام قوي داخل الدائرة الأولى للمدينة؛ وكان الكثير منها من خلال سحر سري معين ينفجر في صورة لهب وهي تنزل إلى أسفل.

وسريعًا كان هناك خطر عظيم من النيران وراء الجدار، وكان كل من أمكن توفيرهم من رجال مشغولين بكبح اللهب الذي راح يتقاذف عاليًا في أماكن كثيرة. وبعد ذلك بين القذائف الأكثر ضخامة سقط وابل آخر، أقل دمارًا ولكن أكثر ترويعًا وبشاعة. راح يسقط في كل مكان حول الشوارع والحارات وراء البوابة، قذائف صغيرة دائرية لم تحترق. ولكن عندما كان الرجال يجرون ليعرفوا ما قد تكونه هذه الأشياء، كانوا يصرخون بصوت عال أو يبكون؛ لأن العدو كان يرمي إلى المدينة

(1) المجهول: الإشارة إلى ساورون، فكانوا لا يذكرون اسمه، ويطلقون عليه (The Nameless) أو (The Nameless One). (المترجم)

رءوس أولئك الذين سقطوا في المعركة في أوسجيلياث، أو على جدار الراماس، أو في الحقول. كانت الرءوس بشعة بحيث لا يمكن النظر إليها؛ لأنه بالرغم من أن بعضها كان مهشمًا أو عديم الشكل، وكان بعضها قد قُطع بشكل وحشي، إلا أن الكثير منها كانت به ملامح يمكن وصفها، وكان يبدو أنها ماتت في ألم؛ وكانت كلها موسومة بتلك الشارة الشريرة؛ شارة العين التي لا جفن لها. ولكم كانت مشوهة أو ممثلًا بها على النحو الذي كانت عليه! فقد تصادف غالبًا أنه بهذه الطريقة يرى الرجل مرة أخرى وجه شخص كان يعرفه، كان يمشي في خيلاء في وقت من الأوقات حاملًا السلاح، أو يحرث الحقول، أو يركب جوادًا في إجازة من الوديان الخضراء في التلال.

وراح الرجال يلوحون بقبضات أيديهم بلا فائدة على الخصوم الذين لا يعرفون الشفقة، والذين كانوا محتشدين أمام البوابة. لم يكونوا يأبهون بالشتائم واللعان، ولم يفهموا ألسنة بشر الغرب، وهم يصيحون بأصوات قبيحة مثل الحيوان والطيور الجارحة. ولكن سريعًا كان هناك عدد قليل تُرك في ميناس تيريث كانت لديهم الشجاعة للصمود وتحدي جيش موردور وحشودها؛ لأنه كان لا يزال هناك سلاح آخر أكثر سرعة من الجوع، كان لدى سيد برج الظلام: الرعب واليأس.

وجاء أطياف الخاتم (النازجول) مرة أخرى، ولما كان سيدهم الشرير قد كبر وازداد قوة، فقد كبرت أصواتهم وازدادت قوة هي أيضًا التي لم تكن تردد سوى إرادته وخبثه، وكان يملؤها الشر والرعب. وراحوا يحلقون باستمرار فوق المدينة، مثل العقْبان التي كانت تترقب شبعها من لحوم البشر الذين حكم عليهم بالهلاك. راحوا يطيرون خارج نطاق الرؤية والرمي، ومع ذلك فقد كانوا موجودين دائمًا، وكانت أصواتهم المهلكة تمزق الهواء. وأصبحوا لا يطاقون بشكل متزايد، ليس أقل منهم هكذا، مع كل صيحة جديدة. وأخيرًا حتى الشجعان من الرجال كانوا يلقون بأنفسهم على الأرض كلما مر التهديد الخفي عابرًا فوقهم، أو كانوا يصمدون، تاركين أسلحتهم تسقط من أيد فقدت أعصابها بينما كانت الظلمة تخيم على عقولهم وتطبق عليها، ولم يعودوا يفكرون في الحرب أكثر من ذلك؛ ولكن فقط في الاختباء وفي الزحف، وفي الموت.

طوال هذا اليوم الأسود بطوله كان فارامير يرقد في فراشه في غرفة البرج الأبيض، يهذي في حمى يائسة؛ يحتضر، يقول أحد الأشخاص، وكان يقول بعض الرجال على الجدران وفي الشوارع «سوف يموت» في الحال. وكان والده يجلس إلى جواره، ولا يتحدث بشيء، ولكن يراقبه، ولم يعد يأبه بالدفاع.

لم يعرف پيبين ساعات بهذه الظلمة، ولا حتى في قبضة الأوروك هاي. لقد كانت مهمته أن يسهر على خدمة الملك، وراح ينتظر في خدمته، ويبدو أنه قد نُسي واقفًا إلى

جوار باب الغرفة غير المضاءة، يعالج مخاوفه بقدر استطاعته. وبينما كان يشاهد ويراقب، بدا له أن دنثور قد أصبح عجوزًا أمام عينيه، كما لو أن شيئًا قد أطبق على إرادته الأبية، وأن عقله الصارم قد قُهر. ربما يكون قد غلبه الحزن والندم. وقد رأى دموعًا في ذلك الوجه الذي كان في وقت من الأوقات لا يعرف الدموع، أشد وطأة من الحنق والغضب.

وقال متلعثمًا: «لا تبك يا مولاي. سوف يصبح على ما يرام. هل سألت جَنْدَلْف؟».

فقال دنثور: «لا تواسني بالسحرة! لقد أخفق أمل الأحمق. لقد وجده[1] العدو، وها هي الآن قوته[2] تتعاظم؛ إنه يرى أفكارنا عينها، وكل ما نفعله إلى دمار».

«لقد أرسلتُ ابني، دون شكر، ودون مباركة، إلى خطر لا ضرورة له، وها هو يرقد هنا والسم في عروقه. كلا، كلا، أيًا ما قد يحدث الآن في الحرب، فإن سلالتي أيضًا تنتهي، حتى منزل القهرمانات قد تداعى.

قوم وضيعون سوف يحكمون آخر بقايا من ملوك البشر، المختبئين في التلال حتى تتم مطاردة الجميع وطردهم بعيدًا».

وجاء الرجال إلى الباب يصيحون طلبًا لملك المدينة، وقال: «كلا، إنني لن أنزل. يجب أن أبقى إلى جوار ابني. لا يزال هناك احتمال أن يتكلم قبل النهاية. وهي ليست ببعيدة. اتبعوا من تشاءون، حتى الأحمق الأشيب[3]، على الرغم من أن أمله قد أخفق. ها هنا سأبقى».

وهكذا كان أن تولى جَنْدَلْف زمام الأمور قائدًا للدفاع الأخير عن مدينة جوندور. وفي كل مكان كان يأتي فيه، كانت قلوب الرجال ترتفع مرة أخرى، وكانت الظلال المجنحة تمر من الذاكرة. وراح يمشي بخطى واسعة دون تعب من القلعة إلى البوابة، من الشمال إلى الجنوب حول الجدار؛ وذهب معه أمير دُول أمروث في درعه اللامع؛ لأنه هو وفرسانه كانوا لا يزالون يعتبرون أنفسهم مثل سادة يجري فيهم حقيقة عرق نومينور. كان الرجال الذين يرونهم يتهامسون: «يبدو أن القصص القديمة تتحدث جيدًا؛ هناك دم جني في عروق هؤلاء القوم؛ لأن شعب نيمروديل كان يسكن في تلك الأرض في وقت من الأوقات منذ زمن طويل مضى». وعندئذ يغني! يمكن لواحد أن يغني وسط الظلمة والكآبة بعض أبيات سيدة نيمروديل الشعرية، أو أغاني أخرى من وادي أندوين من خارج السنين المتلاشية.

(1) استخدم المؤلف هنا ضمير الغائب لغير العاقل (it) في كلمة (وجده)؛ أعتقد أنه يقصد الخاتم. (المترجم)

(2) الضمير في (قوته) يعود إلى العدو. (المترجم)

(3) الإشارة هنا إلى جَنْدَلْف (جَنْدَلْف الأشيب). (المترجم)

ومع ذلك عندما ذهبوا، راحت الظلال تطبق على الرجال مرة أخرى، وأصيبت القلوب بالبرودة والكآبة، وذبلت شجاعة جوندور وبسالتها وأصبحت رمادًا. وتحولوا ببطء شديد من يوم مظلم، من مخاوف إلى ظلمة ليلة يائسة. راحت عندئذ النار تتوهج وتعيث فسادًا في الدائرة الأولى من المدينة، وكانت الحامية على الجدار الخارجي بالفعل قد مُنعَت من الانسحاب. أما المخلصون الذين ظلوا هناك في أماكنهم فقد كانوا قليلين؛ لقد فر الكثيرون فيما وراء البوابة الثانية.

وبعيدًا خلف المعركة، تم صنع جسور فوق النهر بسرعة كبيرة، وظل طوال اليوم المزيد من القوات وعتاد الحرب يتدفقان عبره. وعندئذ أخيرًا في وسط الليل تم إطلاق الهجوم. عبرت طليعة الجيش خلال خنادق النيران عن طريق الكثير من الممرات الملتوية وغير المباشرة التي كانت قد تركت بين الخنادق. وجاءوا متدافعين، غير آبهين بخسارتهم وهم يتقدمون، ولا يزالون يحتشدون ويتجمعون، في نطاق الرماة الذين كانوا على الجدار. ولكن في حقيقة الأمر كان هناك قليلون جدًا ممن تُركوا هناك بحيث يمكن أن يلحقوا بهم ضررًا جسيمًا، على الرغم من أن ضوء النيران قد أظهر الكثير من المعالم لرماة لديهم من المهارة كتلك التي كانت جوندور تتغنى بها في وقت من الأوقات وتفخر. عندئذ وقد أدرك القائد المختبئ أن بسالة المدينة قد قهرت وهزمت بالفعل، فإنه ألقى بقوته في الميدان. وبطيئًا راحت أبراج الحصار العظيمة التي بنيت في أوسجيلياث تدور متقدمة عبر الظلمة.

وجاء الرسل مرة أخرى إلى الغرفة في البرج الأبيض، وتركهم بيبين يدخلون؛ لأنهم كانوا في عجلة من أمرهم وفي أمر ملح. وأدار دنثور رأسه بطيئًا عن وجه فارامير، ونظر إليهم في صمت.

وقالوا له: «الدائرة الأولى من المدينة تحترق يا مولاي. ما أوامرك؟ أنت لا تزال الملك والقهرمان. ليست إرادة الجميع تتبع ميثراندير. الرجال يفرون من الجدران ويتركونها دون حراسة أو دفاعات».

فقال دنثور: «لماذا؟ لماذا يفر الحمقى؟ من الأفضل أن يحرقوا عاجلًا لا آجلًا؛ لأننا لا بد سنُحرق لا محالة. عد إلى نارك! وأنا؟ سوف أذهب الآن إلى محرقتي. إلى محرقتي! لن يكون هناك قبر لدنثور وفارامير. لن يكون هناك قبر! ليس هناك من نوم طويل بطيء يحفظ من الموت. سوف نحترق مثل ملوك الوثنيين الهمجيين قبل أن يحدث على الإطلاق وتبحر سفينة إلى هنا من الغرب. لقد أخفق الغرب. عُد واحترق!».

ودار الرسل دون انحناءة أو إجابة وانطلقوا مسرعين.

وعندئذ وقف دنثور وترك يد فارامير المحمومة التي كان يمسك بها، وقال في حزن: «إنه يحترق، يحترق بالفعل. مأوى روحه يتداعى وينهار». عندئذ مشى في هدوء باتجاه بيبين ونظر لأسفل إليه، وقال له:

«الوداع! الوداع، يا برجرين ابن بالادين! لقد كانت خدمتك قصيرة، والآن فهي تقترب من النهاية. إنني أعفيك من القليل الذي يتبقى. اذهب الآن، ومت بالطريقة التي تبدو لك أفضل طريقة. ومع من تشاء، حتى ذلك الصديق الذي جلبتك حماقته إلى هذا الموت. أرسل في طلب خدمي وبعد ذلك أمضي. الوداع!».

وقال بيبين وهو راكع: «لن أقول الوداع، يا مولاي». وفجأة وبطريقة الهوبيتيين مرة أخرى، وقف ونظر إلى الرجل العجوز في عينيه، وقال له: «إنني أستأذنك يا سيدي؛ لأنني أريد أن أرى جَنْدَلْف بشكل ملح جدًا في واقع الأمر. ولكنه ليس أحمق؛ ولن أفكر في الموت حتى ييأس هو من الحياة. ولكن من كلماتي ومن خدمتك لا أرغب إعفائي مادمت كنتَ حيًا. وإذا هم وصلوا أخيرًا إلى القلعة، فإنني أتمنى أن أكون هنا وأقف إلى جوارك وأصير جديرًا ربما بالأسلحة التي أعطيتني إياها».

وقال له دنثور: «افعل ما شئت، أيها السيد النصف. ولكن حياتي انهارت وتحطمت. أرسل في طلب خدمي!». ودار وعاد إلى فارامير.

وتركه بيبين ونادى على الخدم، وجاءوا: ستة رجال من أهل منزله، أقوياء وجميلون؛ ولكنهم راحوا ينتفضون عند استدعائهم. ولكن في صوت هادئ أمرهم دنثور أن يضعوا أغطية دافئة على فراش فارامير ويرفعوه. وفعلوا ما أمروا به، ورفعوا الفراش وحملوه من الغرفة. وببطء راحوا يمشون بحيث لا يقلقون الرجل المحموم إلا قليلًا قدر المستطاع، وتبعهم دنثور وقد انحنى عندئذ على عصا؛ وجاء في النهاية بيبين.

ومشوا خارجين من البرج الأبيض، كما لو كانوا يسيرون إلى جنازة، خارجين إلى الظلمة، حيث كانت السحابة المعلقة تضاء من أسفل بومضات حمراء كئيبة. وراحوا يسيرون برفق عبر الفناء الكبير، وبناء على أمر من دنثور توقفوا إلى جوار الشجرة البيضاء.

وكان كل شيء ساكنًا، باستثناء ضجيج وصخب الحرب في المدينة أسفل منهم، وسمعوا المياه تتقاطر في حزن من الفروع الميتة إلى البركة المظلمة. عندئذ ظلوا يسيرون عبر بوابة القلعة، حيث راح الحارس يحدق فيهم في دهشة ورعب وهم يمرون به. واستداروا نحو الشرق، وجاءوا أخيرًا إلى باب في الجدار الخلفي للدائرة السادسة. كانوا يسمونه فين هولين[1]؛ لأنه كان مغلقًا دائمًا ما عدا أوقات الجنائز، ولم

(1) Fen Hollen الباب المغلق في المستوى السادس من ميناس تيريث، وكان يقود إلى راث دينين، الشارع الصامت، حيث كانت توجد قبور قهرمانات وملوك جوندور.

يكن مسموحًا باستخدام هذا الطريق إلا لسيد المدينة فقط، أو أولئك الذين يحملون شارة القبور وكانوا يقومون على خدمة غرف الموتى. وفيما وراءه راح يسير طريق متعرج كان يهبط في منحنيات كثيرة إلى الأرض الضيقة أسفل ظل جرف جبل مندولين حيث كانت تقف قصور الموتى من الملوك وقهرماناتهم.

كان هناك حمال يجلس في منزل صغير إلى جوار الطريق؛ وبخوف في عينيه جاء يحمل مصباحًا في يده. وبناء على أمر الملك فتح الباب، وفي صمت رجع الباب للوراء؛ ومروا عبره، وقد أخذوا المصباح من يده. كانت الدنيا ظلامًا على الطريق الصاعد بين الجدران القديمة والدرابزينات ذات الأعمدة الكثيرة التي تلوح على ضوء شعاع المصباح المتأرجح. وراح صوت صدى الأقدام البطيئة يأتي وهم يمشون هابطين، لأسفل، حتى وصلوا أخيرًا إلى الشارع الصامت[1]، راث دينين، بين قباب شاحبة وقاعات خاوية وصور لرجال ماتوا منذ زمن؛ ودخلوا إلى منزل القهرمانات ووضعوا عنهم حملهم.

وهناك رأى بيبين، وهو يحدق في قلق من حوله، إنه كان في غرفة واسعة في هيئة قبو مقنطر، كانت مكسوة على النحو الذي كانت عليه، بظلال كبيرة كان يلقي بها المصباح الصغير على الجدران المغطاة. وكان هناك الكثير من الصفوف من الطاولات منحوتة من المرمر كانت ترى بصعوبة في الظلام وكان على كل طاولة منها شكل نائم، مطوي اليدين، وتحت الرأس وسادة من حجر. ولكن كانت هناك طاولة قريبة عريضة وخالية. وضعوا عليها وفق إشارة من دنثور فارامير وأباه جنبًا إلى جنب، وغطوهما بغطاء واحد، ووقفوا عندئذ برءوس محنية وكأنهم جماعة في حالة حداد إلى جوار فراش الموت. عندئذ تحدث دنثور بصوت منخفض، وقال: «هنا سوف ننتظر. ولكن لا ترسلوا في طلب المحنطين. أحضروا لنا خشبًا سريع الاشتعال والحرق، وضعوه في كل مكان حولنا، وأسفل منا؛ وصبوا عليه الزيت. وعندما آمركم ضعوا فيه مشعلًا. افعلوا هذا ولا تتحدثوا معي أكثر من ذلك. الوداع!».

«بإذنك يا مولاي»، قال ذلك بيبين واستدار وفر في رعب من ذلك المنزل الشبيه بالموت، وفكر مع نفسه: «مسكين فارامير! يجب أن أجد جَنْدَلْف. مسكين فارامير! من المحتمل تمامًا أنه يحتاج إلى دواء أكثر من حاجته إلى الدموع. أوه، أين يمكنني أن أجد جَنْدَلْف؟ في ظني، في قلب المعمعة؛ ولن يكون لديه وقت يدخره لرجال يحتضرون أو رجال مجانين».

عند الباب، التفت إلى واحد من الخدم ظل في الحراسة هناك، وقال له: «إن سيدك ليس على طبيعته. سر ببطء! لا تحضر أي نار إلى هذا المكان مادام فارامير حيًا! لا تفعل شيئًا حتى يأتي جَنْدَلْف!».

(1) Rath Dínen وهو الشارع الصامت [Silent Street]. (المترجم)

وأجابه الرجل: «من هو سيد ميناس تيريث؟ أهو دنثور الملك أم الجوال الأشيب؟».

«الجوال الأشيب وإلا فلن يكون هناك شخص آخر، هذا ما يبدو لي»، قال له بيبين ذلك، راح يسرع عائدًا وصاعدًا الطريق المتعرج سريعًا قدر ما استطاعت قدماه أن تحملاه، مارًا أمام الحمال المذهول، وخارجًا عبر الباب، ثم واصل جريه، حتى وصل قريبًا من بوابة القلعة. وحياه الحارس بينما كان يسير أمامه، وتذكر صوت برجوند، الذي صاح فيه:

«إلى أين تذهب أيها السيد برجرين؟».

وأجابه بيبين: «لأجد ميثراندير».

وقال له برجوند: «رسائل الملك عاجلة وملحة ويجب ألا تتأخر بسببي، ولكن أخبرني سريعًا، إذا استطعتَ: ما الذي يجري؟ إلى أين ذهب مولاي؟ لقد جئت من توي لأتسلم نوبة الخدمة، ولكني سمعت أنه قد مر باتجاه الباب المغلق، وكان الرجال يحملون فارامير أمامه».

وقال له بيبين: «نعم، إلى الشارع الصامت».

وحنى برجوند رأسه ليخفي دموعه، وتنهد قائلًا: «قالوا إنه كان يحتضر، والآن فقد مات».

فقال بيبين: «لا، ليس بعد. بل وحتى الآن فقد يمكن منع موته، في رأيي. ولكن ملك المدينة يا برجوند قد سقط قبل أن يتم الاستيلاء على مدينته. إنه مقضي عليه بالموت كما أنه خطير للغاية». وسريعًا أخبره بكلمات دنثور وأعماله الغريبة. «علي أن أجد جَنْدَلْف في الحال».

«إذن ينبغي عليك أن تنزل إلى المعركة».

«أعرف ذلك. لقد أعطاني الملك الإذن. ولكن يا برجوند إذا استطعتَ، افعل شيئًا لتمنع أي شيء مروع من الحدوث».

«الملك لا يسمح لأولئك الذين يرتدون زيًا أسود وفضيًا بمغادرة أماكن خدمتهم لأي سبب كان، إلا بأمر خاص منه».

فقال له بيبين: «حسنًا، يجب أن تختار بين الأوامر وبين حياة فارامير. أما بالنسبة للأوامر، أظن أنه لديك رجل مجنون لتتعامل معه، وليس ملكًا. يجب علي أن أجري. سأعود إذا استطعتُ».

وجرى، هابطًا، هابطًا باتجاه المدينة الخارجية. وكان الرجال الفارون من الحرق في طريق عودتهم يمرون به، ولما رأى بعض منهم زيه كانوا يلتفتون ويصيحون، ولكنه لم يكن يعيرهم انتباهًا. وأخيرًا كان يمر عبر البوابة الثانية التي كانت النيران العظيمة وراءها تقفز لأعلى بين الجدران. ولكن الدنيا بدت صامتة بشكل

غريب. لم يكن هناك ضجيج ولا صرخات للمعركة أو قعقعة سلاح يمكن سماعها. عندئذ فجأة كانت هناك صرخة مروعة وضربة عظيمة، وصوت صدى انفجار عميق مدوٍ. وتغلب بيبين على دفقة من خوف ورعب هزته حتى ركبتيه تقريباً وانعطف في زاوية كانت تفتح على مكان واسع وراء بوابة المدينة. وتوقف تماماً. لقد وجد جَنْدَلْف؛ ولكنه تراجع، وقد انكمش من الرعب إلى ظل.

منذ منتصف الليل ظل الهجوم الكبير مستمراً. وراحت الطبول تدق باستمرار. نحو الشمال ونحو الجنوب راحت سرايا لا حصر لها من العدو تهجم على الجدران. وجاءت حيوانات كبيرة، مثل منازل متحركة في الضوء الأحمر المتقطع، الفيلة العملاقة[1] من هارادر تجر عبر الطرقات بين النيران الضخمة أبراجاً وآلات. ولكن قائدهم لم يكن يأبه كثيراً بما يفعلونه أو بعدد الذين قد يقتلون: كان غرضهم يتمثل فقط في اختبار مدى قوة الدفاع وشغل رجال جوندور في أماكن كثيرة. كان سيلقي بأثقل وزنه على البوابة. ربما تكون قوية للغاية، مصنوعة من فولاذ وحديد، ومحروسة بأبراج ومعاقل من صخر منيع لا يمكن قهره، ولكنها كانت المفتاح، أضعف نقطة في كل ذلك الجدار العالي الذي لا يمكن اختراقه.

وراحت الطبول تدوي بصوت أعلى. وراحت النيران تقفز عالياً. وراحت آلات ضخمة تزحف عبر الحقل؛ وفي الوسط كان هناك منجنيق ضخم، هائل مثل شجرة غابة طولها مائة قدم، يسير متحركاً على سلاسل عظيمة هائلة. كان يستغرق صنعه زمناً طويلاً في ورش الحدادة المظلمة في جوندور، وكان رأسه البشع الشائن، وقد صنع من فولاذ أسود، قد صنع على شكل ذئب مفترس؛ وعليه ترقد تعاويذ الدمار. كانوا يسمونه جروند[2]، إحياء لذكرى مطرقة الجحيم في الماضي. كانت تجره حيوانات هائلة، كان الأوركيون يحيطون بها، وكانت تمشي وراءها غيلان الجبل لتديرها وتسيطر عليها.

ولكنَّ المقاومة كانت حول البوابة، ولا تزال قوية وشديدة، وهناك كان يقف فرسان دُول أمروث وأصلب حامياتها استعداداً لصد وإعاقة أي هجوم. راحت السهام والرماح تنزل كثيفة؛ كانت أبراج الحصار تنهار أو تشتعل ناراً فجأة مثل المشاعل. في كل مكان أمام الجدران على كلا جانبي البوابة كانت الأرض تختنق بالحطام وبجثث القتلى؛ ولكن لما كانت لا تزال يدفعها الجنون ظل المزيد والمزيد يأتي منها.

(1) فيلة عملاقة (موماكيل : Mûmak)؛ أفيال ضخمة جداً من العصر الثالث، ومعروفة أيضاً باسم (oliphaunt)، وهي أبناء عمومة عملاقة للأفيال الحالية. (المترجم)

(2) Grond وكانت تسمى أيضاً (Hammer of the Underworld) أي مطرقة الجحيم. (المترجم)

وراح المنجنيق جروند يواصل زحفه. ولم تكن لتشتعل أي نار فوق غطائه؛ وعلى الرغم من أنه من وقت لآخر كان يصاب أحد الحيوانات العظيمة التي تدفعه بالجنون وينشر الدمار المهلك بين الأوركيين الذين كانوا لا حصر لهم، والذين كانوا يحرسون المنجنيق، فقد كانت ترمى أجسادهم جانباً من طريقه ويأتي آخرون ليحلوا محلهم.

وراح المنجنيق جروند يواصل زحفه. وراحت الطبول تدوي في جموح. فوق تلال من القتلى، ظهر شكل بشع: خيال، طويل، مغطى الرأس، يرتدي معطفاً أسود. وبطيء، وهو يطأ فوق الذين سقطوا قتلى، سار بحصانه، دون أن يأبه بأي رماح أو سهام. وتوقف ورفع سيفاً طويلاً باهتاً. وأثناء ذلك نزل خوف عظيم على الجميع، المدافع والعدو على السواء؛ ونزلت أيدي الرجال متدلية على جوانبهم، ولم ينطلق أي قوس. وسكن كل شيء للحظة.

ودوت الطبول وقعقعت. وفي اندفاعة كبيرة وهائلة تم دفع جروند للأمام بأيد ضخمة. ووصل إلى البوابة. وتأرجح. ودوى صوت ارتطام عميق عبر المدينة مثل الرعد يجري في السحب. ولكن أبواب الحديد وأعمدة الفولاذ صمدت أمام الضربة.

عندئذ وقف القائد الأسود على ركابي حصانه وصاح بصوت عال في صوت مخيف مرعب، متحدثاً بلسان منسي بكلمات من سلطة ورعب تخلع الفؤاد والحجر وتمزقهما.

صاح ثلاث مرات. ودوى صوت ارتطام المنجنيق ثلاثاً. وفجأة مع الضربة الثالثة، انكسرتُ البوابة. وكما لو كانت قد ضربت بتعويذة هائلة، فإنها انفجرت متفتتة إرباً: وكان هناك وميض من برق ذابل، وتداعت الأبواب في شظايا ممزقة على الأرض.

وتقدم ملك النازجول داخلاً على حصانه. لا في صورة شكل أسود ضخم أمام النار في الوراء، وكبر متحولاً إلى تهديد هائل من يأس. وتقدم ملك النازجول داخلاً بحصانه، تحت المدخل المقنطر الذي لم يحدث وعبره حتى الآن أي عدو، وفر الجميع أمام وجهه.

الجميع ما عدا واحداً فقط. كان ينتظر هنالك، صامتاً وساكناً في المساحة الخالية أمام البوابة، كان يجلس جَنْدَلْف على شادوفاكس: شادوفاكس وهو الحصان الوحيد بين الخيل الحرة في الأرض الذي صمد أمام الرعب، ثابتاً وراسخاً مثل صورة منحوتة في راث دينين.

«لا يمكن أن تدخل هنا». قال ذلك جَنْدَلْف، وتوقف الظل الضخم. «عد إلى الجحيم الذي أعد لك! ارجع! اذهب لتسقط في العدم الذي ينتظرك أنت وسيدك. اذهب!».

وطرح الخيال الأسود غطاء رأسه للوراء، وعجباً لما حدث! كان لديه تاج ملكي؛

ومع ذلك فلم يكن مَوضوعًا على رأس مرئي. وراحت النيران الحمراء تشتعل بينه وبين الكتفين المغطاتين الكبيرتين السوداوين. ومن فم غير مرئي جاءت ضحكة مهلكة، وقال:

«أيها الأحمق العجوز! أيها الأحمق العجوز! هذه هي ساعتي. ألا تعرف الموت عندما تراه؟ مت الآن والعن دون جدوى!». وبهذه الكلمات رفع سيفه عاليًا وتساقطت ألسنة اللهب نازلة عبر النصل.

ولم يتحرك جَنْدَلْف. وفي تلك اللحظة عينها، بعيدًا في الوراء في فناء من أفنية المدينة، صاح ديك. صاح بصوت حاد وواضح، غير مبال بأي شيء من سحر أو حرب، مرحبًا فقط بالصباح الذي كان يأتي بالفجر في السماء بعيدًا وعاليًا فوق ظلال الموت.

وكما لو كان ردًا على ذلك جاء من بعيد صوت آخر. صوت أبواق راحت تدوي وتدوي. وراحت أصداؤها تنطلق في ضعف على جنبات جبل مندولوين. أبواق عظيمة من الشمال راحت تدوي في جموح. أخيرًا جاءت روهان.

الفصل الخامس

رحلة الروهيريميين

كانت الدنيا ظلامًا ولم يكن ميري يستطيع أن يرى أي شيء وهو يرقد على الأرض ملفوفًا في بطانية؛ ولكن على الرغم من أن الليلة كانت ساكنة لا هواء فيها ولا ريح، فقد كانت أشجار خفية في كل مكان حوله تتنهد بصوت منخفض. ورفع رأسه. عندئذ سمعه مرة أخرى: صوت مثل طبول ضعيفة في التلال والمدرجات الجبلية المغطاة بالأشجار. كان الخفقان ينقطع فجأة وبعد ذلك ينتقل إلى نقطة أخرى مرة أخرى، يصبح مرة أكثر قربًا، ومرة أخرى يصبح بعيدًا. وتساءل إن كان الحراس قد سمعوه.

لم يكن يستطيع رؤيتهم، ولكنه كان يعلم أن مجموعات وسرايا روهان كانت في كل مكان حوله. كان يشم الخيل في الظلمة، وكان يسمع تنقلاتها ووقع أقدامها الخفيف على الأرض المغطاة بالإبر. عسكر الجيش في العراء في غابات الصنوبر التي كانت متجمعة حول منارة إلِيناخ، وهي تل مرتفع يقف منتصبًا من السلاسل الطويلة لغابة دروانْدان التي تقع إلى جوار الطريق العظيم في شرق أنورين.

وعلى الرغم مما كان به من الإعياء والتعب، فإنه لم يستطع النوم. لقد كان يسير على الحصان حتى الآن لمدة أربعة أيام دون توقف، وكانت الظلمة التي راحت تزداد عمقًا بشكل مستمر تزداد وطأة ببطء على قلبه. وبدأ يتساءل لماذا كان بهذه الدرجة من التلهف على المجيء، في حين أنه مُنح كل عذر، بل وحتى أمر مولاه، ليتخلف عنهم ويبقى حيث كان. وتساءل أيضًا، إذا كان الملك العجوز يعرف أن أمره قد عُصي وغضب من ذلك . وربما لا. لقد كان هناك بعض التفاهم بين ديرنهيلم وإلفهيلم، المارشال الذي كان يقود كتائب الإيوريد[1] التي كانوا يسيرون فيها. تجاهل هو وجميع رجاله ميري، وكانوا يتظاهرون بعدم السمع إذا هو تحدث. ربما كان مجرد جوال آخر كان ديرنهيلم يحمله. لم يكن ديرنهيلم مصدر عزاء أو مواساة له: إنه لم يتحدث مع أحد قط. أحس ميري بالضآلة، وأنه غير مرغوب فيه، وبالعزلة. وعندئذ كان الوقت مثيرًا للقلق، وكانت الحشود في خطر. كان على مسافة مسيرة أقل من يوم من الجدران الخارجية لميناس تيريث التي كانت تحيط بالمناطق الخارجية الشاسعة. تم إرسال الكشافة أمامهم. لم يعد بعضهم. ونقل آخرون ممن عادوا بسرعة وفي عجلة أن الطريق قد تمت السيطرة عليه بالقوة ومغلق أمامهم. لقد كانت هناك جماعة من

---

(1) Éored تطلق على كتائب الروهيريميين، والجمع منها هو Éoreds. (المترجم)

العدو تعسكر فيه، على بُعد ثلاثة أميال إلى الغرب من أمون دين[1]، وكانت قوة من الرجال بالفعل تتدافع عبر الطريق وكانت على بعد مسافة لا تزيد على ثلاثة فراسخ. كان الأوركيون يطوفون في التلال والغابات بطول جانب الطريق. وعقد الملك وإيومر مجلس تشاور خلال نوبات الحراسة الليلية.

كان ميري يريد شخصًا ليتحدث معه، وراح يفكر في بيبين. ولكن ذلك ما كان إلا أن زاد من قلقه. بيبين المسكين محبوس في مدينة الحجارة العظيمة وحيداً وخائفًا. تمنى ميري أن لو كان خيالًا طويلًا مثل إيومر وكان يستطيع أن ينفخ بوقًا أو شيئًا من هذا القبيل وينطلق يعدو لإنقاذه سريعًا. وجلس ينصت للطبول التي راحت تدق مرة أخرى، وكانت الآن أكثر قربًا. وفي الوقت الحالي سمع أصواتًا تتحدث بشكل منخفض، ورأى مصابيح معتمة نصف مغطاة تمر عبر الأشجار. بدأ الرجال القريبون يتحركون في شك في الظلمة.

ولاح شكل طويل وتعثر فوقه، وهو يلعن جذور الأشجار. وتذكر صوت إلفهيلم المارشال، وقال:

«أنا لستُ جذر شجرة يا سيدي، ولست جوالًا، ولكني هوبيتي مسحوق. أقل شيء يمكن أن تفعله لتصلح ذلك هو أن تخبرني ما الذي يجري».

وأجابه إلفهيلم: «أي شيء يمكن أن يظل هذا في ظلمة الشيطان هذه. ولكن سيدي يرسل بتعليمات، أنه يجب علينا أن نضع أنفسنا على أهبة: ربما تأتي الأوامر بالتحرك المفاجئ».

فسأل ميري في قلق: «هل العدو قادم إذن؟ هل هذه هي طبولهم؟ بدأت أظن أنني أتخيلهم، حيث لم يلاحظهم أي أحد آخر».

فقال له إلفهيلم: «كلا، كلا، العدو على الطريق ليس في التلال. إنك تسمع الأوزيين[2]، بشر الغابات الهمجيين: هكذا يتحدثون معًا على البعد. إنهم لا يزالون ينتابون غابة درواذان[3]، حسبما يقال. إنهم بقايا وقت أكثر قدمًا، يعيشون في مجموعات قليلة وفي الخفاء، هائجون وحذرون مثل الحيوانات. إنهم لا يذهبون للحرب مع جوندور أو المارك؛ ولكن الآن تقلقهم الظلمة وقدوم الأوركيين؛ إنهم يخشون أن تكون السنوات المظلمة في طريقها للعودة، مثلما يبدو من المحتمل بشكل كاف. دعنا نكون ممتنين أنهم ليسوا يطاردوننا؛ لأنهم يستخدمون سهامًا مسمومة، حسبما يقال، وهم مهرة في الصيد في الغابات على نحو لا يمكن مضاهاته. ولكنهم عرضوا خدماتهم على ثيودن. ويتم الآن أخذ واحد من رؤسائهم إلى الملك. وها هي

(1) Amon Dîn معناها ['Silent Hill'] أي التل الصامت. (المترجم)

(2) Woses اسم يطلقه الروهيريميون على أولئك المعروفين لدى الجن باسم {[Drúedain] الدروييداين}. (المترجم)

(3) Drúadan غابة درواذان. (المترجم)

الأضواء تسير هناك. لقد سمعتُ الكثير للغاية ولكن لا أريد المزيد. والآن يجب أن أشغل نفسي بأوامر مولاي. لتحزم نفسك أيها السيد الجوال!». واختفى في الظلال.

لم يحب ميري هذا الحديث عن البشر الهمجيين وعن السهام المسمومة، ولكن بصرف النظر عن ذلك كان هناك حمل ثقيل من رعب يجثم عليه. كان الانتظار لا يُطاق. كان يتوق لمعرفة ما سيجري. ونهض وفي الحال راح يمشي في حذر متتبعًا آخر مصباح قبل أن يختفي بين الأشجار.

وفي ذلك الوقت وصل إلى مساحة فضاء مكشوفة تم فيها نصب خيمة صغيرة للملك تحت شجرة عظيمة. كان هناك مصباح كبير، مغطى من أعلى، معلقٌ من غصن وراح يلقي بدائرة شاحبة من ضوء أسفل منه. هناك جلس ثيودن وإيومر، وأمامهما على الأرض جلس شكل غريب لرجل جاثم، كثير العقد مثل حجر قديم، وكان شعر لحيته النزر متدليًا في غير نظام على ذقنه الأخرق مثل طحلب جاف. كان قصير الرجلين، بدين الذراعين، وسمينًا وقصيرًا، وكان لا يرتدي سوى العشب حول خاصرته. أحس ميري أنه قد رآه في مكان ما قبل ذلك، وفجأة تذكر رجال البوكيل الهمجيين[1]على الطريق إلى دونهارو. هنا كان يوجد واحد من تلك التماثيل تمت إعادته للحياة، أو لعله كان مخلوقًا انحدر عبر سلالة حقيقية خلال سنين لا نهائية من النماذج التي استخدمها الحرفيون منذ زمن طويل.

وكان هناك صمت بينما كان ميري يزحف مقتربًا أكثر، وعندئذ بدأ الرجل الهمجي الحديث، إجابة عن سؤال معين، فيما يبدو. كان صوته عميقًا وحلقيًا، ولكن لدهشة ميري فإنه كان يتحدث باللغة الدارجة، إلا أن ذلك كان بطريقة عرجاء، وكانت تمتزج بها كلمات فظة غير مألوفة.

وقال: «لا، والد رجال الخيل، لا نحاربه. نطارد ونصطاد فقط. نقتل الجورجون[2] في الغابة، إننا نكره الأوركيين. إنكم تكرهون الجورجون أيضًا. إننا نساعد قدر استطاعتنا. البشر الهمجيون لهم آذان طويلة وأعين طويلة؛ يعرفون كل الطرقات. البشر الهمجيون يعيشون هنا قبل المنازل الحجرية؛ قبل أن يأتي البشر طوال القامة من الماء».

فقال له إيومر: «ولكن حاجتنا هي للمساعدة في المعركة. كيف ستساعدنا أنت وقومك؟».

وقال الرجل الهمجي: «نجلب الأخبار. إننا ننظر من التلال. إننا نتسلق الجبال الكبيرة وننظر لأسفل. المدينة الحجرية مغلقة. النار تحرق هناك بالخارج؛ الآن

(1) Pûkel-men من الممكن حسب المؤلف الاحتفاظ بالجزء Pûkel دون ترجمة، وغالبًا ما ينظر إلى الكلمة على وجه العموم على أنها مساوية لكلمة Drúedain أي البشر الهمجيين. (المترجم)

(2) Gorgun أظنه يعني الأوركيين، على الرغم من أنني لم أجد الكلمة في أي مكان آخر. (المترجم)

بالداخل أيضًا. ترغبون في الذهاب إلى هناك؟ إذن يجب أن تسرعوا. ولكن الجورجون ورجاله آتون من مكان بعيد»، وأشار ملوحًا بذراع قصيرة كثيرة العقد باتجاه الشرق، «يجلسون على طريق الخيل. كثيرون جدًا، أكثر من رجال الخيل».

وقال له إيومر: «كيف تعرف ذلك؟».

ولم يظهر الوجه المسطح للرجل العجوز ولا عيناه السوداوان أي شيء، ولكن صوته كان حزينًا بالاستياء، وأجاب بقوله: «البشر الهمجيون همجيون، أحرار، ولكن ليسوا أطفالًا. إنني رئيس عظيم، غان بوري غان[1]. إنني أحصي أشياء كثيرة: النجوم في السماء، الأوراق على الأشجار، الرجال في الظلمة. لديك عشرون من عشرينات محسوبة عشر مرات وخمسًا. لديهم أعداد أكثر. معركة كبيرة، ومن الذي سيفوز؟ والكثيرون أكثر من ذلك يمشون حول جدران المنازل الحجرية».

وقال ثيودن: «واحسرتاه! إنه يتحدث بمنتهى الدهاء. كما أن كشافينا يقولون إنهم قد حفروا خنادق وخوازيق عبر الطريق. لا يمكننا أن نجتاحهم ونتغلب عليهم في هجوم مفاجئ».

فقال إيومر: «ومع ذلك فإننا بحاجة إلى السرعة الكبيرة. إن موندبرج[2] تحترق!».

فقال الرجل الهمجي: «دعوا غان بوري غان ينهي كلامه! إنه يعرف أكثر من طريق واحد. سوف يقودكم عبر طريق لا توجد فيه أي حفر، ولا يمشي فيه أي جورجون، البشر الهمجيون فقط والحيوانات. تم بناء الكثير من الطرق عندما كان شعب المنازل الحجرية أكثر قوة. لقد نحتوا التلال مثلما ينحت الصيادون لحم الحيوانات. يعتقد الرجال الهمجيون أنهم كانوا يأكلون الحجارة بدلًا من الطعام. لقد ذهبوا عبر درواذان إلى ريمون بعربات عظيمة. إنهم لم يعودوا يذهبون. لقد نُسي الطريق، ولكن ليس البشر الهمجيون هم الذين نسوه. فوق التل ووراء التل لا يزال يقع تحت العشب والشجر، هناك وراء منطقة شجر الرمان، وهبوطًا إلى طريق دين، ورجوعًا في النهاية إلى طريق رجال الخيل. سوف يريكم البشر الهمجيون ذلك الطريق. عندئذ سوف تقتلون الجورجون وتصدون السود الأشرار الذين يحملون حديدًا لامعًا، وسوف يعود البشر الهمجيون إلى النوم في الغابات البرية».

وتحدث إيومر والملك معًا بلغتهم. وأخيرًا تحول ثيودن إلى الرجل الهمجي وقال له: «سوف نقبل عرضك؛ لأنه على الرغم من أننا نترك جيشًا من الأعداء والخصوم وراءنا، فماذا يهم إذا سقطت المدينة الحجرية؟ ففي هذه الحالة لن نعود. وإذا تم إنقاذها، فإن جيش الأوركيين نفسه سوف يُعزل ويقطع عليه الطريق. إذا كنت مخلصًا يا غان بوري غان، ففي هذه الحالة سوف نمنحك مكافأة كبيرة، وسوف تنال صداقة المارك للأبد».

(1) Ghân-buri-Ghân هو زعيمهم. (المترجم)

(2) Mundburg اسم في روهان يطلق على ميناس تيريث. (المترجم)

فقال الرجل الهمجي: «الرجال الميتون ليسوا أصدقاء للرجال الأحياء، ولا يعطونهم أي هدايا. ولكن إذا كنت تعيش بعد الظلمة، إذن فدع البشر الهمجيين وشأنهم في الغابات ولا تقم باصطيادهم مثل الحيوانات بعد ذلك. غان بوري غان لن يقودكم إلى مصيدة. سوف يذهب هو نفسه مع والد رجال الخيل، وإذا هو قادكم في طريق خاطئ، يمكنكم أن تقتلوه عندئذ».

وقال ثيودن: «ليكن ما قلتَ!».

وسأله إيومر: «كم سنستغرق من الوقت للمرور بالعدو والعودة إلى الطريق؟ يجب أن نسير بسرعة المشي على الأقدام، إذا أنت قدتنا؛ ولا أشك أن الطريق ضيق».

فقال غان: «البشر الهمجيون يسيرون سريعًا على الأقدام. الطريق يتسع لأربعة خيول في وادي ستونواين هناك». وأشار بيده باتجاه الجنوب؛ «ولكنه ضيق في البداية والنهاية. الرجل الهمجي يمكنه المشي من هنا إلى دين بين شروق الشمس والظهيرة».

فقال إيومر: «إذن يجب أن نترك سبع ساعات على الأقل للقادة، ولكن يجب أن نضع تقديرنا أفضل من ذلك على عشر ساعات إجمالًا، فقد تعوقنا أشياء غير متوقعة، وإذا انفرط عقد جميع قواتنا، فسوف يستغرق الأمر وقتًا طويلًا قبل أن يتم تنظيمه عندما نخرج من التلال. كم الساعة الآن؟».

فقال ثيودن: «من يدري؟ الدنيا ليل تمامًا الآن».

فقال غان: «مظلمة تمامًا، ولكن ليست ليلًا تمامًا. عندما تأتي الشمس، فإننا نحس بها، حتى عندما تكون مختبئة. فهي تصعد بالفعل فوق الجبال الشرقية. إنها فتحة النهار في حقول السماء».

وقال إيومر: «إذن يجب أن نبدأ المسير في أسرع وقت ممكن. ومع ذلك فإننا لا يمكن أن نأمل أن نصل لنجدة جوندور اليوم».

ولم ينتظر ميري ليسمع أكثر من ذلك، ولكنه انسل بعيدًا ليستعد للاستدعاء للمسير. كانت هذه المرحلة الأولى قبل المعركة. لم يبد محتملًا بالنسبة له أن الكثيرين منهم سوف ينجون منها. ولكنه راح يفكر في بيبين واللهب في ميناس تيريث وكبح رعبه وخوفه.

سار كل شيء على ما يرام في ذلك اليوم، ولم يروا أو يسمعوا أي صوت للعدو بحيث يكون مترقبًا للإيقاع بهم في كمين. لقد وضع البشر الهمجيون درينة[1] من الصيادين اليقظين، حتى لا يعلم أي أوركي أو أي جاسوس يطوف في المكان بالتحركات التي تجري في التلال. وكان الضوء معتمًا أكثر من أي وقت مضى وهم

(1) الدرينة: كتائب تتقدم قوة أكبر منها لحمايتها (قاموس المورد). (المترجم)

يقتربون من المدينة المحاصرة، ومر الخيالة في صفوف طويلة مثل ظلال مظلمة من بشر وخيل. كان يتقدم كل سرية ومجموعة منهم حارس همجي من حراس الغابة؛ إلا أن غان كان يمشي إلى جوار الملك؛ كانت البداية أكثر بطئًا مما كان متوقعًا؛ لأن الأمر استغرق الكثير من الوقت من الخيالة، وهم يمشون ويقودون خيلهم، ليعثروا على ممرات فوق سلاسل الجبال كثيفة الشجر وراء معسكرهم وهبوطًا إلى وادي ستونواين الخفي. كان الوقت متأخرًا في فترة ما بعد الظهر عندما وصل القادة إلى أجمات شاسعة مظلمة تمتد فيما وراء الجانب الشرقي من أمون دين، وتغطي فجوة هائلة بمحاذاة التلال كانت تجري من ناردول إلى دين شرقًا وغربًا. وعبر الفجوة كان طريق العربات الذي نسي منذ زمن يسير هابطًا، عائدًا إلى طريق الخيل الرئيسي من المدينة عبر أنورين؛ ولكن الآن على مدار أجيال كثيرة من البشر، كان للأشجار طريقها معه أيضًا، وقد تلاشى، وتكسر ودُفن تحت أوراق سنين لا حصر لها. ولكن الأجمال أعطت الخيالة آخر خيط من أمل بمنحهم غطاء قبل أن يذهبوا إلى المعركة المكشوفة؛ لأنه كان يقع وراءهم طريق وسهول نهر أندوين، بينما في الشرق وباتجاه الجنوب كانت المنحدرات جرداء وصخرية، عندما راحت التلال الملتوية تلملم نفسها معًا وتسير صاعدة، جزء ناتئ فوق آخر، إلى الكتلة العظيمة لجبل ميندولوين وأكتافه العظيمة.

وتم إيقاف المجموعة المتقدمة، وبينما راحت المجموعات التي كانت في الوراء تتجمع وتنتظم في صفوفها خارجة من قاع وادي ستونواين، فإنهم انتشروا ومروا إلى أماكن التخييم تحت الأشجار المظلمة. واستدعى الملك القادة لمجلس تشاوري. أرسل إيومر كشافه للتجسس على الطريق واستكشافه؛ ولكن غان العجوز هز رأسه، وقال: «ليست هناك فائدة في إرسال خيالة. لقد رأى البشر الهمجيون بالفعل كل شيء يمكن أن يُرى في الهواء الشرير. سوف يعودون في الحال ويتحدثون معي هنا».

وجاء القادة؛ وعندئذ جاءت خارجة من بين الأشجار في حذر أشكال بوكيلية أخرى كبيرة الشبه بغان العجوز لدرجة أن ميري كان بالكاد يستطيع التفريق بينهم. وتحدثوا إلى غان بلغة حلقية غريبة.

في الوقت الحالي، التفت غان إلى الملك، وقال: «البشر الهمجيون يقولون أشياء كثيرة. أولًا، كونوا على حذر! لا يزال هناك رجال كثيرون معسكرين فيما وراء دين، على مسافة ساعة من المشي هناك»، وأشار بذراعه غربًا باتجاه المنارة السوداء. «ولكن ليس هناك أي أحد يُرى ما بين هنا والجدران الجديدة لشعب الحجارة. الكثيرون مشغولون هناك. لم تعد الجدران قائمة: يقوم الجورجون بالإطاحة بها وتدميرها برعد أرضي مدمر وهراوات من حديد أسود. إنهم غير حذرين ولا ينظرون حولهم. إنهم يظنون أن أصدقاءهم يراقبون كل الطرق!». وعند هذا الحد أصدر غان صوت قرقرة غريبًا، وكان يبدو أنه يضحك.

وصاح إيومر: «أخبار جيدة! حتى في هذه الظلمة يومض الأمل من جديد. إن حيل عدونا وخططه غالبًا ما تخدمنا رغمًا عنه. إن الظلمة اللعينة نفسها كانت غطاء لنا. والآن، لما كان يتحرق إلى تدمير جندور والإطاحة بها وتفكيكها حجرًا حجرًا، فإن الأوركيين التابعين له قد أخذوا أعظم خوف عندي. لقد كان من الممكن أن يقف الجدار الخارجي عائقًا لمدة طويلة ضدنا. الآن يمكننا المرور عبره بمجرد أن ننجح في الوصول إليه».

وقال ثيودن: «مرة أخرى أشكرك يا غان بوري غان يا حارس الغابة. ليحالفك الحظ السعيد في الأخبار والإرشاد!».

وأجابه غان قائلًا: «اقتلوا الجورجون! اقتلوا الأوركيين! ليس هناك أي كلمات أخرى غير ذلك تسعد البشر الهمجيين. ادفعوا الهواء الشرير والظلمة الشريرة بالحديد البرق!».

وقال له الملك: «لقد سرنا كل هذه المسافات بعيدًا حتى نفعل هذه الأشياء، وسوف نحاول إنجازها. ولكن ما سوف ننجزه لن يظهره سوى الغد ويكشف عنه».

وجثم غان بوري غان على الأرض وراح يمسها بجبينه كثير الشعر علامة على الوداع. عندئذ نهض قائمًا كما لو كان ليرحل. ولكنه وقف فجأة وقد بدا مثل حيوان غابات مذعور يتشمم هواء غريبًا. وظهر ضوء في عينيه.

«الريح تتغير!». صاح بهذه الكلمات، وبها، في طرفة عين كما بدا، اختفى هو ورفاقه في الظلمة، ولم يرهم بعد ذلك أي خيال من روهان قط. وعلى مسافة غير طويلة باتجاه الرق راح صوت الطبول الضعيف يدق مجددًا. ولكن يساور أي قلب في الحشد بأكمله أي خوف من أن يخونهم البشر الهمجيون، على الرغم من أنهم قد يبدون غريبي الشكل وغير محببين للنفس.

وقال إلفهيلم: «لم نعد بحاجة إلى أي توجيه؛ لأن هناك خيالة في الجيش قد ساروا من قبل عبر الطريق إلى موندبرج في أيام السلام. وأنا واحد من هؤلاء. عندما نصل إلى الطريق، فإنه سينحرف جنوبًا، وسوف يظل أمامنا سبعة فراسخ قبل أن نصل إلى جدار الأراضي الخارجية. عبر معظم ذلك الطريق، هناك الكثير من العشب على كلا جانبي الطريق. وفي تلك الرقعة، يعتبر حملة رسائل جوندور أنهم يسيرون بأعظم سرعة. إننا قد نسير فيها ربعًا ودون أي صخب أو ضجيج كبير».

وقال إيومر: «إذن حيث إننا لا بد في طريقنا إلى أعمال شريرة وحشية وبحاجة إلى قوتنا، فإنني أنصح بالراحة الآن، ونبدأ السير من هنا عندما يكون الغد مضيئًا حسبما سيكون، أو عندما يعطي مولاي الإشارة».

ووافق الملك على هذا، ورحل القادة. ولكن سريعًا ما عادة إلفهيلم، وقال: «لم يجد الكشافة أي شيء ينقلون أخباره فيما وراء الغابة المظلمة، يا مولاي، باستثناء رجلين فقط: رجلان ميتان حصانان ميتان».

فقال إيومر: «حسنًا؟ ماذا عن هذا؟».

«هذا يا مولاي: لقد كانوا حملة رسائل في نورهان؛ ربما كان هيرجون واحدًا منهم. على الأقل لا تزال يده ممسكة بالسهم الأحمر، ولكن رأسه اجتث. وهذا أيضًا: يبدو من العلامات أنهما كانا يفران باتجاه الغرب عندما سقطا. كما قرأت الأمر، لقد وجدا العدو بالفعل على الجدار الخارجي، أو يقوم بمهاجمته، عندما عادا ولعل هذا كان منذ ليلتين، إذا كانا يستخدمان خيلًا جديدة من نقاط الحراسة، كما هي عادتهم. لم يستطيعا الوصول إلى المدينة والرجوع».

وقال ثيودن: «واحسرتاه! إذن فلم يصل إلى دنثور أي أخبار عن خروجنا لنصرته وسوف يصيبه اليأس من قدومنا».

فقال إيومر: «الحاجة لا تحتمل أي تأخير. بيد أنه أن نأتي متأخرين خير من ألا نأتي على الإطلاق. وربما في هذا الوقت يثبت أن المثل القديم أكثر صحة من أي وقت مضى منذ أن نطق فم البشر بالكلام».

كانت الدنيا ليلًا. وعلى كلا جانبي الطريق، كان جيش روهان يتحرك في صمت. وعندئذ دار الطريق الذي يمر حول جنبات جبل ميندولوين نحو الجنوب. وبعيدًا وفي خط مستقيم للأمام تقريبًا كان هناك وهج أحمر تحت السماء السوداء وبدت جنبات الجبل العظيم مظلمة في وجه هذا الوهج. كانوا يقتربون من جدار الراماس جدار بيلينور؛ ولكن لم يكن النهار قد حل بعد.

وسار الملك في منتصف المجموعة التي تتقدم الجيش، وكان الرجال من أهل بيته من حوله. وجاءت كتيبة[1] إلفهيلم بعده؛ ولاحظ ميري عندئذ أن ديرنهيلم قد ترك مكانه وكان يتحرك في الظلمة في ثبات للأمام، حتى بات يسير أخيرًا وراء حرس الملك مباشرة. وتوقف الحشد بشكل مفاجئ. سمع ميري أصواتًا في المقدمة تتحدث بشكل منخفض. لقد عاد الفرسان المصاحبون الذين يتقدمون الجيش، والذين كانوا قد خاطروا وتقدموا حتى الجدار تقريبًا. وجاءوا إلى الملك، وقال واحد منهم:

«هل تتذكر كلمات الرجل الهمجي يا مولاي؟ إنني أعيش في السهل الفسيح المرتفع في أيام السلام؛ اسمي ويدفارا، ولي أنا أيضًا يجلب الهواء الرسائل. الريح تتحول بالفعل. هنالك يأتي هجوم من الجنوب؛ وفيه رائحة بحرية نافذة، على الرغم من أنها ضعيفة. سوف يجلب الصباح أشياء جديدة. وفوق الدخان سيكون الفجر عندما تعبر الجدار».

فقال له ثيودن: «إذا كان ما تقوله صدقًا يا ويدفارا، أتمنى لك أن تعيش بعد هذا

(1) Éored كانت الفرقة العسكرية الرئيسة من الروهيريميين، وتتكون عادة من مائة وعشرين خيالًا. (المترجم)

اليوم في سنين من النعمة والبركة!». والتفت الملك إلى الرجال من أهل بيته الذين كانوا قريبين منه، وراح يتحدث عندئذ بصوت واضح حتى إن الكثيرين من الخيالة في الكتيبة الأولى قد سمعوه أيضًا:

«الآن حانت الساعة، يا خيالة المارك، يا أبناء إيورل! الأعداء والنار أمامكم، ودياركم بعيدة كثيرًا عنكم في الوراء، ولكن، على الرغم من أنكم تقاتلون في ساحة قتال غريبة، فإن المجد الذي تجنونه هناك سيكون مجدكم أنتم إلى الأبد. الأيمان التي قطعتموها، الآن أنجزوها وبروا بها جميعًا، للملك وللأرض وحلف الصداقة!».

وضرب الرجال الحربة على الدرع.

وقال ثيودن: «إيومر، ابني! قُدْ أنت الكتيبة الأولى، وسوف تسير وراء راية الملك في المنتصف. وأنت يا إلفهيلم، لتقُدْ كتيبتك إلى اليمين عندما نعبر الجدار. أما جريمبولد فسوف يقود كتيبته باتجاه الشمال. وعلى الكتائب الأخرى وراءنا أن تتبع هذه الكتائب الثلاثة التي تسير في المقدمة، كلما أتيحت لهم الفرصة لذلك. اضربوا في كل مكان يتجمع العدو فيه. لا يمكننا أن نضع خططًا أخرى؛ لأننا لا نعرف بعد كيف تسير الأشياء في الميدان. تقدموا الآن، ولا تخشوا من الظلمة!».

وانطلقت كتيبة المقدمة سريعًا بأقصى سرعة لديها؛ لأن الدنيا كانت لا تزال مظلمة بشدة، أيًا كان التغيير الذي قد يتنبأ به ويدفارا. كان ميري يركب وراء ديرنهيلم، قابضًا بيده اليسرى بينما كان يحاول بالأخرى فك سيفه في غمده. وأحس عندئذ بشكل مرير بحقيقة كلمة الملك العجوز: في معركة كهذه ما الذي ستفعله يا مريادوك؟ هذا وحسب»، وفكر مع نفسه: «أثقل خيال وأعوقه، وأتمنى في أفضل الأحوال أن أبقى في مكاني وألا تطأني الحوافر المنطلقة وتدكني حتى الموت!».

لم تكن المسافة تبعد أكثر من فرسخ عن المكان الذي كانت تقف فيه الجدران الخارجية. وسريعًا وصلوا إلى هذه الجدران؛ أسرع مما ينبغي بالنسبة لميري. وانطلقت صيحات جامحة، وكان هناك بعض ارتطام وتصادم للأسلحة، ولكنه كان قصيرًا. أما الأوركيون الذين كانوا منشغلين حول الجدران فقد كانوا قلة ومذهولين، وقد تم قتلهم سريعًا أو طردهم. وأمام أطلال البوابة الشمالية في جدار الراماس توقف الملك مرة أخرى. وانتظمت الكتيبة الأولى وراءه ومن حوله على كلا الجانبين. وظل ديرنهيلم ملاصقًا للملك، على الرغم من أن كتيبة إلفهيلم كانت بعيدًا في اليمين. ودار رجال جريمبولد جانبًا والتفوا سائرين إلى فجوة كبيرة في الجدار نحو الشرق كثيرًا.

وأطل ميري من وراء ظهر ديرنهيلم. وعلى البعد كثيرًا، ربما على بعد عشرة أميال أو أكثر، كان هناك حريق هائل، ولكن بينه وبين الخيالة كانت هناك خطوط من

نار متوهجة في صورة هلال شاسع، عند أقرب نقطة على مسافة أقل من الفرسخ. كان ما يستطيع أن يراه في السهل المظلم أكثر قليلًا، وحتى ذلك الوقت فإنه لم ير أي أمل في الصباح، ولم يشعر بأي ريح، تغيرت أو لم تتغير.

وفي ذلك الوقت، في صمت راح جيش روهان يتحرك للأمام في حقول جوندور، متدفقًا ببطء ولكن بثبات، مثل المد المرتفع عبر فتحات في خندق ظن الرجال أنه آمن. ولكن عقل وإرادة القائد الأسود كانا مركزين تمامًا على المدينة الهالكة، وحتى ذلك الوقت لم تأت أي أخبار له تحذره أن خططه قد حدث بها أي خلل.

بعد فترة من الوقت، قاد الملك رجاله بعيدًا شيئًا ما باتجاه الشرق، ليأتوا بين نيران الحصار والحقول الخارجية. وأخيرًا توقف مرة أخرى. كانت المدينة عندئذ أكثر قربًا. كانت هناك رائحة حرائق في الجو وظل حقيقي للموت. كانت الخيل قلقة. ولكن الملك جلس على حصانه سنومين، دون حراك، محدقًا في الكرب الذي ألم بميناس تيريث، كما لو أن الكرب والألم، أو الرعب الشديد، قد ألم به فجأة. وبدا أنه انكمش رعبًا، جبن من فرط السنين. أحس ميري نفسه كما لو أن عبئًا كبيرًا من رعب وشك قد حل به. وراح قلبه ينبض ببطء. بدا الوقت متعادلًا بما فيه من شك وعدم يقين. لقد تأخروا للغاية، جاءوا بعد فوات الأوان! كان المجيء بعد فوات الأوان أسوأ من عدم المجيء! ربما كان ثيودن سيجبن ويطأطئ رأسه العجوز، ويستدير، ويسل بعيدًا ليختبئ في التلال.

وعندئذ فجأة أحس به ميري أخيرًا، ودون أي شك: التغيير. كانت الريح في وجهه! كان الضوء يتوهج. بعيدًا، بعيدًا جدًا، في الجنوب كان يمكن رؤية السحب على نحو ضعيف مثل أشكال مظلمة غاية في البعد، متدفقةً، متسارعة: الصباح يرقد وراءها.

ولكن في تلك اللحظة نفسها، كان هناك وميض، كما لو أن البرق قد انطلق من الأرض أسفل المدينة. ولمدة ثانية محرقة، ظل يتوهج بعيدًا بلون أسود وأبيض، وكان أعلى برج فيها مثل إبرة متوهجة؛ وعندئذ بينما راحت الظلمة تطبق مرة أخرى كان منطلقًا فوق الحقول صوت دوي عظيم.

وعند سماع ذلك الصوت قفز الشكل المحني للملك منتصبًا فجأة. بدا طويلًا وشامخًا مرة أخرى؛ وارتفع في ركابه وصاح بصوت عال، أكثر وضوحًا من أي صوت يكون قد سمع من قبل يكون قد حققه إنسان فان من قبل:

انهضوا، انهضوا، يا خيالة ثيودن!
الأعمال الشريرة تستيقظ: النار والمذابح!
سوف تهتز الحربة، وينشطر الدرع،

يوم السيف، يوم أحمر، قبل أن تشرق الشمس!
انطلقوا الآن، انطلقوا الآن! سيروا إلى جوندور!

وبتلك الكلمات أمسك ببوق عظيم من جوثلاف حامل رايته، ونفخ فيه نفخة عظيمة لدرجة أنه انفجر متكسرًا إربًا. وعلى الفور ارتفعت جميع الأبواق التي كانت في الجيش في موسيقى، وكان نفخ أبواق روهان في تلك الساعة مثل عاصفة فوق التل وبرق في الجبال.

انطلقوا الآن، انطلقوا الآن! سيروا إلى جوندور!

وفجأة صاح الملك في حصانه سنومين وقفز الحصان منطلقًا بعيدًا. ووراءه رايته تطايرت مع الريح، حصان أبيض على حقل من الخضرة، ولكنه كان يسبقها ويفوقها سرعة. وبعده انطلق مثل الرعد الفرسان من أهل بيته، ولكنه كان دائمًا أمامهم. وكان إيومر ينطلق بحصانه هناك، ذيل الحصان الأبيض الذي كان على خوذته ينساب وهو ينطلق بكل سرعة، وراحت مقدمة الكتيبة الأولى تزأر مثل موجة متكسرة تزبد وهي متدافعة إلى الشاطئ، ولكن ثيودن لم يكن لأحد أن يلحق به أو يتجاوزه. كان يبدو مثل شخص يسعى إلى الموت، أو أن غضب القتال الذي ورثه من آبائه كان يجري مثل نار جديدة في عروقه، وكان ينطلق محمولًا على حصانه سنومين مثل إله من آلهة الماضي، أو حتى مثل أرومي[1] العظيم في معركة العظماء عندما كان العالم شابًا. وكان درعه الذهبي مكشوفًا، وعجبًا! كان يتوهج مثل صورة من الشمس، وتوهج العشب بلون أخضر حول أقدام جواده؛ لأن الصبح جاء، الصبح وريح من البحر؛ وانقشعت الظلمة، وولولت حشود موردور، وتولاهم الرعب، وفروا، وماتوا، وسارت حوافر الغضب الجامح عليهم. وعندئذ انفجر كل جيش روهان بالغناء، وراحوا يغنون وهم يقتلون ويذبحون؛ لأن فرح المعركة كان مسيطرًا عليهم، بل إن صوت غنائهم، والذي كان جميلًا ومروعًا وصل حتى إلى المدينة.

(1) Oromë أحد قادة الجن، وهو واحد من ثمانية عظام من قادة الحن، اسمه يعني [<Horn-blowing> or <Sound of Horns>] أي [نفخ البوق] أو [صوت الأبواق]. (المترجم)

الفصل السادس
معركة حقول بيلينور

ولكنه لم يكن زعيمًا للأوركيين أو قاطع طريق ذلك الذي كان يقود الهجوم على جوندور. كانت الظلمة تنقشع مبكرًا للغاية، قبل التاريخ الذي حدده لها سيده: لقد خانه الحظ للحظة، وقد تحول العالم ضده؛ كان النصر ينزلق من قبضته بينما كان يمد يده ليمسك به. ولكن ذراعه كانت طويلة. كان لا يزال زمام الأمور في يده، حيث كان يجمع قوى عظيمة. كانت لديه أسلحة كثيرة، الملك، وطيف الخاتم، وسيد النازجول. وترك البوابة واختفى.

لقد وصل ثيودن ملك المارك إلى الطريق من البوابة إلى النهر، واستدار باتجاه المدينة التي كانت عندئذ على مسافة أقل من ميل. وقلل من سرعته قليلًا، باحثًا عن خصوم جدد، وجاء فرسانه من حوله، وكان ديرنهيلم معهم. وكان رجال إلفهيلم الذين كانوا في المقدمة وأكثر قربًا من الجُدر بين محركات الحصار، وهم يقطعون، ويذبحون خصومهم ويدفعونهم إلى حفر النيران. كان قد تم اجتياح ما يقارب جميع النصف الشمالي من بيلينور، وكانت المعسكرات هناك تشتعل، وكان الأوركيون يفرون باتجاه النهر مثل قطعان الحيوانات أمام الصيادين؛ وراح الروهيريميون ينطلقون هنا وهناك حسب رغبتهم. ولكنهم لم يكونوا قد فكوا الحصار بعد، ولم يظفروا ببلوغ البوابة والوصول إليها. كان الكثير من الأعداء والخصوم يقفون أمامها، وعلى نصف السهل الأبعد كانت هناك حشود كبيرة لا تزال لم تنزل لساحة القتال. وباتجاه الجنوب وراء الطريق كانت توجد القوة الأساسية للهارادريميين، وهناك كان الخيالة متجمعين حول راية زعيمهم. وتطلع ونظر، وفي الضوء المتزايد رأى راية الملك، وأنها كانت بعيدًا في مقدمة المعركة وحول عدد قليل من الرجال. عندئذ ملأه حنق شديد وراح يصيح بصوت عال، ومظهرًا رايته وشعاره، حية سوداء على لون قرمزي، وجاء قبالة الحصان الأبيض والمرج الأخضر بحشد هائل من الرجال؛ وكان استلال سيوف الجنوبيين[1] المعقوفة مثل وهج النجوم.

عندئذ أدرك ثيودن وجوده، ولم يكن لينتظر هجومه، ولكنه صاح في سنومين واندفع مهاجمًا بغير تردد أو توان ليحييه. كان صدام التقائهما هائلًا. ولكن الضراوة

(1) Southrons ومعناها [SOUTHERNERS] أي الجنوبيين؛ وهو الاسم الذي كان يطلق على بشر هاراد [Men of Harad]، أو [the Haradrim] الهارادريميين؛ أعداء جوندور من الأراضي الواقعة جنوبًا. (المترجم)

البيضاء لرجال الشمال كانت هي الأشد حرارة وحرقًا، وكان فرسانها أكثر مهارة بحرابهم الطويلة وعنفهم. كانوا أقل عددًا ولكنهم كانوا يشقون طريقهم بين الجنوبيين مثل قذيفة نارية في غابة. وعبر الحشد مباشرة اندفع ثيودن ابن ثينجل، وتحطمت حربته وهو يطرح زعيمهم أرضًا. وأطاح به بسيفه، وحث حصانه نحو الراية والشعار، وقطع السارية ومزق الحامل؛ وانهارت الحية السوداء. عندئذ استدار كل من تُركوا لم يقتلوا ويُذبحوا من فرسانهم، وفروا هاربين بعيدًا.

ولكن انظروا عجبًا! فجأة في وسط مجد الملك أعتم درعه الذهبي. انمحى الصباح الجديد من السماء. وحل الظلام من حوله. وراحت الخيل تشب على قوائمها الخلفية وتصيح. وطُرح الرجال من على السروج وراحوا يحبون على الأرض.

وصاح ثيودن: «إليّ! إليّ! انهضوا يا شعب إيورل! لا تخشوا الظلمة!». ولكن لما كان سنومين قد صار جامحًا من الرعب وقف في الهواء عاليًا، وراح يحارب الهواء، وعندئذ بصرخة عظيمة سقط على جانبه: لقد اخترقه سهم عظيم. وسقط الملك أسفل منه.

وهبط الظل الهائل مثل سحب ساقطة. وعجبًا لما كان! لقد كان مخلوقًا مجنحًا: إذا كان طائرًا، فهو إذن أكبر من جميع الطيور، وكان عاريًا، ولم يكن يحمل لا زغبًا ولا ريشًا، وكانت أجنحته الكبيرة مثل شباك من جلد بين أصابع بقرون؛ وهبط. ربما كان مخلوقًا من عالم أقدم، ظل نوعه الذي بقي في جبال منسية باردة تحت القمر باقيًا بعد انقضاء أيامه، ونشأت في وكر شنيع هذه السلالة الأخيرة التي جاءت في غير زمانها، حتى كُبرت على نحو يفوق حجم جميع الأشياء الأخرى التي كانت تطير؛ وأعطاه إلى خادمه ليكون جواده. وجاء هابطًا، وظل يهبط، وعندئذ، وقد طوى شباكه ذات الأصابع، صرخ صرخة ناعبة مدمرة، واستقر على جسد سنومين، وهو يغرز فيه مخالبه، ويحني رقبته الطويلة العارية.

وجلس فوقه شكل يرتدي معطفًا أسود، ضخم ومنذر بالخطر. كان يحمل تاجًا من صلب، ولكن لم يكن هناك شيء يُرى بين الحافة والثوب، فقط باستثناء وهج عينين قاتل: سيد النازجول. لقد عاد إلى الجو، مستدعيًا جواده، قبل أن تخفق الظلمة، وفي هذا الوقت جاء مرة أخرى، جالبًا معه الدمار، محولًا الأمل إلى يأس، والنصر إلى موت. كان يستخدم صولجانًا أسود عظيمًا بكل براعة.

ولكن ثيودن لم يكن قد هُجر تمامًا. كان فرسان أهل بيته يرقدون قتلى من حوله، أو قهرهم جنون جيادهم وحملتهم الجياد بعيدًا. ولكن واحدًا وقف هناك ثابتًا: ديرنهيلم الصغير، مخلص بما يفوق كل خوف؛ وانقض مهاجمًا؛ لأنه كان يحب سيده حبه لأبيه. وعبر الهجوم مباشرة، كان ميري محمولًا وراءه دون أن يصاب بأذى، حتى جاء الظل؛ وعندئذ طرحهما ويندفولا أرضًا في رعب وفزع، وعندئذ راح يجري في

جموح فوق السهل. وراح ميري يزحف على أربعته مثل حيوان غائب عن وعيه، وكان به من الرعب ما أصابه بالعمى والغثيان.

وصاح قلبه بداخله: «رجل الملك! رجل الملك! يجب أن تبقى إلى جواره. كنتَ تقول إنك ستكون بمثابة الأب بالنسبة لي». ولكن إرادته لم تدر جواباً، واهتز جسمه. ولم يجرؤ على فتح عينيه أو النظر لأعلى.

عندئذ من خارج الظلمة التي كانت في عقله ظن أنه سمع ديرنهيلم يتحدث؛ بيد أن الصوت كان يبدو وقتها غريباً، مذكرا إياه بصوت آخر كان قد عرفه.

«امض، يا دويمرلايك[1]، سيد الجيف! اترك الموتى في سلام!».

وأجابه صوت بارد: «لا تقف بين النازجول وفريسته! وإلا فإنه لن يذبحك عندما يأتي دورك. سوف يحملك بعيداً إلى منازل العويل والنحيب، فيما وراء كل ظلمة، حيث سيتم التهام لحمك، ويُترك عقلك الواهن عارياً مكشوفاً للعين التي لا جفن لها».

وقرع صوت سيف وهو يتم استلاله. «افعل ما شئت؛ ولكني سأحول دون ذلك، إذا استطعت».

«تمنعني؟ أيها الأحمق. لا يمكن لأي رجل حي أن يمنعني!».

عندئذ سمع ميري من بين كل الأصوات في تلك الساعة صوتًا كان أغربها. بدا أن ديرنهيلم كان يضحك، وكان الصوت الصافي مثل رنين الصُلب. «ولكني لستُ أي رجل حي! إنك تنظر إلى امرأة. إنني إيووين، ابنة إيوموند. أنت تقف بيني وبين مولاي وقريبي. امض، إذا لم تكن خالداً لا تموت! لأنك سواء كنتَ حياً أو ميتًا شريراً أعيد إلى الحياة، فسوف أقتلك، إذا أنت لمسته».

وصرخ المخلوق المجنح في وجهها، ولكن طيف الخاتم لم يدر جواباً، وكان صامتاً، كما لو كان في شك مفاجئ. وقهرت خوف ميري دهشة بالغة للحظة. وفتح عينيه ورُفعت الظلمة من عليهما. وهناك على بعد خطوات منه كان يجلس الحيوان الضخم، كان كل شيء من حوله يبدو مظلماً، ولاح فوقه سيد النازجول مثل ظل من يأس. وإلى الشمال قليلًا في مواجهتهم وقفت هي تلك التي كان يسميها ديرنهيلم. ولكن الخوذة التي كانت تخفي سرها كانت قد سقطت من فوقها، وراح شعرها اللامع، وقد تحرر من أربطته، يتوهج بوهج ذهبي شاحب فوق كتفيها. أما عيناه الرماديتان مثل البحر فقد كانتا حادتين وشرستين، ومع ذلك كانت الدموع تنزل على خديها. كان بيدها سيف، ورفعت درعها في وجه الرعب الذي كان في عيني عدوها.

لقد كانت إيووين، وكانت ديرنهيلم أيضًا. لأنه ومضت في عقل ميري ذكرى الوجه الذي رآه يركب سائرًا من دوناهرو: وجه واحد يخرج بحثًا عن الموت، دون

(1) Dwimmerlaik لقب اوردرائي كان يطلق على سيد النازجول. (المترجم)

أي أمل لديه. ملأت الشفقة قلبه وكذلك العجب الشديد، وفجأة استيقظت شجاعة جنسه التي توهجت ببطء. وقبض على يده. إنها تموت، غاية في الجمال، غاية في اليأس! على الأقل يجب ألا تموت وحدها، دون مساعدة.

لم يكن وجه عدوهما قد استدار باتجاهه، ولكنه ما زال لا يكاد يجرؤ على الحركة، خائفًا خشية أن تقع العينان المهلكتان عليه. وبطيئًا بطيئًا بدأ يحبو نحو الجانب؛ ولكن القائد الأسود، في شك وحقد كان مركزاً على المرأة التي كانت أمامه، لم يأبه به أكثر من اهتمامه بامرأة في الوحل.

وفجأة ضرب الحيوان الضخم جناحيه البشعين، وكانت ريحهما كريهة. ومرة أخرى قفز في الهواء، وعندئذ هبط سريعاً فوق أيووين، وهو يصرخ ويزعق ضارباً بالمنقار والمخلب.

ومع ذلك ظلت ثابتة لم يتغير وجهها ولم تتراجع: سيدة من الروهيريميين، ابنة ملوك، نحيلة بيد أنها كانت مثل سيف من فولاذ، جميلة إلا أنها مروعة رهيبة. وسددت إليه ضربة سريعة، ماهرة وقاتلة. وفصلت الرقبة الطويلة الممتدة عن الجسم، وسقط الرأس المقطوع مثل حجر. وقفزت للوراء بينما كان الشكل الضخم يتحطم متحولًا إلى دمار، وامتدت منتشرة أجنحة كبيرة هائلة، مجعدة منهارة على الأرض؛ وبسقوطها مر الظل بعيداً. وسقط ضوء من حولها، وراح شعر يلمع في ضوء شروق الشمس.

ومن الحطام خرج الخيال الأسود، طويلًا ومهدداً، يرتفع فوقها. وبصرخة من كراهية لسعت الآذان مثل سم ترك الصولجان الذي كان يحارب به يسقط منه. وتمزق درعها إلى قطع كثيرة، وكسر ذراعها؛ وسقطت على ركبتيها. وانحنى فوقها مثل سحابة، وتوهجت عيناه؛ ورفع صولجانه ليقتلها.

ولكن فجأة سقط هو أيضًا للأمام بصرخة من ألم قاس وموجع، وأخذت ضربته وراحت بعيداً، حيث سقطت على الأرض. لقد طعنه سيف ميري من الخلف، حيث نفذ عبر المعطف الأسود، ولما مر صاعداً أسفل الدرع الواقي فقد اخترق الوتر الذي يقع خلف ركبته العظيمة.

وصاح ميري: «إيووين! إيووين!». وبعد ذلك وهي تترنح، وتتمايل، بآخر قوة لديها دفعت سيفها بين التاج والمعطف، بينما كان الكتفان الضخمان منحنيين أمامها. وانكسر السيف متطايراً إلى شظايا كثيرة. وتدحرج التاج بعيداً وله رنين. وسقطت إيووين للأمام على خصمها الذي وقع على الأرض. ولكن عجباً! كان المعطف والدرع الواقي خاليين. كانا يرقدان على الأرض دونما شكل عندئذ، ممزقين ومنهارين؛ وصعدت صرخة إلى الهواء المرتعش، وتلاشت متحولة إلى ولولة حادة زاعقة، تمر مع الريح، صوت لا جسد له وضعيف ذلك الذي خمد، وتم ابتلاعه، ولم يسمع مرة أخرى في ذلك العصر من العالم.

وهناك كان يقف مريادوك الهوبيتي في وسط القتلى، تطرف عيناه مثل بومة في ضوء النهار؛ لأن الدموع أعمته؛ وعبر سديم راح ينظر إلى رأس إيووين الجميل، وهي ترقد ولا تتحرك؛ ونظر إلى وجه الملك، وقد سقط في غمرة مجده؛ لأن حصانه سنومين في ألمه المبرح تدحرج بعيدًا منه مرة أخرى؛ ولكنه كان هلاك سيده.

عندئذ انحنى ميري ورفع يده ليقبلها، وعجبًا لما رأى! فتح ثيودن عينيه، وكانتا صافيتين، وتحدث في صوت منخفض على الرغم مما كان به من جهد وإعياء، وقال له:

«الوداع أيها السيد هولبيتلا! لقد انكسر جسدي. إنني ذاهب إلى آبائي. وحتى في صحبتهم العظيمة، فإنني لن أشعر بأي خزي أو عار. لقد صرعت الحية السوداء. صباح متجهم، ويوم سعيد، وغروب شمس ذهبي!».

ولم يستطع ميري الكلام، ولكنه راح يبكي من جديد، وقال أخيرًا: «سامحني يا مولاي، إذا كنتُ قد عصيتُ أمرك، ومع ذلك لم أفعل أكثر في خدمتك من النحيب عند فراقنا».

وتبسم الملك العجوز وقال: «لا تحزن! سامحتك. القلب العظيم لن يُحرم. عش الآن في بركة ونعمة؛ وعندما تجلس في سلام ومعك غليونك، فكر فيَّ! لأنني لن أجلس أبدًا الآن معك في ميدوسيلد، كما وعدتُ، أو أنصت إلى معلوماتك عن الأعشاب». وأغلق عينيه، وانحنى ميري إلى جواره. وفي هذه اللحظة تحدث مرة أخرى قائلًا «اين إيومر؟ لأن عينيَّ مظلمتان، وأريد أن أراه قبل أن أهذب. يجب أن يكون ملكًا بعدي. وأريد أن أرسل بكلمة إلى إيووين. إنها، إنها لم تكن لتجعلني أتركها هنا، وإنني لن أراها مرة أخرى، أعز من ابنتي».

وبدأ ميري يتحدث على نحو متلعثم: «مولاي، مولاي، إنها ــــــ»، ولكن في تلك اللحظة كانت هناك جلبة عظيمة، وكان كل شيء من حولهما أصوات أبواق ونفير. ونظر ميري حوله: لقد نسي الحرب، والعالم كله بالإضافة إلى ذلك، وبدا أنه قد مرت ساعات كثيرة منذ أن سار الملك إلى سقوطه، على الرغم من أن ذلك في واقع الأمر لم يكن سوى فترة قصيرة. ولكنه الآن رأى أنهما كانا في خطر الإمساك بهما في قلب المعركة العظيمة التي سيتم الانضمام إليها في الحال.

كانت هناك قوات جديدة من العدو تسرع عبر الطريق من النهر؛ ومن أسفل الجدران جاءت فيالق مورجول؛ ومن الحقول الجنوبية جاء مشاة هاراد وأمامهم الخيالة، ووراءهم كانت تظهر الظهور الضخمة للفيلة العملاقة[1] وفوقها الأبراج الحربية. ولكن في اتجاه الشمال، كان الهلال الأبيض لإيومر يقود الجبهة العظيمة

(1) فيلة عملاقة (موماكيل : Mûmak): أفيال ضخمة جدًا من العصر الثالث، ومعروفة أيضًا باسم (oliphaunt)، وهي أنباء عمومة عملاقة للأفيال الحالية. (المترجم)

للروهيريميين التي كان قد جمعها مرة أخرى وسار بها؛ ومن خارج المدينة أتت كل قوة الرجال التي كانت فيها، وحُملت إوزة دُول أمروث الفضية في العربة التي كانت تطرد العدو من البوابة.

وللحظة طار التفكير عبر عقل ميري: «أين جَنْدَلْف؟ أليس هنا؟ أما كان يستطيع أن ينقذ الملك وإيووين؟». ولكن عند ذلك في الحال جاء إيومر منطلقًا في عجلة، وجاء معه خيالة أهل بيت الملك الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة وقد تمكنوا عندئذ من السيطرة على خيلهم. ونظروا إلى عجب في جثة الحيوان الشرير وهي ترقد هنالك؛ ولم تستطع خيلهم أن تذهب قريبًا منه. ولكن إيومر قفز من على سرجه، وحل به الحزن والرعب لما وصل إلى جانب الملك ووقف هناك في صمت.

عندئذ أخذ واحد من الفرسان راية الملك من يد جوثلاف حامل الراية الذي كان يرقد ميتًا، ورفعها عاليًا. وبطيئًا فتح ثيودن عينيه. ولما رأى الراية أشار بأن تعطى لإيومر، وقال:

«مرحبًا، ملك المارك! لتنطلق الآن إلى النصر! وقل لإيووين الوداع!». وهكذا مات، ولم يكن يعلم أن إيووين كانت ترقد قريبًا منه. وراح الذين كانوا واقفين إلى جواره يبكون ويصرخون: «ثيودن الملك! ثيودن الملك!».

ولكن إيومر قال لهم:

لا تحزنوا كثيرًا! لقد كان الصريع عظيمًا،
ملائمة كانت نهايته. عندما يقام قبره،
سوف تبكي النساء عندئذ. الحرب تنادينا الآن!

ولكنه هو نفسه راح يبكي وهو يتحدث، وقال: «ليظل فرسانه هنا، واحملوا جثته في موكب تشريف من الميدان، مخافة أن يسير الجيش عليها. نعم، وكل رجال الملك الآخرين الذين يرقدون هنا». ونظر إلى القتلى، مسترجعًا أسماءهم. وعندئذ فجأة رأى أخته إيووين وهي راقدة على الأرض، وعرفها. ووقف للحظة كرجل طعن في وسط صرخة بسهم عبر قلبه؛ وعندئذ أصبح وجهه شاحبًا شحوب الموتى، وسيطر عليه غضب جامح بارد، مما جعله لا يتمكن من الحديث مطلقًا لبرهة من الوقت. سيطرت عليه حالة مزاجية مشئومة، وأخيرًا صرخ قائلًا:

«إيووين، إيووين! إيووين، كيف حدث وجئتِ إلى هنا؟ أي جنون أو سحر هذا؟ الموت، الموت، الموت! ليأخذنا الموت جميعًا!».

بعد ذلك بدون تشاور أو انتظار لقدوم رجال المدينة، انطلق بحصانه عائدًا إلى

مقدمة الجيش العظيم، ونفخ بوقًا، وصاح بصوت عال معلنًا الهجوم. فوق الحقل دوّى صوته الواضح ينادي: «الموت! تقدموا، تقدموا إلى الدمار وإلى نهاية العالم!».

وبهذه الكلمات بدأ الجيش التحرك. ولكن الروهيريميين لم يعودوا يغنون. راحوا يصيحون بصوت واحد عال ومروع، الموت، ولما كانوا يستجمعون قواهم ويزيدون سرعتهم كأنهم في رحلتهم العظيمة فإن جيوشهم اجتاحت المكان الذي كان فيه ملكهم الذي سقط صريعًا، ومروا به وهم يزمجرون باتجاه الجنوب.

وظل مريادوك الهوبيتي واقفًا في مكانه تطرف عيناه من خلال دموعه، ولم يتحدث إليه أحد، في واقع الأمر لم يكن يبدو أن أحدًا يعيره انتباهًا. ومسح الدموع عن عينيه، وانحنى ليأخذ الدرع الأخضر الذي كانت قد أعطته إياه إيووين، وعلقه على ظهره. عندئذ بحث عن سيفه الذي كان قد تركه يسقط؛ لأنه بينما كان يسدد ضربته فإن ذراعه أصيبت بخدر، وعندئذ لم يكن يستطيع أن يستخدم سوى ذراعه اليسرى. وعجبًا لما حدث! هنالك كان يرقد سلاحه، ولكن النصل كان يدخن مثل فرع جاف وضع في النار؛ وبينما كان هو يشاهده، فإنه راح يذبل ويذبل ونفد تمامًا.

وهكذا اختفى سيف بارو داونز[1] الذي صنعه سكان البلاد الغربية. ولكنه كان سيكون سعيدًا بأن يعرف مصيره فهو الذي صنعه ببطء منذ سنين طويلة في المملكة الشمالية، عندما كان الدونيداينيون[2] صغارًا، وكانت مملكة أنجمار وملكها الساحر زعيمة بين خصومهم وأعدائهم. لم يكن لأي سيف آخر، حتى ولو كانت الأيدي التي استخدمته أكثر عظمة، أن يوجه ضربة لذلك الخصم محدثًا فيه جرحًا أكثر مرارة، شاقًا اللحم الشرير الذي أعيد للحياة، حيث كسر التعويذة التي حبكت أوتاره غير المرئية ووصلتها بإرادته.

وبعد ذلك رفع الرجال الملك، ووضعوا معاطف فوق صولجان الملك وتناولوا حمله بعيدًا باتجاه المدينة؛ ورفع آخرون إيووين برفق وحملوها وراءه. ولكن رجال أهل بيت الملك لم يستطيعوا إحضارهم بعد من ميدان المعركة؛ لأن سبعة من فرسان الملك سقطوا هناك، وكان ديورويان زعيمهم بينهم؛ ولذلك فقد وضعوهم جانبًا عازلين إياهم عن أعدائهم وكذلك الحيوان الذي سقط في المعركة، ووضعوا حرابًا من حولهم. وبعد ذلك، وبعد أن انتهى كل شيء، عاد الرجال وصنعوا نارًا هناك وأحرقوا جثة الحيوان؛ ولكن بالنسبة للحصان سنومين فقد حفروا قبرًا ووضعوا حجرًا نحتوه عليه بلغة جوندور والمارك:

(1) Barrow-downs التلال التي كانت تقع شرق المقاطعة. (المترجم)

(2) Dúnedain رجال نوميئور في الأرض الوسطى. (المترجم)

خادم مخلص ولكنه هلاك سيده،
ابن الحصان لايتفووت، سنومين الرشيق.

ونما العشب أخضر وطويلًا على قبر سنومين، ولكن كانت الأرض على الدوام سوداء وجرداء في المكان الذي حُرق فيه الحيوان.

وبعد ذلك، وببطء وحزن راح ميري يمشي إلى جوار حملة الموتى، ولم يعد يأبه بالمعركة. كان متعبًا ومليئًا بالألم، وكانت أطرافه ترتعش كما لو كانت به قشعريرة. وجاء مطر عظيم من البحر، وبدا أن جميع الأشياء كانت تبكي على ثيودن وإيووين، مطفئة النيران التي كانت في المدينة بدموع كئيبة. وخلال سحابة من دموع تظلل عينيه مثل السديم رأى في ذلك الوقت طليعة الجيش من رجال جوندور يقتربون. كان إمراهيل، أمير دُول أمروث، يتقدمهم في السير وأوقف حصانه أمامهم، وصاح قائلًا:

«أي حمل تحملون يا رجال روهان؟».

وأجابوه قائلين: «ثيودن الملك. لقد مات. ولكن إيومر الملك يسير الآن في الجيش إلى المعركة: هو والهلال الأبيض في الريح».

عندئذ ترجل الأمير من على حصانه، وانحنى إلى جوار النعش إجلالًا للملك ولهجومه العظيم؛ وراح يبكي. ونظر وهو ينهض إلى إيووين وأصابه ذهول، وقال: «بكل تأكيد هذه امرأة؟ هل جاءت حتى نساء الروهيريميين إلى الحرب في شدتنا وحاجتنا؟».

وأجابوه: «كلا! واحدة فقط. إنها السيدة إيووين، أخت إيومر؛ ولم نعلم أي شيء عن خروجها حتى هذه الساعة، وإننا نأسف لذلك أسفًا شديدًا».

وعندئذ، لما رأى الأمير جمالها، على الرغم من أن وجهها كان شاحبًا وباردًا، لمس يدها وهو ينحني لينظر إليها عن مزيد من القرب، وصاح قائلًا: «رجال روهان! أليس بينكم طبيب؟ إنها مصابة، وربما لحد الموت، ولكني أظن أنها سنعيش مع ذلك». وأمسك بالدرع اللامعة البراقة التي تغطي الساعد، والتي كانت فوق ذراعه أمام شفتيها الباردتين، وعجبًا لما رأوا! ظهرت على الدرع سحابة رقيقة من سديم لا تكاد تُرى.

وقال لهم: «هناك حاجة الآن إلى العجلة والسرعة»، وأرسل واحدًا انطلق عائدًا بسرعة إلى المدينة ليجلب المساعدة. ولكنه وهو منحن بشكل منخفض جدًا أمام الصرعى ودعهم، وركب حصانه وانطلق بعيدًا إلى المعركة.

وبعد ذلك ازدادت الحرب وحمي وطيسها في حقول بيلينور؛ وارتفع ضجيج الأسلحة عاليًا، مع صياح الرجال وصهيل الخيل. ودوت الأبواق وراحت الأنفار

تزعق عاليًا، وكانت الفيلة العملاقة[1] تخور وهي تساق للحرب. وتحت الجُدر الجنوبية للمدينة راح مشاة جوندور عندئذ يتدافعون بكل قوة ضد أفواج مورجول التي كانت لاتزال متجمعة هناك في قوة. ولكن الخيالة انطلقوا باتجاه الشرق لنجدة إيومر: هورين الطويل، حارس المفاتيح، وسيد لوسارناخ، وهيرلوين سيد التلال الخضراء، والأمير إمراهيل الجميل مع فرسانه في كل مكان حوله.

ولم تصل نجدتهم إلى الروهيريميين سريعًا جدًا؛ لأن الحظ تحول ضد إيومر، وقد خانه غضبه وحنقه. إن حنقه الشديد في هجومه قد أطاح تمامًا بجبهة العدو، وقد مرت قوات كبيرة من خيالته عبر صفوف الجنوبيين دون أن يتمكن أحد من اعتراضها، مزعجين خيالتهم ومدمرين مشاتهم وهم يطئونهم بخيلهم. ولكن كلما جاءت الفيلة العملاقة أمامهم كانت الخيل لا تسير، ولكنها كانت تنكص وتنحرف بعيدًا؛ ولم يكن بالإمكان محاربة تلك الوحوش العملاقة، وكانت تقف مثل أبراج دفاعية، وتجمع الهارادريميون[2] حولها. وإذا كان الروهيريميون في هجومهم قد فاقوهم عددًا بمقدار ثلاثة أضعاف الهارادريميين وحدهم، فإن حالتهم أصبحت أكثر سوءًا سريعًا؛ لأنه جاءت قوة جديدة عندئذ متدفقة إلى الميدان من أوسجيلياث. وهناك تم تجميعهم لنهب المدينة واغتصاب جوندور، منتظرين نداء قائدهم. وقد كان قد تم تدميره عندئذ؛ إلا أن جوثموج، ملازم مورجول ألقى بهم إلى أتون المعركة؛ الشرقيون بالبلطات والفئوس، والفارياجيون شعب بلاد الخاند[3]، والجنوبيون باللون القرمزي، ومن هاراد القصوى الرجال السود مثل أنصاف الغيلان ولهم أعين بيضاء وألسنة حمراء. وراح بعضهم عندئذ يسرع وراء الروهيميين، وتقدم آخرون جنوبًا ليصدوا قوات جوندور ويمنعوا التحامهم مع روهان.

وقد حدث بينما كان اليوم على هذا النحو يبدأ في التحول ضد جوندور وكان أملها يتضاءل ويذبل، حدث أن انطلقت صرخة جديدة عاليًا في السماء، وقد كان الوقت عندها منتصف الصباح، وكانت هناك ريح عظيمة تهب، وكان المطر يطير شمالاً، وكانت الشمس ساطعة. في هذا الجو الصافي رأى المراقبون على الجدران من على البعد منظرًا آخر للخوف، وتخلى عنهم آخر أمل لديهم.

ونظرًا لأن نهر أندوين من المنحنى الموجود في هارلوند كان يتدفق على نحو بحيث يمكن الرجال أن ينظروا من المدينة لأسفل عبر طول النهر لمسافة فراسخ، كان يمكن مع طول النظر أن يروا السفن المقتربة. ولما نظروا إلى هناك صاحوا في رعب وفزع؛

(1) فيلة عملاقة (موماكيل: Mûmak)؛ أفيال ضخمة جدًا من العصر الثالث، ومعروفة أيضًا باسم (oliphaunt)، وهي أبناء عمومة عملاقة للأفيال الحالية. (المترجم)

(2) Haradrim رجال هاراد [The Men of Harad]. (المترجم)

(3) Variags وهم شعب Khand؛ وهم شعب معروف قليلاً يسكنون في بلاد الخاند شرق موردور. (المترجم)

لأنهم رأوا أسطولاً يبدو أسود مقارنة بالنهر المتألق تحمله الريح: سفن حربية[1]، وسفن ذات غاطس عظيم ولها الكثير من المجاديف، ولها أشرعة سوداء تنتفخ في الريح.

وصاح الرجال: «قراصنة أومبار[2] قادمون! قراصنة أومبار! انظروا! قراصنة أومبار قادمون! وهكذا فقد تم الاستيلاء على بيلفالاس، وإثير، وقد ذهبت ليبين!».

وجرى بعضهم ويدون أوامر؛ لأنه لم يكن هناك أحد ليقودهم في المدينة إلى الأجراس وأطلقوا الإنذار؛ ونفخ بعضهم النفير معلنين الانسحاب، وصاحوا: «الرجوع إلى الجدران! الرجوع إلى الجدران! عودوا إلى المدينة قبل أن يغرق كل شيء!». ولكن الريح التي كانت تزيد من سرعة السفن شتتت كل جلبتهم ودفعتها بعيدًا.

لم يكن الروهيريميون في الواقع بحاجة إلى أي أخبار أو إنذار. كانوا يرون بشكل جيد للغاية بأنفسهم الأشرعة السوداء؛ لأن إيومر كان عندئذ لا يكاد يبعد مسافة الميل من هارلوند، وكان هناك حشد كبير من أعدائه بينه وبين المرفأ هناك، في حين جاء أعداء جدد يتدافعون وراءه، يعزلونه عن الأمير. وعندئذ نظر إلى النهر، وخمد الأمل في قلبه، والريح التي كان قد باركها من قبل أصبح الآن يناديها بالملعونة. ولكن حشود موردور كانت قد تشجعت، ولما كانوا قد ملئوا برغبة وضراوة جديدتين فإنهم جاءوا يصيحون ويصرخون إلى الهجوم.

كانت الحالة المزاجية لإيومر عندئذ حادة وصارمة، وصار عقله صافيًا مجددًا. وأمر بنفخ الأبواق لتجميع وحشد جميع الرجال الذين يمكنهم أن يأتوا إلى هناك تحت رايته؛ لأنه فكر في صنع درع بشرية أخيرًا، ويصمد، ويقاتل هناك على الأقدام حتى يسقط الجميع في ساحة المعركة، ويقوموا بأعمال تصلح للأغاني والبطولات على حقول بيلينور، على الرغم من أنه لن يترك أي رجل في الغرب ليتذكر آخر ملوك المارك. ولذلك فإنه انطلق إلى رابية خضراء وهناك وضع رايته، وراح الحصان الأبيض يجري متموجًا في الريح.

من الشك، من الظلمة إلى طلوع النهار
جئت أغني في الشمس، مستلاً سيفي.
إلى نهاية الأمل سرت وإلى كسر الفؤاد:
والآن للغضب، والآن للدمار وحلول ليل أحمر!

(1) Dromunds الكلمة من أصل يوناني، وكانت أهم السفن الحربية في البحرية البيزنطية في الفترة من القرن السادس إلى الثاني عشر الميلادي. (المترجم)

(2) Corsairs of Umbar Umbar مرفأ طبيعي عظيم إلى جنوب خليج بيلفالاس، وقد استولى عليه طوال العصر الثالث رجال معادون لجوندور عرفوا باسم [Corsairs of Umbar] وهم قراصنة من الأراضي التي تقع جنوب جوندور. (المترجم)

وتحدث بهذه الأبيات الشعرية، ولكنه كان يضحك وهو يقولها؛ لأن شهوة القتال كانت عليه مرة أخرى؛ وكان لا يزال صحيحًا لم يصب بأذى، وكان شابًا، وكان ملكًا: سيد شعب سقط. وعجبًا كل العجب! بينما كان يضحك في يأس نظر مرة أخرى على السفن السوداء، ورفع سيفه يتحداها.

وعندئذ أصابته الدهشة والعجب، وفرح غامر؛ ورمى سيفه عاليًا في ضوء الشمس وراح يغني وهو يمسك به. وتبعت كل العيون نظرات عينيه، وانظروا ما حدث! على السفينة الأمامية ظهرت راية كبيرة، وأظهرتها الريح وهي تدور باتجاه هارلوند. وهناك ظهرت مزهرة شجرة بيضاء، وكانت هذه لجوندور؛ ولكن كانت حولها سبعة نجوم، وفوقها تاج عال، شارات إلنديل التي لم يحملها أي ملك على مدار سنين لا حصر لها. وتوهجت النجوم في ضوء الشمس؛ لأنها كانت مصنوعة من الأحجار الكريمة، صنعتها أروين ابنة إلروند؛ وكان التاج لامعًا براقًا في الصباح، لأنه كان مصنوعًا من الميثريل والذهب.

وهكذا جاء أراجورن بن أراثون، إلبسار، وريث إسيلدور، من مجازات الموتى، محمولًا على ريح من البحر إلى مملكة جوندور؛ وكان مرح الروهيريميين شلالًا من ضحك ووميض السيوف، وكان فرح وعجب المدينة موسيقى الأبواق ودق الأجراس. ولكن حشود موردور أصيبت بالذهول، وبدا لهم سحرًا عظيمًا أن سفنهم يمكن أن تمتلئ بخصومهم؛ وتملكهم رعب أسود؛ إذ علم أن تيارات القدر قد تحولت ضدهم وأن هلاكهم بات قريبًا.

وإلى الشرق سار فرسان دُول أمروث دافعين العدو أمامهم: البشر الغيلان، والفارياجيين، والأوركيين، الذين كانوا يكرهون ضوء الشمس. وإلى الجنوب سار إيومر وراح الرجال يفرون أمام وجهه، ووقعوا بين المطرقة والسندان؛ لأن الرجال راحوا عندئذ يقفزون من السفن إلى أرصفة هارلوند ويتدافعون شمالًا مثل عاصفة. وهنالك جاء ليجولاس، وجيملي وهو ممسك ببلطته ويديرها في براعة، وهالباراد بالراية، وإلادان وإلروهير وعلى جبينيهما نجوم، والدونادانيون ذوو الأيدي الشرسة، جوالو الشمال، يقودون بشجاعة عظيمة من قوم لبيين ولاميندون وإقطاعات الجنوب. ولكن كان أمام الجميع أراجورن ومعه شعلة الغرب، أندوريل كنار جديدة اشتعلت، نارسيل[1] صُنع من جديد قاتلًا فتاكًا مثلما كان في الماضي؛ وعلى جبينه كان نجم إلنديل. وهكذا أخيرًا تقابل إيومر وأراجورن في قلب المعركة، وانحنيا على سيفيهما ونظر كل منهما إلى الآخر وكانا سعيدين.

وقال أراجورن: «وهكذا نلتقي مرة أخرى، على الرغم من أن جميع حشود موردور بيننا. ألم أقل ذلك في حصن هورنبرج؟».

(1) Andúril وهو 'Flame of the West' أي شعلة الغرب، وهو Narsil سيف الملك إلنديل. (المترجم)

وقال إيومر: «هكذا قلتَ أنتَ، ولكن الأمل غالبًا ما يخدع، ولم أكن أعرف عندئذ أنك كنت رجلًا بعيد النظر. ولكن ميمونة مرتين تلك المساعدة التي تأتي غير متوقعة، ولم يكن لقاء أصدقاء قطُّ أكثر سعادة من ذلك». وشبَكا أيديهما معًا، وقال إيومر: «ولا أكثر دقة في التوقيت من هذا اللقاء. لقد وصلتَ أخيرًا يا صديقي. لقد حل بنا الكثير من الخسارة والأسى».

فقال له أراجورن: «إذن دعنا ننتقم لذلك، قبل أن نتحدث عنه!». وسارا عائدين إلى المعركة معًا.

كان لا يزال أمامهما قتال شديد وعمل طويل وشاق؛ لأن الجنوبيين كانوا شجعانًا وقساة وشرسين عند اليأس؛ وكان الشرقيون أقوياء وقستهم الحروب ولم يكونوا يطلبون أي مقابل. وهكذا في هذا المكان وذاك، إلى جوار مزرعة أو حظيرة، فوق هضبة أو رابية، تحت جدار أو في حقل، كانوا لا يزالون يتجمعون ويحتشدون ويحاربون حتى ينقضي النهار.

وعندئذ راحت الشمس أخيرًا وراء جبل ميندولوين وملأت السماء كلها بوهج عظيم، حتى اصطبغت التلال والجبال بالحمرة كما لو كانت ملونة بالدم؛ وراحت النار تتوهج، وكان عشب بيلينور أحمر مع الغروب وحلول الليل. وفي تلك الساعة انتهت المعركة العظيمة معركة حقل جوندور؛ ولم يترك خصم واحد حي في نطاق دائرة جدار الرماس. ذُبحوا جميعًا باستثناء أولئك الذين فروا ليموتوا، أو ليغرقوا في الزبد الأحمر للنهر. قليلون الذين ذهبوا شرقًا على الإطلاق إلى مورجول أو موردور؛ ولم يأت إلى أرض الهارادريميين سوى حكاية من بعيد جدًا: شائعة عن غضب ورعب جوندور.

وسار أراجورن وإيومر وإمراهيل عائدين باتجاه بوابة المدينة، وكانوا عندئذ متعبين بما يفوق أي فرح أو حزن. كان هؤلاء الثلاثة سالمين لم يصابوا بأذى؛ لأن ذلك كان حظهم ومهارة وعظمة أسلحتهم، وقليلون حقًا الذين تجرءوا على الصمود أمامهم أو النظر إلى وجوههم في ساعة غضبهم وحنقهم. ولكن كثيرين آخرين تأذوا أو أصيبوا بالعجز أو ماتوا في الميدان. قطعت الفئوس فورلونج وهو يقاتل وحده وبدون حصان؛ ووطئ الحوافر والأقدام وقتل كلًا من دويلين من مورثوند وأخيه عندما هاجما الفيل العملاق الموماكيل، متقدمين برماتهما قريبًا للغاية حتى يرميا بسهامهما عيون الوحوش. لم يعد لا هيرلوين الجميل إلى بيناث جيلين، ولا جريمبولد إلى جريمسليد، ولا هالباراد إلى الأراضي الشمالية، الجوال ذو الأيدي الشرسة. ليسوا قليلين الذين سقطوا، مشاهير أو مجاهيل، قائد أو جندي؛ لأنها كانت معركة عظيمة لم تحك أي حكاية قصتها بالكامل. بعد ذلك بزمن طويل جدًا قال صانع في روهان في أغنيته عن تلال موندبرج الجنائزية:

سمعنا عن الأبواق في التلال تدوي،
السيوف اللامعة في مملكة الجنوب.
انطلقت الجياد سريعًا إلى الأرض الصخرية
مثل الريح في الصباح. كانت الحرب مشتعلة.
هناك سقط ثيودن، ابن ثينجل العظيم،
وإلى أبهائه الذهبية ومراعيه الخضراء
في الحقول الشمالية لم يعد قط،
السيد الأعلى للجيش. هاردينج وجوثلاف،
دونهير وديورواين، جريمبولد الشجاع
هيرفارا وهيروبراند، هورن وفاستريد،
حاربوا وسقطوا هناك في بلد بعيد:
في التلال الجنائزية في موندبرج تحت الأرض العفنة يرقدون
مع رفاقهم في الحلف، سادة جوندور.
ولا هيرليون الجميل إلى التلال بجوار البحر،
ولا فورلونج العجوز إلى الوديان المزهرة
دومًا، إلى أرناخ، إلى بلده هو
عاد منتصرًا؛ ولا القواسين الطوال،
ديريوفين ودويلين، إلى مياههم المظلمة،
بحيرات مورثوند تحت ظلال الجبال.
الموت في الصباح وفي نهاية اليوم
قتل السادة وبشكل وضيع. زمن طويل الآن مذ ناموا
تحت العشب في جوندور إلى جوار النهر العظيم.
رمادية الآن مثل الدموع، فضية متوهجة،
حمراء آنذاك كانت تتدفق، مياه هادرة:
زبد مصبوغ بالدم اشتعل عند غروب الشمس؛
عند جبال المنارات راح يحترق في المساء؛
وسقط الندى أحمر في جدار راماس إيكور(1).

(1) Rammas Echor راماس، أو راماس إيكور، وهو الجدار الحدودي لحقول بيلينور. (المترجم)

الفصل السابع
محـرقـــة دنثــور

عندما انسحب الظل الأسود عند البوابة، كان جَنْدَلْف لا يزال ساكنًا لا يتحرك. ولكن بيبين نهض واقفًا على قدميه كما لو أن ثقلًا كبيرًا قد رُفع من عليه؛ ووقف ينصت للأبواق، وبدا له أنها ستحطم فؤاده من الفرح. ولم يسمع أبدًا في السنوات التالية بوقًا يُنفخ على البعد دون أن تغرورق عيناه بالدموع. ولكن الآن عادت فجأة مهمته إلى ذاكرته، وجرى للأمام. وفي تلك اللحظة تحرك جَنْدَلْف وتحدث إلى شادوفاكس، وكان على وشك أن ينطلق عبر البوابة.

وصاح بيبين مناديًا عليه: «جَنْدَلْف، جَنْدَلْف!». وتوقف شادوفاكس.

وقال له جَنْدَلْف: «ما الذي تفعله هنا؟ أليس قانونًا في المدينة أن أولئك الذين يرتدون الزي الأسود والفضي يجب أن يبقوا في القلعة، ما لم يعطهم ملكهم الإذن بغير ذلك؟».

وقال بيبين: «لقد أعطاني الإذن. ولكنه صرفني بعيدًا. ولكني خائف. شيء رهيب قد يحدث هناك. لقد فقد الملك صوابه، فيما أعتقد. أخشى أنه سيقتل نفسه، ويقتل فارامير أيضًا. ألا يمكنك أن تفعل شيئًا؟».

ونظر جَنْدَلْف عبر البوابة المفتوحة على اتساعها، وكان يسمع بالفعل في ميدان المعركة صوت المعركة المتكاثر. وقبض على يده، وقال: «يجب أن أذهب. الخيال الأسود بالخارج، وعلاوة على ذلك فإنه سوف يجلب الدمار علينا. ليس لدي من وقت».

وصاح بيبين: «ولكن فارامير! إنه لم يمت، وسوف يحرقونه حيًا، إذا لم يمنعهم أحد».

وقال جَنْدَلْف: «يحرقونه حيًا؟ ما هذه الحكاية؟ أسرع!».

وقال بيبين: «لقد ذهب دنثور إلى القبور، وقد أخذ فارامير. ويقول إننا سوف نحترق جميعًا، ولن ينتظر، وأنه عليهم أن يصنعوا محرقة ويحرقونه فيها، وفارامير أيضًا. وقد أرسل رجالًا ليحضروا خشبًا وزيتًا. وقد أخبرتُ برجوند، ولكني أخشى أنه لن يجرؤ على ترك مكان حراسته: إنه في نوبة حراسة. وما الذي يمكنه أن يفعله على أية حال؟».

وهكذا قص بيبين حكايته، وارتفع لأعلى ولمس ركبة جَنْدَلْف بيدين مرتعشتين. «ألا يمكنك أن تنقذ فارامير؟».

وقال جَنْدَلْف: «ربما أستطيع؛ ولكني إذا فعلتُ، فسوف يموت آخرون، فيما أخشى. حسنًا، يجب علي أن آتي، حيث إنه لا يمكن لأي مساعدة أخرى أن تأتيه.

ولكن الشر والحزنُ سوف يأتي من وراء هذا. حتى في قلب معقلنا لدى العدو قوة ليضربنا بها: لأن إرادته هي التي تعمل».

وعندئذ لما كان قد استقر رأيه راح يتصرف سريعًا؛ وأمسك بيبين ووضعه أمامه، ووجه شادوفاكس بكلمة. وانطلقوا صاعدين عبر شوارع ميناس تيريث الصاعدة، في حين أن صخب الحرب راح يرتفع ويزيد وراءهم كان الرجال في كل مكان ينهضون من يأسهم ومن رعبهم، وهم يمسكون بأسلحتهم، ويصيح كل واحد منهم إلى الآخر: «لقد أتت روهان!». وكان القادة يصيحون، وكانت السرايا والمجموعات تتجمع وتحتشد؛ كان الكثيرون بالفعل يسيرون هابطين إلى البوابة.

وقابلا الأمير إمراهيل، ونادى عليهما: «إلى أين الآن، يا ميثراندير؟ الروهيريميون يقاتلون في حقول جوندور! يجب أن نستجمع كل القوة التي يمكن أن نجدها».

وقال جَنْدَلْف: «سوف نحتاج إلى كل رجل. أسرعوا جميعًا. سوف آتي عندما أستطيع ذلك. ولكن لدي مهمة يجب أن أقضيها للملك دنثور لن تنتظر. تولى القيادة في غياب الملك!».

وواصلا انطلاقهما؛ وبينما كانا يصعدان ويقتربان من القلعة كانا يحسان بأن الريح تهب في وجهيهما، ولمحا وهج الصباح على البعد، ضوء يتزايد في السماء الجنوبية. ولكن ما جلبه لهما من أمل كان قليلًا، حيث لم يكونا يعلمان ما ينتظرهما من شر، خائفين من أن يأتيا بعد فوات الأوان.

وقال جَنْدَلْف: «الظلمة تنقشع، ولكنها لا تزال ثقيلة على المدينة».

ولم يجد حارسًا عند البوابة. وقال بيبين بمزيد من الأمل: «إذن فقد ذهب برجوند». واستدارا بعيدًا وانطلقا سريعًا عبر الطريق إلى الباب المغلق. وكان مفتوحًا على مصراعيه، وكان الحمال راقدًا أمامه. كان مذبوحًا وقد أُخذ مفتاحه.

وقال جَنْدَلْف: «هذا من صنيع العدو! ذلك العمل يحبه هو: صديق في حرب مع صديق؛ الولاء تفرق في ارتباك القلوب». وعندئذ ترجل من على شادوفاكس وأمره بالعودة إلى الإسطبل، وقال: «لأنه، يا صديقي، كان ينبغي علي أنا وأنت أن نكون قد سرنا إلى الحقول من فترة طويلة، ولكن أمورًا أخرى تؤخرني. ولكن لتأتِ سريعًا إذا أنا ناديتُك!».

ومرا بالباب وراحا يمشيان هابطين الطريق المتعرج شديد الانحدار. كان الضوء يزيد، وراحت الأعمدة الطويلة والأشكال المنحوتة إلى جوار الطريق تسير بطيئًا مثل أشباح مظلمة.

وفجأة انكسر الصمت، وسمعا أسفل منهما صرخات ورنين السيوف: أصوات كهذه

لم تُسمع في الأماكن المقدسة منذ بناء المدينة. وأخيرًا وصلا إلى راث دينين[1] وأسرعا باتجاه منزل القهرمانات الذي كان يظهر في الغسق تحت قبته العظيمة.

وصاح جَنْدَلْف: «توقفوا! توقفوا!». وقفز للأمام إلى السلم الحجري أمام الباب. «أوقفوا هذا الجنون!».

لأنه كان هناك خدم دنثور بسيوف ومشاعل في أيديهم؛ ولكن برجوند كان يقف وحده في المدخل على أعلى درجة، مرتديًا زي الحراس الأسود والفضي؛ وراح يمنعهم من الدخول. وكان اثنان منهما قد سقطا بالفعل بسيفه، ملطخين الأماكن المقدسة بدمائهما؛ وراح الآخرون يشتمونه ويلعنونه، منادين إياه بالخارج على القانون والخائن لسيده.

وبينما كان جَنْدَلْف وبيبين يجريان للأمام، سمعا من داخل غرفة الموتى صوت دنثور يصرخ: «أسرعوا، أسرعوا! افعلوا ما أمرتكم به! اقتلوني أنا ذلك المارق المرتد! أم أنه ينبغي علي أن أفعل ذلك بنفسي؟». وفي الحال بعد ذلك فإن الباب الذي كان يغلقه برجوند بيده اليسرى فُتح بالقوة، وكان يقف وراءه ملك المدينة، طويلًا وضاريًا متوحشًا؛ كان في عينيه ضوء مثل اللهب، وكان يمسك بسيف مستلٍ.

ولكن جَنْدَلْف قفز على درجات السلم، وتراجع الرجال من أمامه وغطوا أعينهم؛ لأن مجيئه كان مثل مجيء ضوء أبيض إلى مكان مظلم، وقد جاء بغضب عظيم. ورفع يده، وفي نفس توقيت الضربة، طار سيف دنثور وترك قبضة يده وسقط وراءه في ظلال المنزل؛ وتراجع دنثور أمام جَنْدَلْف كشخص أصيب بالذهول.

وقال الساحر: «ما هذا يا مولاي؟ غرف الموتى ليست أماكن الأحياء. ولماذا يحارب الناس هنا في الأماكن المقدسة في حين أن هناك حربًا أمام البوابة؟ أم أن عدونا جاء حتى إلى راث دينين؟».

وقال دنثور: «منذ متى كان ملك جوندور مسئولًا أمامك؟ أم أنه لا يجوز لي أن آمر خدمي الخاصين بي؟».

فقال له جَنْدَلْف: «بمقدورك ذلك. ولكن الآخرين يمكنهم الاعتراض على مشيئتك، عندما تتحول إلى جنون وشر. أين ابنك، فارامير؟».

وقال دنثور: «إنه يرقد بالداخل، يحترق، بالفعل يحترق. لقد أضرموا النار في لحمه. ولكن سريعًا سوف يحترق كل شيء. لقد أخفق الغرب. سوف يتصاعد كله تمامًا في حريق هائل، وسوف ينتهي كل شيء. رماد! رماد ودخان تذروه الرياح بعيدًا!».

وعندئذ لما رأى جَنْدَلْف الجنون الذي كان عليه خشي أن يكون قد قام بالفعل بعمل شرير، واندفع للأمام، ووراءه برجوند وبيبين، بينما راح دنثور يتراجع حتى وقف

(1) 'Rath Dínen 'Silent Street، الشارع الصامت. (المترجم)

إلى جوار الطاولة التي كانت بالداخل. ولكن هناك وجدوا فارامير، لا يزال يحلم ويهذي في الحمى التي أصابته، وهو يرقد على الطاولة. كان الخشب مكومًا تحت الطاولة، وعاليًا في كل مكان حولها، وكان كله مبللًا بالزيت، حتى ملابس فارامير والأغطية؛ ولكن لم يكن قد تم بعد إشعال النار في الحطب. عندئذ كشف جَنْدَلْف عن القوة التي ترقد مختبئة فيه، حتى عندما كان ضوء قوته مختبئًا تحت معطفه الرمادي. وقفز عاليًا فوق حزم الحطب، ورفع الرجل المريض في خفة وقفز به نازلًا لأسفل مرة أخرى، وحمله باتجاه الباب. ولكن بينما كان يفعل ذلك تأوه فارامير ونادى على والده في حلمه.

وفزع دنثور مثل شخص استيقظ من نوم مغناطيسي عميق، وانطفأت الشعلة التي كانت في عينيه، وراح يبكي؛ وقال: «لا تأخذوا ابني مني! إنه ينادي عليّ».

وقال جَنْدَلْف: «إنه ينادي، ولكن لا يمكنك أن تأتي إليه مع ذلك؛ لأنه يجب أن يبحث عن الشفاء على عتبة الموت، وربما لا يجده. في حين أن دورك يتمثل في أن تخرج للقتال في معركة مدينتك، حيثما قد يكون الموت في انتظارك. أنت تعرف هذا في قلبك».

وقال له دنثور: «إنه لن يستيقظ مرة أخرى. القتال لا جدوى له. لماذا نرغب في أن نعيش أطول؟ لماذا لا نذهب إلى الموت جنبًا إلى جنب؟».

وأجابه جَنْدَلْف: «السلطة ليست ممنوحة لك يا قهرمان جوندور أن تأمر بساعة موتك. ولم يفعل ذلك سوى الملوك الوثنيين تحت سلطان قوة الظلام، حيث يذبحون أنفسهم فخرًا ويأسًا، ويقتلون أقرباءهم ليخففوا عليهم موتهم». وبعد وهو يمر عبر الباب أخذ فارامير من غرفة الموتى ووضعه على النعش الذي كان قد جيء به عليه، والذي وضع عندئذ في المدخل. وتبعه دنثور، ووقف يرتعش، وهو ينظر في تشوف إلى وجه ابنه. وللحظة، بينما كان الجميع صامتين وساكنين، يراقبون الملك في آلام احتضاره، راح يرتعش ويتمايل.

وقال له جَنْدَلْف: «هيا! إنه بحاجة إلينا. هناك الكثير بمقدورك أن تفعله».

عندئذ وفجأة راح دنثور يضحك. ووقف طويلًا وفخورًا مرة أخرى، وتراجع سريعًا للوراء إلى الطاولة ورفع منها الوسادة التي كانت رأسه ترقد عليها. عندئذ جاء نحو الباب وأزاح الغطاء جانبًا، ويا لعجب ما حدث! كان بين يديه حجر بالانتير. وبينما كان يمسك به رافعًا إياه عاليًا، بدا لأولئك الذين كانوا ينظرون أن الكرة بدأت تتوهج بشعلة داخلية، ولذلك فإن الوجه النحيل للملك أضيء كما لو كان بنار حمراء، وبدا أنه كان مقطوعًا من حجر صلب، حاد له ظلال سوداء، ونبيلة، وأبية، ومروعة. وتوهجت عيناه.

وصاح: «الكبرياء واليأس! ألا تظن أن أعين البرج الأبيض كانت عمياء؟ كلا، لقد رأيتُ أكثر مما تعلم، أيها الأحمق الأشيب. لأن أملك ليس سوى جهل. اذهب إذن وانشغل بالعلاج والشفاء! اذهب وقاتل! هباء. لأنك قد تنتصر في مساحة صغيرة في الميدان، لمدة يوم. ولكن ضد القوة التي تنهض الآن ليس هناك أي انتصار. إلى هذه

المدينة فقط لم يمتد إلى الآن سوى الأصبع الأول من يده. الشرق كله يتحرك. وبينما تخدعك ريح أملك، فإن هناك أسطولًا بأشرعة سوداء يتدافع بقوة عبر نهر أندوين. لقد سقط الغرب. لقد حان الوقت ليرحل جميع من لا يريدون أن يصبحوا عبيدًا».

فقال جَنْدَلْف: «هذه الخطط والنصائح سوف تجعل انتصار العدو أكيدًا حقًا».

وضحك دنثور وقال: «لتواصل أملك إذن! ألستُ أعرفك يا ميثراندير؟ إن أملك هو أن تحكم في مكاني بدلًا مني، أن تقف وراء كل عرش، شمالًا أو جنوبًا أو غربًا. لقد قرأتُ عقلك وسياساته وتدابيره. ألستُ أعلم أنك أمرت ذلك النصف هنا أن يلزم الصمت؟ والذي كنتَ قد أحضرته إلى هنا ليكون جاسوسًا في داخل غرفتي ذاتها؟ ومع ذلك في حديثنا معًا عرفتُ أسماء جميع رفاقك وغرضهم. وهكذا! كنت ستستخدمني باليد اليسرى لبعض الوقت كدرع ضد موردور، وباليد اليمنى كنت ستأتي بجوال الشمال ليحل محلي.

«ولكني أقول لك يا جَنْدَلْف ميثراندير، إنني لن أكون أداتك! إنني قهرمان منزل أناريون. لن أتنازل لأكون حاجبًا خرفًا لمُحْدَث نعمة مبتدئ. حتى ولو كان قد تم إثبات ادعائه بالنسبة لي، فإنه يأتي، مع ذلك، من نسل إسيلدور. إنني لن أنحني أمام ذلك الشخص، آخر واحد في منزل أشعث محروم من السيادة والكرامة».

فقال جَنْدَلْف: «ما الذي ستفعله إذن لو سُمح لإرادتك أن تسود؟».

وأجابه دنثور: «سوف أضع الأشياء على ما كانت عليه طوال أيام حياتي، وفي أيام آبائي من قبلي: لأكون سيد هذه المدينة في سلام، وأترك مقعدي لابني من بعدي، والذي سيكون سيد نفسه وليس تلميذًا لساحر. ولكن إذا رفض القدر أن يمنحني هذا، ففي هذه الحالة لن يكون لدي شيء سوى الهلاك: لا حياة تضاءلت، ولا حب قُسم مناصفة، ولا شرف انتقص».

فقال جَنْدَلْف: «بالنسبة لي لن يبدو أن قهرمانًا يتنازل بإخلاص عن مهمته يتضاءل في الحب أو الشرف. وعلى الأقل لن تسلب ابنك من اختياره بينما لا يزال موته موضع شك».

وعند هذه الكلمات توهجت عينا دنثور مرة أخرى، وأخذ الحجر الذي كان تحت ذراعه، واستل سكينًا وخطا خطوات واسعة باتجاه النعش. ولكن برجوند قفز باتجاه الأمام ووضع نفسه أمام فارامير.

وصاح دنثور: «هكذا إذن! لقد سرقتَ بالفعل نصف حب ابني. والآن تسرق قلوب فرساني أيضًا، حتى يسلبوني تمامًا من ابني أخيرًا. ولكن في هذه على الأقل فإنك لن تتحدى إرادتي لن تتحكم في نهايتي».

وصاح في خدمه: «تعالوا هنا! تعالوا، إذا لم تكونوا ناكثي العهد جبناء!». عندئذ جرى اثنان منهم صاعدين السلم إليه. وسريعًا خطف مشعلًا من يد واحد منهما وقفز عائدًا إلى المنزل. وقبل أن يتمكن جَنْدَلْف من أن يقف في طريقه أقحم الجمرة وسط الحطب، وفي الحال راح يطقطق ويرتفع منه اللهب عاليًا.

عندئذ قفز دنثور على الطاولة، ووقف هنالك تلفه النار والدخان، وأخذ صولجانه ووضعه عند قدميه وكسره على ركبته. ولما ألقى بالقطع في اللهب، انحنى ووضع نفسه على الطاولة، ممسكًا على حجر البالانتير بكلتا يديه على صدره. وقد قيل إنه منذ ذلك الحين، إذا نظر أي رجل في ذلك الحجر، ما لم تكن لديه قوة إرادة عظيمة ليحوله إلى غرض آخر، لم يكن يرى سوى يدين شائختين تذبلان في اللهب.

وأدار جَنْدَلْف وجهه بعيدًا في حزن ورعب وأغلق الباب. ووقف مفكرًا لبعض الوقت، صامتًا فوق العتبة، في حين سمع أولئك الذين كانوا بالخارج هدير النار الشره بالداخل. وعندئذ صرخ دنثور صرخة عظيمة، ولم يتحدث بعد ذلك قط، كما لم يره أبدًا بعد ذلك الرجال الفانون.

وقال جَنْدَلْف: «وهكذا يرحل دنثور، ابن إكثيليون». وبعد ذلك التفت إلى برجوند وخدم الملك الذين كانوا واقفين هناك مشدوهين مذعورين، وقال: «وهكذا ترحل أيضًا أيام جوندور التي عرفتموها؛ انتهت سواء أكانت خيرًا أم شرًا.

أعمال شريرة وضغائن فُعلت هنا؛ ولكن دعوا الآن كل العداوة التي تقع بينكم توضع جانبًا؛ لأنها كانت من نسج العدو وتعمل وَفْقًا لإرادته. لقد وقعتم في شبكة مهام متصارعة لم تقوموا بنسجها. ولكن فكروا، أنتم خدام الملك، العُمي في طاعتكم، إنه لولا خيانة برجوند فإن فارامير قائد البرج الأبيض لكان قد احترق الآن هو أيضًا.

«احملوا بعيدًا عن هذا المكان التعيس زملاءكم الذين سقطوا صرعى. وسوف نحمل نحن فارامير، قهرمان جوندور، لنضعه في مكان يمكنه النوم فيه بسلام، أو يموت إذا كان هذا هو قدره ومصيره».

وبعد ذلك أخذ جَنْدَلْف وبرجوند نعشهما وحملاه بعيدًا باتجاه دور العلاج[1]، في حين كان يمشي وراءهما بيبين مطأطأ الرأس. ولكن خدم الملك وقفوا يحدقون كرجال أصابهم الذهول في غرفة الموتى؛ وبينما وصل جَنْدَلْف إلى نهاية راث دينين، كان هناك صخب كبير. ولما نظروا للوراء رأوا قبة المنزل تنشق ويخرج منها الدخان؛ وعندئذ في اندفاع وتساقط للصخور سقطت فورة شديدة من النار؛ ولكن ألسنة اللهب لم تكن قد خمدت بعد وراحت تتراقص وتتوهج بين الأطلال. عندئذ في رعب فر الخدام وتبعوا جَنْدَلْف.

وأخيرًا عادوا إلى باب القهرمان، ونظر برجوند في حزن إلى الحمال، وقال: «هذا العمل سوف أندم عليه دومًا، ولكن كان يتملكني جنون العجلة، ولم يكن يرد أن ينصت

(1) Houses of Healing اسم يطلق على مستشفى جوندور في الدائرة السادسة من ميناس تيريث حيث كان المعالجون (الأطباء) في جوندور يقومون بعملهم. (المترجم)

إليّ، ولكنه استل سيفه ضدي». عندئذ أخذ المفاتيح التي كان قد انتزعها من الرجل المقتول وأغلق الباب وأحكم قفله بالأقفال، وقال: «هذا سوف يعطى الآن لسيدي فارامير».

وقال جَنْدَلْف: «أمير دُول أمروث هو القائد في غياب الملك، ولكن حيث إنه ليس موجودًا، فإنه يجب أن أقوم أنا بذلك. إنني آمرك أن تحتفظ بالمفتاح وتحرسه، حتى يتم ترتيب المدينة مرة أخرى».

وعندئذ وأخيرًا مرُّوا إلى الدوائر العلوية من المدينة، وفي ضوء الصباح القادم ساروا في طريقهم باتجاه دور العلاج؛ وكانت هذه منازل جميلة مخصصة لرعاية أولئك الذين كانوا مرضى بشكل خطير، ولكن الآن تم تجهيزها لرعاية الرجال الذين أصيبوا في المعركة أو الذين يحتضرون. ووقفوا غير بعيدين من بوابة القلعة، في الدائرة السادسة، قريبًا من جدارها الجنوبي، وفيما حولهم كانت هناك حديقة ومرج أخضر به أشجار، المكان الوحيد على هذا النحو في المدينة. كان يسكن هناك عدد قليل من النساء كن قد سُمح لهن بالبقاء في ميناس تيريث، حيث إنهن كن ماهرات في العلاج أو في خدمة القائمين على العلاج.

ولكن بينما كان جَنْدَلْف ورفاقه يأتون حاملين النعش إلى الباب الرئيسي لدور العلاج، سمعوا صرخة عظيمة جاءت صاعدة من الحقل الذي كان أمام البوابة ومرت مخترقة السماء ومدوية، وخمدت هناك بعيدًا مع الريح. كانت الصرخة مُروعة للغاية لدرجة أنهم وقفوا جميعًا ساكنين للحظة، ومع ذلك عندما مرت، فإن قلوبهم انتعشت فجأة في أملٍ لم يعرفوه أبدًا منذ أن خرجت الظلمة من الشرق؛ وبدا لهم أن الضوء أصبح واضحًا وصافيًا وأن الشمس قد اخترقت السحب.

ولكن وجه جَنْدَلْف كان جادًا وحزينًا، وأمر برجوند وبيبين أن يأخذا فارامير إلى دور العلاج، وصعد إلى الجدران القريبة؛ وهناك وقف مثل تمثال منحوت من حجر أبيض، في الشمس الجديدة ونظر للخارج. ورأى بحاسة الإبصار التي كانت قد منحت له كل من كانوا قد سقطوا؛ وعندما سار إيومر خارجًا من الجبهة الأمامية من معركته ووقف إلى جوار أولئك الذين كانوا يرقدون على الحقل، تنهد، وألقى معطفه من حوله مرة أخرى، وذهب من الجدران. ووجده برجوند وبيبين واقفًا مستغرقًا في تفكيره أمام باب دور العلاج عندما خرجا.

ونظرا إليه، وكان صامتًا للحظة. وأخيرًا تحدث، وقال: «أصدقائي، وأنتم يا جميع سكان هذه المدينة والأراضي الغربية! لقد مرت أشياء حزينة وعظيمة بشكل كبير. هل نبكي أم نفرح؟ لقد تم تدمير قائد أعدائنا وهو أمر فوق كل ما كنا نأمل فيه، وقد سمعتم صدى يأسه الأخير. ولكنه لم يذهب بدون ويل وخسارة مريرة. لقد

أصبحت يد عدونا طويلة للغاية! واحسرتاه! ولكن الآن أعلم كيف كانت إرادته قادرة على أن تدخل إلى قلب المدينة نفسها.

«على الرغم من أن القهرمانات كانوا يظنون أنه سرهم فقط يحتفظون به، منذ زمن طويل خمنتُ أنه هنا في البرج الأبيض، كان يتم الاحتفاظ بحجر على الأقل من الحجارة السبعة المبصرة. في أيام حكمته، لم يكن دنثور يتجرأ على استخدامه ليتحدى ساورون، لعلمه بحدود قوته هو نفسه. ولكن حكمته أخفقت؛ وأخشى أنه عندما كان خطر مملكته يكبر، كان ينظر في الحجر وكان ينخدع: مرات كثيرة للغاية، في تخميني، منذ أن رحل بورومير. لقد كان عظيما للغاية بحيث لا يمكن إخضاعه لإرادة برج الظلام، ومع ذلك فلم يكن يرى سوى تلك الأشياء التي كانت تلك القوة تسمح له برؤيتها. إن المعرفة التي حصل عليها كانت، بلا شك، غالبا ما كانت ستساعده؛ ولكن رؤية العظمة الهائلة لموردور التي تم إظهارها له غذت اليأس في قلبه حتى تغلب على عقله».

وقال بيبين، وهو يرتعش من ذكرياته وهو يتحدث: «الآن أفهم ما كان يبدو لي غريباً للغاية! ذهب الملك بعيداً عن الغرفة التي كان فارامير يرقد فيها؛ وقد حدث فقط أنه عندما عاد أن فكرتُ أول مرة أنه قد تغير، صار عجوزاً ومكسوراً».

وقال برجوند: «كان في تلك الساعة بالتحديد التي تم إحضار فارامير فيها إلى البرج أن رأى الكثيرون منا ضوءاً غريباً في الغرفة العلوية. ولكننا رأينا ذلك الضوء من قبل، وقد سرت شائعة منذ زمن طويل في المدينة أن الملك كان في بعض الأوقات يتصارع مع عدوه».

وقال جندلف: «واحسرتاه! إذن فقد كان تخميني صحيحا. وهكذا دخلت إرادة ساورون إلى ميناس تيريث؛ وهكذا فقد تأخرتُ أنا هنا. وهنا سوف أرغم على البقاء؛ لأنه ستكون لدينا قريباً مهام أخرى، ليس فارامير فقط.

«والآن ينبغي أن أنزل لأقابل أولئك الذين يأتون. لقد رأيتُ منظرا في الحقل خطيرا جدا ومؤسفا للغاية لقلبي، ومع ذلك فلا يزال هناك حزن أكثر خطرا سوف يأتي. تعال معي يا بيبين! ولكنك أنت يا برجوند يجب أن تعود إلى القلعة وتخبر رئيس الحرس هناك بما حدث. سوف تكون مهمته فيما أخشى أن يسحبك من الحرس؛ ولكن قل له إذا كان لي أن أشير عليه أنه ينبغي أن يتم إرسالك إلى دور العلاج، لتكون حارس وخادم قائدك، ولتكون إلى جواره عندما يفيق إذا كان سيحدث ذلك مرة أخرى أبداً؛ لأنك أنت الذي أنقذته من النار. اذهب الآن! سوف أعود في الحال».

وبهذه الكلمات استدار بعيداً وذهب مع بيبين هابطا باتجاه المدينة السفلية. وبينما كانا يسرعان في طريقهما كانت الريح تجلب مطرا رماديا، وغارت جميع النيران، وارتفع دخان عظيم أمامهما.

الفصل الثامن

دور العلاج

كانت هناك سحابة سديمية من دموع وإعياء في عيني ميري عندما اقتربوا من البوابة المدمرة بوابة ميناس تيريث. أعار انتباها قليلا للحطام والمذبحة التي كانت في كل مكان حوله. كان الجو مليئا بالحريق والدخان والروائح النتنة؛ لأنه كان قد تم حرق الكثير من العربات أو تم إلقاؤها في حفر النيران، وكذلك الكثير من القتلى، بينما كانت ترقد هنا وهناك الكثير من الجثث الضخمة للوحوش الجنوبيين، نصف المحروقة، أو المكسرة من جراء الحجارة التي تم رميهم بها، أو قام رماة مورثوند البواسل برميهم في أعينهم. لقد توقف المطر الطائر لبعض الوقت، وتوهجت الشمس فوقهم؛ ولكن كانت المدينة السفلية لا تزال مغلفة في ضباب دخاني.

وكان الرجال بالفعل يكدون لشق طريق عبر حطام المعركة؛ وفي ذلك الوقت خرج من البوابة بعض مَن يحملون محفات. وقاموا بوضع إيووين على وسائد ناعمة برفق؛ ولكنهم غطوا جسد الملك بقطعة قماش ذهبية كبيرة، وحملوا مشاعل حوله، وراحت ألسنة اللهب، وكانت شاحبة في ضوء الشمس، ترتعش بفعل الريح.

وهكذا جاء ثيودن وإيووين إلى مدينة جوندور، وكل من رأوهما خلعوا أغطية رءوسهم وانحنوا لهما؛ ومروا عبر رماد ودخان الدائرة المحروقة، وواصلوا سيرهم صاعدين عبر شوارع صخرية طويلة. وبدا الصعود لميري طويلا طول الدهر، رحلة لا معنى لها في حلم بغيض، يستمر ويستمر حتى يصل إلى نهاية قاتمة لا يمكن للذاكرة أن تمسك بها أو تفهمها فهما تاما.

وبطيئا راحت المشاعل التي كانت أمامه ترتعش وتنطفئ، وكان يمشي في ظلمة؛ وفكر مع نفسه: «هذا نفق يؤدي إلى قبر؛ هناك سوف نبقى للأبد». ولكن فجأة جاء إلى حلمه صوت حي.

«حسنا يا ميري! الحمد لله أنني وجدتُك!».

ونظر لأعلى وانقشع السديم الذي كان أمام عينيه قليلا. وهنالك كان بيبين وجها لوجه في طريق صغير ضيق! وكان خاليا إلا منهما. وحك عينيه، وقال:

«أين الملك؟ وإيووين؟». وبعد ذلك زلت قدماه وجلس على درجة سلم وبدأ يبكي مجددا.

وقال له بيبين: «لقد صعدوا إلى القلعة. أعتقد أنك لا بد وقد نمت على قدميك وسرت في الطريق الخطأ. عندما وجدنا أنك لم تكن معهم، جندلف أرسلني لأبحث

عنك. ميري العجوز المسكين! كم أنا سعيد لرؤيتك مرة أخرى! ولكن أخبرني، هل أصبتَ بأذى، أو جرح؟».

فقال ميري: «كلا. حسنًا، لا، لا أظن ذلك. ولكني لا أستطيع أن أستخدم ذراعي الأيمن، يا بيبين، ليس منذ أن طعنتُه. وقد احترق سيفي وتطاير إربًا مثل قطعة من خشب».

وكـان وجـه بيبين قلقًا، وقال: «حسـنًا، من الأفضـل أن تأتـي معي بأسـرع ما تستطيع. أتمنى لو كنتُ أستطيع حملك. إنك لا تستطيع أن تمشي أكثر من ذلك. كان ينبغي ألا يتركوك تمشي على الإطلاق؛ ولكن ينبغي عليك أن تسامحهم. لقد حدثت أشياء مروعة في المدينة يا ميري كثيرة للغاية لدرجة أنه يُسهل أن يُنسى ويُغفل هوبيتي مسكين قادم من المعركة».

وقال ميري: «ليس دائمًا من سوء الحظ أن تُنسى أو تُغفل. لقد أغفلتُ الآن تمامًا من جانب لا، لا، لا يمكن أن أتحدث عنه. ساعدني يا بيبين! كل شيء يظلم تمامًا مرة أخرى، وذراعي باردة للغاية».

فقال له بيبين: «استند عليّ أيها الرجل ميري! هيا الآن! قدمًا قدمًا. ليس المكان بعيدًا».

وقال ميري: «هل ستدفنني؟».

«كلا، في واقع الأمر!». قال ذاك بيبين محاولًا أن يبدو مرحًا مبتهجًا، على الرغم من أن قلبه كان يعصره الخوف والإشفاق. «كلا، إننا ذاهبان إلى دور العلاج».

واستدارا خارجين من الممر الضيق الذي كان يجري بين منازل عالية والجدار الخارجي للدائرة الرابعة، ثم عادا إلى الشارع الرئيسي صاعدين إلى القلعة. وراحا يسيران درجة درجة، بينما كان ميري يترنح ويغمغم كشخص نائم، وفكر قائلًا:

«إنني لن أجده هناك أبدًا. أليس هناك من أحد يمكن أن يساعدني؟ لا يمكنني أن أتركه هنا». وعندئذ تمامًا ولدهشته جاء صبي يجري صاعدًا وراءهما، وعندما مرا بهما تذكر برجيل ابن برجوند، ونادى عليه:

«مرحبًا يا برجيل. أين تذهب؟ سعيد لأن أراك مرة أخرى، ولا أزال حيًا!».

فقال له برجيل: «إنني أقوم على حمل الرسائل وإنجاز المشاوير للمعالجين. لا يمكنني أن أبقى».

فقال بيبين: «لا تبقى! ولكن أخبرهم هناك أن معي هوبيتي مريض، تذكر إنه بيريان[1]، جاء من أرض المعركة. لا أظن أنه بإمكانه أن يمشي أكثر من ذلك. إذا كان ميثراندير هناك، فسوف يكون سعيدًا بالرسالة». وواصل برجيل جريه.

(1) Perian وهي مفرد كلمة Periannath ومعناها «Halfling» أي «النصف»، وهي التسمية التي أطلقوها في جوندور على الهوبيتيين. (المترجم)

وفكر بيبين: «من الأفضل أن أبقى هنا». ولذلك فإنه ترك ميري ينزل برفق على الرصيف الذي كان في رقعة من ضوء الشمس، وعندئذ جلس إلى جواره، واضعًا رأس ميري في حجره. وراح يتحسس جسمه وأطرافه برفق، وأخذ يدي صديقه في يديه. كانت اليد اليمنى باردة مثل الثلج.

لم يمض وقت طويل إلا وقد أتى جَنْدَلْف نفسه بحثًا عنهما. انحنى فوق ميري وراح يداعب جبينه؛ وعندئذ رفعه بعناية، وقال: «كان ينبغي أن يُحمل تشريفًا إلى هذه المدينة. لقد كافأ ثقتي به مكافأة جيدة؛ لأنه لولا أن نزل إلروند لرأيي، ما كان أي منكما قد خرج في الرحلة؛ وعندئذ فإن شرور هذا اليوم كانت ستصبح أكثر خطرًا بكثير». وتنهد، وواصل كلامه: «ومع ذلك ها هي مهمة أخرى ملقاة عليّ، بينما لاتزال المعركة طوال الوقت معلقة».

وهكذا، فقد وضع أخيرًا فارامير وإيووين وميريادوك في أسرة في دُور العلاج؛ وهناك تلقَّوا رعاية جيدة؛ لأنه على الرغم من أن جميع المعرفة كانت في هذه الأيام الأخيرة قد سقطت من كمالها الذي كانت عليه في الماضي، إلا أن مهارة جوندور في العلاج كانت لا تزال حكيمة، وماهرة في علاج الجروح والآلام، وكل تلك الأمراض التي كان البشر الفانون في شرق البحر عرضةً لها. باستثناء الشيخوخة فقط؛ فلم يجدوا أي علاج لذلك؛ وفي الواقع فقد راحت أعمارهم تتضاءل إلى ما هو أكثر قليلًا من رجال آخرين، وأولئك من بينهم الذين تجاوزوا إجمالي خمس عشرينات من السنين بحيوية وقوة قد أصبحوا قلة، باستثناء ما كان منهم في بعض المنازل ذات الدم الأكثر نقاء. ولكن الآن فقد كُبح فنهم ومعرفتهم؛ لأنه كان هناك كثيرون منهم مرضى بمرض لم يمكن علاجه؛ وأطلقوا عليه الظل الأسود؛ لأنه كان يأتي من النازجول. وأولئك الذين أصيبوا به راحوا ببطء في حلم يزداد عمقًا على الدوام، وبعد ذلك يتحولون إلى الصمت وإلى برودة قاتلة، وهكذا يموتون. وقد بدا للقائمين على رعاية المرضى أن هذا المرض يجثم بشكل ثقيل وكبير على النصف وعلى سيدة روهان. إلا أنه كان لايزال بإمكانهما الحديث في بعض الأوقات، حيث كانا يغمغمان ويهمهمان في أحلامهما؛ وكان الحراس ينصتون إلى كل ما كانا يقولانه، آملين في أن يعرفوا شيئًا يمكن أن يساعدهم في فهم آلامهما. ولكن سريعًا بدأا يغيبان في الظلمة، وبينما استدارت الشمس ناحية الغرب راح ظل رمادي يزحف فوق وجوههما. ولكن فارامير كان يحترق بحمى لا تضعف ولا تخف.

وراح جَنْدَلْف يتنقل بينهم من واحد إلى الآخر مليئًا بالهم، وقد أخبروه بكل ما استطاع الحراس سماعه. وهكذا انقضى اليوم، بينما تواصلت المعركة الكبيرة بالخارج بآمال متغيرة وأخبار غريبة؛ وظل جَنْدَلْف ينتظر ويراقب ولم يتقدم؛ حتى ملأ ضوء

غروب الشمسٌ الأحمر جميع السماء، وراح الضوء عبر النوافذ يسقط على وجوه المرضى الرمادية. وعندئذ بدا لأولئك الذين كانوا واقفين قريباً إلى جوارهم أنه في الوهج كانت الوجوه تتوهج بشكل رقيق كما لو كان ذلك ناتجاً عن عودة الصحة، ولكن ذلك لم يكن سوى أمل زائف.

وعندئذ راحت زوجة عجوز، إيوريث، أكبر النساء اللاتي خدمن في تلك الدار، وهي تنظر في وجه فارامير الجميل، تبكي؛ لأن الناس جميعاً كانوا يحبونه. وقالت: «واحسرتاه! إذا مات. أتمنى لو أن كان هناك ملوك في جوندور، كما كان هناك في وقت من الأوقات، هكذا يقولون! لأنه قيل في المعارف القديمة: إن يدي الملك هما يدا المعالج. وهكذا يمكن أن يُعرف الملك الحقيقي والشرعي على الدوام».

وقال جَنْدَلْف الذي كان يقف قريباً: «لعل الرجال سيذكرون كلماتك طويلاً يا إيوريث! لأن فيها أمل. ربما يكون هناك ملك قد عاد حقاً إلى جوندور؛ أم أنكِ لم تسمعي الأخبار الغريبة التي وصلت إلى المدينة؟».

وأجابته قائلة: «لقد كنتُ منشغلة للغاية بهذا وذاك بحيث لم يكن بإمكاني أن أعير انتباهي لكل الصراخ والصياح. كل ما أتمناه هو ألا يأتي هؤلاء الشياطين القتلة إلى هذه الدار ويقلقوا المرضى».

وعندئذ خرج جَنْدَلْف في عجلة، وقد كانت النار في السماء بالفعل تحترق، وكانت التلال تحترق وينطلق منها دخان كثيف، في حين أن المساء الرمادي بلون رماد النار راح يزحف فوق الحقول.

وفي ذلك الوقت عندما غابت الشمس، كان أراجورن وإيومر وإمراهيل قد اقتربوا من المدينة بقادتهم وفرسانهم؛ وعندما وصلوا أمام البوابة قال أراجورن:

«انظروا إلى الشمس تغرب في نار عظيمة! إنها علامة على نهاية وسقوط أشياء كثيرة، وتغيير في مجريات العالم. ولكن هذه المدينة والمملكة قد ظلت تحت رعاية القهرمانات على مدار سنين طويلة، وأخشى أنني لو دخلتها بلا دعوة، ففي هذه الحالة قد ينشأ الشك والجدل، وهو الأمر الذي يجب ألا يكون مادامت هذه الحرب دائرة. إنني لن أدخل، ولن أطالب بأي شيء، إلا لو اتضح من سنكون له الغلبة والسيادة نحن أم مودرور. سوف ينصب الرجال خيامي في الحقل، وهنا سوف أنتظر ترحاب سيد المدينة».

ولكن إيومر قال: «لقد رفعتَ بالفعل راية الملوك وأظهرت أمارات منزل إلينديل. هل تسمح لهذه بأن يتم تحديها والاعتراض عليها؟».

فقال أراجورن: «كلا. ولكني أعتقد أن الوقت لم يحن بعد؛ ولستُ أنوي الحرب إلا أن يكون ذلك ضد عدونا وخدامه».

وقال الأمير إمراهيل: «إن كلماتك يا مولاي حكيمة إذا كان بالإمكان لشخص هو قريب للملك دنثور أن يقدم لك المشورة في هذا الأمر. إنه قوي الإرادة وأبيٌ، إلا أنه عجوز؛ وقد اتسمت حالته المزاجية بالغرابة منذ أن صُرع ابنه. ولكني لن أدعك تبقى بالخارج مثل شحاذ على الباب».

فقال أراجورن: «لستُ شحاذاً. ولكن قل قائد الجوالة الذين هم غير معتادين على المدن والمنازل الحجرية». وأمر أن تطوى رايته؛ وتخلى عن نجمة مملكة الشمال وجعلها في حوزة وحماية أبناء إلروند.

عندئذ تركه الأمير إمراهيل وإيومر سيد روهان ومرا عبر المدينة ووسط صخب الناس وجلبتهم، وصعدا إلى القلعة؛ ووصلا إلى بهو البرج، وهما يبحثان عن القهرمان. ولكنهما وجدا كرسيه خالياً، وكان يرقد أمام المنصة ثيودن ملك المارك على سرير ملكي؛ وكان يحيط بالسرير اثنا عشر مشعلاً، واثنا عشر حارساً، فرسان من روهان وجوندور. وكانت ستائر السرير من قماش أخضر وأبيض، ولكن كان موضوعاً على الملك قطعة القماش الذهبية مرفوعة حتى صدره، وفوقه كان موضوعاً سيفه المسلول من غمده، وعند قدميه كان موضوعاً درعه. كان ضوء المشاعل يتوهج في شعره الأبيض مثل الشمس في رذاذ نافورة، ولكن وجهه كان جميلاً وشاباً، باستثناء أنه كانت عليه طمأنينة وسلام فيما وراء الشباب؛ وكان يبدو أنه قد نام.

وعندما وقفوا صامتين لبعض الوقت إلى جوار الملك، قال إمراهيل: «أين القهرمان؟ وأين ميثراندير كذلك؟».

وأجابه واحد من الحراس قائلاً: «قهرمان جوندور في دُور العلاج».

ولكن إيومر قال: «أين السيدة إيووين، أختي؛ لأنها بكل تأكيد لا بد أن تكون راقدة إلى جوار الملك، وفي شرف لا يقل عنه؟ أين وضعوها؟».

وقال إمراهيل: «ولكن السيدة إيووين كانت لا تزال حية عندما حملوها إلى هنا. ألم تكن أنت تعرف ذلك؟».

وعندئذ حلَّ بقلب إيومر أمل غير متوقع، ومع هذا الأمل تجددت لدغة الهم والخوف، لدرجة أنه لم يقل أي شيء أكثر من ذلك، ولكنه استدار وذهب سريعاً خارجاً من البهو؛ وتبعه الأمير. وعندما خرجوا كان المساء قد حل وكانت هناك نجوم كثيرة في السماء. وعند ذلك جاء جَنْدَلْف على قدميه ومعه واحد كان مرتدياً معطفاً رمادياً؛ وتقابلا أمام أبواب دور العلاج. وحييا جَنْدَلْف وقالا: «إننا نبحث عن القهرمان، ويقول بعض الرجال إنه في هذه الدار. هل ألمَّ به أي أذى؟ والسيدة إيووين، أين هي؟».

وأجابه جَنْدَلْف: «إنها ترقد بالداخل وليست ميتة، ولكنها قريبة من الموت. ولكن اللورد فارامير جرحه سهم شرير، كما سمعتَ، وهو الآن القهرمان؛ لأن دنثور قد مات، وبيته تحول إلى رماد». وملأهما الحزن والعجب من الحكاية التي قصها عليهما.

ولكن إمراهيل قال: «إذن فإن النصر مجرد من الفرحة والسرور، وقد كان ثمنه مرًّا وقاسيًا، إذا كانت كل من جوندور وروهان قد حُرمتا من ملوكيهما. إيومر يحكم الروهيريميين. من الذي سيحكم المدينة في ذات الوقت؟ ألن نرسل عندئذ للورد أراجورن؟».

وتحدث الرجل الذي كان يرتدي المعطف الرمادي وقال: «لقد جاء». ورأوا وهو يتقدم نحو ضوء المصباح الذي كان إلى جوار الباب أنه كان أراجورن، مغطى بمعطف لورين الرمادي فوق درعه، ولم يكن يحمل أي شارة أخرى سوى حجر جَلْدِريل الأخضر، وقال: «لقد جئتُ لأن جَنْدَلْف طلب مني أن أفعل ذلك. ولكن بالنسبة للوقت الحالي؛ فإنني لستُ سوى قائد الدونادانيين من أرنور؛ وسوف يحكم المدينة سيد دُول أمروث حتى يستيقظ فارامير. ولكني أنصح بأن يحكمنا جميعًا جَنْدَلْف في الأيام القادمة وفي تعاملاتنا مع العدو». ووافقوا جميعًا على ذلك.

وعندئذ قال جَنْدَلْف: «دعونا لا نبقى بالباب، لأن الوقت ملح وعاجل. دعونا ندخل! لأنه في مجيء أراجورن فقط يبقى لنا أي أمل بالنسبة للمرضى الذين يرقدون بدار العلاج. هكذا تحدثت إيوريث، المرأة الحكيمة من جوندور. إن يدي الملك هما يدا المعالج. وهكذا يمكن أن يُعرف الملك الحقيقي والشرعي على الدوام».

عندئذ دخل أراجورن أولًا وتبعه الآخرون. وهناك عند الباب كان يوجد حارسان في زي القلعة: أحدهما طويل، ولكن الآخر كان لا يكاد طوله يكون طول صبي؛ وعندما رآهم صاح عاليًا في اندهاش وفرحة.

«سترايدار! يا للروعة! هل تعلم، خمنتُ أنه أنت الذي كان في السفن السوداء. ولكنهم كانوا جميعًا يصيحون قراصنة ولم ينصتوا إلي. كيف فعلتَ ذلك؟».

وضحك أراجورن، وأخذ الهوبيتي من يده، وقال: «ما أطيب اللقاء حقًّا! ولكن ليس هناك وقت بعد لحكايات المسافرين».

ولكن إمراهيل قال لإيومر: «هل الأمر إذن أننا نتحدث إلى ملكنا؟ ولكن ربما سوف يلبس تاجه تحت اسم آخر!».

ولما سمعه أراجورن يقول ما قال، التفت وقال: «حقًّا، لأنني باللغة الرفيعة القديمة اسمي إليسار، الحجر الجني، وإينفينياتر[1]، المجدد»: وأخرج من صدره الحجر

(1) Envinyatar معناها المجدد. (المترجم)

الأخضر الذي كان موضوعًا هناك. «ولكن سترايدار سوف يكون اسم منزلي وأهل بيتي، إذا حدث وتم إنشاء ذلك على الإطلاق. لن يبدو في اللغة الرفيعة سيئا جدا، وسوف أكون أنا تيلكونتار[1] وكذلك كل ورثتي».

وبهذه الكمات مروا داخلين إلى دار الشفاء؛ وبينما كانوا يذهبون باتجاه الغرف التي كان يتم علاج المرضى ورعايتهم فيها، قص عليهم جَنْدَلْف أعمال إيووين وميريادوك، قائلًا: «لأنني وقفتُ إلى جوارهم طويلًا، وفي البداية تحدثوا كثيرًا في أحلامهم، قبل أن يغرقا في الظلمة القاتلة. كما إنه منوط بي أن أرى أشياء كثيرة بعيدة جدًا».

وذهب أراجورن أولًا إلى فارامير، وبعد ذلك إلى السيدة إيووين، وأخيرًا إلى ميري. وعندما نظر إلى وجوه المرضى ورأى جراحهم تنهد، وقال: «هنا يجب أن أضع كل تلك القوة والمهارة التي أعطيت لي. لكم أتمنى أن لو إلروند كان هنا؛ لأنه أكبر واحد من عرقنا، ولديه القوة العظمى».

ولما رأى إيومر أنه كان حزينًا ومرهقًا على السواء قال: «أولًا ينبغي أن تستريح، بكل تأكيد، وعلى الأقل لتأكل قليلًا من طعام؟».

ولكن أراجورن أجابه بقوله: «كلا، لأن الوقت ينفد سريعًا، بالنسبة لهؤلاء الثلاثة، وبالنسبة لفارامير فهو ينفد بأقصى سرعة. إننا بحاجة إلى السرعة القصوى».

وعندئذ نادى على إيوريث وقال لها: «لديك مخزن في هذه الدار لأعشاب العلاج؟».

وأجابته قائلة: «نعم يا مولاي، ولكنه ليس كافيا، في اعتقادي؛ لكل أولئك الذين سيحتاجون إليها. ولكني متأكدة أنني لا أعلم أين يمكننا أن نجد المزيد؛ لأن كل الأشياء صارت في فوضى ومشوشة في هذه الأيام المرعبة، ناهيك عن الحرائق والحروق، كما أن عدد الشخوص الذين يحملون الرسائل ويذهبون في مشاوير - قليل للغاية، وكذلك جميع الطرق مغلقة. ولم لا، لقد مضت أيام لا حصر لها منذ أن أتت عربة على الإطلاق من لوسارناخ إلى السوق! ولكننا نفعل قصارى جهدنا في دار العلاج بما هو متاح لدينا، مثلما أنا واثقة من أن سيادتك تعلم ذلك».

وقال أراجورن: «سوف أقدر ذلك وأحكم عليه عندما أرى. كما أن هناك شيئًا أيضًا به نقص، الوقت للكلام. هل لديك أوراق الأثيلاس[2]؟».

وأجابته قائلة: «لا أدري، إنني متأكدة، يا مولاي، على الأقل ليس بذلك الاسم. سوف أذهب وأطلب ذلك من خبير الأعشاب؛ فإنه يعرف كل الأسماء القديمة».

وقال لها أراجورن: «وهو يعرف أيضًا باسم ورقة الملوك[3] وربما تكونين أنت تعرفينها بهذا الاسم؛ لأن هذا هو الاسم الذي يطلقه عليها سكان القرى في هذه الأيام الأخيرة».

(1) Telcontar المنزل الملكي الذي أسسه أراجورن، والكلمة تعني «Striders» سترايدار. (المترجم)

(2) Athelas الاسم الذي يطلقه الجن على Kingsfoil، وهو اسم لنبات أوراقه لها خواص علاجية (المترجم)

(3) Kingsfoil ورقة الملوك. (المترجم)

وقال إيوريث: «أهذه هي! حسنًا، لو كنت سيادتك قد ذكرت هذا الاسم أولًا لكنتُ أخبرتك. كلا، ليس لدينا أي شيء منها، إنني واثقة من ذلك. ولم لا، إنني لم أسمع أبدًا أن لها أي ميزة عظيمة؛ وفي الحقيقة لقد كنتُ غالبًا أقول لأخواتي عندما كنا نجدها نامية في الغابات: «ورقة الملوك، إنه اسم غريب، وإنني لأعجب لم سميت بهذا الاسم؛ لأنني لو كنتُ ملكًا، لكنتُ سأقتني نباتات أكثر إشراقًا في حديقتي». ومع ذلك فإن رائحتها تكون حلوة عند فركها، أليس كذلك؟ إذا كانت كلمة حلوة هي الكلمة الصحيحة: ربما صحي مفيد هي الأقرب».

فقال أراجورن: «صحي مفيد حقًّا. والآن أيتها السيدة إذا كنت تحبين اللورد فارامير، اجرِ بسرعة قدر سرعة لسانك وأحضري لي ورقة منها، إذا كانت هناك ورقة منها في المدينة».

وقال جندلف: «وفي حالة إذا لم يكن هناك، فسوف أركب إلى لوسارناخ وإيوريث ورائي، وسوف تأخذني إلى الغابة، ولكن ليس إلى أخواتها. وسوف يريها شادوفاكس معنى العجلة والسرعة».

وعندما ذهبت إيوريث، أمر أراجورن النساء الأخريات أن يسخنوا ماءً. وعندئذ أخذ يد فارامير في يده، ووضع اليد الأخرى على جبين الرجل المريض. كانت غارقة في العرق؛ ولكن فارامير لم يتحرك أو يبدي أي إشارة، وبدا أنه لا يكاد يتنفس.

فقال أراجورن وقد التفت إلى جَنْدَلْف: «إنه قد قُضي عليه تقريبًا. ولكن هذا لا يأتي من الجرح. انظر! هذا هو العلاج. لو أنه كان قد ضُرب بسهم من النازجول، حسب ظنك واعتقادك، لكان قد مات في تلك الليلة. لقد جاءت هذه الإصابة من سهم جنوبي، هذا في تخميني وظني. من الذي سحبه أولًا؟ هل تم الاحتفاظ به؟».

فقال إمراهيل: «أنا سحبته، وأوقفت النزيف من الجرح. ولكنني لم أحتفظ بالسهم؛ لأنه كان لدينا الكثير لنفعله. لقد كان، حسبما أتذكر، سهمًا من تلك التي يستخدمها الجنوبيون. ولكنني أعتقد أنه جاء من الظلال من فوق؛ لأنه بدون ذلك لا يمكن فهم الحمى والمرض اللذين ألما به؛ وذلك نظرًا لأن الجرح لم يكن عميقًا أو خطرًا للغاية. كيف إذن تفسر هذه المسألة؟».

فقال أراجورن: «الإعياء، الحزن على الحالة المزاجية لوالده، جرح، وفوق ذلك كله الريح السوداء. إنه رجل له إرادة قوية؛ لأنه كان قد أتى بالفعل قريبًا للغاية تحت الظل قبل أن يقوم على الإطلاق بالسير إلى المعركة في الجدران الخارجية. ولابدَّ أن الظلمة قد راحت تزحف عليه بطيئًا، بينما كان يحارب ويناضل ليحافظ على مراكزه وحدوده الأمامية. لكم أتمنى أن لو كنتُ هنا أسرع من ذلك!».

وبعد ذلك على الفور دخل خبير الأعشاب، وقال: «لقد سألت فخامتك عن ورقة الملوك، مثلما يسميها القرويون، أو أثيلاس في اللغة الرفيعة، أو بالنسبة لأولئك الذين يعلمون شيئًا ما عن لغة فالينور...».

وقال أراجورن: «إنني أعلم ذلك، ولا يهمني إذا كنتَ تقول الآن أسيا أرانيون[1] أو ورقة الملوك، مادام لديك بعض منها».

فقال له الرجل: «أستميحك عذرًا يا سيدي! إنني أرى أنك سيد في المعرفة، لست فقط مجرد قائد حربي. ولكن واحسرتاه! يا سيدي، إننا لا نحتفظ بهذا الشيء في دور العلاج، حيث لا يتم سوى علاج الأشخاص المصابين إصابات خطيرة أو المرضى؛ لأنه ليس لهذه الورقة أي ميزة نعرفها، باستثناء أنها تلطف رائحة الهواء العفنة، أو أنها تطرد بعض الكآبة العابرة. إلا إذا كنتَ بالطبع تأبه كثيرًا بأغاني وأشعار الأيام الخوالي التي لا تزال نساء مثل إيوريث الطيبة ترددها دون فهم.

عندما تهب الريح السوداء
ويكبر ظل الموت
وتنطفئ جميع الأنوار،
يأتي أثيلاس! يأتي أثيلاس!
حياة لمن يحتضرون
ترقد في يد الملك!

إنها قصيدة هزلية فيما أخشى مشوهة في ذاكرة الزوجات العجائز. وإنني أترك معناها لحكمك وتقديرك، إذا كان لها أي معنى حقًّا. ولكن الأشخاص العجائز لايزالون يستخدمون منقوع العشب لعلاج الصداع».

وصاح فيه جَنْدَلْف: «إذن باسم الملك، اذهب لتجدَ رجلًا عجوزًا لديه قدر أقل من المعرفة وقدر أكثر من الحكمة يحتفظ ببعض من العشب في منزله!».

وانحنى أراجورن عندئذ راكعًا إلى جوار فارامير، ووضع يده على جبينه. وأحس أولئك الذين كانوا يشاهدون بأن نزاعًا عظيمًا من نوع ما كان يجري؛ لأن وجه أراجورن اسمرّ من فرط الإجهاد والتعب؛ وكان بين الفينة والفينة ينادي باسم فارامير،

(1) Asëa Aranion، وهو الاسم الثالث لورقة الملوك. (المترجم)

ولكن في كلٍّ مرة كانوا يسمعونه أكثر ضعفًا، كما لو أن أراجورن نفسه كان قد أزيل منهم، ومشى بعيدًا في وادٍ مظلم، ينادي على شخص كان قد فقده.

وأخيرًا دخل برجيل يجري، وكان يحمل ست ورقات في قطعة قماش، وقال: «إنها ورقة الملوك يا سيدي، ولكنها ليست طازجة، فيما أخشى. لا بد أنها كانت قد قطفت منذ أسبوعين على أقل تقدير. آمل أن تفي بالغرض، يا سيدي؟». وبعد ذلك انفجر في البكاء وهو ينظر إلى فارامير.

ولكن أراجورن ابتسم، وقال: «سوف تفي بالغرض. لقد زال ما كان الأكثر سوءًا. ابقَ الآن واسترح!». وعندئذ أخذ ورقتين، ووضعهما في يديه وتنفس فيهما، وعندئذ سحقهما، وفي الحال ملأت الغرفة نضارة حية، كما لو أن الهواء نفسه قد استيقظ وارتعش، وراح يتوهج بالفرح. وعندئذ ألقى بالورقتين في سلطانية من ماء يغلي كانت قد أُحضرتْ له، وفي الحال ابتهجت كل القلوب؛ لأن الرائحة التي وصلت لكل واحد منهم كانت مثل ذكرى صبح ندي لشمس لم يغطها الظل في أرض ليس عالم الربيع الجميل فيها سوى ذكرى طائرة. ولكن أراجورن نهض مثل شخص قد انتعش، وابتسمت عيناه وهو يمسك الوعاء أمام وجه فارامير الحالم.

وقالت إيوريث لامرأة كانت تقف إلى جوارها: «حسنًا الآن! من كان سيصدق ذلك؟ العشب أفضل مما كنتُ أظن. إنه يذكرني بزهور إيملوث ميلوي عندما كنتُ فتاة شابة، ولا يمكن لأي ملك أن يطلب أفضل من ذلك».

وفجأة بدأ فارامير يتحرك، وفتح عينيه، ونظر إلى أراجورن الذي كان منحنيًا فوقه؛ وكان يتوهج في عينيه ضوء من معرفة وحب، وراح يتحدث بصوت منخفض: «مولاي، لقد ناديتَ عليّ. وأنا جئتُ. ما الذي يأمرني به الملك؟».

فقال له أراجورن: «لا تمشِ أكثر من ذلك في الظلام، ولكن استيقظ! إنك مرهق. استرح لبعض الوقت، وتناول بعض الطعام، واستعد عندما أعود».

فقال له فارامير: «سوف أفعل يا مولاي؛ لأنه من ذا الذي يرقد متبطلًا عندما يعود الملك؟».

وقال له أراجورن: «الوداع إذن لفترة قصيرة من الوقت! يجب أن أذهب إلى آخرين ممن يحتاجونني». وترك الغرفة مع جَنْدَلْف وإمراهيل؛ ولكن برجوند وابنه ظلا وراءهم، غير قادرين على احتواء فرحتهما. وبينما كان بيبين يتبع جَنْدَلْف ويغلق الباب سمع إيوريث تقول متعجبة:

«ملك! هل سمعت هذا؟ ما الذي قلتُه؟ أيدي طبيب معالجٍ، كما قلتُ». وسريعًا سرت الكلمة نحو الخارج من دار العلاج أن الملك قد جاء حقًا بينهم، وبعد الحرب أحضر الشفاء والعلاج؛ وجرت الأخبار عبر المدينة.

ولكن أراجورن أتى إلى إيووين، وقال: «هنا توجد إصابة بالغة وضربة ثقيلة. الذراع التي كُسرت تم علاجها بمهارة كبيرة، وسوف تلتئم مع الوقت، إذا كانت لديها القوة لتعيش. إنها ذراع الدرع التي أصيبت بالعجز؛ ولكن الشر الرئيسي يأتي عبر ذراع السيف. في هذه الذراع لا يبدو الآن أن هناك أي حياة، على الرغم من أنها غير مكسورة.

«واحسرتاه! لأنها قد وضعت ضد خصم يفوق قوة عقلها أو جسدها. وأولئك الذين سوف يأخذون سلاحًا إلى ذلك العدو يجب أن يكونوا أشد صلابة من الفولاذ، إذا لم تدمرهم الصدمة نفسها. لقد كان قدرًا مشئومًا ذلك الذي وضعها في طريقه. لأنها سيدة جميلة، أجمل سيدة في منزل من الملكات. ومع ذلك لا أعرف كيف ينبغي أن أتحدث عنها. عندما نظرتُ للمرة الأولى إليها وأدركتُ حزنها، بدا لي أنني رأيتُ وردة بيضاء تقف منتصبة فخورة، حسنة المظهر مثل زنبقة، ومع ذلك عرفتُ أنها كانت صلبة، كما لو كانت قد صنعتها أيدي جنية من الفولاذ. أم أنه كان ربما صقيعًا ذلك الذي حول نسيج جسدها إلى ثلج، وهكذا وقف، مزيج بين الحلو والحامض، بيد أنه لا يزال جميل الرؤية، ولكنه مسحور، وسوف يسقط في الحال ويموت؟ إن مرضها يبدأ قبل هذا اليوم بكثير، أليس كذلك يا إيومر؟».

وأجابه قائلًا: «إنني أعجب أنك تسألني يا مولاي؛ لأنني أعتبرك بريئًا من هذا الأمر، مثلما هو الحال في كل شيء آخر؛ ومع ذلك فإنني لم أعرف أن أيووين، أختي، قد مسها أي صقيع، حتى نظرت إليك أول مرة. كان لديها هم ورعب، وأشركتني في ذلك، في أيام وورمتونج وسحر الملك؛ وراحت ترعى الملك في خوف متزايد. ولكن ذلك لم يصل بها إلى ذلك الطريق!».

وقال جَنْدَلْف: «يا صديقي، إن لديكم خيلًا، وأعمالًا حربية وعسكرية، والحقول الخالية؛ ولكنها هي، وقد ولدت في جسد أنثى، كانت لديها روح وشجاعة تضاهي ما عندكم على الأقل. ولكن قدر عليها الانتظار إلى جوار رجل عجوز وخدمته، والذي كانت تحبه كأب، وتراقبه وهو يسقط في نخريف شائن وضيع؛ وبدا لها دورها أكثر وضاعة من العصا التي كان يتوكأ عليها.

«أتظن أن وورمتونج كان لديه سم لأذني ثيودن فقط؟ الخرف! ما هو منزل إيورل سوى حظيرة مسقوفة بالقش حيث يشرب اللصوص في الظلمة، وتتدحرج أطفالهم على الأرض بين كلابهم؟ ألم تسمعوا تلك الكلمات من قبل؟ لقد تحدث بها سارومان، معلم وورمتونج. على الرغم من أنني لا أشك أن وورمتونج في ديارنا قد أحاط بمعناها بلغة أكثر دهاء ومكرًا. مولاي، إذا كان حب أختك لك، وإرادتها لا تزال عازمة ومصممة على مهمتها، لم تكبح شفتيها وتلجمهما، ربما تكون قد سمعتَ حتى تلك الأشياء وهي تخرج من بينهما. ولكن من يدري ما الذي تحدثت به للظلمة،

وحدها، في هزيعْ الليل المر، عندما بدت كل حياتها تنكمش، وجدران مهجعها تطبق عليها من كل مكان حولها، صندوق لاصطياد شيء صغير جامح فيه؟».

عندئذ لاذ إيومر بالصمت، ونظر إلى أخته، كما لو كان يتأمل من جديد جميع أيام حياتهما الماضية معًا. ولكن أراجورن قال: «كما رأيتُ أيضًا الذي رأيته أنت يا إيومر. أحزان قليلة أخرى وسط الحظوظ السيئة في هذا العالم بها من المرارة والخزي بالنسبة لقلب الإنسان ما هو أكثر من أن تشاهد حب سيدة جميلة للغاية، شجاعة للغاية، لا يمكن أن تقابله بمثله. لقد تبعني الحزن والرثاء منذ أن تركتها يائسة في دونهارو وسرتُ إلى مجازات الموتى؛ ولم يكن هناك أي خوف، على ذلك الطريق، يخالجني وحاضرًا معي تمامًا مثل الخوف مما قد يحل بها ويصيبها. ومع ذلك يا إيومر فإنني أقول لك: إنها تحبك بإخلاص وصدق أكثر مني؛ لأنك أنت الذي تحبه وتعرفه؛ ولكنها لا تحب فيَّ أنا سوى ظل وفكرة: أمل بالمجد والأعمال العظيمة، وأراض وبلدان بعيدة من حقول روهان.

«ربما يكون لدي القوة لشفاء جسدها وأن أعيدها من الوادي المظلم. ولكن علامَ سوف تستيقظ؟ الأمل أو النسيان، أو اليأس، لا أدري. فإذا كانت ستستيقظ على اليأس، فإنها ستموت إذن، ما لم يأت لها علاج آخر لا يمكنني أن أحضره. واحسرتاه! لأن أعمالها قد وضعتها بين ملكات عظيمات الشهرة».

وعندئذ انحنى أراجورن ونظر في وجهها، وكان حقًا أبيض مثل زنبقة، باردًا مثل الصقيع، وصلبًا مثل حجر منحوت. ولكنه انحنى وقبلها على جبينها، ونادى عليها بصوت منخفض، قائلًا:

«استيقظي يا إيووين يا ابنة إيوموند! لأن عدوك قد مات!».

ولم تحرك ساكنًا، ولكنها عندئذ بدأت تتنفس نفسًا عميقًا، لدرجة أن صدرها ارتفع وانخفض تحت القماش الأبيض الذي يغطي سريرها. ومرة أخرى قام أراجورن بفرك ورقتين من أوراق أثيلاس ورمى بهما في ماء يغلي؛ وغسل به جبينها، وذراعها اليمنى ترقد باردة واهنة لا أعصاب فيها على غطاء السرير.

وعندئذ، سواء كانت لدى أراجورن قوة غريبة منسية، أم أنها كانت وحسب كلماته عن السيدة إيووين هي التي فعلت ما فعلته فيهم، حيث إنه عندما راح التأثير الحلو الطيب للعشب يتسلل في جميع أنحاء الغرفة فإنه بدا لأولئك الذين كانوا واقفين قريبًا أن ريحًا حادة قد هبت عبر النافذة، ولم تكن تحمل أي رائحة، ولكنها كانت تحمل هواء طلقًا تمامًا ونظيفًا ونضرًا، كما لو أنه لم يكن قد تنفسه أي كائن حي من قبل وأتى وقد خلق من جديد من الجبال الجليدية عاليًا أسفل قبة من نجوم، أو من شواطئ فضية بعيدة للغاية ضربتها بحار من زبد.

«استيقظي يا إيووين يا سيدة روهان!». قال لها ذلك أراجورن، وأخذ يدها اليمنى في يده اليسرى وأحس بدفء الحياة تعود إليها. «استيقظي! لقد ذهب الظل وانقشعت كل الظلمة وزالت». وعندئذ وضع يدها في يد إيومر ومشى بعيدًا؛ وقال له: «ناد عليها!». وخرج من الغرفة في صمت.

وصاح إيومر وسط سيل من دموع: «إيووين، إيووين!». ولكنها فتحت عينيها وقالت: «إيومر! أي فرحة هذه؟ لأنهم قالوا: إنك قد قُتلت. كلا، ولكن هذه كانت فقط الأصوات الشريرة في حلمي. كم من الوقت كنتُ أحلم؟».

فقال لها إيومر: «ليس وقتًا طويلًا، يا أختي. ولكن لا تفكري في الأمر أكثر من ذلك!».

وقالت هي: «إنني متعبة مرهقة بشكل غريب. ينبغي أن أستريح قليلًا. ولكن أخبرني ماذا عن سيد المارك؟ واحسرتاه! لا تخبرني أن ذلك كان حلمًا؛ لأنني أعلم أنه لم يكن كذلك. لقد مات مثلما تنبأ».

وقال إيومر: «إنه مات، ولكنه أمرني أن أودع إيووين، أعز وأغلى من ابنتي. وهو يرقد الآن في شرف في قلعة جوندور».

وقالت هي: «إن ذلك لمحزن. ولكنه مع ذلك حسن بما يفوق كل ما كنت أجرؤ على أن أتمناه في الأيام المظلمة، عندما بدا أن منزل إيورل قد سقط في شرف أقل من أي كوخ لراع. وماذا عن فارس الملك، النصف؟ إيومر، إنك سوف تجعله فارسًا من فرسان ريدرمارك، لأنه شجاع باسل!».

وقال جندلف: «إنه يرقد قريبًا من هنا في هذه الدار، وسوف أذهب إليه. سوف يبقى إيومر هنا لبعض الوقت. ولكن لا تتحدثي مع ذلك عن الحرب أو الويل، حتى تتعافى تمامًا مرة أخرى. إنه لمن بالغ السرور أن نراك تستيقظين مرة أخرى للصحة والأمل، يا لك من سيدة باسلة شجاعة للغاية!».

وقالت إيووين: «للصحة؟ ربما يكون الأمر كذلك. على الأقل مادام هناك سرج خال لخيال سقط في الحرب يمكنني أن أشغله، وهناك أعمال لأقوم بها. ولكن للأمل؟ لا أعلم».

وجاء جندلف وبيبين إلى غرفة ميري، وهناك وجدا أراجورن يقف إلى جوار الفراش، وصاح بيبين «ميري العجوز المسكين!». وجرى إلى جانب الفراش؛ لأنه بدا له أن صديقه كان يبدو أسوأ، وكانت في وجهه سمرة وقتامة، كما لو أن حملًا من السنين يجثم على صدره؛ وفجأة تملك بيبين خوف أن ميري سيموت.

وقال له أراجورن: «لا تخف. لقد جئت في الوقت المناسب، وقد أعدته إلى وعيه. هو متعب الآن، وحزين، وقد ناله من الأذى مثلما نال السيدة إيووين، لجرأته على ضرب ذلك الشيء القاتل. ولكن هذه الشرور يمكن علاجها، إن به روحًا قوية ومرحة للغاية. إنه لن ينسى حزنه؛ ولكنه لن يظلم قلبه، سوف يعلمه الحكمة».

وعندئذ وضع أراجورن يده على رأس ميري، ومرر يده برفق عبر خصل الشعر البنية، ولمس حاجبيه، ونادى عليه باسمه. وعندما تسللت رائحة أوراق الأثيلاس عبر الغرفة، مثل رائحة البساتين، ومثل المعالج في ضوء شمس مليء بالنحل، فجأة استيقظ ميري، وقال:

«إنني جائع. كم الساعة الآن؟».

وقال له بيبين: «ما بعد وقت العشاء الآن، على الرغم من أنه يمكنني القول إنني أستطيع أن أحضر لك شيئًا ما تأكله، إذا هم سمحوا لي بذلك وتركوني».

وقال جَنْدَلْف: «سوف يفعلون حقًا. وأي شيء آخر ربما يرغب فيه خيال روهان هذا، إذا كان بالإمكان العثور عليه في ميناس تيريث، المكان الذي يحظى اسمه فيه بالتشريف».

وقال ميري: «جيد! إذن فإنني أريد العشاء أولًا، وبعد ذلك غليونًا». وعند هذا الحد غطت وجهه سحابة. «لا، لا غليون. لا أظن أنني سأدخن مرة أخرى».

وقال بيبين: «ولم لا؟».

وأجابه مير ببطء: «حسنًا، لقد مات. لقد استرجعت كل شيء لي. قال لي إنه آسف أنه لم تتح له الفرصة أبدًا للتحدث عن علوم الأعشاب معي. يكاد هذا يكون الشيء الأخير الذي قاله. لن أستطيع أبدًا أن أدخن مرة أخرى دون أن أفكر فيه، وفي ذلك اليوم، يا بيبين، عندما خرج إلى أيزنجارد وكان مؤدبًا للغاية».

وقال أراجورن: «لتدخن إذن، وتفكر فيه! لأنه كان قلبًا لطيفًا وملكًا عظيمًا وكان يبر بقسمه؛ وقد نهض من الظلال إلى صباح أخير جميل. على الرغم من أن خدمتك له كانت قصيرة، فإنها ينبغي أن تكون ذكرى سعيدة ومشرفة حتى نهاية أيامك».

وابتسم ميري وقال: «حسنًا إذن، إذا كان ستزايدار سيقدم ما هو مطلوب، فسوف أدخن وأفكر. إن لدي بعضًا من أفضل ما لدى سارومان في حزمة أمتعتي، ولكن ما الذي صارت إليه الأمور في المعركة، فإنني متأكد من أنني لا أعلمه».

وقال أراجورن: «أيها السيد ميريادوك، إذا كنت تفكر أنني قد عبرتُ الجبال ومملكة جوندور بالنار والسيف لأجلب الأعشاب لجندي مهمل يرمي عدته ويتخلص منها، فإنك مخطئ. إذا لم يتم العثور على حزمة أمتعتك، عندئذ يجب أن ترسل إلى خبير أعشاب هذه الدار. وسوف يخبرك أنه لم يكن يعلم أن العشب له أي مزايا، ولكن هذا يطلق عليه العامة اسم عشبة الرجل الغربي[1]، ويطلق عليه النبلاء اسم جاليناس، وهناك أسماء أخرى في لغات أخرى أكثر ثقافة، وبعد إضافة بعض الأشعار القليلة نصف المنسية، والتي لا يفهمها، سوف يخبرك في ندم أنه ليس هناك شيء من هذا

(1) Westmansweed واحد من الأسماء التي تطلق على ورقة الأنصاف Halflings› Leaf أي الهوبيتيين، وهو عشب الغليون. (المترجم)

العشب في الدار، وسوف يتركك لتفكر في تاريخ الألسن. وهكذا ينبغي عليّ أن أفعل أنا الآن؛ لأنني لم أنم في فراش كهذا منذ أن سرت من دونهارو، كما أنني لم آكل منذ الظلمة التي تسبق الفجر».

وأمسك ميري بيده وقبلها، وقال: «إنني آسف إلى أبعد الحدود. اذهب في الحال! منذ تلك الليلة في قرية البري وكنا نحن مصدر قلق وإزعاج لك. ولكنها هي طريقة قومي لي؛ استخدام الكلمات الخفيفة في تلك الأوقات وأن يقولوا أقل مما يعنون. إننا نخشى أن نقول كثيرًا أكثر من اللازم. إن ذلك يسلبنا الكلمات الصائبة عندما تأتي الدعابة في غير مكانها».

وقال أراجورن: «إنني أعلم ذلك جيدًا، وإلا ما كنتُ تعاملتُ معك بنفس الطريقة. عاشت المقاطعة للأبد لا تذبل ولا تذوي!». وقبل ميري وخرج، وذهب جَنْدَلْف معه.

ومكث بيبين بعدهما، وقال: «هل كان هناك واحد على الإطلاق مثله؟ باستثناء جَنْدَلْف بالطبع. أعتقد أنه لا بد أنهما أقارب. يا عزيزي الأحمق إن حزمة أمتعتك ترقد إلى جوار فراشك، وكانت على ظهرك عندما قابلتك. كان يراها طوال الوقت، بالطبع. وعلى أية حال لدي بعض الأشياء. هيا الآن! اسمها ورقة لونجبوتم[1]. أملأ الغليون بينما أجري أنا وأنظر في المكان لعلي أجد بعض الطعام. وعندئذ دعنا نسترح لقليل من الوقت ونسترخي. يا إلهي! نحن التوكيين[2] والبراندييكيين[3]، لا يمكننا أن نعيش طويلًا على المرتفعات.

وقال ميري: «لا. لا يمكنني ذلك. ليس بعد، على أية حال. ولكن على الأقل، يا بيبين، يمكننا الآن أن نراها، وأن نبجلها. إنه لأفضل شيء أن تحب أولًا ما أنت مناسب لحبه، في اعتقادي: يجب أن تبدأ في مكان ما وأن تكون لك جذور، وتربة المقاطعة عميقة. لا يزال هناك أشياء أكثر عمقًا وأعلى؛ ولا يستطيع العجوز أن يعتني بحديقته فيما يطلق عليه السلام سوى من أجلها، سواء كان يعرف عنها أم لا. إنني سعيد إنني أعرف بشأنها، قليلًا. ولكني لا أعرف لماذا أتحدث على هذا النحو. أين تلك الورقة؟ وأخرج غليوني من حزمة أمتعتي، إذا لم يكن قد كُسر».

وذهب أراجورن وجَنْدَلْف عندئذ إلى مدير دور الشفاء، وأشارا عليه أن فارامير وإيووين ينبغي أن يظلا هناك وتتم الرعاية بهما لمدة أيام كثيرة.

(1) Longbottom Leaf ورقة الغليون. (المترجم)

(2) The Took التوكييون. (المترجم)

(3) Brandybuck البرانديبكيون. (المترجم)

وقال أراجورن: «السيدة إيووين سترغب سريعًا في أن تنهض وترحل؛ ولكن لا ينبغي السماح لها بأن تفعل ذلك، إذا استطعت بأي طريقة أن تمنعها، حتى تنقضي عشرة أيام على الأقل».

وقال جندلف: «أما بالنسبة لفارامير، فينبغي أن يعلم سريعًا أن أباه قد مات. ولكن يجب ألا تُحكى له حكاية جنون دنثور كاملة، حتى يشفى تمامًا ويكون لديه مهام يتوجب عليه القيام بها. احرص على ألا يتحدث برجوند ولا الـ «بيريان»[1] اللذين كانا حاضرين إليه عن تلك الأشياء بعد!».

وقال مدير الدار: «والـ «بيريان» الآخر، ميريادوك، الذي هو تحت رعايتي، ماذا عنه؟».

فقال أراجورن: «من المحتمل أن يكون قادرًا على النهوض غدًا، لبعض وقت قصير. دعه يفعل ذلك، إذا هو أراد. يمكنه أن يمشي قليلًا تحت رعاية أصدقائه».

وقال مدير الدار وهو يهز رأسه: «إنهم جنس غير عادي. إن نسيجهم قوي للغاية، في اعتقادي».

وعند بوابات دور العلاج كان الكثيرون قد تجمعوا بالفعل ليروا أراجورن، ومشوا وراءه يتبعونه؛ وعندما كان قد تناول عشاءه أخيرًا، جاء الرجاء وطلبوا منه راجين متضرعين أن يشفي أقاربهم أو أصدقاءهم الذين كانت حياتهم في خطر من جراء إصابة أو جرح، أو الذين يرقدون تحت الظل الأسود. ونهض أراجورن وخرج، وأرسل يطلب ابني إلروند، وعملوا جميعًا حتى ساعة متأخرة من الليل في كد وجهد. وسرت الأخبار عبر المدينة: «لقد جاء الملك مرة أخرى حقًا». وأطلقوا عليه اسم الحجر الجني، بسبب الحجر الأخضر الذي كان يحمله معه ويلبسه، وهكذا فإن الاسم الذي تم التنبؤ به عند مولده أنه ينبغي عليه أن يحمله اختاره له شعبه هو.

وعندما لم يستطع أن يعمل أكثر من هذا القدر، ألقى بمعطفه حوله، وتسلل خارجًا من المدينة، وذهب إلى خيمته قبل الفجر مباشرة ونام قليلًا. وفي الصباح راحت راية دول أمروث، سفينة بيضاء مثل إوزة فوق ماء أزرق، تطفو فوق البرج، ونظر الرجال لأعلى وتساءلوا إذا ما كان مجيء الملك ليس سوى حلم.

(1) Perizn وهي مفرد كلمة Periannath ومعناها «Halfling» أي «النصف»، وهي التسمية التي أطلقوها في جوندور على الهوبيتيين. (المترجم)

الفصل التاسع

الحـوار الأخيـر

وجاء الصباح بعد يوم القتال، وكان جميلًا به سحب خفيفة وكانت الريح تتحول نحو الغرب. كان ليجولاس وجيملي في الخارج مبكرين، وطلبا الإذن للصعود إلى المدينة؛ لأنهما كانا متلهفين لرؤية ميري وبيبين.

وقال جيملي: «من الجيد أن نعلم أنهما لا يزالان حيين؛ لأنهما كلفانا الكثير من الآلام والمتاعب في سيرنا في روهان، وإنني لا أحب أن تضيع كل هذه المتاعب والآلام سدى».

ودخل الجني والقزمان معًا ميناس تيريث، وراح الأشخاص الذين كانوا يرونهما يمران يتعجبون لرؤية هذين الرفيقين؛ لأن ليجولاس كان جميل الوجه بما يفوق كل مقاييس البشر، وكان يغني أغنية جنية بصوت واضح وهو يمشي في الصباح؛ ولكن جيملي كان يمشي متشامخًا إلى جواره ممررًا يده برفق على لحيته ومحدقًا فيما حوله.

«هناك بعض مبانٍ حجرية جيدة هنا»، قال ذلك وهو ينظر إلى الجدران؛ «ولكن أيضًا هناك منها أقل جودة، ويمكن أن تكون الشوارع أفضل تخطيطًا. عندما يحقق أراجورن إمكاناته ومبتغاه، فإنني سأعرض عليه خدمة بنائي الحجارة في الجبال، وسوف نجعل من هذه مدينة يُفتخر بها».

وقال ليجولاس: «إنهم بحاجة إلى المزيد من الحدائق. المنازل ميتة، وهناك القليل أقل من اللازم هنا مما ينمو وهو زاهٍ وبهيج. إذا حقق أراجورن إمكاناته ومبتغاه، فإن شعب الغابة سوف يجلب له طيورًا تغني وأشجارًا لا تموت».

وأخيرًا وصلا إلى الأمير إمراهيل، ونظر إليه ليجولاس وانحنى واطئًا؛ لأنه رأى أنه هنا حقًا يوجد شخص لديه دم جني في عروقه، وقال: «مرحبًا يا مولاي! لقد مضى زمن طويل منذ أن ترك شعب نيمروديل غابة لورين، ومع ذلك لا يزال بالإمكان أن يرى الشخص أنه لم يبحر الجميع من مرفأ أمروث باتجاه الغرب على صفحة المياه».

وقال الأمير: «هكذا يقال في علوم بلادي، ولكن لم يُر مطلقًا واحد من الشعب الجميل هناك لسنوات لا حصر لها. وإنني لأعجب أن أرى واحدًا هنا الآن في وسط الحزن والحرب. ما الذي تبحث عنه؟».

فقال ليجولاس: «إنني واحد من الرفاق التسعة الذين خرجوا مع ميثرانديير من إملادريس، ومع هذا القزم، صديقي، جئت مع السيد أراجورن. ولكننا الآن نرغب في أن نرى صديقينا، ميريادوك وبيرجرين اللذين في حوزتكم، حسبما بلغنا».

وقال إمراهيل:«سوف تجدهم في دُور الشفاء، وسوف أقودكما إلى هناك».

وقال ليجولاس: «سوف يكون كافيًا إذا أنت أرسلتَ شخصًا ليقودنا، يا مولاي؛ لأن أراجورن يرسل هذه الرسالة إليك. إنه لا يرغب في دخول المدينة مرة أخرى في هذا الوقت. ولكن هناك حاجة إلى أن يعقد القادة مجلسًا تشاوريًا في الحال، وهو يرجوك أنت وإيومر سيد روهان أن تنزلا إلى خيامه، سريعًا قدر الإمكان. ميثراندير هناك بالفعل».

وقال إمراهيل: «سوف نأتي»، وافترقوا بكلمات لطيفة دمثة.

وقال ليجولاس: «إنه سيد جميل وقائد عظيم للرجال. إذا كانت جوندور لا يزال لديها مثل أولئك الرجال في هذه الأيام من الأفول، فلا بد أن يكون مجدها عظيمًا في أيام نهوضها ورقيها».

وقال جيملي: «ومما لا شك فيه أن البنايات الحجرية هي الأكثر قدمًا وقد صُنعت في المبنى الأول. والحال هكذا دائمًا مع الأشياء التي يبدؤها البشر: هناك صقيع في الربيع، أو آفة في الصيف، وهم يخفقون في وعدهم».

وقال ليجولاس: «ولكن نادرا ما يخفقون في بذورهم. وسوف ترقد هذه البذور في التراب وتتعفن حتى تبزغ مرة أخرى في أوقات وأماكن غير متوقعة. إن أعمال البشر سوف تبقى بعدنا، يا جيملي».

وقال القزم: «ومع ذلك لا يصلون في النهاية إلى أي شيء سوى أشياء كان يمكن أن تحدث، في تخميني».

وقال ليجولاس: «على هذا لا يعرف الجن الإجابة».

•

وبهذه الكلمات جاء خادم الأمير وقادهما إلى دور الشفاء؛ وهناك وجدوا صديقهم في الحديقة، وكان لقاؤهم لقاء مرحًا. راحوا يمشون ويتحدثون لبعض الوقت، تغمرهم لفترة قصيرة طمأنينة وراحة في كنف الصباح عاليًا في الدوائر المتعرجة بالمدينة. وعندئذ عندما أصيب ميري بالإرهاق، ذهبوا وجلسوا على جدار وظهورهم للمرج الأخضر لدور الشفاء؛ وبعيدًا باتجاه الجنوب أمامهم كان نهر أندوين يتوهج في الشمس، وهو يتدفق بعيدًا، خارج نطاق الرؤية حتى بالنسبة لليجولاس نفسه، إلى المسطحات الواسعة والسديم الأخضر لأراضي لبيين وإثيلين الجنوبية.

وعندئذ لزم ليجولاس الصمت، في حين راح الآخرون يتحدثون، ونظر باتجاه الشمس، وبينما كان يحدق رأى طيورًا بحرية بيضاء تضرب النهر بأجنحتها.

وصاح: «انظروا! طيور النورس! إنها تطير بعيدًا نحو الداخل. إنها عجيبة بالنسبة لي، ومصدر قلق بالنسبة لقلبي. إنني لم أرها قطُ في حياتي، حتى جئنا إلى بيلارجير،

وهناك سمعتها تصرخ في الجو ونحن نسير إلى معركة السفن. عندئذ وقفتُ ساكنًا، ناسيًا الحرب في الأرض الوسطى؛ لأن أصواتها المولولة كانت تحدثني عن البحر. البحر! واحسرتاه! إنني لم أره بعد. ولكن الشوق للبحر يرقد عميقًا في قلوب جميع عشيرتي، ومن الخطر إثارته. واحسرتاه! على طيور النورس. لن أجد سلامًا مرة أخرى تحت شجر الزان أو شجر الدردار».

وقال له جيملي: «لا تقل هذا! هناك أشياء لا حصر لها لا يزال بالإمكان رؤيتها في الأرض الوسطى، وأعمال عظيمة لا يزال بالإمكان إنجازها. ولكن إذا ذهب كل الشعب الجميل إلى المرافئ، فسوف يكون عالمًا أكثر كآبة بالنسبة لأولئك الذين حُكم عليهم بالبقاء».

وقال ميري: «كئيبًا وموحشًا حقًا! ينبغي ألا تذهب إلى المرافئ، يا ليجولاس. سوف يكون هناك على الدوام قوم، كبارًا أو صغارًا، بل وحتى قليل من الأقزام الحكماء مثل جيملي، الذي يحتاج إليك. على الأقل فإنني أتمنى ذلك. على الرغم من أنني أشعر بحال من الأحوال أن الأسوأ في هذه الحرب هو ما سيأتي بعد ذلك. لكم أتمنى أن لو كان قد انتهى كل شيء، وانتهى على ما يرام تمامًا!».

وصاح فيه بيبين: «لا تكن بكل هذه الكآبة! الشمس مشرقة، وها نحن أولاء معًا لمدة يوم أو يومين على الأقل. إنني أريد أن أسمع المزيد عنكم جميعًا. هيا يا جيملي! لقد ذكرت أنت وليجلولاس رحلتكما الغريبة مع ستر ايدار حوالي عشر مرات بالفعل هذا الصباح. ولكنكما لم تخبراني بأي شيء عنها».

وقال جيملي: «قد تشرق الشمس هنا، ولكن هناك ذكريات لذلك الطريق لا أرغب في استرجاعها من الظلمة. لو أنني كنتُ أعرف ما ينتظرني، أظن أنني ما كنتُ لأسلك طريق مجازات الموتى من أجل أي صداقة».

وقال بيبين: «مجازات الموتى؟ سمعتُ أراجورن يقول ذلك، وإنني لأتساءل ما عساه كان يعني. ألن تخبرني بالمزيد عن ذلك؟».

فقال جيملي: «ليس طواعية؛ لأنه على ذلك الطريق وضعتُ في موضع الخزي: جيملي بن جولين، الذي كان يعتبر نفسه أكثر خشونة وصلابة من البشر، وأصلب تحت الأرض من أي جني. ولكني لم أبرهن على أي من ذلك؛ ولم يتم إبقائي على الطريق إلا بإرادة أراجورن فقط».

وقال ليجولاس: «وبحبك له أيضًا؛ لأن جميع أولئك الذين يعرفونه يحبونه على طريقته، حتى تلك السيدة الروهانية فاترة المشاعر. لقد حدث مبكرًا في صباح اليوم قبل أن تأتي إلى هنالك يا ميري أن غادرنا دونهارو، وقد ألم بالقوم خوف لدرجة أنه لم يستطع أي أحد أن يهتم برحيلنا باستثناء السيدة إيووين التي ترقد الآن مصابة في دوار العلاج في الأسفل. كان هناك حزن في ذلك الفراق، وقد حزنتُ لرؤيتي له».

وقال جيملي: «واحسرتاه! إنني أشفق على نفسي وحسب! كلا! لن أتحدث عن تلك الرحلة».

ولزم الصمت؛ ولكن بيبين وميري كانا تواقين للغاية لسماع الأخبار لدرجة أن ليجولاس قال أخيرًا: «سوف أخبركما بما يكفي لسلامكما؛ لأنني لم أشعر بالرعب، ولم أخش من أشباح البشر، وقد كنت أظنهم عديمي القوة وضعافًا».

وسريعًا حكى لهما حكاية الطريق المسكون أسفل الجبال، واللقاء الشرير عند جدار إريك، والمسيرة العظيمة من هناك، ثلاثة وتسعون فرسخًا، إلى بيلارجير على صفحة نهر أندوين، وقال: «سرنا لمدة أربعة أيام وليال، وواصلنا المسير إلى اليوم الخامس، من الحجر الأسود. وانظروا ما حدث! في ظلمة موردور زاد الأمل عندي؛ لأنه في تلك الظلمة بدا أن جيش الظل يزداد قوة ورعبًا عند النظر إليه. رأيت بعضهم راكبين، ورأيت البعض يمشون بخطوات واسعة، ولكنهم كانوا يسيرون جميعًا بنفس السرعة الكبيرة. كانوا صامتين، ولكن كان هناك وهج في أعينهم. في مرتفعات لاميدون لحقوا بخيلنا، والتفوا حولنا، وكان من الممكن أن يتجاوزونا لولا أن أراجورن قد منعهم.

وبناء على هذا الأمر تراجعوا. «حتى أشباح الرجال تطيع إرادته». هكذا قلت بيني وبين نفسي. «ربما لا يزال بالإمكان بعد أن يفوا باحتياجاته».

«وذات يوم مشرق رحنا نسير راكبين، وبعد ذلك جاء اليوم الذي لم يكن له فجر، وظللنا نسير، وعبرنا نهر سيريل ونهر رينجلو؛ وفي اليوم الثالث وصلنا إلى مدينة لينهير فوق مصب نهر جيلراين. وهناك راح رجال من لاميدون يقاتلون من أجل المخاضات مع قوم شرسين من أومبار وهاراد كانوا قد أبحروا عبر النهر. ولكن المدافعين والخصوم على السواء تخلوا عن المعركة وفروا عندما أتينا، وهم يصيحون أن ملك الموتى قد داهمهم. لم يكن من أحد لديه الشجاعة، سوى أنجبور سيد لاميدون، على الصمود أمامنا؛ وأمره أراجورن أن يجمع قومه ويأتي وراءنا، إذا هم وجدوا الشجاعة لذلك، عندما يكون الحشد الرمادي قد مر.

وقال: «عند بيلارجير سوف يحتاج إليكم وريث إسيلدور».

وهكذا عبرنا فوق جيلارين، نسوق حلفاء موردور في طريق أمامنا؛ وعندئذ استرحنا لبعض الوقت. ولكن سريعًا ما نهض أراجورن وقال: «انظروا! لقد تم الهجوم على ميناس تيريث بالفعل. أخشى أن تسقط قبل أن نصل لمساعدتها». ولذلك فإننا ركبنا مجددًا قبل أن ينقضي الليل وواصلنا سيرنا بأقصى سرعة كان يمكن لخيلنا أن تتحملها فوق سهول لبيبين.

وتوقف ليجولاس وتنهد، ولما أدار عينيه جنوبًا راح يغني بصوت منخفض:

تتدفق الجداول فضية من سيلوس[1] إلى إروي[2]
في حقول لبيبين الخضراء!
ينمو العشب طويلًا هنا. في الريح تأتي من البحر
تتمايل الزنابق،
وتهتز كئوس زهور المالوس[3] والألفيرين[4]
في حقول لبيبين الخضراء،
في الريح تأتي من البحر!

«خضراء هي تلك الحقول في أغانٍ شعبية؛ ولكنها كانت مظلمة آنذاك، أراضٍ بور مظلمة في السواد الذي كان أمامنا. وفوق الأراضي المترامية، رحنا ندوس غير آبهين بالأعشاب والورد، نتعقب أعداءنا طوال يوم وليلة، حتى وصلنا إلى النهاية المرة إلى النهر العظيم أخيرًا.

«عندئذ فكرتُ في قلبي أننا اقتربنا من البحر؛ لأن المياه كانت شاسعة في الظلمة، وراحت طيور البحر التي لا حصر لها تصرخ على شطآنه. واحسرتاه من عويل طيور البحر! ألم تخبرني السيدة أن أحترس منها؟ والآن لا أستطيع أن أنسى هذه الطيور».

وقال جيملي: «فيما يخصني فإنني لم آبه بها؛ لأننا جئنا آنذاك أخيرًا إلى معركة في جد شديد. وهناك عند بيلارجير كانت تقف الأساطيل الرئيسية لأومبار، خمسون سفينة عظيمة ومراكب أصغر حجمًا لا حصر لها. الكثير من تلك التي كنا قد طاردناهم وصلوا إلى المرافئ قبلنا، وجلبوا خوفهم معهم؛ وقد تراجعت بعض السفن، محاولة الهرب عبر النهر أو الوصول إلى الشاطئ البعيد؛ وكانت الكثير من القوارب الأصغر حجمًا تحترق. ولكن الهارادريميين، حيث كانوا قد سيقوا آنذاك إلى الحافة، واستداروا بعيدًا، وكانوا شرسين في يأس؛ راحوا يضحكون عندما ينظرون إلينا، لأنهم كانوا لا يزالون جيشًا عظيمًا.

إلا أن أراجورن توقف وصاح بصوت عظيم: «الآن تعالوا! إنني أناديكم باسم الحجر الأسود!» وفجأة جاء جيش الظل الذي كان قد تباطأ في المؤخرة، جاء مثل تيار مظلم، مجتاحًا كل شيء مما كان أمامه. وسمعتُ صرخات ضعيفة خافتة، وأبواق

(1) Cellos اسم نهر. (المترجم)
(2) Erui اسم نهر. (المترجم)
(3) Mallos زهرة ذهبية. (المترجم)
(4) Alfirin زهرة بيضاء صغيرة، وتسمى أيضًا soliu وsimbelmynë وتترجم (Evermind) إيفرمايند. (المترجم)

خافتة تنفخ، وضوضاء كما لو كانت تأتي من أصوات بعيدة لا حصر لها: كانت مثل صدى معركة منسية في السنين المظلمة منذ زمن بعيد. وسُحبت سيوف باهتة؛ ولكني لا أعلم إن كانت نصالها لا يزال بإمكانها أن تضرب وتصيب؛ لأن الموتى لم يعودوا بحاجة إلى أي سلاح سوى الخوف. لم يكن بإمكان أحد أن يصمد أمامهم.

«جاءوا إلى كل سفينة كانت قد سُحبت، وعندئذ مروا فوق الماء إلى تلك السفن التي كانت قد تم إرساؤها؛ وقد امتلأ جميع البحارة بجنون الرعب والخوف وقفزوا من فوق جانب السفن في البحر، باستثناء العبيد الذين كانوا مربوطين بالمجاديف. وانطلقنا بخيلنا بين أعدائنا الفارين غير آبهين بهم ولا بأي شيء، ورحنا نسوقهم وندفعهم مثل أوراق الشجر، حتى وصلنا إلى الشاطئ. وعندئذ أرسل أراجورن إلى كل سفينة من السفن العظيمة التي تبقت واحدًا من الدونادانيين، وطمأنوا الأسرى الذين كانوا على متن السفن، وأمروهم بأن يلقوا خوفهم جانبًا وأن يتحرروا.

«وقبل أن ينتهي ذلك اليوم المظلم، لم يكن قد تُرك أي فرد من العدو ليقاومنا؛ غرقوا جميعًا، أو راحوا يفرون جنوبًا أملًا في أن يجدوا أراضيهم على الأقدام. رأيتُ أنه من الغريب والمذهل أن تقهر صنائع وخطط موردور بأطياف الخوف والظلمة هذه. لقد هُزمت بأسلحتها هي نفسها!».

وقال ليجولاس: «غريب حقًا. في تلك الساعة نظرتُ إلى أراجورن وفكرتُ كم كان سيكون سيدًا عظيمًا ومروعًا وهو ما هو عليه من قوة عزيمته وإرادته، لو أنه كان قد أخذ الخاتم لنفسه. إن خشية موردور له ليست من دون سبب. ولكن روحه أكثر نبلًا من فهم ساورون؛ لأنه أليس من أبناء لوثين؟ إن هذه السلالة لن تخفق أبدًا، على الرغم من أن السنين قد تتطاول فيما وراء الحصر».

وقال جيملي: «هذه التنبوات فيما وراء أعين الأقزام. ولكن أراجورن كان عظيمًا حقًا في ذلك اليوم. وعجبًا! لقد كان الأسطول الأسود كله في يديه؛ واختار أعظم سفينة لتكون سفينته، وصعد عليها. عندئذ أطلق مجموعة عظيمة من الأبواق كانت قد أخذت من العدو؛ وانسحب جيش الظل إلى الشاطئ. وهناك وقفوا صامتين، لا يكاد يراهم أحد، باستثناء وهج أحمر في أعينهم التي كان يظهر فيها وهج السفن التي كانت تحترق». وتحدث أراجورن بصوت عال إلى الرجال الموتى، صائحًا:

«اسمعوا الآن كلمات وريث إسيلدور! لقد أنجزتم قسمكم وبررتم به. عودوا ولا تقلقوا الوادي مرة أخرى أبدًا! ارحلوا وارقدوا في سلام!».

وعند ذلك وقف ملك الموتى أمام الحشد وكسر حربته وألقى بها أرضًا. وعندئذ انحنى واستدار بعيدًا؛ وسريعًا تقارب الجيش الرمادي وتلاشى مثل سديم دفعته بعيدًا ريح مفاجئة؛ وبدا لي أنني استيقظتُ من حلم.

في تلك الليلة استرحنا بينما كان آخرون يعملون؛ لأنه كان هناك الكثير من الأسرى تم إطلاق سراحهم، وتم تحرير الكثير من العبيد، والذين كانوا أناسًا من جوندور أسروا في غارات؛ وفي الحال أيضًا كان هناك تجمع كبير من الرجال من ليبين وإثير، وجاء أنجبور سيد لامدون بكل الخيالة الذين استطاع أن يحشدهم. والآن وقد زال الخوف من الموتى، جاءوا لمساعدتنا وليشاهدوا وريث إسيلدور؛ لأن شائعة ذلك الاسم قد سرت مثل النار في الهشيم.

وهذا يقترب منا من نهاية حكايتنا. لأنه خلال ذلك المساء وتلك الليلة تم تجهيز الكثير من السفن وتزويدها بالرجال؛ وفي الصباح تحرك الأسطول. يبدو ذلك الأول منذ زمن طويل، إلا أنه لم يكن سوى في صباح أول أمس، اليوم السادس منذ أن خرجنا سائرين من دانهارو. ولكن كان أراجورن لا يزال يدفعه الخوف أن الوقت كان قصيرًا أكثر من اللازم.

وقال: «المسافة من بيلارجير إلى المراسي في هارلوند اثنان وأربعون فرسخًا. ولكن ينبغي علينا أن نصل إلى هارلوند غدًا وإلا فشلنا تمامًا».

وراح يدفع المجاديف الآن رجال أحرار، وراحوا يعملون في رجولة فائقة مبلين بلاء حسنًا؛ ولكننا رحنا نسير عبر النهر العظيم ببطء، لأننا كنا نناضل ضد مجراه، وعلى الرغم من أن ذلك ليس سريعًا في الجنوب، فلم تكن الريح تساعدنا أبدًا. كما كان قلبي سيكون مثقلًا وحزينًا، على الرغم من انتصارنا هذا كله في المرافئ، لو لم يضحك ليجولاس فجأة؛ ويقول:

«ارفع لحيتك عاليًا يا ابن دورين؛ لأنهم هكذا تحدثوا وقالوا: غالبًا ما يولد الأمل، عندما يصاب الجميع باليأس. ولكن أي أمل رآه من بعيد، فإنه لم يخبرنا. وعندما حل الليل فإنه لم يعمق سوى الظلمة، وكانت قلوبنا متحمسة مليئة بالدفء؛ لأننا رأينا على البعد في الشمال وهجًا أحمر تحت السحاب، وقال أراجورن: «ميناس تيريث تحترق».

ولكن في منتصف الليل ولد الأمل من جديد حقًا. راح رجال إثير البحارة المهرة يحدقون باتجاه الجنوب ويتحدثون عن تغيير قادم مع ريح جديدة من البحر. ورفعت السفن أشرعتها طويلًا في هذا اليوم، وازدادت سرعتنا، حتى جعل الفجر الزبد يبيض في وجوهنا على جبيننا. وهكذا كان، كما تعرف، أن واتتنا في الساعة الثالثة من الصباح ريح جميلة وانكشفت الشمس، ونشرنا الراية العظيمة في المعركة ورحنا نقاتل بشراسة. لقد كان يومًا عظيمًا، وساعة عظيمة، أيًا ما كان الذي قد يأتي بعد ذلك».

وقال ليجولاس: «ليأت ما قد يأتي، الأعمال العظيمة لا تقل قيمتها أبدًا. لقد كان السير في طريق مجازات الموتى عملًا عظيمًا، وسوف يظل عظيمًا، حتى لو لم يُترك أحد في جوندور ليغني عنه في الأيام والأزمان التي ستأتي».

وقال جيملي: «وهذا يحتمل أن يحدث إلى حد كبير؛ لأن وجوه أراجورن وجَنْدَلْف جادة وخطيرة.

كثيرًا ما أتساءل أي مشاورات يجرونها في الخيام في الأسفل. بالنسبة لي أنا، مثل ميري، فإنني أتمنى أنه بانتصارنا كانت الحرب قد انتهت. ولكن أيًا ما يكون الذي لايزال متبقيًا لإنجازه، فإنني أتمنى أن أؤديَ دورًا فيه، لشرف شعب الجبل الأعزل».

وقال ليجولاس: «وأنا عن شعب الغابة العظيمة، وفي حب سيد الشجرة البيضاء».

عندئذ لاذ الرفاق بالصمت، ولكن جلسوا لبعض الوقت في مكانهم في المكان العالي، كل منشغل بأفكاره الخاصة، في حين كان القادة يتناقشون.

عندما ترك الأمير إمراهيل ليجولاس وجيملي، أرسل في الحال في طلب إيومر؛ وهبط معه من المدينة، وجاءا إلى خيام أراجورن التي كانت قد نُصبت في الحقل ليس بعيدًا من المكان الذي سقط فيه الملك ثيودن. وهناك تشاوروا معًا مع جَنْدَلْف وأراجورن وأبناء إلروند.

وقال جَنْدَلْف: «أيها السادة، أنصتوا إلى كلمات قهرمان جوندور قبل أن يموت: قد تنتصرون في حقول بيلينور ليوم واحد، ولكن ضد القوة التي نهضت الآن واستيقظت هناك ليس هناك أي نصر. إنني لا أطلب منكم أن تيأسوا، مثلما فعل هو، ولكن أن تتفكروا في الحقيقة التي تنطوي عليها هذه الكلمات».

«الحجارة المبصرة لا تكذب، ولا حتى سيد باراد دور يمكنه أن يجعلهم يكذبون. ربما يمكنه بإرادته أن يختار ما هي الأشياء التي ستراها العقول الأكثر ضعفًا، أو يجعلها تخطئ معنى ما تراها. ومع ذلك لا يمكنُ الشك بأنه عندما رأى دنثور قوات عظيمة منتظمة ومصطفة ضده في موردور، ولا يزال المزيد منها يتم تجميعه، لقد رأى ذلك الذي هو كائن حقًا.

كانت قوتنا بالكاد كافية لتصد الهجوم الأول. سوف يكون الهجوم التالي أكبر وأعظم. هذه الحرب إذن بدون أمل نهائي، حسبما تصورها ورآها دنثور. لا يمكن تحقيق النصر بالسلاح، سواء جلستَ هنا متحملًا حصارًا بعد حصار، أو خرجت سائرًا ليتم التغلب عليك وقهرك وراء النهر. ليس لديك سوى خيار الشرور؛ وسوف تملي عليك الحكمة والحصافة أن تقوي تلك الأماكن الحصينة التي توجد لديك، وتنتظر الهجوم هناك؛ لأنه بهذه الطريقة سوف يصير الوقت الذي يسبق نهايتك أطول قليلًا.

فقال إمراهيل: «إذن فإنك تطلب من أن ننسحب إلى ميناس تيريث، أو دول إمروث، أو إلى دونهارو، وهناك نجلس مثل الأطفال على قلاع وحصون من رمل عندما يتدفق التيار ويرتفع المد؟».

وقال جَنْدَلْف: «هذا هو إذن الرأي. ألم تكن تفعل ذلك وأكثر منه قليلًا في أيام دنثور كلها؟ ولكن لا! قلتُ إن ذلك سيكون من الحصافة والحكمة والتبصر بالعواقب. إنني لا أشير بالحصافة والحكمة والتبصر بالعواقب. قلتُ إن النصر لا يمكن تحقيقه بالسلاح. إنني لا أزال آمل في النصر، ولكن ليس بالسلاح. لأنه في وسط كل هذه السياسات يأتي خاتم السلطة، أساس باراد دُور، وأمل ساوران.

فيما يتعلق بهذا الشيء يا سادتي، تعرفون الآن جميعكم ما يكفي لفهم محنتنا، ومحنة ساورون. إذا هو استعاده[1]، فإن بسالتكم تكون بلا جدوى أو فائدة، ونصره سيكون سريعًا وكاملًا: كاملًا للغاية لدرجة أنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ بنهاية هذا النصر مادام هذا العالم قائمًا. وإذا هو تم تدميره[2]، فإنه[3] سوف يسقط في هذه الحالة؛ وسوف يكون هبوطه إلى أسفل سافلين لدرجة أنه لن يكون بإمكان أحد أن يتنبأ بنهوضه مرة أخرى؛ لأنه سيفقد أفضل جزء من القوة التي كانت أصيلة فيه في بدايته، وكل ما كان قد صُنع أو بُدئ بتلك القوة سوف ينهار، وسوف يصير مُقعدًا إلى الأبد، ليصبح مجرد روح من حقد تنخر نفسها في الظلال، ولكن لا يمكن أن تنمو مرة أخرى أو تأخذ لها شكلًا. وهكذا فسوف يُزال شر عظيم من شرور هذا العالم.

هناك شرور أخرى قد تأتي؛ لأن ساورون نفسه ليس سوى خادم أو جاسوس تابع. ولكن التحكم في كل التيارات في العالم وتوجيهها ليس دورنا؛ ولكن دورنا هو أن نفعل ما هو فينا لإنقاذ تلك السنين التي وُضعنا فيها، نقتلع الشر من الحقول التي نعرفها ونجتثها، حتى يمكن لأولئك الذين يعيشون بعدنا أن ينعموا بأرض نظيفة طيبة يحرثونها. أما الطقس الذي سيكون لديهم فهذا ليس في مقدورنا أن نتحكم فيه.

والآن فإن ساورون يعرف ذلك كله، ويعرف أن هذا الشيء الثمين الذي فقده تم العثور عليه مرة أخرى؛ ولكنه لا يعلم بعد أين هو، أو هكذا نأمل نحن. وهكذا فإنه الآن في شك عظيم؛ لأننا لو عثرنا على هذا الشيء، فإن هناك بعضًا من بيننا لديهم من القوة ما يكفي للتحكم فيه وإدارته. وذلك أيضًا يعلمه هو[4]. ألستُ أخمن الصواب يا أراجورن أنك قد أظهرت نفسك له في حجر أورثانك؟».

وأجابه أراجورن بقوله: «فعلتُ ذلك قبل أن أسير من هورنبرج. رأيتُ أن الوقت قد حان، وأن الحجر قد جاء إلي لذلك الغرض تمامًا. كان ذلك بعد مرور عشرة أيام منذ أن انطلق حامل الخاتم شرقًا من راوروس، وعين ساورون، هكذا فكرتُ، لا بد أنها كانت

(1) الضمير هنا يعود إلى الخاتم. (المترجم)

(2) الضمير هنا يعود إلى الخاتم. (المترجم)

(3) الضمير هنا يعود إلى ساورون. (المترجم)

(4) الضمير هنا يعود إلى ساورون. (المترجم)

ستُسحب بعيدًا عن بُلاده هو. نادرًا جدًا ما تعرض لأي تحدٍّ منذ أن عاد إلى برجه. على الرغم من أنه لو أنني كنتُ قد تنبأتُ بمدى سرعة هجومه وبدئه في الرد، ربما ما كنتُ قد جرؤتُ على أن أظهر نفسي له. لم يكن أمامي الوقت الكافي لأن آتي لمساعدتكم».

وسأله إيومر: «ولكن كيف ذلك الآن؟ كل شيء عديم الجدوى، حسب قولك، إذا هو امتلك الخاتم. لماذا لا يظن أنه دون جدوى أن يهاجمنا، إذا نحن امتلكناه؟».

فقال جَنْدَلْف: «إنه ليس متأكدًا بعد، ولم يبن قوته ويعظها بالانتظار حتى يصبح أعداؤه في أمان، مثلما فعلنا نحن. كما أننا لم نستطع أن نعلم كيف يمكننا التحكم في السلطة والقوة الكافية وإداراتها في يوم واحد. حقًا لا يمكن استخدامها إلا من جانب سيد واحد فقط، ليس من جانب كثيرين؛ وسوف يسعى إلى وقت المعركة والنضال، قبل أن يتمكن واحد من العظماء بيننا من أن يجعل نفسه سيدًا ويقمع الآخرين. في ذلك الوقت ربما سيساعده الخاتم، لو أنه[1] كان سريعًا مباغتًا».

إنه يراقب. إنه يرى كثيرًا ويسمع كثيرًا. لا يزال خدامه من النازجول بالخارج. لقد مروا فوق هذا الحقل قبل شروق الشمس، على الرغم من أن قليلين من المتعبين والنيام قد أدركوهم وأحسوا بهم. إنه يدرس العلامات: السيف الذي سلبه كنزه أعيد صنعه مجددًا؛ رياح الحظ تتحول لصالحنا، والهزيمة التي لم تكن متوقعة التي مُني بها هجومه الأولى؛ وسقوط قائده العظيم.

إن شكه سيزيد ويكبر، بينما نحن نتكلم هنا. إن عينه الآن مركزة باتجاهنا بشدة، مغمضة تقريبًا عن كل شيء عدانا مما يتحرك على الأرض؛ ولذلك يجب أن نحتفظ بتركيزها علينا. في ذلك الأمر يكمن أملنا كله. وهذا إذن هو رأيي وتلك هي مشورتي. ليس معنا الخاتم. سواء عن حكمة أو عن حمق كبير أرسلناه بعيدًا ليتم تدميره خشية أن يدمرنا. بدونه لا يمكننا أن نهزم قوته بالقوة. ولكن ينبغي علينا مهما كانت التكلفة ومهما كان الثمن أن نصرف عينه بعيدًا عن الخطر الحقيقي. لا يمكننا أن نحقق النصر بالسلاح، ولكن بالسلاح يمكن أن نمنح حامل الخاتم فرصته الوحيدة، على الرغم من أنها قد تكون ضعيفة.

ومثلما بدأ أراجورن، ينبغي أن نواصل المسيرة. ينبغي أن ندفع ساورون إلى رميته الأخيرة. ينبغي أن نستفز قوته الكامنة، حتى يقوم بإخلاء أرضه. ينبغي أن نخرج للقائه في الحال. ينبغي أن نجعل أنفسنا الطعم، على الرغم من أن فكيه قد يطبقان علينا. سوف يأخذ ذلك الطعم، أملًا وطمعًا؛ لأنه سيظن أنه بتلك العجلة والتهور فإنه يرى كبرياء سيد الخاتم الجديد: وسوف يقول: «هكذا إذن! إنه يقحم رقبته نحو

(1) الضمير هنا يعود إلى ساورون. (المترجم)

الخارج سريعًا أكثر من اللازم وبعيدًا أكثر من اللازم. لندعه يواصل ويخرج، وشاهدوا سوف أوقعه في مصيدة لا يمكنه الفكاك منها أو الهروب. هناك سوف أسحقه، وما كان قد أخذه في عنجهيته وغطرسته سوف يكون ملكًا لي إلى الأبد».

ينبغي أن نسير مفتوحي الأعين إلى تلك المصيدة، في شجاعة، ولكن هناك أمل ضئيل بالنسبة لنا نحن أنفسنا. لأنه يا سادتي قد يَثبت أننا نحن أنفسنا سنهلك تمامًا في معركة شريرة بعيدًا عن الأراضي والبلدان الحية؛ لدرجة أنه حتى لو سقطت باراد دُور، فإننا لن نعيش لنرى عصرًا جديدًا. ولكن هذه، في اعتقادي، هي مهمتنا. وذلك من الأفضل على هذا النحو من أن نهلك مع ذلك حسبما سيحدث لنا بكل تأكيد، إذا نحن جلسنا هنا وأن نعلم ونحن نموت أنه لن يكون هناك أي عصر جديد».

ولزموا الصمت لبعض الوقت. وأخيرًا تحدث أراجورن وقال: «وكما كنتُ قد بدأتُ، فإنني سوف أواصل المسير. إننا نصل الآن على الحافة تمامًا وإلى المحك، حيث يتماثل الأمل واليأس. إن أي تلعثم أو تردد معناه السقوط. لا ينبغي أن يتخلى أي أحد الآن عن نصائح جَنْدَلْف، الذي تصل أعماله وكفاحاته الطويلة ضد ساورون أخيرًا إلى المحك. ولكن لولاه لضاع كل شيء منذ زمن طويل. ومع ذلك، فإنني لا أزعم أنني أتأمر على أي أحد. ليختار الآخرون حسبما يشاءون».

وعندئذٍ قال إلروهير: «من الشمال جئنا بهذا الغرض، ومن إلروند أبينا أحضرنا تلك المشورةَ وهذا الرأي. إننا لن نتراجع».

وقال إيومر: «بالنسبة لي أنا، فإن معرفتي قليلة بهذه المسائل العميقة؛ ولكني أحتاج إليها على قلتها الآن. وهذا ما أعرفه وهذا يكفي حيث إن صديقي أراجورن أنقذني وشعبي، فإنني سوف أساعده عندما يستدعيني لذلك. سوف أمضي».

وقال إمراهيل: «بالنسبة لي أنا، فإن سيدي أراجورن أعتبره سيدي ومولاي، سواء طالب بذلك أم لا. إن رغبته أمر بالنسبة لي. سوف أمضي أيضًا. ولكن للحظة سوف أقف في مكان قهرمان جوندور، حيث إنه يقع على عاتقي وحدي أن أفكر أولًا في شعبها. لا يزال ينبغي الإنصات إلى صوت الحكمة من جانب البعض؛ لأنه ينبغي علينا أن نستعد لجميع الاحتمالات، طيبة كانت أم شريرة. والآن، ربما سننتصر، وبينما لا يزال هناك أي أمل في هذا، ينبغي حماية جوندور. إنني لا أحب أن نرجع بنصر إلى مدينة مدمرة وأرض مخربة منهوبة وراءنا. ولكننا نعلم من الروهيريميين أن هناك جيشًا لا يزال علينا أن نقاتله على جناحنا الشمالي».

فقال جَنْدَلْف: «هذا صحيح. إنني لا أنصحكم بمغادرة المدينة دون حراسة وبغير دفاعات. حقًا إن القوة التي نقودها شرقًا ليس من الضروري أن تكون عظيمة بالشكل

الكافي لأي هجوم نُجاد على موردور، مادامت عظيمة بالشكل الكافي للدخول في معركة. وينبغي أن تتحرك في الحال. وبناء عليه فإنني أسأل القادة: أي قوة يمكننا حشدها ونخرج بها في ظرف يومين على أقصى تقدير؟ وينبغي أن يكونوا رجالًا أشداء، يذهبون طائعين، عارفين بالخطر الذي يتهددهم».

وقال إيومر: «الجميع مرهقون متعبون وكثيرون جدًا بهم جروح طفيفة أو خطيرة، وقد تعرضنا لخسارة كبيرة في خيلنا، وهذا أمر صعب الاحتمال. إذا كان لزامًا علينا أن ننطلق في الحال، ففي هذه الحالة فإنني لا أستطيع أن آمل حتى في أن أقود ألفين من الرجال، بيد أني أترك مثلهم للدفاع عن المدينة».

وقال أراجورن: «ليس لزامًا علينا فقط أن نحصي أولئك الذين حاربوا في الميدان. هناك قوة جديدة في الطريق من الإقطاعات الجنوبية، الآن وقد تم إنقاذ السواحل. أرسلتُ أربعة آلاف ساروا من بيلارجير عبر لوسارناخ منذ يومين؛ ويتقدمهم أنجبور الذي لا يعرف الخوف. إذا نحن انطلقنا في غضون يومين آخرين، فإنهم سوف يقاربون من الوصول قبل أن نرحل نحن. علاوة على ذلك صدرت الأوامر للكثيرين باتباعي إلى النهر في أي قوارب أو سفن يمكنهم جمعها؛ ومع هذه الريح فإنهم سيصلون سريعًا وفي الحال، حقًا لقد جاءت عدة سفن بالفعل إلى هارلوند. أعتقد أن بإمكاننا الخروج بسبعة آلاف على ظهور الخيل وعلى الأقدام، ومع ذلك نترك المدينة في دفاع أفضل مما كانت عليه عندما بدأ الهجوم».

وقال إمراهيل: «لقد تم تدمير البوابة، وأين هي المهارة الآن لإعادة بنائها ونصبها من جديد؟».

فقال أراجورن: «في إريبور[1] في مملكة داين توجد تلك المهارة، وإذا لم يُقض على جميع آمالنا، فعندئذ مع الوقت سوف أُرسل جيملي بن جولين ليبحث عن صناع الجبل. ولكن الرجال أفضل من البوابات، ولن تصمد أي بوابة ضد عدونا إذا تخلى عنها الرجال».

هذه إذن كانت نهاية حوار السادة: إنه ينبغي عليهم الخروج في صباح اليوم الثاني من ذلك اليوم بسبعة آلاف، إذا كان بالإمكان تدبير ذلك العدد؛ وسوف يكون الجزء الأعظم من تلك القوة من المشاة، بسبب الأرض الشريرة التي سيذهبون إليها. سوف يجد أراجورن قرابة ألفين من أولئك الذين قام بتجميعهم في الجنوب؛ ولكن سوف يدبر إمراهيل ثلاثة آلاف ونصف؛ وإيومر خمسمائة من الروهيريميين الذين كانوا دون خيل

(1) Erebor جبل أعزل (The Lonely Mountain) (الجبل الأعزل) إلى الشرق من أقصى الأجزاء الشمالية لغابة ميركوود حيث توجد مملكة الأقزام تحت الجبل وعرين التنين سموج (Smaug). (المترجم)

ولكنهم هم أنفسهم أهل حرب، وهو نفسه سوف يترك خمسمائة من أفضل خيالته على الجياد؛ وسوف تكون هناك مجموعة أخرى من خمسمائة حصان، سوف يركب بينها أبناء إلروند مع الدونادانيين وفرسان دول أمروث: العدد إجمالًا ستة آلاف على الأقدام وألف على ظهور الخيل. ولكن القوة الرئيسية للروهيريميين التي ظلت بجيادها وقادرة على الحرب، قرابة ثلاثة آلاف تحت إمرة إلفهيلم، سوف تكمن في الطريق الغربي وتقطع الطريق على العدو الذي كان في أنورين. وفي الحال تم إرسال خيالة خفيفي الحركة لاستطلاع الأخبار التي يمكنهم الوقوع عليها في الشمال؛ وفي الشرق من أوسجيلياث والطريق إلى ميناس مورجول.

وعندما أحصوا كل قوتهم واستكملوا تفكيرهم في الرحلات التي ينبغي عليهم القيام بها والطريق التي ينبغي عليهم أن يسلكوها، ضحك إمراهيل بصوت عال، وصاح: «بكل تأكيد، هذه هي أكبر مزحة في تاريخ جوندور: أن نخرج بسبعة آلاف، لا يكادون يساوون عدد طليعة جيشها في أيام قوتها، للهجوم على الجبال وبوابة أرض الظلام التي لا يمكن اختراقها! إذن ربما يستطيع طفل أن يهدد فارسًا مدرعًا بقوس من خيط وفرع شجرة صفصاف! لو أن سيد الظلام يعلم كثيرًا مثلما تقول يا ميثراندير ألن يبتسم لا أن يخاف، وبأصبعه الخنصر يسحقنا مثل ذبابة تحاول أن تلدغه؟».

فقال جندلف: «لا، سوف يحاول الإيقاع بالذبابة في مصيدة ويدعها تلدغه. وهناك أسماء بيننا تساوي أكثر من ألف فارس مدرعين جملة واحدة. لا، إنه لن يبتسم».

وقال أراجورن: «ولن نبتسم نحن. إذا كانت هذه مزحة، فإنها إذن قاسية للغاية بحيث لا يمكن الضحك عليها. كلا، إنها الخطوة الأخيرة في مخاطرة عظيمة، وسوف تجلب نهاية اللعبة بالنسبة لطرف أو للطرف الآخر». وعندئذ استل أندوريل سيفه ورفعه عاليًا وهو يتوهج في ضوء الشمس، وقال: «إنك لن تغمد مرة أخرى حتى نخوض المعركة الأخيرة».

الفصل العاشر
بوابة الظلام تفتح

بعد يومين، كان جيش الغرب قد تجمع في حقول بيلينور. لقد عاد جيش الأوركيين والشرقيين من أنورين، ولكن الروهيريميين هاجموهم وشتتوهم ولذلك فإنهم انكسروا وفروا بقتال قليل باتجاه كير أندروس؛ وبذلك انتهى التهديد كما أن قوة جديدة تصل من الجنوب كانت المدينة مجهزة بالرجال على نحو جيد مثلما ينبغي أن يكون. وقد نقل الكشافة أخبارًا أنه لم يظل أي أعداء على الطرقات شرقًا حتى مفترق طرق الملك الذي سقط. وكان كل شيء عندئذ جاهزًا للرمية الأخيرة.

كان ليجولاس وجيملي سيركبان مرة أخرى معًا في صحبة أراجورن وجندلف، اللذين ذهبا في الطليعة مع الدونادانيين وأبناء إلروند. ولكن ميري للأسف لم يكن ليذهب معهم.

وقال أراجورن: «إنك لستَ مناسبًا لرحلة كهذه. ولكن لا تشعر بالخزي. إن لم تفعل أكثر من ذلك في هذه الحرب، فقد كسبت شرفًا عظيمًا بالفعل. سوف يذهب بيرجرين ويمثل شعب المقاطعة؛ ولا تحسده على فرصته في الخطر، لأنه على الرغم من أنه قد أبلى بلاء حسنًا بقدر ما سمح له حظه به، إلا أنه لا يزال ينبغي عليه أن يضاهي عملك وصنيعك. ولكن في الحقيقة الجميع الآن في خطر مشابه. على الرغم من أنه قد يكون جزاؤنا أن نجد نهاية مرة قاسية أمام بوابة موردور، فإننا إذا فعلنا ذلك، ففي هذه الحال فإنك سوف تصل إلى النهاية الأخيرة، إما هنا أو في أي مكان يقهرك فيه التيار الأسود. الوداع!».

وعندئذ كان ميري يقف في إحباط وقنوط بالغين ويشاهد احتشاد الجيش. كان برجيل معه، وكان هو الآخر مغتمًا ومكتئبًا؛ لأن والده كان سيخرج قائدًا لسرية من بشر المدينة: لن يكون بإمكانه أن ينضم للحراس حتى يتم الحكم في قضيته. في تلك السرية نفسها كان سيذهب بيبين أيضًا، كجندي من جوندور. كان ميري يراه ـ من مسافة غير بعيدة ـ شكلًا صغيرًا ولكنه منتصب بين رجال ميناس تيريث طوال القامة.

وأخيرًا دوت أبواق النفير وبدأ الجيش يتحرك. فرقة فرقة، وسرية سرية، راحوا يتدفقون وينطلقون باتجاه الشرق. وبعد أن مروا بوقت طويل بعيدًا مختفين عن الأنظار عبر الطريق الطويل إلى الطريق المعبد، كان ميري يقف هناك. وراح آخر وهج من شمس الصباح يتوهج على الرماح والخوذات وبعدها ضاع، بينما ظل هو محني الرأس

كسير الفؤاد، يحس بأنه بلا صديق ويشعر بالوحدة. كل أولئك الذين كان يهتم بهم مضوا إلى الظلمة التي كانت معلقة في السماء الشرقية البعيدة؛ ولم يترك سوى القليل من الأمل في قلبه أنه سيحدث على الإطلاق ويرى أيًا منهم مرة أخرى.

وعاوده الألم الذي كان في ذراعه، كما لو أن حالة اليأس التي كانت فيها قد استدعت هذا الألم، وأحس بالضعف وشعر بأنه عجوز، وبدا ضوء الشمس خافتًا ضعيفًا. وأيقظته لمسة يد برجيل.

وقال له الفتى: «هيا أيها السيد بريان! إنك لا تزال تتألم، فيما أرى. سوف أساعدك في العودة إلى المعالجين. ولكن لا تخش شيئًا! سوف يعودون. بشر ميناس تيريث لن يقهروا أبدًا. والآن إن معهم اللورد «الحجر الجني»[1]، وكذلك برجوند قائد الحراس أيضًا».

وقبل الظهر وصل الجيش إلى أوسجيلياث. وهناك كان جميع العمال والحرفيين -الذين كان بالإمكان توفيرهم- مشغولين. كان بعضهم يقوم بتقوية المعدات والجسور المحمولة على القوارب التي كان العدو قد صنعها ودمرها جزئيًا عندما فروا؛ وراح البعض يجمع المخزونات والغنائم؛ بينما راح آخرون على الجانب الشرقي عبر النهر يقيمون أعمالًا دفاعية متعجلة وسريعة.

ومرت الطليعة عبر أطلال جوندور القديمة، وفوق النهر الواسع، وواصلت سيرها عبر الطريق الطويل المستقيم الذي جُعل مساره في الأيام العظيمة يجري من برج الشمس الجميل إلى برج القمر الطويل، والذي كان الآن ميناس مورجول في واديه الملعون. وتوقفوا على بعد خمسة أميال بعد أوسجيلياث، منهين بذلك يومهم الأول من السير.

ولكن الخيالة اجتهدوا في السير، وقبل المساء وصلوا إلى مفترق الطرق والحلقة العظمى من الأشجار، وكان الجميع صامتين. ولم يروا هناك أي علامة على أي عدو، لم يسمعوا أي صرخة أو نداء، لم يصدر أي رمح من صخر أو أجمة إلى جانب الطريق، ولكنهم كانوا يحسون دائمًا وهم يسيرون قدمًا بازدياد يقظة الأرض ومراقبتها لهم. كان ينصت كل من الشجر والحجر، النصل والورقة. وتشتت الظلمة، وبعيدًا باتجاه الغرب كان غروب الشمس على وادي أندوين، وكانت قمم الجبال البيضاء محاطة بالهواء الأزرق؛ ولكن كان هناك ظل وظلمة يجثمان على إيفيل دواث.

وعندئذ وضع أراجورن البواقين على كل طريق من الطرق الأربعة التي كانت تسير إلى حلقة الأشجار، ونفخوا نفيرًا عاليًا عظيمًا، وصاح المنادون الذين في المقدمة بصوت عال: «لقد عاد سادات جوندور وكل هذه الأرض التي هي لهم يستعيدونها

(1) الإشارة إلى أراجورن. (المترجم)

إليهم». أما الرأسَ الأوركية البشعة التي كانت قد وضعت على شكل منحوت فقد طرحت أرضًا وكسرت إربًا، ورفعت رأس الملك العجوز ووضعت مكانها مرة أخرى، ولا تزال متوجة بالزهور البيضاء والذهبية؛ وراح الرجال يكدون ويغسلون ويكشطون كل آثار الخربشة الشريرة البشعة التي وضعها الأوركيون على الصخر.

والآن في حوارهم ونقاشهم أشار البعض بأنه ينبغي الهجوم أولًا على برج ميناس مورجول، وإذا هم استطاعوا الاستيلاء عليه، فينبغي تدميره تمامًا، وقال إمراهيل: «وربما يثبت أن الطريق الذي يقود من هناك إلى الممر فوقنا سوف يكون طريقًا أكثر سهولة من البوابة الشرقية للهجوم على سيد الظلام».

ولكن جندلف تحدث بكلام مغاير لهذا الكلام في الحال، نظرًا للشر الذي يسكن في الوادي؛ حيث يمكن أن تتحول عقول البشر الأحياء إلى الجنون والرعب والهلع، وكذلك بسبب الأخبار التي كان فارامير قد جلبها؛ لأنه لو كان حامل الخاتم قد حاول حقًا المرور عبر ذلك الطريق، عندئذ فإنهم يجب عليهم أولًا وقبل أي شيء أن يجتذبوا عين موردور إلى ذلك المكان. ولذلك في اليوم التالي عندما جاءت مجموعة الجيش الرئيسية، وضعوا حراسة قوية على مفترق الطرق لإنشاء بعض الدفاعات، تحسبًا لإرسال موردور لقوات فوق مجاز مورجول، أو تحسبًا لإرسال موزجول للمزيد من الرجال من الجنوب. ولهذه الحراسة اختاروا الغالبية من الرماة الذين يعرفون طرق إثيلين وسوف يرقدون مختبئين بين الأشجار والمنحدرات حول التقاء الطرق. ولكن جندلف وأراجورن ساروا مع الطليعة إلى مدخل وادي مورجول وراحوا يشاهدون المدينة الشريرة.

كانت مظلمة ولا حياة فيها؛ لأن الأوركيين ومخلوقات موردور الأقل قدرًا والأصغر الذين سكنوا هناك تم تدميرهم في المعركة، وكانت أطياف النازجول بالخارج. ولكن هواء الوادي كان مثقلًا ومحملًا بالخوف والعداء. عندئذ كسروا الجسر الشرير ووضعوا مشاعل حمراء في الحقول الكريهة ورحلوا.

وفي اليوم التالي، حيث كان هذا اليوم هو اليوم الثالث منذ أن خرجوا من ميناس تيريث ، بدأ الجيش سيره باتجاه الشمال عبر الطريق. كانت المسافة حوالي مائة ميل عند ذلك الطريق من مفترق الطرق إلى مورانون، ولم يكن يعلم أي أحد ما الذي عساه أن يصيبهم ويحل بهم قبل أن يقطعوا هذه المسافة. صاروا في العراء ولكن في حذر ويقظة، وكان يسير أمامهم الكشافة الراكبون على الطريق، وكان آخرون يسيرون على الأقدام على كلا الجانبين، وخاصة على الجناح الشرقي؛ لأنه هنالك كانت توجد أجمات مظلمة، وأرض وعرة من وديان وجرف صخرية، وكانت تصعد وراءها منحدرات إيفيل دواث الطويلة الكئيبة. وظل طقس العالم جميلًا، وظلت الريح

تهب في الغرب، ولكن لم يكن هناك من شيء يستطيع أن يدفع بعيدًا الظلمة والسُدم الحزينة المعلقة حول جبال الظل؛ وكانت ترتفع في الوراء من وقت لآخر أدخنة وتتعلق بالرياح العلوية المرتفعة.

ومن وقت لآخر كان جندلف يأمر بإطلاق النفير، وكان المنادون الذين في المقدمة يصيحون بصوت عال: «لقد جاء سادات جوندور! ليغادر الجميع هذه البلاد أو يسلموها مستسلمين!». ولكن إمراهيل قال: «لا تقل سادات جوندور. قل الملك إليسار؛ لأن ذلك صحيح، حتى لو لم يكن قد جلس على العرش بعد؛ وسوف يستغرق الأمر المزيد من التفكير من جانب العدو، إذا استخدم المنادون هذا الاسم». وبعد ذلك ثلاث مرات في اليوم راح المنادون يعلنون قدوم الملك إليسار. ولكن لم يرد أحد على ذلك أو يجاوب التحدي.

ومع ذلك، على الرغم من أنهم في سلام ظاهري، إلا أن قلوب الجيش، من أكبره إلى أدناه، كانت كئيبة محزونة، ومع كل ميل كانوا يسيرونها شمالًا كانت نذر الشر تكبر وتزداد وطأة عليهم. كان بالقرب من نهاية اليوم الثاني من مسيرتهم من مفترق الطرق أنهم قابلوا لأول مرة عرضًا لقتال؛ لأن قوة قوية من الأوركيين والشرقيين حاولت أن تهاجم سراياهم الأمامية من مكمن؛ وكان هذا في نفس المكان الذي كمن فيه فارامير لرجال هاراد. ولكن قادة الغرب كان قد حذرهم جيدًا كشافتهم، رجال مهرة من هينيث أتون يقودهم مابلونج؛ وهكذا فإن الكمين نفسه وقع في مصيدة؛ لأن الخيالة انطلقوا في حلقة واسعة باتجاه الغرب وجاءوا عند جناح العدو من الخلف، وتم تدميرهم أو دحرهم شرقًا إلى التلال.

ولكن النصر حقق القليل لتشجيع القادة وشد أزرهم. وقال أراجورن: «إنها ليست سوى خُدعة، وغرضها الرئيسي، في رأيي، أن يوهمنا بصورة زائفة بضعف عدونا من أن يلحق بنا الكثير من الأذى، مع ذلك». ومن ذلك المساء فصاعدًا جاء أطياف النازجول وراحوا يتبعون كل حركة من حركات الجيش. كانوا لا يزالون يطيرون عاليًا وخارج نطاق رؤية الجميع باستثناء ليجولاس، ومع ذلك كان وجودهم يمكن الإحساس به، في صورة تعمق الظل وعتمة الشمس؛ وعلى الرغم من أن أطياف الخاتم لم يكونوا ينحنون واطئًا بعد فوق خصومهم وكانوا صامتين، لا ينطقون بأي صرخة، فإنه لم يكن بالإمكان التخلص من الخوف منهم.

وهكذا راح الوقت والرحلة اليائسة ينقضيان. في اليوم الرابع من مفترق الطرق واليوم السادس من ميناس تيريث وصلوا أخيرًا إلى نهاية الأرض الحية، وبدءوا يعبرون إلى القفر والخراب الذي كان يوجد أمام بوابات مجاز سيريث جورجور؛ وكانوا يستطيعون رؤية المستنقعات والصحراء التي كانت ممتدة شمالًا وغربًا إلى إمين

مويل. كانت هذه الأماكن مهجورة بائسة للغاية كما كان الرعب الذي يجثم عليها عميقًا للغاية لدرجة أن بعض أفـراد الجيش فقدوا شجاعتهم ولـم يستطيعوا لا المشي ولا الركوب إلى أكثر من ذلك باتجاه الشمال.

ونظر أراجورن إليهم، وكانت هناك شفقة في عينيه، أكثر من كونها حنقًا وغضبًا؛ لأن هؤلاء كانوا شبابًا صغارًا من روهان، من ويستفولد بعيدًا، أو مزارعين من لوسارناخ، وبالنسبة لهم كانت موردور من الطفولة اسمًا شريرًا، ومع ذلك غير حقيقي، أسطورة ليس لها أي دور في حياتهم البسيطة؛ والآن كانوا يمشون مثل رجال في حلم بغيض شرير تحول إلى حقيقة، ولم يفهموا هذه الحرب ولا السبب في اقتياد القدر لهم إلى ذلك الطريق.

وقال أراجورن: «اذهبوا! ولكن احتفظوا بما قد يمكنكم الاحتفاظ به من شرف، ولا تجروا! وهناك مهمة ربما تحاولون إنجازها وبهذا لا تكونون قد أصبتم بالخزي تمامًا. خذوا طريقكم باتجاه الجنوب الغربي حتى تصلوا إلى كير أندروس، وإذا كان العدو لا يزال يسيطر على المكان، حسب رأيي، عندئذ أعيدوا الاستيلاء عليه، إذا استطعتم؛ وحافظوا عليه حتى آخر لحظة دفاعًا عن جوندور وروهان!».

عندئذ لما كان بعض منهم قد شعر بالخزي من رحمته بهم تغلبوا على خوفهم وواصلوا السير، وأخذ الآخرون أملًا جديدًا؛ إذ سمعوا عن عمل رجولي شجاع في نطاق مقدرتهم يمكنهم التحول إليه، ورحلوا. وهكذا، حيث إن الكثير من الرجال كانوا قد تُركوا بالفعل عند مفترق الطرق، فقد حدث أن كان بأقل من ستة آلاف أن جاء قادة الغرب أخيرًا إلى تحدي بوابة الظلام وقوة موردور.

وراحوا يتقدمون عندئذ ببطء، متوقعين في كل ساعة ردًا على تحديهم، وتضاموا معًا وتجمعوا، حيث إن إرسال الكشافة أو مجموعات صغيرة من الجيش الرئيسي لم يكن سوى إهدار للرجال. وعند حلول ليل اليوم الخامس من المسير من وادي مورجول نصبوا آخر مخيم لهم، وأوقدوا النيران حوله من تلك الأخشاب الميتة والخلنج بقدر ما استطاعوا العثور عليه. وأمضوا ساعات الليل في يقظة وكانوا مدركين للكثير من الأشياء نصف المرئية التي كانت تمشي وتجوس في المكان خلسة في كل مكان من حولهم، وكانوا يسمعون عواء الذئاب. وخمدت الريح وبدا الهواء كله ساكنًا. كانت رؤيتهم قليلة؛ لأنه على الرغم من أن السماء كانت خالية من السحب وكان عمر القمر أربعة ليال، كانت هناك أدخنة وأبخرة ترتفع خارجة من الأرض وراحت سُدم موردور تغطى الهلال الأبيض.

وأصبح الجو باردًا. وعندما أتى الصباح بدأت الريح تتحرك مرة أخرى، ولكن الآن جاءت من الشمال، وفي الحال تجددت متحولة إلى نسيم مرتفع. وذهب جميع الذين

يمشون ويتسللون في الليل، وبدت الأرض خالية. وكانت ترقد في الشمال بين حفرهم البغيضة الكريهة أول الأكوام والتلال الكبيرة من الخبث والصخور المكسرة والطمي المتبعثر المتناثر، وتقيؤ شعب اليرقات (الماجوت) في موردور؛ ولكن نحو الجنوب والآن قريبًا لاح متراس سيريث جورجور الهائل، والبوابة المظلمة في المنتصف، وبرجا الأسنان طويلان ومظلمان على كل جانب؛ لأنه في مسيرتهم الأخيرة استدار القادة بعيدًا من الطريق القديم عندما مال شرقًا، وتجنبوا خطر التلال المتربصة، وهكذا عندئذ كانوا يقتربون من الموراننون[1] من الشمال الغربي، مثلما كان فرودو قد فعل.

كان بابا البوابة السوداء الحديديان الكبيران تحت قوسها المكفهر مغلقين بإحكام. ولم يكن يُرى أي شيء فوق الشرفة المفرجة. كان كل شيء ساكنًا ولكن متيقظًا مترقبًا. لقد وصلوا إلى آخر حماقتهم، ووقفوا في شبه يأس وشاعرين بالبرودة في الضوء الرمادي في بداية النهار أمام الأبراج والجدران التي لا يستطيع جيشهم أن يهاجمها بأمل، ولا حتى كان قد أحضر إلى ذلك المكان آلات حربية عظيمة القوة، والعدو ليس لديه قوة أكثر مما يكفي لتجهيز البوابة والجدار وحدهما. ولكنهم كانوا يعلمون أن جميع التلال والصخور حول الموارنون كانت مليئة بالخصوم الخفيين، وكان الممر الظليل وراءهم مثقبًا ومشفوقًا بواسطة أجناس محتشدة من الأشياء الشريرة. وبينما كانوا يقفون رأوا جميع أطياف النازجول وقد تجمعوا معًا، محلقين فوق برجي الأسنان مثل طيور العُقاب؛ وعلموا أنهم كانوا مراقبين. ولكن لم يبد العدو أي علامة بعد.

لم يُترك أمامهم أي خيار سوى أن يؤدوا دورهم حتى النهاية. وبناء عليه فإن أراجورن عندئذ نظم الجيش بأفضل طريقة كان بالإمكان استنباطها؛ وتم تنظيمهم على تلين عظيمين من صخر مكسر منحوت وطمي كان الأوركيون قد كوموه في سنين من العمل الشاق. وكان يقف أمامهم باتجاه موردور مثل خندق مائي من وحل هائل ومن طمي كثيف وبرك عفنة الرائحة. وعندما تم الانتهاء من ترتيب كل شيء، سار القادة على خيلهم للأمام باتجاه البوابة السوداء مع حراسة كبيرة من الخيالة والراية والمنادين والبواقين. كان جندلف رئيس المنادين الذين يسيرون في المقدمة، وكان أراجورن مع ابني إلروند، وإيومر سيد روهان، وإمراهيل؛ وقد أُمر ليجولاس وجيملي وبرجرين بالذهاب أيضًا، حتى يكون جميع أعداء موردور شاهدين.

وتقدموا حتى صاروا في نطاق مسافة بعيدة نوعًا من البوابة ونشروا الراية ونفخوا أبواقهم؛ ووقف المنادون وأطلقوا أصواتهم عاليًا فوق شرفة موردور المفرجة.

(1) Morannon البوابة السوداء، أو البوابة المظلمة، أو بوابة موردور. (المترجم)

وراحوا يصيحون قائلين: «اخرج إلينا! ليخرج إلينا سيد الأرض المظلمة! سوف ينفذ العدل فيه؛ لأنه شن حربًا على نحو ظالم على جوندور واغتصب أراضيها. وبناء عليه فإن ملك جوندور يطالب بضرورة أن يكفر عن شروره، ويرحل عندئذ إلى الأبد. اخرج إلينا!».

وساد صمت طويل، ولم يُسمع صراخًا ولا صوتًا لا من الجدار ولا من البوابة ردًا على ذلك. ولكن ساورون كان قد وضع خططه بالفعل، وكان ينوي أن يداعب هؤلاء الفئران أولًا في شراسة قبل أن يضرب ضربته ويقتل. وهكذا كان ذلك، بينما كان القادة على وشك أن يستديروا ويذهبوا، انكسر الصمت فجأة. وجاء دوي طويل لطبول عظيمة مثل برق في الجبال، وبعد ذلك دوي الأبواق التي راحت تهز الصخور نفسها وتصك آذان الرجال. وعلى ذلك فُتح باب البوابة السوداء على اتساعه محدثًا صوتًا عظيمًا، وجاءت خارجة منه بعثة من برج الظلام.

وكان يسير على رأسها شكل طويل وشرير، يمتطي حصانًا أسود، إذا كان ذلك حصانًا؛ لأنه كان ضخمًا وبشعًا، وكان وجهه قناعًا مخيفًا، أكثر شبهًا بجمجمة لا برأس حي، وفي محجري عينيه وفي منخاريه كان يحترق لهب. كان لبس الخيال كله أسود اللون، وكانت خوذته الطويلة سوداء؛ ولكن هذا لم يكن طيفًا من أطياف الخاتم بل كان رجلًا حيًا. لقد كان قائد برج باراد دُور، وليست هناك حكاية تذكر اسمه؛ لأنه هو نفسه نسيه، وقال: «إنني المتحدث باسم ساورون». ولكن قيل إنه كان خارجًا ومرتدًا، جاء من جنس أولئك الذين يُسمون النومينوريون السود؛ لأنهم كانوا قد أنشئوا مساكنهم في الأرض الوسطى خلال سنوات سيادة ساورون، وعبدوه، حيث فتنتهم المعرفة الشريرة. ودخل خدمة برج الظلام عندما نهض البرج مرة أخرى، ونظرًا لدهائه راح يصبح أكبر بشكل مطرد في حظوته لدى سيد برج الظلام؛ وتعلم سحرًا عظيمًا، وعرف الكثير من فكر ساورون؛ وكان أكثر شراسة من أي أوركي.

وكان هو ذلك الذي خرج من البوابة راكبًا، وكانت معه مجموعة صغيرة فقط من الجنود ذوي السروج السوداء، وكانت معهم راية واحدة، سوداء بيد أنها كانت عليها العين الشريرة باللون الأحمر. وعندئذ توقف على بعد عدة خطوات أمام قادة الغرب وحدق فيهم من أعلى لأسفل وضحك، وسأل:

«أهناك شخص في هذا الحشد لديه السلطة ليتعامل معي؟ أم حقًا لديه الذكاء بحيث يمكنه أن يفهمني؟ ليس أنت على الأقل؟». وسخر، والتفت إلى أراجورن في ازدراء. «إن صنع ملك يحتاج إلى أكثر من قطعة من زجاجة جنية، أو حشد من الدهماء كهذا. ولم لا، إن أي عصابة من التلال يمكن أن تكون مجموعة جيدة من الأتباع والأنصار مثلهم!».

ولم يتكلم أراجورن بكلمة ردًا على ذلك، ولكنه ركز على عين الآخر واحتجزها،

وللحظة راحا يناضلان على هذا النحو؛ ولكن في الحال، على الرغم من أن أراجورن لم يتحرك ولم يحرك يدًا إلى سلاح، جبن الآخر وتراجع كما لو كان يتعرض لتهديد بضربة قوية، وصرخ قائلًا: «إنني مناد ورسول، ولا يجوز مهاجمتي!».

وقال جَنْدَلْف: «عندما تطبق تلك القوانين، فإنها أيضًا عادة الرسل أن يستخدموا صلفًا وغطرسة أقل. ولكن لم يهددك أحد. ليس هناك من شيء يجعلك تخشانا، إلى أن تنتهي مهمتك. ولكن ما لم يكن سيدك قد انتهى إلى حكمة جديدة، ففي هذه الحالة فإنك مع كل خدامه ستكونون في خطر عظيم.!».

قال الرسول: «إذن! إذن فأنت المتحدث الرسمي، أيها الرجل أشيب اللحية ألم نسمع عنك في بعض الأوقات، وعن رحلاتك، وإطلاقك دومًا للخطط والشر من بعد على مسافة آمنة؟ ولكنك في هذه المرة قد أقحمت أنفك بعيدًا أكثر من اللازم، أيها السيد جَنْدَلْف؛ وسوف ترى ما الذي يحدث له ذلك الذي يضع شباكه الحمقاء أمام قدمي ساورون العظيم. لدي علامات وأمارات أُمرتُ أن أريها لك على وجه الخصوص، إذا أنت جرؤت وجئت». وأومأ لواحد من حراسه، ونقدم للأمام حاملًا حزمة ملفوفة في خرقة سوداء.

وضع الرسول هذه جانبًا، وهناك ولدهشة ورعب جميع القادة رفع أولًا السيف القصير الذي كان سام يحمله، وبعد ذلك معطفًا رماديًا عليه دبوس جني، وأخيرًا الدرع الواقي المصنوع من الميثريل الذي كان يلبسه فرودو، وكان ملفوفًا في ثيابه المهلهلة. وغطى أعينهم سواد، وبدا لهم في لحظة صمت أن العالم قد وقف ساكنًا، ولكن قلوبهم كانت ميتة وذهب أملهم الأخير. وقفز بيبين الذي كان يقف وراء الأمير إمراهيل للأمام مصدرًا صرخة من حزن وأسى.

«اصمت!». قال ذلك جَنْدَلْف في حدة، دافعًا إياه للوراء؛ ولكن الرسول راح يضحك بصوت عال.

وصاح: «إذن لا يزال لديك واحد آخر من هؤلاء العفاريت الصغيرة! أي فائدة تجدها فيهم لا يمكنني تخمينها؛ ولكن أن ترسلهم كجواسيس إلى موردور فإن هذا حتى يفوق حماقتك المعتادة ومع ذلك، فإنني أشكره؛ لأنه واضح أن ذلك الطفل على الأقل قد رأى هذه الأمارات، وسيكون من غير المجدي بالنسبة لك أن تنكرها الآن».

فقال جَنْدَلْف: «إنني لا أرغب في أن أنكرها. حقًا، إنني أعرفها جميعًا، وكذلك تاريخها كله، وعلى الرغم من سخريتك واستخفافك، أيها المتحدث الشرير بلسان ساورون، لا يمكنك أن تقول أكثر من ذلك. ولكن لمَ أحضرت هذه الأشياء إلى هنا؟».

معطف قزم، معطف جني، وسيف الغرب الذي سقط، وجاسوس من أرض الجرذان الصغيرة المقاطعة، كلا، لا تبدأ! إننا نعرفها جيدًا هاهي علامات المؤامرة. والآن، ربما يكون ذلك الذي حمل تلك الأشياء مخلوقًا لا تحزن على فقده، وربما

يكون غير ذلك: شَخص عزيز عليك، ربما؟ إذا كان الأمر كذلك، تشاور سريعًا مع ما تبقى لديك من سلامة عقل قليل. لأن ساورون لا يحب الجواسيس، وسوف يعتمد مصيره على اختيارك».

ولم يجبه أحد؛ ولكنه رأى وجوههم رمادية من الخوف ورأى الرعب في أعينهم، وضحك مرة أخرى؛ لأنه بدا له أن لعبته سارت على ما يرام، وقال: «جيد، جيد! لقد كان عزيزًا عليك، في اعتقادي. وإلا فإن مهمته كانت واحدة لم تكن أنت تتمنى أن تفشل. لقد فشلت، والآن فإنه سيقاسي عذاب السنين البطيء، طويلًا وبطيئًا مثلما يمكن لفنوننا في البرج العظيم أن تدبرها وتستنبطها، ولن يُطلق أبدًا؛ إلا عندما يتغير وينكسر، وعندئذ ربما يأتي إليك، وسوف ترى ما فعلته أنت فيه. هذا بكل تأكيد ما سيكون إلا إذا قبلت بشروط مولاي».

«اذكر الشروط» قال ذلك جَنْدَلْف في ثبات، ولكن أولئك الذين كانوا قريبين رأوا الأسى والكرب الذي كان في وجهه، وعندئذ بدا رجلًا عجوزًا وذاويًا، منسحقًا ومنهزمًا أخيرًا. لم يشكوا في أنه سيقبل.

«هذه هي الشروط» قال ذلك الرسول، وابتسم وهو ينظر إليهم واحدًا واحدًا. «غوغاء جوندور وحلفاؤهم المخدوعون ينسحبون في الحال إلى ما وراء نهر أندوين، على أن يقطعوا على أنفسهم قسمًا قبل كل شيء ألا يعودوا مرة أخرى إلى مهاجمة ساورون العظيم بالسلاح، سرًا أو علانية. جميع البلدان والأراضي شرق نهر أندوين تكون ملكًا لساورون إلى الأبد، وحده. أما غرب الأندوين حتى الجبال السديمية وفجوة روهان فسوف تكون تابعة لموردور وتدفع لها الجزية، ولن يحمل الرجال هناك أي سلاح، ولكن سيكون مسموحًا لهم بأن يحكموا ويديروا شئونهم الخاصة. ولكن سيساعدون في إعادة بناء أيزنجارد التي قاموا بتدميرها في طيش وتهور، وسوف تكون هذه ملكًا لساورون، وهناك سوف يسكن قائده: ليس سارومان، ولكن واحدًا أكثر جدارة بالثقة».

ولما نظروا في عيني الرسول قرءوا أفكاره. كان هو الذي سيكون ذلك القائد، وسوف يجمع كل من تبقوا من الغرب تحت سيطرته؛ سوف يكون طاغيتهم وهم سيكونون عبيده.

ولكن جَنْدَلْف قال: «هذا كثير أن يُطلب لقاء تسليم خادم واحد: أن يحصل سيدك مقابل ذلك ما ينبغي عليه أن يخوض حروبًا كثيرة ليكسبه لولا ذلك! أم أن حقل جوندور دمر أمله في الحرب، أي ضمانة لنا أن ساورون، سيد الخيانة الوضيع، سوف يفي بما يخصه من الوعد؟ أين هو الأسير؟ دعهم يخرجونه ويجعلونه تحت سيطرتنا وخاضعًا لنا، وعندئذ سوف نفكر في هذه المطالب».

وبدا عندئذ لجَنْدَلْف، وهو مصمم، يراقبه كرجل انخرط في مبارزة مع خصم فتاك، أن الرسول كان لبرهة حائرًا مرتبكًا؛ ولكن سريعًا راح يضحك مرة أخرى، وصاح قائلًا: «لا تتراشق الكلمات في غطرستك وصلفك مع المتحدث باسم ساورون! أنت تطلب ضمانة! ساورون لا يعطي أي ضمانة. إذا كنت تتوسل طلبًا لرحمته فيجب عليك أولًا أن تفعل ما يأمرك به. هذه هي شروطه. خذها أو اتركها!».

وقال جَنْدَلْف فجأة: «هذه سوف نأخذها!». وألقى بمعطفه جانبًا وسطع ضوء أبيض مثل سيف في ذلك المكان المظلم. وتراجع الرسول البغيض أمام يده المرفوعة، وتقدم جَنْدَلْف وقبض على الأمارات وأخذها منه: المعطف، والدرع، والسيف، وصاح قائلًا: «هذه سوف نأخذها تذكارًا لصديقنا. ولكن فيما يخص شروطك، فإننا نرفضها على الإطلاق. اغرب عن وجهي؛ لأن سفارتك قد انتهت والموت قريب منك. إننا لم نأت إلى هنا لنضيع الكلمات في التعامل مع ساورون، الخائن والملعون؛ ناهيك عن واحد من خدامه وعبيده. اغرب عن وجهي!».

عندئذ لم يعد رسول موردور يضحك. وامتعض وجهه باندهاش وغضب بما يشبه حيوانًا وهو يجثم على فريسته ضُرب بقضيب لاسع على أنفه. وملأه الغضب والحنق وسال فمه باللعاب، وجاءت أصوات عديمة الأشكال من غضب وحنق خارجة مخنوقة من حلقه. ولكنه نظر إلى وجوه القادة الضارية الشرسة وأعينهم الفتاكة، وغلب الخوف حنقه وغضبه. وصرخ صرخة عظيمة، واستدار، وقفز على جواده، ومع رفاقه انطلق يعدو في جنون عائدًا إلى سِثْرِيث جورجور. ولكن بينما كان جنوده ينطلقون أطلقوا أبواقهم في إشارة تم ترتيبها منذ زمن طويل؛ وحتى قبل أن يصلوا إلى البوابة أطلق ساورون مصيدته.

ودوت الطبول وارتفعت النيران لأعلى. وتراجع البابان العظيمان للبوابة السوداء بوابة الظلام للوراء منفتحين على مصراعيهما. وخرج منها متدفقًا حشد كبير سريعًا مثل المياه الدائرة في دوامة عند رفع بوابة السد.

وركب القادة خيلهم مرة أخرى وانطلقوا عائدين، وارتفعت من حشد من موردور صرخة كلها سخرية واستهزاء. وارتفع الغبار يخنق الهواء، بينما انطلق من مكان قريب جيش من الشرقيين كان ينتظر الإشارة في ظلال إيريد ليثوي فيما وراء البرج البعيد. وتدفق من أسفل من التلال على كل جانب من جانبي الموارنون أعداد من الأوركيين لا حصر لهم. ووقع رجال الغرب في مصيدة، وسريعًا وفي الحال، في كل مكان حول التلال الرمادية التي كانوا يقفون فيها، سوف تطوقهم قوات قوامها عشرة أضعاف وأكثر من عشرات أضعاف عددهم في بحر من الأعداء. لقد التقم ساورون الطعم الذي قدم له بين فكين من فولاذ.

لم يُترك لأراجورن إلا القليل من الوقت لترتيب معركته. وقف فوق تل من التلال هو وجَنْدَلْف، وهناك ارتفعت راية الشجرة والنجوم جميلة ويائسة. وفوق التل الآخر على قاب قوسين وقفت رايات روهان ودُول أمروث، الحصان الأبيض والإوزة الفضية. وحول كل تل من التلال صُنعت حلقة تواجه جميع الطرق، متخذة مواقف قتالية بالحراب والسيوف. ولكن في المقدمة باتجاه موردور حيث كان الهجوم المر والقاسي الأول سوف يأتي وقوف أبناء إلروند على اليسار ومن حولهم الدونادانيين، وعلى اليمين الأمير إمراهيل ومعه رجال دُول أمروث طوال وجميلون، ورجال منتقون من برج الحراس.

وهبت الريح، وغنت الأبواق والأنْفَارُ، وأزت السهام؛ ولكن الشمس عندئذ وكانت تصعد باتجاه الجنوب تغطت في أدخنة موردور، ومن خلال غيم مهدد متوعد راحت تتوجه، بعيدة، بلون أحمر كئيب، كما لو كانت في نهاية اليوم، أو ربما نهاية كل عالم الضوء. ومن الضباب المتكاثر جاءت أطياف النازجول بأصواتهم التي تصيب الجسد بالقشعريرة والبرودة يصيحون بكلمات الموت؛ وعندئذ انطفأ وخمد كل أمل.

كان بيبين قد انحنى يسحقه الرعب عندما سمع جَنْدَلْف يرفض الشروط ويحكم على فرودو بعذاب البرج؛ ولكنه سيطر على نفسه، وإذا به الآن يقف إلى جوار برجوند في الصف الأمامي لجوندور مع رجال إمراهيل؛ لأنه بدا له أنه من الأفضل أن يموت حالًا وأن يترك قصة حياته المريرة، ومادام كل شيء قد ضاع وصار إلى دمار.

«أتمنى لو كان ميري هنا» سمع نفسه يتحدث بهذه الكلمات، وراحت أفكار سريعة تتسابق في عقله، بينما كان يشاهد العدو يأتي متدافعًا ومهاجمًا بكل قوة. «حسنًا، حسنًا، الآن على أية حال أفهم دنثور المسكين فهمًا أفضلَ قليلًا. ربما نموت معًا، أنا وميري، وحيث إن الموت محتوم علينا، لم لا؟ حسنًا، حيث إنه ليس هنا، أتمنى له أن يجد نهاية أسهل. ولكن الآن يتوجب علي أن أبذَل قصارى جهدي».

واستل سيفه ونظر إليه، والأشكال الحمراء والذهبية المتشابكة؛ وتوهجت حروف نومينور المتدفقة مثل النار على نصل السيف، وفكر «لقد صُنع هذا لتلك الساعة. لكم أتمنى أن لو أستطيع أن أقتل ذلك الرسول البغيض به، عندئذ يمكنني أن أتساوى مع ميري. حسنًا، سوف أقتل بعضًا من هذا الجنس البوهيمي قبل النهاية. أتمنى لو استطعت أن أرى ضوء الشمس البارد والعشب الأخضر مرة أخرى!».

عندئذ وبينما كان يفكر في هذه الأشياء انطلق الهجوم الأول عليهم ساحقًا. لما كانت برك الوحل التي كانت توجد أمام التلال قد أعاقت الأوركيين فإنهم توقفوا وراحوا يمطرون الصفوف المدافعة بوابل من سهامهم. ولكن جاءت عبرهم تمشي بخطى واسعة،

وتزأر مثل البهائم، مجموعة كبيرة من غيلان التلال خارجة من جورجوروث[1]. كانوا أطول وأعرض من البشر، ولم يكونوا مرتدين سوى شبكة من قشور صلبة شديدة الالتصاق بأجسادهم، وربما كان ذلك جلدهم البغيض؛ ولكنهم كانوا يحملون تروسًا دائرية ضخمة وسوداء وكانوا يستخدمون مطارق ثقيلة في أيديهم كثيرة العقد. وانطلقوا في طيش غير هيابين إلى البرك وراحوا يخوضون فيها، وهم يخورون في تقدمهم. وانقضوا على صف رجال جوندور مثل عاصفة، وراحوا يضربون فوق الخوذات وفوق الرءوس، والأذرع والدروع، كحدادين يقطعون الحديد الساخن المثني. كان برجوند مذهولًا ومقهورًا إلى جوار بيبين، وسقط على الأرض؛ وانحنى فوقه رئيس الغيلان العظيم الذي ضربه هذه الضربة التي أوقعته على الأرض، ومد مخلبه إليه؛ لأن تلك المخلوقات البشعة يمكن أن تقضم حلوق أولئك الذين يطرحونهم أرضًا.

عندئذ تقدم بيبين للأمام في سرعة، واخترق سيف البلاد الغربية وما عليه من كتابة منقوشة الجلد وغار عميقًا إلى الأعضاء الحيوية للغول، وانبجث دمه الأسود متدفقًا بشدة. وسقط للأمام وانهار على الأرض مثل صخر ضخم يرتطم بالأرض، دافنًا أولئك الذين كانوا تحته. وحل ببيبين سواد ورائحة نتنة وألم ساحق، وتلاشى عقله وغار في ظلمة عظيمة.

«هكذا تنتهي مثلما خمنت أنها ستنتهي» قال له فكره ذلك، بينما كان يرفرف بعيدًا؛ وضحك قليلًا داخله[2] قبل أن يفر هاربًا، وهو يكاد يكون سعيدًا مرحًا فيما يبدو ليكون بذلك قد بدد كل شك وهم وخوف أخيرًا. وعندئذ بينما كان يطير بعيدًا بأجنحته إلى عالم النسيان سمع أصواتًا، وبدا أنها تصبح في عالم منسي بعيدًا من فوقهم:

«النسور قادمة! النسور قادمة!».

وللحظة أخرى راح فكر بيبين يرفرف وقال: «بيلبو! ولكن لا! جاء ذلك في حكايته، منذ زمن طويل طويل. هذه حكايتي، وهي انتهت الآن. إلى اللقاء!». وطار فكره بعيدًا ولم تر عيناه أي شيء بعد ذلك.

(1) Gorgoroth جبال الرعب [<Mountains of Terror>]، وتسمى أيضًا [Ered Gorgoroth]. (المترجم)

(2) ضمير الغائب في هذه الفقرة يشير إلى «الفكر» (أفكار بيبين)، إلا في هذه الكلمة فقط [داخله] فإنه يعود إلى بيبين نفسه. (المترجم)

الكتـاب السـادس

الفصل الأول
بــرج تيــريــث أنجــول

ورفع سام نفسه في ألم من على الأرض. وتساءل للحظة عن المكان الذي كان فيه، وعندئذ عاد إليه كل البؤس واليأس. كان في الظلمة العميقة خارج البوابة السفلية لمعقل الأوركيين؛ وكانت أبوابها النحاسية موصدة. لا بد أنه غاب عن الوعي عندما ألقى بنفسه عليهم؛ ولكن كم من الزمن رقد هناك، فهذا لا يعرفه. عندئذ فقد كان على نور موقده، يائسًا وحانقًا؛ وبعد ذلك صار يرتجف من فرط البرد. وراح يحبو زاحفًا إلى الأبواب ووضع أذنيه عليها يتصنت.

وبعيدًا في الداخل استطاع أن يسمع على نحو خافت ضعيف أصوات ضجيج الأوركيين وصخبهم، ولكنهم في الحال توقفوا ولم يعد يسمعهم، وكان كل شيء ساكنًا صامتًا. كانت رأسه تؤلمه وكانت عيناه تريان أضواء وهمية في الظلمة، ولكنه ناضل ليثبت نفسه ويفكر. كان واضحًا على أية حال أنه لم يكن لديه أي أمل في الوصول إلى معقل الأوركيين عن طريق تلك البوابة؛ ربما ينتظر هناك لأيام قبل أن تفتح، ولم يكن يستطع الانتظار: كان الوقت ثمينًا إلى أبعد الحدود. لم يعد لديه أي شك بشأن مهمته: ينبغي عليه أن ينقذ سيده أو يهلك في المحاولة.

«الهلاك أكثر احتمالًا، وسوف يكون أيسر على أية حال». قال ذلك لنفسه في تجهم، وهو يغمد سيف فرودو ستينج واستدار بعيدًا عن الأبواب النحاسية. وراحل ببطء يتحسس طريقه عائدًا في الظلمة عبر النفق، ولم يتجرأ على استعمال المصباح الجني؛ وبينما كان يسير حاول أن يرتب الأحداث مع بعضها منذ أن غادر هو وفرودو مفترق الطرق. وتساءل كم كان الوقت عندها. قرابة يوم واليوم التالي تقريبًا، حسب افتراضه؛ ولكنه حتى الأيام قد ضاع منه عددها. لقد كان في أرض من ظلام حيث بدت أيام العالم منسية، وحيث كان كل شيء يدخل إليها يصبح منسيًا أيضًا.

وقال: «إنني لأتساءل إذا كانوا يفكرون فينا على الإطلاق، وما الذي يحدث لهم هناك بعيدًا». ولوح بيده في غموض في الهواء أمامه؛ ولكنه كان في حقيقة الأمر عندئذ يقف باتجاه الجنوب، مثلما جاء إلى نفق شيلوب، وليس الغرب. وفي الخارج باتجاه الغرب في العالم كانت الدنيا تقترب من وقت الظهيرة في اليوم الرابع عشر من مارس في تقويم المقاطعة، وبينما كان أراجورن في هذا الوقت يقود الأسطول الأسود من بيلارجير، وكان ميري يسير مع الروهيريميين عبر وادي ستومين، في حين كانت ألسنة اللهب في

ميناس تيريث ترتفعُ وكان بيبين يشاهد الجنون يزداد في عيني دنثور. ولكن وسط كل همومهم وخوفهم، فإن الأفكار بشأن أصدقائهم تولت بشكل مستمر إلى فوردو وسام. لم يكونا منسيين. ولكنهما كانا بعيدين خارج نطاق كل مساعدة، ولم يكن بإمكان أي تفكير بعد أن يمنح أي مساعدة لساموايز بن هامفاست؛ لقد كان وحيدًا بكل معنى الكلمة.

وعاد أخيرًا إلى الباب الحجري لممر الأوركيين، وكان لا يزال غير قادر على اكتشاف المزلاج أو لسان القفل الذي كان يمسكه، وراح يزحف في وهن كما فعل من قبل وسقط برفق وفي هدوء على الأرض. عندئذ راح يشق طريقه خلسة إلى منفذ نفق شيلوب، حيث كانت أسمال شبكتها العظيمة لا تزال تهب وتتأرجح في الأجواء الباردة؛ لأنها بدت باردة لسام بعد الظلمة الكريهة وراءه؛ ولكن نفس هذه الأجواء أنعشته. وراح يزحف في حذر نحو الخارج.

كان كل شيء حوله هادئًا بشكل ينذر بسوء. لم يعد الضوء أكثر من ضوء الغسق في نهاية يوم مظلم. ومرت الأبخرة الهائلة التي ارتفعت في موردور وراحت تتدفق باتجاه الغرب، مرت واطئة فوق رأسه، كتلة هائلة من سحاب ودخان راحت الآن تضيء مرة أخرى من أسفل بوهج كئيب أحمر.

ونظر سام لأعلى باتجاه برج الأوركيين، وفجأة من نوافذه الضيقة برزت أضواء مثل أعين صغيرة حمراء. وتساءل إذا كانت هذه إشارة ما. وعاد إليه عندئذ خوف من الأوركيين الذي كان قد نسيه للحظة في حنقه ويأسه. وبقدر ما استطاع أن يرى، لم يكن هناك سوى مسار واحد محتمل بالنسبة له عليه أن يسلكه؛ ينبغي عليه أن يستمر ويحاول العثور على المدخل الرئيسي إلى هذا البرج المخيف؛ ولكنه شعر بالضعف في ركبتيه، ووجد أنه كان يرتعش. وسحب عينيه لأسفل من البرج وقرون الصدع الذي كان أمامه، وأرغم قدميه الكارهتين على أن تطيعاه، وفي بطء، وهو ينصت بكل حواسه، محدقًا في ظلال الصخور الكثيفة بجانب الطريق، وعاد على عقبيه، أمام المكان الذي سقط فيه فرودو، ولا تزال رائحة شيلوب النتنة عالقة بالمكان، وبعد ذلك واصل سيره ثم صعد، حتى وقف مرة أخرى في نفس الشق الذي كان قد لبس فيه الخاتم ورأى مجموعة شاجرات تمر.

وهناك توقف وجلس. وفي هذه اللحظة لم يستطع أن يدفع نفسه أكثر من ذلك. أحس أنه لو حدث وذهب إلى ما وراء قمة الطريق وخطا خطوة واحدة بالفعل لأسفل إلى أرض موردور، فإن تلك الخطوة لن يكون بالإمكان التراجع فيها. لن يستطيع الرجوع أبدًا. بدون أي غرض واضح أخرج الخاتم ولبسه مرة أخرى. وعلى الفور أحس بعبء وزنه الثقيل، وأحس من جديد، ولكنه الآن أكثر قوة وإلحاحًا من أي وقت مضى، بحقد

عين موردور، الباحثة الفاحصة، محاولة أن تخترق الظلال التي كانت قد صنعتها للدفاع عن نفسها، ولكنها هي الآن نفس الظلال التي راحت تعيقها في قلقها وشكها.

وكما حدث من قبل، وجد سام أن سمعه قد صار حادًا، ولكنه وجد أن أشياء هذا العالم قد صارت بالنسبة لبصره هزيلة ومبهمة غامضة. كانت جدران الطريق الصخرية شاحبة باهتة، كما لو كان يراها عبر سحابة من سديم، ولكن مازال يسمع من على بعد مسافة بقبقة شيلوب في تعاستها؛ وسمع صرخات وارتطام المعادن، وقد بدا ذلك أجش وواضحًا، وقريبًا للغاية. وقفز على قدميه، وألصق نفسه في الجدار بجانب الطريق. كان سعيدًا بالخاتم؛ لأنه كانت هناك جماعة أخرى من الأوركيين سائرة. أو هكذا ظن في بداية الأمر. عندئذ أدرك فجأة أن الأمر لم يكن كذلك، لقد خانه سمعه: لقد كانت صرخات وصيحات الأوركيين تأتي من البرج، والذي كان أعلى قرن فيه أنذاك فوقه مباشرة، إلى يسار الشق.

وارتجف سام وحاول أن يرغم نفسه على الحركة. كان فيما يبدو أن هناك بعض الأعمال تجري من حوله. ربما يكون الأوركيون بالرغم من جميع الأوامر قد سيطرت عليهم شراسة وقسوة الأوركيين، وكانوا يعذبون فرودو، أو حتى يقوموا بتقطيعه إربًا في ضراوة ووحشية. وراح ينصت؛ وبينما كان يفعل ذلك عنّ له وميض من أمل. ما كان ليكون هناك شك كثير: كانت هناك معركة في البرج، لا بد أن الأوركيين يتقاتلون فيما بينهم، لقد تقاتل شاجرات وجورباج. على الرغم مما كان عليه الأمل الذي جلبه له تخمينه من ضعف، إلا أنه كان كافيًا ليوقظه. ربما لا يكون هناك سوى فرصة. إن حبه لفرودو سما فوق كل الأفكار الأخرى، وصاح وقد نسي خطره: «إنني قادم يا فرودو!».

وجرى للأمام إلى الممر الصاعد ومنطلقًا فوقه. وفي الحال دار الطريق شمالًا وغار في انحدار شديد لأسفل. لقد عبر سام إلى موردور.

وخلع الخاتم، وحركه، ربما يكون مدفوعًا بهاجس عميق من خطر، على الرغم من أنه بالنسبة لنفسه لم يكن يفكر إلا في رغبته في أن يرى بوضوح أكثر، وغمغم قائلًا: «من الأفضل إلقاء نظرة على الأسوأ. ليست هناك فائدة من التخبط في ضباب!».

كانت الأرض التي اصطدم بها بصره صلبة وقاسية وموجعة. راحت أعلى سلسلة من سلسلة جبال إيفيل دواث تنخفض بشكل شديد الانحدار في جُرف هائل هابط إلى حوض مظلم، وعلى الجانب البعيد من سلسلة الجبال ارتفعت سلسلة أخرى، أكثر انخفاضًا بكثير، وكانت حافتها محززة ومسننة بصخور مثل مخالب وأنياب برزت

سوداء في وجه الضوء الأحمر وراءها: لقد كانت سلسلة مورجاي[1]، الحلقة الداخلية من أسوار البلاد. وفيما وراء ذلك بكثير، ولكن في خط مستقيم للأمام تقريباً، عبر بحيرة شاسعة من ظلمة منقطة بنيران ضئيلة، كان هناك وهج ضخم محترق؛ ومنه ارتفع في أعمدة هائلة دخان متعرج، أحمر كالغبار عند الجذور، أسود من فوق حيث اندمج إلى ظُلة منتفخة راحت تغطي جميع الأرض الملعونة.

كان سام ينظر إلى جبل أورودروين[2]، جبل النار. ومن وقت لآخر كانت الأفران أسفل مخروطه الرمادي تصبح أكثر حرارة وفي تدافع عظيم وارتجاف هائل تقذف أنهارًا من صخر مذاب من أخاديد في داخلها. كان بعضها يتدفق متوهجًا باتجاه باراد دُور عبر قنوات كبيرة؛ وكان بعضها يشق طريقه متعرجًا إلى السهل الصخري، حتى تبرد وترقد مثل أشكال تنين ملتوية قذفتها الأرض المعذبة. وفي تلك الساعة من العناء رأى سام جبل الهلاك، وضوءه، وقد حجبه ذلك الحاجز العالي لسلسلة إيفيل دُواث من أولئك الذين يصعدون الطريق من الغرب، راح يتوهج أنذاك قبالة أسطح الصخور القاسية، حتى بدت وكأنها مضرجة بالدماء.

وفي ذلك الضوء المخيف وقف سام مذهولاً؛ لأنه في ذلك الوقت، وهو ينظر إلى شماله، كان يرى برج سيريث أنجول بكامل قوته. أما القرن الذي كان قد رآه من الجانب الآخر فلم يكن سوى برج الهجوم العلوي فيه. أما وجهه الشرقي فكان يقف في ثلاث طبقات عظيمة من رف صخري في جدار الجبل أسفل منه بكثير؛ وكانت واجهته الخلفية لجُرف هائل وراءه، وكان يبرز منه في حصون مدببة بارزة، واحد فوق الآخر، وهي تتضاءل كلما ارتفعت، وبجوانب شديدة الانحدار من بناء غاية في البراعة كان يطل نحو الشمال الشرقي والجنوب الشرقي. وعند الطبقة الدنيا تقريباً، على مسافة مائتي قدم من المكان الذي كان سام يقف عنده، كان هناك جدار به شرفات مفرجة يحيط ببهو ضيق. وكانت بوابته، في الجانب الجنوبي الشرقي القريب، تفتح على طريق واسع، وكان المتراس الخارجي له يسير على حافة جرف حتى دار جنوباً وراح يسير متعرجًا هابطًا إلى الظلمة ليلتحم مع الطريق الذي كان يسير إلى طريق مورجول. عندئذ راح يواصل سيره عبر شق مسنن في سلسلة مورجاي خارجًا إلى وادي جورجوروث وبعيدًا إلى باراد دُور. أما الطريق العلوي الضيق الذي كان سام يقف فوقه فقد قفز سريعًا هابطًا عن طريق سلم وطريق شديد الانحدار ليقابل الطريق الرئيسي أسفل الجدران الكالحة المتاخمة لبوابة البرج.

(1) Morgai ومعناها <Black Fence> أي السور الأسود. (المترجم)

(2) Orodruin وهو <Mountain of Blazing Fire> أي جبل النار المتوهجة، في موردور، الذي صنع فيه ساورون خاتم السلطة، ويسمى أيضا [Amon Amarth] و[<Mount Doom>] أي جبل الهلاك. (المترجم)

وبينما كان سام يحدق فيها فهم فجأة، وهو مصدوم تقريباً، إن هذا الحصن قد بُني ليس ليبعد الأعداء عن موردور ويبقيهم خارجها بل ليبقيهم داخلها. لقد كان حقًا أحد أعمال جوندور منذ زمن طويل، مخفر أمامي شرقي من دفاعات إثيلين، صُنع عندما كان بشر البلاد الغربية بعد التحالف الأخير يراقبون أرض ساورون الشريرة حيث كانت مخلوقاته لا تزال راقدة مختبئة. ولكن مثلما هي الحال مع ناركوست وكاركوست، برجي الأسنان، هنا أيضًا أخفق كل الحذر واليقظة، وقد أخضعت الخيانة البرج لسيد أطياف الخاتم، والآن على مدار سنين طويلة كانت تسيطر عليه أشياء شريرة. منذ عودة ساورون إلى موردور فإنه وجد ذلك مفيدًا ونافعًا؛ لأنه كان لديه خدام قليلون ولكن كان لديه الكثير من عبيد الخوف، وكان غرض ذلك الرئيسي مع ذلك مثلما كان في الماضي هو منع الهرب من موردور. على الرغم من أنه لو أن عدوًا كان متهورًا للغاية بحيث يحاول الدخول إلى تلك البلاد في السر، ففي هذه الحالة فقد كانت هناك حراسة أخيرة يقظة دومًا لا تنام تحسبًا لأي شخص ربما يتخطى يقظة وحذر مورجول وشيلوب.

رأى سام بوضوح على نحو لا يدع مجالًا لأي شك مدى اليأس الذي كان الأمر سيكون عليه بالنسبة له أن يزحف هابطًا أسفل تلك الجدران ذات العيون الكثيرة ويعبر البوابة اليقظة الحذرة. وحتى لو أنه فعل ذلك، فإنه لن يتمكن من الذهاب بعيدًا على الطرق المحروسة على الجانب البعيد: ولا حتى الظلال السوداء، التي ترقد عميقة حيث لا يمكن للوهج الأحمر أن يصل إليها، يمكن أن تحجبه طويلًا من الأوركيين ذوي العيون الحادة التي ترى في ظلمة الليل. ولكن لما كان ذلك الطريق من اليأس على ما هو عليه، فإن مهمته كانت الآن أكثر سوءًا بكثير: ليس لأن يتجنب البوابة ويهرب، ولكن ليدخل البوابة وحده.

وتحول تفكيره إلى الخاتم، ولكن لم يكن فيه أي عزاء، الخوف والخطر فقط. ولم يكد يأتي في مجال رؤية جبل الهلاك الذي كان يتحرق بعيدًا، حتى أدرك تغييرًا في حمله. وبينما كان يقترب من الأفران الكبيرة، والتي كانت قد تشكلت وصيغت في أعماق الأزمـان، زادت قوة الخاتم ، وأصبح أكثر ضراوة، لا يمكن ترويضه أو السيطرة عليه إلا أن يكون ذلك بإرادة قوية ما. وبينما كان سام يقف هناك، حتى ولو لم يكن لابسًا الخاتم ولكن يعلقه من سلسلته حول رقبته، فإنه أحس بنفسه يكبر، كما لو كان مكسوًا بظل ضخم مشوه من نفسه هو، وتوقف على جدران موردور تهديد هائل ومنذر بالشر والسوء. لقد أحس أنه من ذلك الوقت فصاعدًا كان لديه خياران فقط: أن يُمسك عن استخدام الخاتم، على الرغم من أنه سوف يعذبه؛ أو أن يأخذه

لنفسه، وأن يتحدى القوة التي كانت ترقد في معقلها المظلم فيما وراء ظلال الوادي.
لقد كان الخاتم يغريه بالفعل، ينخر في إرادته وعقله، وثارت في عقله خيالات جامحة؛
ورأى ساموايز القوي، بطل العصر، يسير بخطى واسعة بسيف متوهج عبر الأرض
التي غمرتها الظلمة، وهناك جيوش محتشدة بانتظار أوامره وهو يسير إلى قهر باراد
دور. وعندئذ انقشعت جميع السحب، وراحت الشمس البيضاء تومض، وبأمر منه
أصبح وادي جورجوروث حديقة من زهور وشجر وراح يثمر. كان كل ما عليه أن
يفعله هو أن يلبس الخاتم ويحوز ملكيته لنفسه، ويمكن أن يكون كل ذلك.

في تلك الساعة من الاختبار، كان حبه لسيده هو الذي ساعده أكبر مساعدة في
الحفاظ على تماسكه؛ ولكن أيضًا في أعماق أعماقه كانت حاسته الهوبيتية لا تزال تعيش
دون أن تقهر: كان يعلم في جوهر قلبه أنه لم يكن كبيرًا بالشكل الكافي ليحمل ذلك
الحمل، حتى لو لم تكن تلك الرؤى مجرد خداع ليخدع نفسه. الحديقة الواحدة الصغيرة
لبستاني حر كانت كل ما يحتاج إليه ويطلبه، وليست حديقة تكبر وتتسع لتصبح مملكة؛
أن يستخدم يديه هو، لا أيدي آخرين يكون آمرًا عليهم.

وقال لنفسه: «وعلى أية حال كل هذه الأفكار ليست سوى خدعة. لقد حدد مكاني
ويحاول إخافتي وترويعي، حتى قبل أن أتمكن من الصراخ. سوف يحدد مكاني،
بسرعة جيدة، إذا أنا لبست الخاتم الآن، في موردور. حسنًا، كل ما أستطيع قوله هو:
الأشياء تبدو ميئوسًا منها مثل صقيع في نبع ماء. وعندما يكون فقط غير مرئي، فإنه
سيكون حقًا مفيدًا نافعًا، لا يمكنني أن أستخدم الخاتم! وإذا حدث على الإطلاق وسرت
متقدمًا أكثر من ذلك، فإن ذلك لن يكون شيئًا سوى حمل وعبء أحمله مع كل خطوة.
إذن ما الذي ينبغي علي أن أفعله؟».

لم يكن في حقيقة الأمر يساوره أي شك. كان يعلم أنه ينبغي عليه أن يهبط إلى البوابة
وألا يتأخر أكثر من ذلك. وبهزة من كتفيه، كما لو كان ينفض الظل ويطرد الأشباح
والظلال، بدأ يهبط في بطء. ومع كل خطوة بدا أنه يتضاءل. لم يكن قد ذهب بعيدًا حتى
جبن مرة أخرى منكمشًا إلى هوبيتي صغير وخائف للغاية. كان آنذاك يمر أسفل جدران
البرج ذاتها، وكان يسمع صرخات وأصوات القتال بأذنيه العاديتين دون مساعدة لهما.
وفي هذه اللحظة بدت الضوضاء قادمة من البهو الذي كان وراء الجدار الخارجي.

كان سام في منتصف الطريق تقريبًا عبر الطريق عندما جاء أوركيان يجريان من
البوابة المظلمة إلى الوهج الأحمر. لم يلتفتا باتجاهه. كانا يجريان باتجاه الطريق الرئيسي؛
ولكن عندما كانا يجريان تعثرا وسقطا على الأرض ورقدا ساكنين. لم ير سام أي سهام،
ولكنه خمن أن يكون الأوركيان قد تعرضا للرمي والقتل من جانب آخرين في الشرفات

المفرجة أو غيرهم من المختبئين في ظل البوابة. وواصل سيره، وهو يتحسس الجدار
إلى يساره. وقد أظهرت له نظرة واحدة لأعلى أنه لم يكن هناك أي أمل في تسلق
الجدار. كان العمل الحجري يرتفع مسافة ثلاثين قدمًا، وبدون شق أو رف ناتئ، إلى
مسارات معلقة مثل الدرجات المعكوسة. كانت البوابة هي الطريق الوحيد.

وراح يواصل زحفه؛ وبينما كان يتقدم كان يتساءل عن عدد الأوركيين الذين كانوا
يعيشون في البرج مع شاجرات، وكم كان عدد الذين مع جورباج، وماذا كان سبب
شجارهما، إذا كان ذلك هو ما يحدث. كان يبدو أن مجموعة شاجرات حوالي
الأربعين، أما مجموعة جورباج فكان يبدو أنها ضعف ذلك العدد؛ ولكن بالطبع فإن
دورية شاجرات لم تكن سوى جزء من حميته. وبشبه تأكيد كانا يتشاجران بشأن
فرودو، والغنائم. وتوقف سام لثانية؛ لأن الأشياء بدت فجأة واضحة له، تقريبًا كما لو
كان قد رآها بعينيه. معطف الميثريل! بالطبع، كان فرودو يلبسه، وسوف يجدونه.
ومما كان سام قد سمعه فإن جورباج سيطمع فيه. ولكن أوامر برج الظلام كانت في
الوقت الحالي حماية فرودو فقط، وإذا تم إغفال هذه الأوامر فإن فرودو ربما يُقتل
دون تأخير في أي لحظة.

وصاح سام محدثًا نفسه: «هيا، أيها الكسلان التعيس! الآن هذه فرصتك!». واستل
السيف ستينج وجرى باتجاه البوابة المفتوحة. ولكن بينما كان على وشك المرور تحت
قنطرتها الكبيرة شعر بصدمة: كما لو كان قد جرى إلى شبكة مثل شبكة شيلوب، كل ما
هنالك أنها كانت غير مرئية. لم يكن يرى أي عقبة، ولكن شيئًا ما قويًا للغاية بحيث
لا يمكن لإرادته التغلب عليه سد طريقه. ونظر حوله، وعندئذ في نطاق ظل البوابة،
رأى الحارسين.

كانا مثل شكلين عظيمين جالسين على عرشين. كان لكل واحد منهما ثلاثة أجساد
مشتركة، وثلاثة رءوس تطل نحو الخارج، وعلى ركبهما العظيمة أيد موضوعة مثل
المخالب. بدا أنهما قد نحتا من كتلة ضخمة من حجر، لا يمكن تحريكها، ومع ذلك كانا
يدركان: كانت تسكن فيهما أرواح مخيفة من يقظة شريرة. كانا يعرفان العدو. لم يكن
لأحد أن يستطيع المرور مرئيًا كان أو غير مرئي. كانا سيمنعان دخوله أو هروبه.

وقوى سام من عزيمته واندفع بقوة للأمام مرة أخرى، وتوقف في حركة مفاجئة،
وهو يترنح كما لو كان من جراء ضربة على صدره ورأسه. عندئذ وفي جرأة عظيمة؛
لأنه لم يكن يستطيع التفكير في أي شيء آخر يفعله، واستجابة لفكرة مفاجئة خطرت
بباله، أخرج ببطء قنينة جلادريل وأمسك بها في يده. وراح ضوءها الأبيض يسرع
بسرعة، وفرت الظلال التي كانت تحت القنطرة المظلمة. وجلس الحارسان الوحشيان
في مكانيهما باردين ساكنين، وقد ظهرا بشكليهما البشعين. وللحظة لمح سام وميضًا في

محاجر أعينهما السوداء، وقد جعله الحقد الذي كان في هذا الوميض يوجل ويجبن؛ ولكنه شعر ببطء بإرادتهما تضطرب وتضعف وتنكمش متحولة إلى خوف.

وقفز أمامهما؛ ولكن بينما كان يفعل ذلك، وهو يقحم القنينة في صدره، أدرك، بكل وضوح، كما لو كان قضيبًا من حديد قد تحرك سريعًا وراءه، أن يقظتهما قد تجددت. ومن تلك الرءوس الشريرة جاءت صرخة حادة عالية لدرجة أن صداها تردد في الجدران المرتفعة أمامه. ومن فوقه لأعلى، دق جرس عال أجش الصوت بضربة واحد مثل إشارة استجابة.

وقال سام: «هكذا انتهى الأمر! والآن فقد دققتُ جرس الباب الأمامي!». وصاح: «حسنًا، ليأتي أحدكم! لتخبر القائد شاجرات أن المحارب الجني قد جاء ويطلبه، بسيفه الجني أيضًا!».

ولم تأته أي إجابة. وتقدم سام للأمام بخطى واسعة. وراح ستينج يومض بوهج أزرق في يده. كان الفناء يرقد في ظل عميق، ولكنه استطاع أن يرى أن الرصيف كان مكسوًا بجثث مبعثرة عليه. وعند قدميه مباشرة كان هناك راميان أوركيان وسيوف مغروزة في ظهورهما. وفي الوراء كانت ترقد الكثير والكثير من الأشكال؛ كان بعضها فرادى حيث كانوا قد قطعت رءوسهم أو رُموا بالسهام؛ وكان آخرون في أزواج، لا يزالون يتعاركون مع بعضهم البعض، يسقطون قتلى من جراء آلام الطعنات المبرحة، والخنق والعض. كانت الحجارة زلقة من الدم الأسود.

لاحظ سام نوعين من الزي، أحدهما كانت عليه علامة العين الحمراء، أما الآخر فكانت عليه علامة القمر مشوهًا بوجه موت شبحي مروع؛ ولكنه لم يتوقف لينظر عن كثب أكثر.

وعبر البهو كان يقف نصف مفتوح باب عظيم عند أسفل البرج، وجاء خلاله ضوء أحمر؛ وكان يرقد هنالك ميتًا أوركي ضخم على العتبة. وقفز سام فوق الجثة ودخل؛ وعندئذ حدق من حوله في حيرة وارتباك.

وراح ممر واسع يتردد فيه الصدى يقود للوراء من الباب باتجاه جانب الجبل. كان مضاء ضوءًا خافتًا بمشاعل تتماوج في أرفف على الجدران ولكن نهايتها البعيدة ضاعت في الظلمة. كان يمكن رؤية الكثير من الأبواب والفتحات في هذا الجانب وذاك؛ إلا أنه كان خاليًا إلا من جثتين أو ثلاث أخرى كانت ممتدة على الأرض. ومما كان سام قد سمعه من حديث القائدين علم أن فرودو سواء كان ميتًا أو حيًا يحتمل في الغالب أن يوجد في غرفة عاليًا في برج الهجوم العلوي؛ ولكن ربما سيستغرق البحث مدة يوم كامل قبل أن يعثر على الطريق.

وغمغم قائلًا: «سوف تكون قرب الجهة الخلفية، حسب تخميني. البرج كله يصعد فيما يشبه الرجوع للوراء. وعلى أية حال، من الأفضل أن أتبع هذه الأضواء».

وتقدم سائرًا عبر الممر، ولكن في بطء آنذاك، كل خطوة ودرجة أكثر امتعاضًا وكرهًا. كان الرعب قد بدأ يستولي عليه مرة أخرى. لم يكن هناك أي صوت باستثناء وقع قدميه، والذي بدا أنه يكبر متحولًا إلى ضوضاء يرجع صداها، مثل الضرب بأيد ضخمة على الصخور. الجثث؛ الخواء؛ الجدران السوداء شديدة الرطوبة التي بدت في ضوء المشاعل وكأن الدماء تتساقط منها؛ الخوف من موت مفاجئ كامن في طريق الباب أو الظل؛ وفيما وراء عقله كله الحقد المترقب الحذر عند البوابة: كان الأمر أكثر مما يمكن أن يجبر نفسه على مواجهته. كان سيرحب بأي معركة أو قتال ليس مع عدد من العدو أكثر من اللازم في آن واحد لا ذلك الشك الجاثم البشع الكئيب. وأرغم نفسه على التفكير في فرودو، وهو يرقد مقيدًا أو متألمًا أو ميتًا في مكان ما في هذا المكان المروع المخيف. وواصل سيره.

لقد مر وراء ضوء المشاعل، تقريبًا إلى باب مقنطر عظيم عند نهاية الممر، الجانب الداخلي للبوابة السفلية، حسبما خمن صوابًا، عندما جاءت من مكان عال من فوق صرخة مخيفة خانقة. وتوقف فجأة. عندئذ سمع الأقدام قادمة. كان هناك شخص ما يجري في عجلة هائلة عبر سلم من فوقه يُرجِع الصدى.

كانت إرادته ضعيفة وبطيئة للغاية بحيث لم يكبح يده ويسيطر عليها. وسحبت يده السلسلة وقبضت على الخاتم. ولكن سام لم يلبسه؛ لأنه بينما كان يمسك به على صدره، إذا بأوركي يأتي هابطًا يقعقع ويثرثر. وقفز من فتحة مظلمة في اليمين، وجرى[1] باتجاهه[2]. لم تكن المسافة أكثر من ست خطوات منه[3] عندما رآه لما رفع رأسه[4]؛ وكان سام يسمع نَفَسَه[5] اللاهث ويرى الوهج في عينيه المحتقنتين بالدم. وتوقف[6] فجأة مذعورًا فزعًا؛ لأن ما رآه لم يكن هوبيتيًا صغيرًا مرعوبًا خائفًا يحاول أن يمسك بسيف بثبات ورباطة جأش: إنه رأى شكلًا عظيمًا صامتًا، ملفوفًا في ظل رمادي، يلوح قبالة الضوء المرتجف وراءه؛ كان يمسك في إحدى يديه[7] سيفًا، كان مجرد

(1) الضمير المستتر يعود على الأوركي. (المترجم)
(2) الضمير يعود على سام. (المترجم)
(3) الضمير يعود على سام. (المترجم)
(4) الضمير يعود على الأوركي. (المترجم)
(5) الضمير يعود على الأوركي. (المترجم)
(6) الضمير يعود على الأوركي. (المترجم)
(7) الضمير يعود على الأوركي. (المترجم)

ضوئه ألمًا قاسيًا مُرًا، أما اليد الأخرى فقد كانت مضمومة إلى صدره، ولكنه كان يخفي تهديدًا مجهولًا لا اسم له من قوة ومن هلاك.

وللحظة جبن الأوركي، وبعد ذلك في قفزة بشعة من خوف استدار وفر عائدًا مثلما جاء. لم يحدث على الإطلاق أن تشجع كلب عندما استدار عدوه وفر هاربًا أكثر من سام بسبب ذلك الفرار غير المتوقع. وفي صيحة منه راح يجري مطاردًا.

وراح يصرخ ويصيح: «نعم! المحارب الجني قد تحرر وانطلق! إنني قادم. فقط أرني الطريق لأعلى، وإلا فسوف أسلخ جلدك وأسحلك!».

ولكن الأوركي كان في أوكاره، رشيقًا وقويًا من حسن التغذية. وكان سام غريبًا، جائعًا ومرهقًا. كانت السلالم عالية وشديدة الانحدار ومتعرجة. وبدأ نَفَس سام يأتي في دفعات من لهاث. وسريعًا اختفى الأوركي عن الأنظار، ولم يكن يسمع إلا صوت ضعيف خافت لوقع أقدامه وهو يجري صاعدًا. ومن وقت لآخر كان يطلق صرخة عالية، وكان صداها يجري عبر الجدران. ولكن بطيئًا خمدت جميع الأصوات.

وراح سام يتهادى في إعياء شديد. وأحس أنه كان على الطريق الصحيح، وقد ارتفعت روحه المعنوية بشكل كبير. ودفع الخاتم بعيدًا وشد حزامه مضيقًا إياه وقال: «حسنًا، حسنًا! لو أنهم جميعًا كرهوني وكرهوا سيفي ستينج بهذا القدر وعلى هذا النحو، فإن الأمور قد تسير على نحو أفضل مما كنتُ أتمنى. وعلى أية حال يبدو كما لو أن شاجرات وجورباج ورفاقهما قد قاموا تقريبًا بكل المهمة بالنيابة عني. باستثناء ذلك الجرذ الصغير المرعوب، أعتقد أنه ليس هناك أي أحد تُرك على قيد الحياة في المكان!».

وبهذه الكلمات توقف، لقد تم إيقافه بشدة، كما لو كان قد ضرب رأسه في الجدار الصخري. إن المعنى الكامل لما قاله جال بخاطره مثل ضربة شديدة وجهت له. ليس هناك أحد تُرك على قيد الحياة! لمن كانت تلك الصرخة المميتة المروعة؟ وصاح وهو يكاد ينشج بالدموع: «فرودو، فرودو! سيدي! إذا هم كانوا قد قتلوك، ما الذي سأفعله؟ حسنًا، إنني قادم أخيرًا، إلى القمة مباشرة، لأرى ما الذي يجب علي أن أراه».

وصعد لأعلى وصعد. كانت الدنيا ظلامًا باستثناء وجود مشعل من مكان لآخر يرفرف في نوبات، أو إلى جوار فتحة ما تقود إلى المستويات العليا من البرج. وحاول سام إحصاء درجات السلم، ولكن بعد مائتين ضاع منه العدد. كان يتحرك في هدوء في ذلك الوقت؛ لأنه ظن أنه سمع أصواتًا تتحدث، على بعد مسافة فوقه. كان لا يزال حيًا أكثر من جرذ واحد.

وفي الحال، عندما أحس أنه لم يستطع أن يتنفس أكثر من ذلك، كما أنه لم يعد قادرًا على إجبار ركبتيه على الانثناء مرة أخرى، انتهت السلالم. ووقف ساكنًا. وكانت

الأصوات آنذاك أعلى وقريبة. وحدق سام فيمن حوله. لقد صعد إلى السقف المسطح للطابق الثالث والأعلى للبرج مباشرة: مساحة مكشوفة مفتوحة، عرضها حوالي عشرين ياردة، لها شرفة منخفضة. وهناك كان السلم مغطى بغرفة مقببة صغيرة في منتصف السقف، لها أبواب منخفضة تواجه الشرق والغرب. وباتجاه الشرق استطاع سام أن يرى سهل موردور شاسعًا ومظلمًا أسفل منه، والجبلَ المتوهجَ بعيدًا. كان هناك صخب جديد يتدافع في آباره العميقة، وكانت أنهار النيران تتوهج بمنتهى الشراسة لدرجة أنه حتى على بعد هذه المسافات الكبيرة كان ضوءها يضيء قمة البرج بوهج أحمر. وباتجاه الغرب كان يحجب المنظر قاعدة البرج الهجومي العظيم الذي كان يقف في الجهة الخلفية لذلك البهو العلوي وكان قرنه الخلفي يرجع عاليًا فوق ذروة التلال المحيطة. وتوهج الضوء في شق نافذة. ولم يكن بابه على بعد عشر ياردات من المكان الذي كان سام يقف عنده. كان مفتوحًا بيد أنه كان مظلمًا ومن ظله مباشرة كانت تجيء الأصوات.

لم ينصت سام في البداية؛ وخطا خطوة نحو الخارج من الباب الشرقي ونظر حوله. في الحال رأى أنه في ذلك المكان كان القتال الأكثر ضراوة. كان البهو كله مكتظًا بجثث الأوركيين، أو رءوسهم وأطرافهم المقطعة المبعثرة. كانت رائحة الدم النتنة تملأ المكان كله. وجاءت صرخة مزمجرة تبعتها ضربة قوية وصيحة مما جعله يتراجع مثل السهم للوراء ليختبئ. وارتفع صوت أوركي في غضب، وعرفه مرة أخرى في الحال، أجش، ووحشيًا، وباردًا. لقد كان المتحدث هو شاجرات، قائد البرج.

«تقول إنك لن تذهب مرة أخرى؟ اللعنة عليك، يا سناجا، أيتها اليرقة الصغيرة! إذا كنتَ تظن أنني مصاب لدرجة تجعل من الأمان السخرية مني والاستهزاء بي، فإنك قد أخطأت. تعال هنا، وسوف أقتلع عينيك، مثلما فعلتُ مع رادبج حالًا. وعندما يأتي بعض الرجال الجدد سوف أتعامل معك: سوف أرسلك إلى شيلوب».

وأجابه سناجا في عبوس: «إنهم لن يأتوا، ليس قبل أن تموت على أية حال. لقد أخبرتُك مرتين أن خنزير جورباج وصل إلى البوابة أولًا، ولم يخرج أي واحد من مجموعتنا. جرى لاجدوف ومزجاش عبر البوابة، ولكنهما رُميا بالسهام وماتا. لقد رأيتُ ذلك من نافذة، إنني أخبرك بذلك. وقد كانا هما الأخيرين».

«إذن ينبغي أن تذهب. ينبغي أن أبقى هنا بأي حال من الأحوال. ولكني مصاب. لتأخذ الحفر السوداء ذلك القذر المتمرد جورباج!». وراح صوت شاجرات يضعف حتى تحول إلى مجموعة من أسماء قبيحة ولعان. «لقد أعطيته أفضل مما أخذتُ، ولكنه طعنني، ذلك الحقير، قبل أن أخنقه. ينبغي أن تذهب، وإلا أكلتك. ينبغي أن تصل الأخبار إلى لوجبورز، وإلا فإن مصيرنا جميعًا سيكون إلى الحفر السوداء. نعم، وأنت أيضًا. إنك لن تهرب بالتواري هنا».

وقام سناجا في تذمر: «إنني لن أهبط تلك السلالم مرة أخرى، سواء كنتَ أنت قائدًا أم لا. أيها الأحمق! أبعد يدك عن سكينك، وإلا جعلتُ سهمًا يخترق أحشاءك. لن تكون قائدًا لفترة طويلة عندما يسمعون[1] عن كل مجريات الأمور هذه. لقد حاربتُ من أجل البرج ضد جرذان مورجول الملاعين هؤلاء، ولكنكما أيها القائدان الثمينان أفسدتما كل شيء بقتالكما معًا».

وصاح شاجرات غاضبًا: «هذا يكفي منك. لدي أوامري. لقد كان جورباج هو الذي بدأ محاولًا انتزاع ذلك القميص الجميل لنفسه».

«حسنًا، لقد أغضبته، نظرًا لكونه ساميًا وقويًا عظيمًا. كما أنه كان أفضل حسًا وعقلًا منك على أية حال. لقد أخبرتك أكثر من مرة أن الشخص الأكثر خطرًا من بين هؤلاء الجواسيس كان لا يزال حرًا طليقًا، ولم تنصت له. ولا تريد أن تنصت الآن. إنني أقول لك إن جورباج كان على صواب. هناك محارب عظيم في المكان، واحد من أولئك الجن سفاكي الدماء، أو واحد من أولئك التارك[2] القذرين. إنني أقول لك إنه قادم هنا. لقد سمعتَ الجرس. لقد مر من الحارسين، وهذا عمل من أعمال التارك. إنه على السلم. وحتى ينتهي من الصعود ويترك السلم، فإنني لن أنزل. ولا حتى لو كنتَ أنت نازجولًا، فلن أفعل».

وصاح شاجرات عاليًا: «إذن هكذا هو الأمر تمامًا؟ سوف تفعل هذا، ولن تفعل ذاك؟ وعندما يأتي، سوف تهرب وتتركني؟ كلا، لن تفعل! سوف أصنع حفرًا في جسدك أولًا».

ومن باب برج الهجوم جاء الأوركي الأصغر حجمًا طائرًا. وجاء وراءه شاجرات، أوركي ضخم له ذراعان طويلتان لدرجة أنهما وهو يجري منحنيًا كانتا تصلان إلى الأرض. ولكن كان يبدو أن ذراعًا منهما مصابة كما بدت أنها تنزف؛ وكان يمسك بالذراع الأخرى صرة كبيرة سوداء. وفي الوهج الأحمر لمح سام، وكان رابضًا وراء باب السلم، وجهه الشرير وهو يمر: كانت به ندب كما لو كانت ناتجة عن مخالب قامت بتمزيقه وكان ملطخًا بالدم؛ كان اللعاب يتقاطر من أنيابه البارزة؛ كان الفم يزمجر مثل حيوان.

وبقدر ما استطاع سام أن يرى، راح شاجرات يطارد سناجا حول السطح، حتى نجح الأوركي الأصغر حجمًا في أن يخدعه ويروغ منه وينطلق عائدًا إلى برج الهجوم ويختفي. عندئذ توقف شاجرات. واستطاع سام من الباب الشرقي أن يراه عندئذ إلى

(1) يسمعون (They) لعله يشير هنا إلى البرج وسيد الظلام. (المترجم)

(2) Tarks وهي تأتي من الكلمة (tarkil) في ويسترون وتشير إلى شخص من سلالة نومينورية. والكلمة (tarkil) تعني «رجل جوندور». ولعل الذي جعله يصف سام بهذا الوصف هو شجاعته ومكره. (المترجم)

جوار الشرفة، وهو يلهث، ومخلبه الأيسر ينقبض وينبسط في ضعف. ووضع الصرة على الأرض وبمخلبه الأيمن سحب سكينًا أحمر طويلًا وبصق عليه. وذهب إلى الشرفة وانحنى فوقها، ونظر لأسفل إلى البهو الخارجي أسفل منه بكثير. وصاح مرتين ولكن لم تأته أي إجابة.

وفجأة، بينما كان شاجرات منحنيًا على الشرفة المفرجة، وظهره لأعلى السطح، رأى سام لدهشته أن واحدًا من الجثث الممددة على الأرض كان يتحرك. كان يحبو. ومد مخلبًا وأمسك بالصرة. وترنح واقفًا. وكان يمسك بيده الأخرى رمحًا عريض الرأس له مقبض قصير مكسور. وأخذ وضعًا للطعن. ولكن في تلك اللحظة تحديدًا خرج من بين أسنانه صوت هسيس، لهاث ألم أو كراهية. وانزلق شاجرات جانبًا سريعًا مثل ثعبان، والتوى دائرًا، وغرز سكينه في زور عدوه.

وصاح قائلًا: «لقد نلتُ منك يا جورباج! لم تمت تمامًا، صحيح؟ حسنًا، سوف أنهي مهمتي الآن». وقفز على الجسد الراقد على الأرض، وراح يضربه ويطؤه برجليه في غضب وحنق، وهو ينحني من وقت لآخر ليطعنه ويجرحه بوحشية بسكينه. ولما شعر بالرضا أخيرًا، ألقى رأسه للوراء وأطلق صرخة انتصار مقرقرة مروعة. عندئذ لعق سكينه، ووضعها بين أسنانه، وجاء وهو ممسك بالصرة يقفز باتجاه باب السلم القريب.

لم يكن لدى سام أي وقت للتفكير. ربما كان باستطاعته أن ينسل خارجًا من الباب الآخر، ولكن كان من الصعب أن يفل ذلك دون أن يُرى؛ ولم يكن ليستطيع أن يلعب الغميضة[1] مع ذلك الأوركي البغيض طويلًا. وفعل ما كان يحتمل أنه هو أفضل شيء كان يمكنه أن يفعله. وقفز خارجًا ليقابل شاجرات بصرخة. لم يعد ممسكًا بالخاتم، ولكنه كان موجودًا معه، قوة خفية، تهديد مروع لخدام موردور؛ وكان في يديه السيف ستينج، وضرب ضوءه عيني الأوركي مثل وهج النجوم الشرسة في بلدان الجن المروعة، والذي كان مجرد الحلم به خوفًا مروعًا بالنسبة لجميع أولئك الذين هم من نوعه. ولم يكن شاجرات يستطيع أن يحارب ولا أن يمسك بكنزه ويحافظ عليه. وتوقف، وهو يزمجر، ويكشف عن أنيابه. وعندئذ مرة أخرى، وبطريقة الأوركيين، قفز جانبًا، وبينما كان سام يقفز عليه، استخدم الصرة الثقيلة كدرع وكسلاح ودفعها بكل قوة في وجه عدوه. وترنح سام، وقبل أن يسترد وعيه وقوته، اندفع شاجرات أمامه ثم راح يهبط السلم.

وجرى سام وراءه، وهو يسب ويلعن، ولكنه لم يذهب بعيدًا. وسريعًا عاد إليه التفكير في فرودو، وتذكر أن الأوركي الآخر عاد إلى برج الهجوم. وهنا كان أمامه

(1) الاستغماية.

خيار مخيف آخر، ولم يكن لديه وقت ليفكر فيه. لو أن شاجرات هرب، فإنه سوف يحصل على تعزيز بسرعة ويعود. ولكن إذا قام سام بمطاردته، فإن الأوركي الآخر قد يفعل شيئًا شريرًا هناك في برج الهجوم. وعلى أية حال فإن سام قد يفقد شاجرات أو يقتله شاجرات. واستدار سريعًا وجرى عائدًا صاعدًا السلم، وتنهد قائلًا: «خطأ مرة أخرى، حسب توقعي. ولكن يتوجب علي أن أصعد مباشرة لأعلى أولًا، أيًا ما يكون ما سيحدث بعد ذلك».

وبعيدًا في الأسفل راح شاجرات يقفز هابطًا السلم ويخرج في البهو ومنه عبر البوابة، حاملًا حمله الثمين. لو كان سام قد رآه وعرف الحزن الذي سيجلبه هروبه، ربما كان قد جفل وجبن. ولكن عقله الآن مركز على المرحلة الأخيرة من البحث. وجاء في حذر إلى باب برج الهجوم ودخل. وفتح الباب على ظلمة بالداخل. ولكن في الحال أدركت عيناه المحدقتين وجود ضوء خافت على يمينه. كان الضوء يأتي من فتحة كانت تؤدي إلى سلم آخر، مظلم وضيق: كان يبدو أنه يسير متعرجًا صاعدًا برج الهجوم عبر الناحية الداخلية لجداره الخارجي الدائري. كان هناك مشعل يتوهج من مكان ما عاليًا فوقه.

وفي خفة ودون جلبة بدأ سام يتسلق. وصل إلى المشعل المرتعش، والذي كان مثبتًا فوق باب على يساره يواجه عتبة شق نافذة تطل باتجاه الغرب: إحدى العيون الحمراء التي كان قد رآها هو وفرودو من أسفل عند فتحة النفق. وسريعًا مر سام عبر الباب وأسرع في سيره إلى الطابق الثاني، خائفًا من أن يتعرض في أي لحظة لهجوم وأن يشعر بأصابع خانقة قاتلة تطبق على زوره من الخلف. وجاء بعد ذلك إلى النافذة التي تطل شرقًا ومشعل آخر فوق الباب الذي يفتح على ممر عبر وسط برج الهجوم. كان الباب مفتوحًا، وكان الممر مظلمًا إلا من وهج المشعل والوهج الأحمر الذي يأتي من الخارج متسربًا عبر شق النافذة. ولكن في هذا المكان توقف السلم ولم يعد يصعد أكثر من ذلك. وزحف سام إلى الممر. وعلى كل جانب كان هناك باب منخفض؛ كان كلاهما مغلقًا. لم يكن هناك صوت على الإطلاق.

وغمغم سام: «عند طريق مسدود، وبعد كل ما تسلقته! لا يمكن أن تكون هذه قمة البرج. ولكن ما الذي يمكنني أن أفعله الآن؟».

وجرى عائدًا إلى الطابق الأدنى وحاول فتح الباب. ولكنه لم يتحرك. وجرى صاعدًا مرة أخرى، وبدأ العرق يتقاطر من وجهه. وأحس بأنه حتى الدقائق كانت ثمينة، ولكنها كانت تهرب دقيقة بعد الأخرى؛ ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئًا. لم يعد يأبه بشاجرات أو سناجا أو أي أوركي آخر في الوجود. كان يتوق فقط لسيده، لنظرة يلقيها على وجهه أو لمسة ليده.

وأخيرًا، وقد أصابه الإعياء وشعر بأنه قد انهزم في النهاية، جلس على درجة أسفل الطابق الذي كان الممر فيه وحنى رأسه بين يديه. كانت الدنيا هادئة هادئة بشكل فظيع. وفرقع المشعل، الذي كان يضيء ضوءًا خافتًا عندما وصل، وانطفأ. وأحس بالظلمة تغطيه مثل التيار. وبعدئذ في صوت منخفض، مما أدهشه هو نفسه، هناك عند النهاية العقيمة لرحلته الطويلة ولحزنه، حركه فكر في قلبه لم يستطع أن يعرف ما هو، وبدأ سام يغني.

كان صوته رقيقًا ومرتعشًا في البرج المظلم البارد: صوت هوبيتي يائس ومتعب لا يمكن لأي أوركي ينصت إليه أن يخطئه ويظنه صوت يغني أغنية سيد الجن الواضحة. وغمغم نغمات طفولية قديمة من المقاطعة، ومقطوعات قصيرة متفرقة من أشعار بيلبو جاءت إلى عقله مثل ومضات طائرة من الريف في بلاده. وعندئذ فجأة ارتفعت فيه قوة جديدة، ودوى صوته، في حين جاءت كلماته هو من تلقاء نفسها لتناسب ألحانه ونغماته البسيطة:

في أراض غربية تحت الشمس
قد تنبت الزهور في الربيع
وقد تزهر الأشجار وتجري المياه
وتغني العصافير المرحة
أو ربما تكون ليلة صافية
أو أشجار زان متمايلة تحمل
النجوم الجنية كجواهر بيضاء
وسط شعرها المتفرع

على الرغم من أنني أرقد هنا عند نهاية الرحلة
في الظلام مدفونًا بعمق
وراء كل الأبراج القوية والعالية
وراء كل الجبال المنحدرة
فوق الظلال تنطلق الشمس
وتسكن النجوم للأبد
لن أقول إن اليوم قد انتهى
ولن أقول للنجوم الوداع

«وراء كل الأبراج القوية والعالية»، وبدأ يكرر مرة أخرى، وعندئذ توقف فجأة. ظن أنه سمع صوتًا ضعيفًا يجيبه. ولكن آنذاك لم يكن يستطع أن يسمع أي شيء. نعم، كان يستطيع أن يسمع شيئًا ما، ولكن ليس صوتًا. كان هناك وقع أقدام تقترب. وعندئذ كان هناك باب يفتح في هدوء في الممر فوقه؛ وسمع صوت صرير المفصلات. وجثم سام على الأرض يتنصت. وأغلق الباب بضربة كئيبة؛ وعندئذ دوى صوت أوركي مزمجرًا.

«أنت! أنت الذي في الطابق العلوي، أيها الفأر القذر! أوقف صريرك المزعج وإلا فسوف آتي وأتعامل معك. ألا تسمع؟».

ولم تأتِ أية إجابة.

وزمجر سناجا قائلًا: «حسنًا. ولكني سوف آتي وألقي نظرة عليك على الرغم من ذلك، وأرى ما الذي أنت بصدده».

وراح صرير المفصلات يُسمع مرة أخرى، ورأى سام وقد كان عندئذ يحدق فوق زاوية عتبة الممر وهجًا من ضوء في مدخل باب مفتوح، والشكل المظلم لأوركي قادم يخرج من الباب. وبدا أنه كان يحمل سلمًا. وفجأة اتضحت الإجابة لسام: الغرفة العليا كان يتم الوصول إليها من باب مسحور في سقف الممر. ودفع سناجا السلم لأعلى، وثبته، وبعد ذلك تسلق واختفى عن مجال الرؤية. وسمع سام صرير مزلاج يُفتح. عندئذ سمع الصوت البشع يتحدث مرة أخرى.

«ارقد في هدوء وإلا فإنك سوف تدفع ثمن ذلك! ليس أمامك الكثير لتعيشه في سلام، حسب تخميني؛ ولكن إذا لم تكن تريد أن يبدأ اللهو الآن مباشرة، فلتبق فمك مغلقًا، هل ترى؟ هذا تذكير لك!». كان هناك صوت مثل طرقعة سوط.

وعند ذلك توهج الغضب في قلب سام متحولًا إلى حنق وغيظ مفاجئ. وقفز، وراح يجري، وصعد السلم مثل قط. وخرجت رأسه في وسط أرضية غرفة كبيرة دائرية. كان هناك مصباح أحمر معلق في سقفها؛ كان شق النافذة الغربي عاليًا ومظلمًا. كان هناك شيء يرقد على الأرض إلى جوار الحائط أسفل النافذة، ولكن كان هناك فوق النافذة شكل أوركي أسود مباعد ما بين رجليه. ورفع سوطًا للمرة الثانية، ولكن الضربة لم تنزل قط.

قفز سام عبر أرضية الغرفة وهو يصرخ والسيف ستينج في يده. واستدار الأوركي سريعًا، ولكن قبل أن يتمكن من الحركة فصل سام يده التي كانت ممسكة بالسوط من ذراعه. وراح الأوركي يعوي ويولول من الألم والخوف بيد أنه كان يائسًا، وهجم على سام هابطًا عليه برأسه. وطاشت ضربة سام الثانية، ولما كان قد فقد توازنه فإنه سقط للوراء، وهو قابض على الأوركي وقد تعثر ووقع فوقه. وقبل أن يتمكن من أن يزحف صاعدًا لأعلى سمع صرخة وضربة. لقد ارتطم الأوركي في عجلته الجامحة

برأس السلم وسقط عبر فتحة الباب المسحور. ولم يفكر سام فيه وفي أمره أكثر من ذلك. وجرى إلى الشكل الذي كان جاثمًا على الأرض. لقد كان فرودو.

لقد كان عاريًا، يرقد كما لو كان مغمى عليه على كومة من خرق قذرة: كانت ذراعه مرفوعة، تغطي رأسه، وعبر جانبه كان هناك أثر ضرب بالسوط.

وصاح سام والدموع تكاد تعميه: «فرودو! سيدي فرودو، يا عزيزي! أنا سام، لقد جئتُ!». ورفع سيده تقريبًا وضمه لصدره. وفتح فرودو عينيه.

وغمغم قائلًا: «ألا زلتُ أحلم؟ ولكن الأحلام الأخرى كانت رهيبة».

فقال له سام: «إنك لا تحلم على الإطلاق، يا سيدي. إنه حقيقة. إنه أنا. لقد جئتُ».

وقال فرودو وهو يقبض عليه: «لا أكاد أصدق ذلك. كان هناك أوركي بسوط، وعندئذ يتحول إلى سام! عندئذ فإنني لم أكن أحلم على الإطلاق عندما سمعتُ ذلك الغناء هناك أسفل مني، وحاولتُ أن أجيب؟ هل كان ذلك أنت؟».

«كان ذلك هو أنا حقًا يا سيد فرودو. كنتُ قد فقدتُ كل أمل تقريبًا. لم أستطع العثور عليك».

فقال فرودو: «حسنًا، وقد وجدتني الآن يا سام يا عزيزي سام»، ورقد بين ذراعي سام اللطيفتين، مغمضًا عينيه، مثل طفل في راحة عندما طرد صوت حبيب أو يد حبيبة المخاوف الليلية بعيدًا عنه.

وشعر سام أنه يستطيع أن يجلس في هذا الوضع في سعادة لا نهائية؛ ولكن ذلك لم يكن مسموحًا به. لم يكن كافيًا بالنسبة له أن يجد سيده، لا يزال ينبغي عليه أن يحاول وأن ينقذه. وقبّل جبين فرودو وقال: «هيا! استيقظ، يا سيد فرودو!». محاولًا أن يبدو مرحًا مثلما كان عندما سحب الستائر في منزل باج إيند في صباح يوم من أيام الصيف.

وتنهد فرودو وجلس، وسأل: «أين نحن؟ كيف جئتَ إلى هنا؟».

فقال له سام: «ليس هناك وقت للحكايات حتى نصل إلى مكان آخر غير هذا يا سيد فرودو. ولكنك في قمة ذلك البرج الذي رأيناه معًا من بعيد في الأسفل عند النفق قبل أن يأخذك الأوركيون. كم مضى من الوقت على ذلك لا أدري. أكثر من يوم في تخميني».

فقال فرودو: «ذلك فقط؟ يبدو أسبوع. يجب أن تخبرني كل شيء عن ذلك، إذا أتيحت لنا الفرصة. شيء ما ضربني، أليس هذا ما حدث؟ وغرقتُ في ظلمة وأحلام شريرة بشعة، واستيقظتُ لأجد أن الاستيقاظ كان أسوأ. كان الأوركيون في كل مكان حولي. أظن أنهم كانوا يصبون شرابًا محرقًا فظيعًا في زوري. أصبحت رأسي أكثر صحوًا، ولكني كنتُ أتألم كم كنتُ متعبًا. جردوني من كل شيء؛ وعندئذ جاء اثنان متوحشان كبيران منهما وراحا يستجوبانني، استجوباني حتى ظننتُ أنني سأصاب

بالجنون، وهما يقفان فوقي، وكلاهما شماتة، وهما يلعبان بسكاكينهما. لن أنسى أبدًا مخالبهما وأعينهما».

وقال سام: «لن تنسى، إذا أنت تحدثت عنهم يا سيد فرودو. وإذا كنا لا نريد أن نراهم مرة أخرى، فكلما أسرعنا في الذهاب من هنا كان أفضل. هل يمكنك المشي؟».

«نعم، يمكنني المشي»، قال ذلك فرودو وراح ينهض واقفًا ببطء. «إنني لم أصب بأذى يا سام. كل ما هنالك أنني أشعر بأنني متعب للغاية، وأشعر بالألم هنا». ووضع يده في مؤخرة عنقه فوق كتفه الأيسر. ووقف، وبدا لسام كما لو كان مكسوًا باللهب: كانت رقبته العارية قرمزية اللون في ضوء المصباح الذي كان فوقهما. ومشى خطوتين عبر أرضية الغرفة.

وقال، وقد ارتفعت روحه المعنوية قليلًا: «هذا أفضل. لم أكن أجرؤ على الحركة عندما كنتُ أُترَكُ وحدي، أو عندما كان يأتي أحد الحراس. حتى بدأ الصراخ والعويل والقتال. الأوركيان المتوحشان الضخمان راحا يتشاجران، في اعتقادي، بسببي وبسبب أشيائي. ورقدتُ هنا مرعوبًا. وعندئذ أصبح كل شيء هادئًا تمامًا، وكان ذلك أسوأ».

وقال سام: «نعم، كانوا يتقاتلون فيما يبدو. لا بد أنه كان هناك مائتا مخلوق قذر في هذا المكان. نوع من الرتبة الطويلة بالنسبة لسام جامجي، إن جاز لك القول. ولكنهم قاموا بجميع أعمال القتل لأنفسهم. هذا أمر محظوظ، ولكن سيمضي وقت طويل أكثر من اللازم قبل أن يمكن صياغة أغنية عنه، حتى نخرج من هنا. والآن ما الذي ينبغي أن نفعله؟ لا يمكنك أن تمشي في الأرض السوداء في العدم ولكن في إهابك، يا سيد فرودو».

وقال فرودو: «لقد أخذوا كل شيء يا سام. كل شيء كان لدي. هل تفهم؟ كل شيء!». وجثم على الأرض مرة أخرى حانيًا رأسه، حيث إن كلماته هو أوضحت له، بما لا يدع أي مجال للشك، اكتمال الكارثة، وغمره اليأس. «لقد فشلت المهمة يا سام. حتى لو خرجنا من هنا، فلن يمكننا الهرب. الجن فقط يمكنهم الهرب. بعيدًا، بعيدًا خارج الأرض الوسطى، بعيدًا فوق البحر. بل وحتى إذا كان ذلك البحر واسعًا بما يكفي لإبعاد الظل».

«كلا، ليس كل شيء يا سيد فرودو. كما إنها لم تفشل، ليس بعد. لقد أخذته يا سيد فرودو، بعد إذنك. وقد احتفظتُ به في أمان. إنه حول رقبتي الآن، وهو حمل مروع أيضًا». وراح سام يبحث في صدره عن الخاتم وعن سلسلته. «ولكني أظن أنه ينبغي عليك أن تأخذه». والآن وصل الأمر إلى النقطة الصعبة، أحس سام بعدم الرغبة في أن يتنازل عن الخاتم ويلقي بحمله على سيده.

وقال فرودو لاهثًا: «إنه لديك؟ إنه لديك هنا؟ سام، إنك معجزة!». عندئذ تغيرت

نبرة صوته سريعًا وبشكل غريب: «أعطني إياه!». صاح بهذه الكلمات، وقد وقف، وهو يمد يدًا مرتعشة. «أعطني إياه في الحال! لا يمكنك أن تأخذه وتحتفظ به!».

وقال سام وقد ذهل بعض الشيء: «حسنًا يا سيد فرودو. ها هو ذا!». وببطء سحب الخاتم ومرر السلسلة على رأسه. «ولكنك في أرض موردور الآن يا سيدي؛ وعندما نخرج، سوف ترى الجبل الناري وكل شيء من هذا القبيل. سوف تكتشف أن الخاتم خطير جدًا الآن، وصعب جدًا حمله. إذا كانت المهمة صعبة أكثر من اللازم، يمكنني الاشتراك فيها معك، ربما؟».

«لا، لا!». صاح فرودو، وهو يخطف الخاتم والسلسلة من يدي سام. «كلا لن تأخذه، أيها اللص!». قال ذلك وهو يلهث، وهو يحدق في سام بعينين واسعتين خوفًا وعداوة. وعندئذ فجأة، وقد قبض على الخاتم في قبضته، ووقف مشدوهًا. بدا أن سحابة من سديم تنقشع من على عينيه، ومرر يده على جبينه المتألم. لقد بدا المنظر البشع بالنسبة له حقيقيًا للغاية، شبه مرتبك متحير حيث إنه كان لا يزال مجروحًا خائفًا. لقد تغير سام أمام عينيه إلى أوركي مرة أخرى، ينظر بشبق ويقبض على كنزه بمخالبه، مخلوق صغير كريه له عينان جشعتان نهمتان وفم يسيل لعابًا. ولكن المنظر انقضى عندئذ ومر. كان هنالك سام راكع أمامه، ووجه يعصره الألم، كما لو كان قد طُعن في القلب؛ والدموع متحجرة في عينيه.

وصاح فرودو: «آه يا سام! ما الذي قلتَه؟ ما الذي فعلتُه؟ سامحني! بعد كل ذلك الذي فعلتَه. إنها تلك القوة الهائلة للخاتم. أتمنى أنه لم يكن قد وُجد أبدًا أبدًا. ولكن لا تقلق بشأني يا سام. ينبغي علي أن أحمل الحمل حتى النهاية. لا يمكن تغيير المهمة. لا يمكنك أن تتدخل بيني وبين هذا القدر المحتوم».

«كل شيء على ما يرام يا سيد فرودو»، قال ذلك سام وهو يفرك عينيه بكمه. «إنني أفهم. ولكن لا يزال بإمكاني أن أساعد، ألا ترى أن بإمكاني ذلك؟ ينبغي علي أن أخرجك من هنا. في الحال، انظر! ولكنك تحتاج أولًا إلى بعض الثياب وبعض العتاد، وبعد ذلك بعض الطعام. الثياب ستكون أسهل جزء. حيث إننا في موردور، فمن الأفضل أن نلبس على طريقة موردور؛ وعلى أية حال ليس هناك أي خيار. سوف يتحتم أن تكون أشياء أوركيين بالنسبة لك يا سيد فرودو، فيما أخشى. وبالنسبة لي أنا أيضًا. إذا ذهبنا معًا، فمن الأفضل أن نكون متماثلين. والآن ضع هذا حولك!».

وفك سام معطفه الرمادي ووضعه حول كتفي فرودو. عندئذ فك صرة متاعه ووضعها على الأرض. وسحب ستينج من غمده. كان هناك وميض لا يكاد يرى على نصله. وقال: «لقد نسيتُ هذا يا سيد فرودو. كلا، إنهم لم يأخذوا كل شيء! لقد أعرتني ستينج، إذا كنتَ تذكر، وقنينة السيدة. لا يزال الاثنان معي. ولكن أعرهما لي لمدة أطول

قليلًا، يا سيد فرودو؛ ينبغي أن أذهب وأرى ما الذي يمكنني أن أتوصل إليه. ابقَ أنت هنا. تحرك وامش قليلًا وفك رجليك. لن أغيب طويلًا. لن يتحتم علي أن أذهب بعيدًا».

وقال له فرودو: «كن على حذر يا سام! وأسرع! ربما لا يزال هناك بعض الأوركيين أحياء، مختبئين في ترقب».

وقال له سام: «ينبغي علي أن أجازف وأجرب». واندفع إلى الباب المسحور واسل نازلًا السلم الخشبي. وفي دقيقة ظهرت رأسه مرة أخرى. وألقى بسكين طويل على الأرض، وقال:

«هناك شيء ما قد يكون مفيدًا. لقد مات: الأوركي الذي قام بجلدك. كسرت رقبته فيما يبدو في عجلته. والآن اسحب السلم إذا استطعت يا سيد فرودو؛ ولا تنزله حتى تسمعني أنادي عليك بكلمة السر. سوف أسميها إلبرث. ما يقوله الجن. لن يقول ذلك أي أوركي».

وجلس فرودو لبعض الوقت يرتعش، ومخاوف مروعة مرعبة يطارد بعضها البعض في عقله. عندئذ نهض، ولملم معطفه الجني الرمادي حوله، وحتى يشغل ذهنه بدأ يذرع المكان جيئة وذهابًا، يحدق ويتأمل في كل ركن من أركان سجنه.

لم يمض وقت طويل، على الرغم من أن الخوف قد جعله ساعة على الأقل، قبل أن يسمع صوت سام ينادي منخفضًا من أسفل: إلبرث، إلبرث. وأنزل السلم الخفيف. وصعد سام، وهو يلهث، رافعًا صرة كبيرة على رأسه. وتركها تقع على الأرض محدثة ارتطامًا كبيرًا.

وقال: «أسرع الآن يا سيد فرودو! علي أن أعود وأبحث قليلًا لأجد أي شيء صغير بالشكل الكافي ليناسب لأمثالنا. لا بد أن نستخدم ما هو متاح لدينا. ولكن علينا أن نسرع. إنني لم أقابل شيئًا حيًا، ولم أر أي شيء. ولكني لستُ مستريحًا. أظن أن هذا المكان مراقب. لا يمكنني أن أشرح ذلك، ولكن حسنًا: يبدو لي كما لو أن واحدًا من أولئك الخيالة الطائرين البشعين كان في المكان حولنا، عاليًا في الظلمة حيث لا يمكن رؤيته».

وفتح الصرة. ونظر فرودو في اشمئزاز في محتوياتها، ولكن لم يكن هناك أي شيء يمكن أن يفعله غير ذلك: كان عليه أن يلبس هذه الأشياء أو يسير عريانًا. كانت هناك سراويل طويلة مكسوة بالشعر من جلد حيوان غير نظيف، جاكت من جلد قذر. ولبس هذه الأشياء. ولبس فوق الجاكت درعًا واقيًا حلقيًا قويًا، قصيرًا لأوركي مكتمل الحجم، وطويلًا أكثر من اللازم بالنسبة لفرودو وثقيلًا عليه. وشبك حوله حزامه، كان معلقًا منه غمد قصير يحمل سيفًا ماضيًا عريض النصل. أحضر سام عدة خوذات

أوركية. كانت واحدة منها تناسب فرودو بشكل كاف جدًا، قبعة سوداء بحافة من حديد، وأطواق من حديد مغطاة بجلد كان مرسومًا عليها العين الشريرة بلون أحمر فوق واقية الأنف التي تشبه المنقار.

وقال سام: «أشياء مورجول، عتاد جورباج، كان ملائمًا أكثر وصنعته أفضل، ولكن ليس من الجيد، في اعتقادي، أن تذهب حاملًا أماراته إلى موردور، ليس بعد هذا العمل هنا. حسنًا، ها أنت ذا يا سيد فرودو. أوركي صغير ممتاز، إذا تجرأتُ على قول ذلك على الأقل ستكون أوركيًا، إذا نحن غطينا وجهك بقناع، وأعطيناك ذراعين أكثر طولًا، وجعلنا ساقيك محنيتين. إن هذا سيخفي بعضًا من الحكايات والشائعات». ووضع معطفًا أسود كبيرًا حول كتفي فرودو. «والآن فأنت جاهز! يمكنك أن تأخذ درعًا ونحن نمضي».

وقال فرودو: «ماذا عنك أنت يا سام؟ ألسنا سنرتدي أشياء متماثلة؟».

فقال سام: «حسنًا يا سيد فرودو، لقد كنتُ أفكر. من الأفضل ألا أترك أي شيء من حاجياتي وراءنا، ولا يمكننا أن ندمره. ولا يمكنني أن أرتدي معطفًا أوركيًا فوق كل ثيابي، هل توافقني الرأي؟ كل ما أفعله أنني سوف أتخفى».

وانحنى راكعًا وقام بكل عناية بطي معطفه الجني. وتحول إلى لفة صغيرة بشكل مدهش. وبعد ذلك وضعه في صرته التي كانت على الأرض، ووقف، وعلقها على ظهره، ووضع خوذة أوركية على رأسه، وألقى بمعطف أسود آخر حول كتفيه، وقال: «ها نحن أولاء! الآن فإننا متشابهان، متقاربان بشكل كاف. والآن علينا أن ننطلق!».

وقال فرودو بابتسامة ساخرة: «لا أستطيع أن أسير الطريق بطوله مرة واحدة يا سام. أتمنى أن تكون قد استفسرت عن الحانات على الطريق؟ أم أنك قد نسيتَ الطعام والشراب؟».

وقال سام: «سامحني، ولكني فعلتُ ذلك!». وصفر في فزع. «لتباركني، يا سيد فرودو، ولكنك ذهبت وجعلتني أعطش وأجوع للغاية! لا أعلم متى مرت قطرة من شراب أو لقمة من طعام عبر شفتي آخر مرة. لقد نسيتُ ذلك كله، محاولًا العثور عليك. ولكن دعني أفكر! في آخر مرة كان يبدو أنني تناولت قدرًا كافيًا من ذلك الليمباس، ومن ذلك الذي أعطانا إياه القائد فارامير، بما يجعلني قادرًا على الحركة لمدة أسبوعين إذا لزم الأمر. ولكن إذا كانت هناك قطرة متبقية في زجاجتي، فليس هناك المزيد. لن يكون ذلك كافيًا لاثنين، بحال من الأحوال. ألا يأكل الأوركيون، وألا يشربون؟ أم أنهم يحيون فقط على الهواء الفاسد والسم؟».

«كلا، إنهم يأكلون ويشربون يا سام. الظل الذي يطعمهم يمكنه فقط أن يقلد، لا أن يصنع أي أشياء حقيقية جديدة من تلقاء نفسه. لا أظن أنه منح الحياة للأوركيين، إنه فقط دمرهم وشوههم؛ وإذا كانوا سيعيشون على الإطلاق، فإنه ينبغي أن يعيشوا

مثل مخلوقات حية أخرى. سوف يأخذون مياهًا ولحومًا قذرة، إذا لم يستطيعوا الحصول على أفضل من ذلك، ولكن ليس سمًا. لقد أطعموني؛ ولذلك فإنني أفضل حالًا منك. لا بد أن هناك طعامًا وماء في مكان ما في هذا المكان».

فقال سام: «ولكن ليس هناك وقت للبحث عنهما».

وقال فرودو: «حسنًا، الأشياء أفضل قليلًا مما تظن. لقد نلتُ قدرًا قليلًا من الحظ بينما كنتَ أنت بعيدًا. حقًا إنهم لم يأخذوا كل شيء. لقد وجدتُ كيس طعامي بين أسمالي على الأرض. بالطبع قاموا بتفتيشها. ولكني أظن أنهم كرهوا مجرد منظر ورائحة الليمباس، أكثر من كراهية جولام له. إنه مبعثر في كل مكان وتكسر بعضه، ولكني قمتُ بجمعه معًا. إنه لا ينقص كثيرًا جدًا مما لديك. ولكنهم أخذوا الطعام الذي أعطاه لنا فارامير، وأنهوا على زجاجة الماء».

وقال سام: «حسنًا، ليس هناك أكثر من ذلك يمكن قوله. لدينا الكثير مما ينبغي إنجازه. ولكن الماء سيكون أمرًا سيئًا بالنسبة لنا. ولكن هيا يا سيد فرودو! علينا أن ننطلق، وإلا فإن بحيرة كاملة من الماء لن تفيدنا أو تنفعنا!».

فقال فرودو: «ليس حتى أن تنال ملء فم يا سام. إنني لن أتزحزح. تفضل، خذ هذه الكعكة الجنية، واشرب تلك القطرة الأخيرة في قارورتك! الأمر برمته ميئوس منه تمامًا، لذلك فليس ثمة فائدة من القلق بشأن الغد. من المحتمل ألا يأتي».

وأخيرًا بدأا رحلتهما. ونزلا السلم الخشبي، وبعد ذلك أخذه سام ووضعه في الممر إلى جوار جثة الأوركي الملقاة على الأرض. كانت درجات السلم مظلمة، ولكن على السطح العلوي كان لا يزال بالإمكان رؤية وهج الجبل، على الرغم من أنه كان يخمد آنذاك متحولًا إلى أحمر كئيب. وأخذا درعين ليكملا تنكرهما وبعد ذلك واصلا سيرهما.

وراحا ينزلان السلم الكبير في جهد وكد. وبدت غرفة برج الهجوم وراءهما، حيث التقيا مرة أخرى، بسيطة مألوفة تقريبًا: كانا في العراء مرة أخرى عندئذ، وراح الرعب يجري عبر الجدران. كل شيء قد يكون ميتًا في برج سيريث أنجول، ولكنه كان لا يزال ملفوفًا بالخوف والشر.

وأخيرًا وصلا إلى الباب في البهو الخارجي، وتوقفا. حتى من المكان الذي وقفا فيه كانا يحسان بحقد الحراس والمراقبين يصدهما ويضربهما، أشكال سوداء صامتة على كل جانب من جانبي البوابة كان وهج موردور يظهر خلالها خافتًا باهتًا. وبينما راحا يشقان طريقهما بين جثث الأوركيين البشعة أصبحت كل خطوة أكثر صعوبة. وقبل حتى أن يصلا إلى المجاز المقنطر أرغما على التوقف. كانت الحركة لمسافة بوصة أخرى ألمًا وإرهاقًا للإرادة والأطراف.

لم يكن لدى فرودو أي قوة لتلك المعركة. وخر على الأرض، وغمغم قائلًا: «إنني سيغمى علي. لا أدري ما الذي حل بي».

«ولكني أدري يا سيد فرودو. تماسك الآن! إنها البوابة. هناك شيء ما بانتظارنا. ولكني مررتُ منه، وسوف أخرج. لا يمكن أن يكون أكثر خطرًا من ذي قبل. والآن لننجز الأمر!».

وأخرج سام قنينة جَلَدْريل الجنية مرة أخرى. كما لو كان يظهر الاحترام لشجاعته، ويشرف ويزين بالروعة يده الهوبيتية السمراء المخلصة التي فعلت تلك الأعمال، وتوهجت القنينة فجأة، لدرجة أن جميع البهو الظلالي أضاء بإشعاع مبهر مثل البرق؛ ولكنه ظل ثابتًا ولم ينقض.

وصاح سام: «جيلثونيل، آ إلبرث!». لأن تفكيره، دون أن يعرف السبب في ذلك، قفز عائدًا فجأة إلى الجن في المقاطعة، والأغنية التي طردت الخيال الأسود بين الأشجار.

وصاح فرودو مرة أخرى من خلفه: «آيا إلونيون أنكاليما! ['Aiya elenion ancalima]».

وكُسرت إرادة الحراس بطريقة مفاجئة مثل قطع حبل، وتعثر فرودو وسام وزلت أقدامهما للأمام. وبعد ذلك راحا يجريان. عبر البوابة وأمام الأشكال الكبيرة الجالسة بعيونها المتوهجة. وجاء صوت انشراخ. لقد تحطم الحجر الرئيسي في القنطرة على أعقابهما تقريبًا، وتداعى الجدار الذي كان فوقه وسقط مهشمًا تمامًا. ولم يهربا إلا بأعجوبة بمقدار قيد أنملة. ودق جرس؛ وارتفعت من الحراس صرخة عالية مروعة. وجاءت صرخة ترد عليها من أعلى في الظلمة. ومن السماء السوداء المظلمة جاء متساقطًا مثل قذيفة شكل مجنح، يمزق السحاب بزعقة مروعة ومخيفة.

الفصل الثاني
أرض الظـل

كان لا يزال لدى سام من سلامة العقل ما يكفي لأن يعيد القنينة مرة أخرى إلى صدره، وصاح قائلًا:

«اجر يا سيد فرودو! كلا، ليس ذلك الطريق! هناك شق شديد الانحدار فوق الجدار. اتبعني!».

وطارا عبر الطريق من البوابة. وفي خمسين خطوة، بانحناءة سريعة حول بروز ناتئ من الجرف، خرج بهما بعيدًا عن مجال الرؤية من البرج. لقد هربا لتلك اللحظة. وانكمشا مستندين على الصخر وراحا يتنفسان، وبعد ذلك قبضا على قلوبهما. ولما كانا عندئذ جالسين مستندين على الجدار إلى جوار البوابة المدمرة، أرسل النازجول صرخاته القاتلة المروعة. وراح صداها يُسمع في كل الجُرف.

وراحا يسيران متعثرين في رعب، وسريعًا انحنى الطريق بشكل حاد نحو الشرق مرة أخرى وكشفهما للحظة مروعة للرؤية من البرج. وبينما كانا يسيران سريعًا عبر الطريق نظرا للوراء ليريا الشكل الأسود الكبير فوق الشرفة المفرجة؛ عندئذ غاصا بين الجدران الصخرية العالية، في تجويف راحا يهبطان بشكل شديد الانحدار ليلاقي طريق مورجول. ووصلا إلى ملتقى الطرق. ولم تكن هناك أي علامة على الأوركيين، ولا أي رد على صرخة النازجول؛ ولكنهما كان يعرفان أن الصمت لن يدوم طويلًا. وفي أي لحظة آنذاك يمكن أن تبدأ المطاردة.

وقال فرودو: «لن ينجح هذا يا سام. لو أننا كنا أوركيين حقيقيين، فإنه كان ينبغي أن نكون عائدين إلى البرج، لا أن نجري بعيدًا. أول عدو نقابله سوف يعرفنا. ينبغي علينا أن نبعد عن هذا الطريق بطريقة أو بأخرى».

فقال سام: «ولكن لا نستطيع ذلك، ليس بدون أجنحة».

كانت الأوجه الشرقية لسلسلة جبال إيفِل دُواث شديدة الانحدار، تهبط في جرف وحافة شديدة الانحدار إلى المنخفض الأسود الذي يقع بينها وبين السلسلة الداخلية. طريق قصير وراء ملتقى الطرق، بعد انحناءة أخرى شديدة الانحدار، جسر عبور من صخر قفز فوق الهوة وحمل الطريق عبرها إلى المنحدرات والوديان المنهارة لسياج مورجاي الأسود. وفي دفعة يائسة اندفع فرودو وسام عبر الجسر؛ ولكن لم يكادا يصلان إلى نهايته البعيدة حتى سمعا صيحة المطاردة وقد بدأت. بعيدًا وراءهما،

وعندئذ لاح عاليًا على جانب الجبل برج سيريث أنجول، وقد كانت صخوره تتوهج في كآبة. وفجأة دق جرسه الأجش مرة أخرى، وبعد ذلك تحول إلى جلجلة مدوية. ودوت الأبواق. وعندئذ من وراء نهاية الجسر جاءت صيحات مجيبة. وفي الأسفل في المجرى المظلم، لم يكن بإمكان فرودو وسام وقد عزلا عن وهج أوردروين الذي كان يأخذ في الضعف والخفوت أن يريا أمامهما، ولكنهما سمعا بالفعل وقع أقدام ترتدي أحذية من حديد، وعلى الطريق راح يدوي صليل الحوافر السريع.

وصاح فرودو: «أسرع يا سام! لنمر فوق الجسر!». وراحا يتسلقان ويزحفان إلى حاجز الجسر المنخفض. ولحسن الحظ لم يعد هناك أي شق مخيف يهبط إلى الخليج؛ لأن منحدرات سلسلة جبال مورجاي كانت بالفعل قد ارتفعت تقريبًا إلى مستوى الطريق؛ ولكن الدنيا كانت مظلمة للغاية بحيث لم يكن بالإمكان تخمين عمق المنخفض.

وقال سام: «حسنًا، ها نحن أولاء! الوداع!».

وترك نفسه. وتبعه فرودو. وبينما كانا يهبطان سمعا تدافع الخيالة وهم ينطلقون فوق الجسر وصليل أقدام الأوركيين وهم يجرون وراء الخيالة. ولكن سام كان سيضحك، لو أنه كان قد جرؤ على ذلك. وهبط الهوبيتيان وهما خائفان من أن يندفعا لأسفل إلى صخور غير مرئية في شق لا يزيد على عشرة أقدام، محدثين ارتطامًا واصطدامًا بآخر شيء كانا يتوقعانه: شرك من شجيرات قصيرة شائكة. وهناك رقد سام ساكنًا، وهو يمص بصوت منخفض يدًا مخدوشة.

وعندما تلاشى صوت الحوافر والأقدام غامر وراح يهمس قائلًا: «سامحني يا سيد فرودو، ولكني لم أكن أعلم أن هناك أي شيء ينمو في موردور! ولكن لو أنني كنت قد عرفت، فهذا هو الذي كنت سأبحث عنه تمامًا. لا بد أن طول هذه الأشواك قدم واحدة من خلال لمسها؛ لقد التصقت بكل شيء أرتديه فوق جسدي. أتمنى أن لو كنت قد لبست ذلك الدرع الواقي!».

فقال فرودو: «درع الأوركيين لا يحمي من هذه الأشواك. ولا حتى السترة الجلدية ليس لها أي فائدة في ذلك».

لقد جاهدا كثيرًا ليخرجا من الأجمة. كانت الأشواك والأغصان الشائكة صلبة وخشنة مثل الأسلاك وتلتصق بالجسم مثل المخالب. وتمزقت معاطفهما وصارت أسمالًا قبل أن يتخلصا من الأشواك في النهاية.

وهمس فرودو: «والآن لنهبط يا سام. لنهبط إلى الوادي سريعًا، وبعد ذلك ندور شمالًا، بأسرع ما يمكننا على الإطلاق».

وكان النهار يطلع مرة أخرى في العالم بالخارج، وبعيدًا وراء ظلمات موردور

كانت الشمس تصعد فوق الحافة الشرقية للأرض الوسطى؛ ولكن هنا كان كل شيء لايزال مظلمًا مثل الليل. ودخن الجبل وخمدت نيرانه. وتلاشى الوهج من الجرف. وبدت الريح الشرقية التي كانت تهب منذ أن تركوا إيثيلين، الآن ميتة. وببطء وبألم راحا يهبطان في كد وجهد، يتحسسان، ويتعثران، ويزحفان بين الصخر والأغصان الشائكة والأشواك والأخشاب الميتة في الظلال المظلمة، وراحا يهبطان ويهبطان حتى لم يستطيعا أن يهبطا أكثر من ذلك.

وأخيرًا توقفا، وجلسا جنبًا إلى جنب، وسندا ظهريهما على جُلْمُود. وكانا كلاهما يتصبب عرقًا، وقال سام: «لو أن شاجرات نفسه قدم لي كأسًا من ماء، لصافحت يده».

وقال فرودو: «لا تقل مثل تلك الأشياء! إنها تزيد الأمر سوءًا وحسب». عندئذ مد يده، وهو مصاب بدوار وإعياء، ولم يتحدث أكثر من ذلك لبعض الوقت. وأخيرًا نهض مرة أخرى في كد وجهد. ولدهشته وجد أن سام كان نائمًا، فقال: «استيقظ يا سام! هيا! حان الوقت لأن نحاول ونبذل جهدنا مرة أخرى».

وزحف سام ووقف على قدميه، وقال: «حسنًا، لم أنم قط! لا بد وقد أخذتني سنة من النوم. لقد مضى زمن طويل، يا سيد فرودو، منذ أن نمتُ نومًا ملائمًا، كل ما هنالك أن عينيّ قد أغمضتا قليلًا».

وسار فرودو في المقدمة، باتجاه الشمال قريبًا قدر ما استطاع أن يخمن، بين الصخور والجلاميد التي ترقد في كثافة في قاع الوهد العظيم. ولكن في الوقت الحالي توقف مرة أخرى، وقال: «ليست هناك فائدة يا سام. لا يمكنني أن أستعمله. أقصد ذلك الدرع الواقي. ليس في وضعي الحالي هذا. حتى مُعطف الميثريل الذي كان لدي كان يبدو ثقيلًا عندما أكون متعبًا. وهذا أثقل منه بكثير. وما فائدته؟ إننا لن ننجح في الوصول لهدفنا بالقتال».

فقال سام: «ولكن ربما يكون لدينا ما نفعله. وهناك سكاكين وسهام ضالة. إن جولام لم يمت، وذلك لشيء واحد. لا أحب أن أفكر فيك بلا شيء سوى قطعة من جلد بينك وبين طعنة في الظلام».

فقال فرودو: «انظر هنا، يا عزيزي سام. إنني متعب ومرهق، ليس لدي من أمل تبقى. ولكن يجب علي أن أواصل محاولتي للوصول إلى الجبل، مادمت أستطيع الحركة. الخاتم يكفي. هذا الحمل الإضافي يقتلني. يجب أن يذهب. ولكن لا تظن أنني جاحد. أكره أن أفكر في ذلك العمل البشع الذي لا بد وقد قمتَ به بين الجثث لتعثر عليه من أجلي».

«لا تذكر ذلك يا سيد فرودو، إنه لا شيء. يباركك الله! كنت سأحمل على ظهري، لو استطعتُ. دع الأمر يمضي إذن!».

ووضع فرودو المعطف جانبًا وخلع الدرع الأوركي ورماه بعيدًا. وارتعش قليلًا، وقال: «ما أحتاج إليه حقًا هو شيء دافئ. أصبح الجو باردًا، وإلا فإنني قد أصبتُ بقشعريرة».

وقال له سام: «يمكنك أن نأخذ معطفي يا سيد فرودو». وأنزل صرته من على ظهره وأخرج معطفًا جنيًا، وقال: «ماذا عن هذا يا سيد فرودو؟ لُف تلك الأسمال الأوركية حولك بإحكام، وضع الحزام خارجها. وبعد ذلك يأتي هذا فوق الجميع. إنه لا يبدو زيًا أوركيًا على الإطلاق، ولكنه سيجعلك أكثر دفئًا؛ وإذا جاز لي القول سوف يحميك من أي أذى أكثر من أي عتاد آخر. لقد صنعته السيدة[1]».

وأخذ فرودو المعطف وربط الدبوس، وقال: «هذا أفضل! أشعر بأنني أخف بكثير. بينما كنتُ أرقد في السجن يا سام، حاولتُ أن أتذكر نهر براندیواین، ومنطقة الغابات الجبلية المرتفعة[2]، ونهر الماء[3] يجري عبر الطاحونة في قرية هوبيتون[4]. ولكني لا أرى هذه الأشياء الآن».

وقال سام: «ها أنت ذا يا سيد فرودو أنت الذي تتحدث عن الماء في هذه المرة! لو أن السيدة تراانا أو تسمعنا، فإنني سأقول لها: «يا سيدتي، كل ما نريده هو الضوء والماء: فقط ماء نظيف وضوء نهار صريح، أفضل من أية جواهر، أستميحك عذرًا». ولكن المسافة إلى لورين طويلة». وتنهد سام وأشار بيده باتجاه مرتفعات إيفيل دُواث، ولم يكن عندئذ بالإمكان تخمينه أكثر من مجرد سواد أكثر عمقًا في مواجهة السماء السوداء.

وانطلقا مجددًا. ولم يمضيا بعيدًا حتى توقف فرودو، وقال: «هناك خيال أسود فوقنا. إنني أحس به. من الأفضل أن نلزم السكون لبعض الوقت».

وجلسا جاثمين تحت جلمود كبير وظهراهما باتجاه الغرب ولم يتحدثا لبعض الوقت. عندئذ تنهد فرودو تنهيدة ارتياح، وقال: «لقد مر». ووقفا مرة أخرى، وعندئذ حدق كلاهما في ذهول. بعيدًا على يسارهما، باتجاه الجنوب، قبالة سماء كانت تتحول إلى اللون الرمادي، بدأت قمم السلسلة الجبلية العظيمة وحوافها المرتفعة تظهر مظلمة وسوداء، أشكال مرئية. كان الضوء يزداد وراءها. وبطيئًا راح يزحف باتجاه الشمال. كانت هناك معركة فوقهما عاليًا جدًا في الفضاءات المرتفعة في الجو. كانت سحب موردور الهائجة قد بدأت تُدفع للوراء، وتقطعت وتمزقت حوافها كما لو أن

(1) الإشارة إلى جَلَدْرِيل. (المترجم)

(2) Woody End منطقة غابات مرتفعة في الربع الشرقي [Eastfarthing] من المقاطعة [Shire] بين بلدة التل الأخضر [Green Hill Country] في الغرب والمستنقعات [Marish] في الشرق. (المترجم)

(3) The Water النهر الرئيسي في المقاطعة، وهو رافد من روافد River Brandywine نهر براندیواین. (المترجم)

(4) Hobbiton قرية الهوبيتين. (المترجم)

ريحًا من العالم الحي جُاءت صاعدة ودفعت الأدخنة والأبخرة باتجاه أرض موطنها المظلمة. وتحت الحواف المرتفعة للظُلة الكئيبة الموحشة راح ضوء باهت يتسرب إلى موردور مثل صباح شاحب ينسل عبر نافذة سجن متسخة يغطيها السناج.

وقال سام: «انظر إليها يا سيد فرودو. انظر إليها! لقد تغيرت الريح. شيء ما يحدث. إنه[1] لم يعد يسيطر عليها ويجعل الأمور تسير على طريقته. إن ظلمته تتكسر وتنقشع في العالم هناك.

كان ذلك صباح اليوم الخامس عشر من شهر مارس، وفوق وادي نهر أندوين كانت الشمس تشرق فوق الظل الشرقي، وكانت الريح الجنوبية الغربية تهب. وكان ثيودن يرقد وهو يحتضر في حقول بيلينور.

وبينما كان فرودو وسام يقفان يحدقان، انتشر إطار الضوء عبر خط إيفيل دُواث بكامل طوله، وعندئذ رأيا شكلًا يتحرك بسرعة كبيرة من الغرب، في البداية لم يكن سوى بقعة سوداء في الشريط المتوهج فوق قمم الجبال، ولكنه راح يكبر، حتى قفز مثل قذيفة إلى الظُلة المظلمة ومر عابرًا عاليًا فوقهما. وبينما كان يمضي كان يطلق صرخة زاعقة حادة: صوت نازجول؛ ولكن صرخته لم تعد تمثل أي رعب بالنسبة لهما: لقد كانت صرخة رعب وفزع، أخبار سيئة لبرج الظلام. لقد لقي سيد أطياف الخاتم حتفه.

وصاح سام: «ما الذي أُخبرك به؟ هناك شيء يحدث! قال شاجرات: «الحرب تسير على نحو جيد»؛ ولكن جورباج لم يكن متأكدًا جدًا. وكان على صواب في ذلك أيضًا. الأشياء تتحسن يا سيد فرودو. أليس لديك بعض الأمل الآن؟».

وتنهد فرودو قائلًا: «حسنًا، لا، ليس كثيرًا، يا سام. إنه بعيد فيما وراء الجبال. إننا ذاهبون شرقًا لا غربًا. وإنني متعب للغاية. والخاتم ثقيل للغاية، يا سام. وقد بدأتُ أراه في عقلي طوال الوقت، مثل عجلة عظيمة من نار».

وخارت روح سام المعنوية المتقدة مرة أخرى في الحال. ونظر إلى سيده في قلق، وأخذ يده، وقال: «هيا يا سيد فرودو! لدي شيء كنتُ أريده: قدر قليل من ضوء. يكفي لمساعدتنا، ومع ذلك فإنني أعتقد أنه خطير أيضًا. حاول مسافة صغيرة أخرى، وبعد ذلك سوف نرقد متضامين وننال قسطًا من الراحة. ولكن خذ لقمة لتأكلها أولًا الآن، قضمة من طعام الجن؛ فربما تشد عزمك».

وتشاطر فرودو وسام رقاقة من الليمباس، ومضغاها جيدًا كلَّ قدر استطاعته بفيه الجافي، وبعد ذلك واصلا سيرهما في كد وجهد. كان الضوء عندئذ على الرغم من أنه لم يكن أكثر من غسق قاتم كافيًا بحيث يمكنهما رؤية أنهما كانا يسيران عميقًا في

(1) الحديث هنا عن ساورون. (المترجم)

الوادي بين الجبال. وراحت تزداد ارتفاعًا تدريجيًا باتجاه الشمال، وعند قاعه كان يسير فيه قاع أصبح الآن جدول ماء جافًا ذاويًا. ورأيا فيما وراء مجراه الصخري ممرًا مطروقًا كان يتعرج شاقًا طريقه أسفل سفوح الجُرف الغربية. لو كانا يعرفان، لكانا وصلا إليه بشكل أسرع؛ لأنه كان طريقًا ترك طريق مورجول الرئيسي عند النهاية الغربية للقنطرة وهبط عبر سلم طويل منحوت في الصخر إلى قاع الوادي. كانت تستخدمه الدوريات أو الرسل الذين يذهبون سريعًا إلى نقاط ومعاقل أقل بعدًا في الشمال، بين سيريث أنجول والممرات الضيقة لأيزنماوث[1]؛ الفكين الحديديين لكاراتش أنجرين.

كان من الخطر بالنسبة للهوبيتيين استخدام ذلك الممر، ولكنهما كانا بحاجة إلى السرعة، وكان فرودو يشعر أنه لن يستطيع مواجهة عناء التسلق بين الجلاميد أو في وديان مورجاي غير المطروقة. وقدر أنه ربما كان في اتجاه الشمال أقل طريق كان مطاردوهما سيتوقعون مرورهما فيه. الطريق شرقًا إلى السهل، أو الممر الذي يرجع باتجاه الغرب، هذان سيقومان بتفتيشهما أولًا تفتيشًا هو الأكثر شمولية. ولم يحدث إلا عندما كان إلى شمال البرج تمامًا أنه نوى أن يلتفت ويبحث عن طريق آخر ليأخذه شرقًا، شرقًا في المرحلة الأخيرة اليائسة من رحلته. وهكذا فقد عبرا عندئذٍ القاع الصخري وسلكا الممر الأوركي، ولبعض الوقت راحا يمشيان عبره. كان الجُرف على يسارهما معلقًا فوقهما، ولم يكن بالإمكان رؤيتهما من أعلى؛ ولكن الممر انثنى ثنيات كثيرة، وفي كل ثنية كانا يقبضان على مقابض سيوفهما ويتقدمان في حذر.

ولم يعد الضوء يزداد قوة؛ لأن جبل أورودروين[2] كان لا يزال يلفظ قدرًا كبيرًا من الدخان، كان يصعد لأعلى يرفعه الهواء المقابل، وكان يرتفع أعلى وأعلى، حتى وصل إلى منطقة فوق الريح وانتشر في سقف يتعذر قياسه، كان عموده المركزي يرتفع من الظلال فيما وراء قدرتهما على الرؤية. وظلا يمشيان في جهد جهيد لمدة تزيد على الساعة عندما سمعا صوتًا جعلهما يتوقفان. شيء لا يصدق، شيء في منتهى الوضوح. ماء يترقرق. كان يأتي من شعب على اليسار، حادًا وضيقًا للغاية لدرجة أنه بدا كما لو أن الجُرف الأسود قد شقه بلطة ضخمة هائلة، وجاء الماء يتقاطر هابطًا: ربما كانت هذه آخر بقايا من مطر عذب تجمعت من البحار التي تضينها الشمس، ولكنها كانت مشئومة؛ لأنها تسقط أخيرًا على جدران الأرض السوداء وتجري هائمة دون جدوى

(1) Isenmouthe ويسمي أيضًا «الفكان الحديديان» [The iron jaws]. وكذلك «كاراتش أنجرين» [Carach Angren]، وهو طريق في النهاية الجنوبية من وادي أودون [Udûn] في شمال موردور [Mordor]، حيث كان يسير مع نجد جورجوروث [Plateau of Gorgoroth]. (المترجم)

(2) Orodruin وهو ‹Mountain of Blazing Fire› أي جبل النار المتوهجة، في موردور، الذي صنع فيه ساورون خاتم السلطة، ويسمى أيضًا [Amon Amarth] و[‹Mount Doom›] أي جبل الهلاك. (المترجم)

هابطة إلى التراب. هنا جاءت من الصخر في جدول صغير متساقط، وراحت تتدفق عبر الممر، ودار جنوبًا وراح يجري بعيدًا سريعًا حتى ضاع بين الصخور الميتة.

وقفز سام باتجاهه، وصاح: «لو حدث على الإطلاق ورأيتُ السيدة مرة أخرى، فإنني سوف أخبرها! الضوء والآن الماء!». عندئذ توقف، وقال: «دعني أشرب أولًا، يا سيد فرودو».

«حسنًا، ولكن هناك مكان كاف لاثنين».

وقال سام: «إنني لم أقصد ذلك. أقصد: إذا كان سامًا، أو كان شيئًا سوف يظهر سوءه سريعًا، حسنًا، الأفضل أن أبدأ أنا لا أنت يا سيدي إذا كنتَ تفهم ما أرمي إليه».

«أفهم ذلك. ولكني أعتقد أننا سنثق في حظنا معًا، يا سام؛ أو مباركتنا. ومع ذلك، عليك بالحذر الآن، إذا كان باردًا جدًا!».

كان الماء باردًا للغاية، بيد أنه لم يكن ثلجًا، وكان مذاقه غير طيب، كان مرًا وزيتي القوام على السواء، أو هكذا كانوا سيقولون في ديارهم. أما هنا فبدا أنه يفوق كل مديح، ويفوق الخوف أو الحذر والفطنة. وشربا حتى شبعا، وأعاد سام ملء قارورته. بعد ذلك أحس فرودو بمزيد من الارتياح، وواصلا سيرهما لمسافة أميال عديدة، حتى نبههما اتساع الطريق وبدايات الجدار الوعر عبر حوافه إلى أنهما كانا يقتربان من معقل آخر للأوركيين.

فقال فرودو: «هذا هو المكان الذي ندور فيه جانبًا يا سام. وينبغي علينا أن ندور شرقًا». وتنهد وهو ينظر إلى سلاسل الجبال الكئيبة عبر الوادي: «لدي قوة كافية تقريبًا متبقية بما يجعلني أعثر على حفرة ما هناك فوقنا. وعندئذ ينبغي أن أنال قسطًا قليلًا من الراحة».

وكان قاع النهر عندئذ أسفل الممر لمسافة ما. وراحا يزحفان هابطين إليه، وبدآ يعبرانه. ولدهشتهما وصلا إلى برك مظلمة تغذيها مجار مائية صغيرة يتقاطر الماء منها نازلًا من مصدر يقع في مكان أعلى في الوادي. وفوق حدوده الخارجية تحت الجبال الغربية، كانت موردور أرضًا تحتضر، بيد أنها لم تكن قد ماتت بعد. وهناك كانت الأشياء لا تزال خشنة وملتوية ومرة، تناضل من أجل الحياة. في وهاد مورجاي على الجانب الآخر من الوادي كانت هناك أشجار قصيرة شعثاء مختبئة ومعلقة، حزم كثيفة من الحشائش الخشنة تناضل مع الصخور، وكانت هناك طحالب ذابلة تزحف متسلقة عليها؛ وكانت هناك في كل مكان نباتات العليق الذابلة المتشابكة تزحف متسلقة. كان لبعضها أشواك طويلة بارزة، وكان لبعض آخر منها أشواك خطافية كانت منقسمة حادة تشق مثل السكاكين. وكانت الأوراق الكئيبة الضامرة التي نمت في السنة الماضية معلقة عليها، ويأتي صوت

احتكاكها وحفيفها في الجو الحزين، ولكن براعمها التي كانت تمتطيها اليرقات كانت قد أخذت في التفتح قريبًا فقط. أما الذباب، سواء كان داكنًا أو رماديًا، أو أسود، فقد كان عليه بقعة لها شكل العين الحمراء مثل الأوركيين، فراح يطن ويلسع؛ وفوق أجمات الشوك البري كانت هناك سحب من الناموس الجائع راحت ترقص وتدور.

وقال سام وهو يلوح بذراعيه: «ليست هناك فائدة من عُدة الأوركيين. أتمنى أن لو كان لي جلدُ أوركي!».

وأخيرًا لم يستطع فرودو أن يسير أكثر من ذلك. لقد صعدا وهدًا ضيقًا متحدرًا، ولكن كان أمامهما، لا يزال، طريق طويل عليهما أن يقطعاه قبل أن يستطيع حتى أن يكون على مرأى من آخر سلسلة وعرة منحدرة. وقال فرودو: «ينبغي أن أستريح الآن، يا سام، وأنام إذا استطعتُ». ونظر حوله، ولكن لم يكن يبدو أن هناك أي مكان حتى لحيوان يمكن أن يزحف داخلًا فيه في هذا المكان الكئيب. وأخيرًا، وقد بلغ منهما الإجهاد والإرهاق مبلغه، انسلا تحت ستارة من نباتات العليق كانت مدلاة لأسفل مثل حصيرة فوق وجه صخر منخفض.

وهناك جلسا وصنعا طعامًا بقدر ما استطاعا. وأبقيا على طعام الليمباس للأيام الشريرة التي تنتظرهما، وأكلا نصف ما كان متبقيًا معهما في حقيبة سام، مما كان قد أعطاه له فارامير، بعض الفاكهة الجافة، وقطعة صغيرة من لحم مقدد؛ وارتشفا قليلًا من الماء. وشربا مرة أخرى من البرك التي كانت في الوادي، ولكنهما كانا عطشانين للغاية مرة أخرى: كانت هناك رائحة نافذة في هواء موردور كانت تجفف الفم. عندما فكر سام في الماء فإنه حتى روحه المتوقدة بالأمل ذبلت وجبنت. وفيما وراء مورجاي كان هناك سهل جورجوروث المروع عليهما أن يعبراه. وقال سام: «والآن اذهب أنت لتنام أولًا يا سيد فرودو». «بدأ الجو يظلم مرة أخرى، أعتقد أن هذا اليوم على وشك الانتهاء».

وتنهد فرودو وراح في النوم قبل أن ينطق بكلماته تقريبًا. وجاهد سام مع ما كان به من إعياء وإرهاق، وأخذ يد فرودو؛ وجلس في مكانه صامتًا حتى حل الليل العميق. وعندئذ أخيرًا، حتى يبقي نفسه مستيقظًا، زحف من المكان الذي كانا يختبئان فيه ونظر للخارج. بدت الأرض مليئة بأصوات صرير وتكسير وأصوات خبيثة ماكرة، ولكن لم يكن هناك صوت لكلام أو وقع قدم. وفيما فوق قمة إيفيل دواث في الغرب عاليًا كانت السماء لا تزال معتمة وشاحبة. وهناك، رأى سام نجمًا أبيض يسطع للحظة، يطل بين قطع السحب المتكسرة فوق ربوة مظلمة عاليًا في الجبال. وقد أصاب جماله قلبه، وهو ينظر لأعلى من أرض مهجورة، وعاد إليه الأمل؛ لأن التفكير اخترقه مثل شعاع، واضح وبارد لدرجة أن الظل في النهاية لم يعد سوى شيء صغير وعابر: كان هناك ضوء وجمال راقٍ للأبد فيما وراء متناول الظل. لقد كانت أغنيته التي غناها في البرج

تحدياً أكثر منها أملاً؛ لأنه كان يفكر عندئذ في نفسه. أما الآن، وللحظة، فإن مصيره هو نفسه، بل وحتى مصير سيده، لم يعد يقلقه. وزحف عائداً إلى تعريشة العليق ووضع نفسه إلى جوار فرودو، ونحى عنه كل ما كان به من خوف ونام نوماً عميقاً هادئاً مطمئناً.

واستيقظا معاً، يداً بيد. كان سام مفعماً بالنشاط تقريباً، مستعداً ليوم آخر؛ إلا أن فرودو كان يتنهد. لقد كان نومه قلقاً ومضطرباً، مليئاً بالأحلام وبالنار، ولم يمنحه الاستيقاظ أي راحة. ومع ذلك فلم يكن نومه بدون فضيلة شافية: فقد كان أكثر قوة، وأكثر قدرة على تحمل حمله لمرحلة أخرى. لم يكونا يعرفان الوقت، ولا المدة التي استغرقاها في النوم؛ ولكن بعد أن أكلا لقمة من طعام ورشفة من ماء واصلا سيرهما صعوداً في الوهد، حتى انتهيا بمنحدر حاد؛ ركام وصخور منزلقة. وهناك تخلت آخر الكائنات الحية عن نضالها؛ كانت قمم مورجاي جرداء لا عشب فيها، عارية، مسننة، قاحلة مثل لوح من أردواز.

بعد كثير من السير بلا هدى والبحث، وجدا طريقاً استطاعا صعوده، ولما قطعا آخر مائة قدم زحفاً وتسلقاً أصبحا أعلى الطريق. ووصلا إلى شرخ بين جرفين مظلمين، ولما مرا عبره وجدا أنفسهما على حافة السور الأخير من أسوار موردور. وتحتهما، عند قاع منحدر عمقه ألف وخمسمائة قدم، يرقد السهل الداخلي ممتداً بعيداً إلى ظلمة عديمة الشكل فيما وراء بصرهما وقدرتهما على الرؤية. وراحت رياح العالم آنذاك تهب من الغرب، وارتفعت السحب العظيمة عالياً، وهي تطفو بعيداً نحو الشرق؛ ولكن كانت لم تزل سوى ضوء رمادي يأتي من جبال جورجوروث[1] الكئيبة الموحشة.

هناك راح الدخان ينتشر على الأرض ويختبئ في التجاويف، وتتسرب الأدخنة من الشقوق الموجودة في الأرض.

ورأيا على مسافة مازالت بعيدة، أربعين ميلاً على الأقل، جبل الهلاك، وسفوحه مستقرة في دمار رمادي، وشكله المخروطي الضخم يرتفع إلى ارتفاع هائل، في حين كانت قمته المدخنة ملفوفة بالسحاب. وكانت نيرانه وقتها معتمة، وكان يقف في سبات، ينم عن غضب مكبوت، مهدداً وخطراً مثل حيوان نائم. وفيما وراءه، كان معلقاً ظل هائل، منذر بشؤم مثل سحابة من رعد، وظهرت حجب برج باراد دور الذي كان قد شيد بعيداً فوق أنف طويلة من الجبال الرمادية متدلياً لأسفل من الشمال. كانت قوة الظلام مستغرقة في التفكير، وتحولت العين نحو الداخل، تتفكر في أخبار الشك والخطر: لقد رأت سيفاً لامعاً، ووجهاً صارماً وملكياً، ولبعض الوقت فكرت قليلاً في أشياء أخرى؛ ولفت كل قلاعها وحصونها القوية، بوابة على بوابة، وبرجاً على برج، ظلمة كئيبة.

(1) Gorgoroth جبال الرعب [«Mountains of Terror»]، وتسمى أيضاً [Ered Gorgoroth]. (المترجم)

وحدق فرودو وسام في اشمئزاز وعجب مختلطين إلى هذه الأرض البغيضة. وبدا كل شيء بينهما وبين الجبل الذي ينبعث منه الدخان، ومن حوله شمالاً وجنوباً، مدمراً وميتاً، صحراء محترقة ومخنوقة. وتساءلا كيف كان سيد هذه المملكة يحافظ على خدامه وجيوشه ويطعمهم. ولكن كان لديه جيوش. على قدر ما كانت أعينهما تستطيع أن تمتد وترى، عبر ضواحي مورجاي وبعيداً باتجاه الجنوب، كانت هناك معسكرات، بعضها من خيام، وبعضها مرتب مثل مدن صغيرة. وكان أحد أكبر هذه المعسكرات أسفلهما مباشرة. وراح يتجمع على مسافة لا تكاد تزيد على الميل نحو السهل مثل عش حشرات ضخم، به شوارع مستقيمة مرعبة من أكواخ وبنايات طويلة منخفضة قذرة كئيبة. ومن حوله كانت الأرض مشغولة بأشخاص يذرعون المكان جيئة وذهاباً؛ وراح طريق واسع يجري من الجنوب الشرقي لينضم إلى طريق مورجول، وكانت تسير مسرعة عبره صفوف كثيرة من أشكال سوداء.

وقال سام: «إنني لا أحب منظر هذه الأشياء على الإطلاق. إنني أسمي ذلك أمراً يائساً باستثناء أنه في المكان الذي يوجد فيه كثير من أولئك الأشخاص، يجب أن تكون هناك آبار أو مياه، ناهيك عن الطعام. وهؤلاء بشر وليسوا أوركيين، وإلا فإن عيني مخطئتان تماماً».

لم يكن لا هو ولا فرودو يعرفان أي شيء عن الحقول الكبيرة التي يعمل فيها العبيد، بعيداً في الجنوب في هذه المملكة الشاسعة، وراء أدخنة الجبل إلى جوار المياه الحزينة المظلمة، مياه بحيرة نورينون، ولا عن الطرق الكبيرة التي كانت تجري بعيداً نحو الشرق ونحو الجنوب إلى أراض تابعة، والتي جلب منها جنود البرج قوافل كبيرة من عربات محملة بالبضائع والغنائم والعبيد الجدد. هنا في المناطق الشمالية كانت المناجم ودكاكين الحدادين، وتجمعات الحرب التي تم التخطيط لها طويلاً؛ وهناك كانت قوة الظلام، والتي تحرك جيوشها مثل قطع الشطرنج على لوحة الشطرنج تجمعهم معاً. وكانت حركاتها الأولى، أول المختبرين لقوتها، قد كبحت على خطها الغربي، جنوباً وشمالاً. وفي الوقت الحالي، فإنها قامت بسحبهم، ودفعت بقوات جديدة، مجمعة إياهم حول سيريث جورجور لتوجيه ضربة انتقامية. وإذا كان غرضها هو الدفاع عن الجبل ضد جميع من يقتربون منه، فإنها لم تكد تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك.

وواصل سام كلامه: «حسناً! إننا لا نستطيع الحصول على أي شيء يأكلونه أو يشربونه. ليس هناك أي طريق للهبوط يمكنني أن أراه. ولا يمكننا أن نعبر كل تلك المنطقة الريفية المكشوفة زاحفين مع الأعداء، حتى لو نجحنا في الهبوط».

وقال فرودو: «لا يزال يتحتم علينا أن نحاول. الأمر ليس أكثر سوءاً مما توقعت. إنني لم آمل أبداً في العبور. لا يمكنني أن أرى أي أمل في العبور الآن. ولكن لا يزال

يتحتم عليّ أن أفعلَ كل ما في وسعي. وهو في الوقت الحالي أن أتجنب الإمساك بي أطول وقت ممكن. ولذلك لا يزال ينبغي علينا أن نسير باتجاه الشمال، في ظني، ونرى كيف يكون الأمر عندما يكون السهل المكشوف أضيق».

وقال سام: «إنني أخمن ما سيكون عليه. عندما يكون السهل أضيق، فإن البشر والأوركيين سوف يتجمعون بشكل أكثر التصاقًا وتقاربًا. سوف ترى يا سيد فرودو».

فقال فرودو وقد دار بعيدًا: «أظن أنني سأفعل، إذا حدث وسرنا أبعد من ذلك كثيرًا على الإطلاق».

وسريعًا اكتشفا أنه كان مستحيلًا شق طريقهما عبر قمة مورجاي[1]، أو في أي مكان عبر مستوياته الأكثر ارتفاعًا، ولم تكن فيها أي ممرات على ما كانت عليه وكانت محززة بوهاد عميقة. في النهاية، أرغما على العودة هابطين الوهد الذي كانا قد صعداه وراحا يبحثان عن طريق عبر الوادي. كان الطريق وعرًا والحركة فيه صعبة؛ لأنهما لم يجرؤا على العبور إلى الطريق الموجود في الجانب الغربي. بعد ميل أو أكثر رأيا معقل الأوركيين جاثيًا في تجويف عند سفح الجرف وقد كانا قد خمنا أنه قريب منهما؛ كان هناك جدار ومجموع من أكواخ من حجارة حول فتحة كهف مظلمة. لم تكن هناك أي حركة يمكن رؤيتها، ولكن الهوبيتيان راحا يزحفان في حذر، مقتربين بأكبر قدر ممكن من الأجمات الشوكية التي كانت نامية بكثافة عند هذه النقطة عبر كلا جانبي المجرى المائي.

وسارا مسافة ميلين أو ثلاثة، وكان معقل الأوركيين مختفيًا وراءهما بحيث لا يمكن رؤيته؛ ولكن لم يكادا يبدآن التنفس بحرية أكثر مرة أخرى حتى سمعا أصوات الأوركيين أجشة وعالية. وسريعًا استلا واختبئا وراء أجمة رمادية غير مكتملة النمو. واقتربت الأصوات. وفي هذا الوقت ظهر اثنان من الأوركيين. كان أحدهما مرتديًا ثيابًا بنية رثة مسلحًا بقوس من قرون؛ وكان من سلالة صغيرة، أسود البشرة، منخاراه واسعان وأخنف: كان فيما يبدو مقتفيًا للأثر من نوع ما. وكان الآخر أوركيًا ضخمًا محاربًا، مثل أولئك الذين كانوا في مجموعة شاجرات، يحمل علامة العين. وكان هو أيضًا يحمل قوسًا على ظهره ويحمل رمحًا قصيرًا عريض الرأس. وكالعادة كانا يتشاجران، ولما كانا من سلالتين مختلفتين فقد كانا يستخدمان اللغة الدارجة على طريقتهما.

وتوقف الأوركي الصغير على مسافة لا تكاد تجاوز العشرين خطوة من الهوبيتيين المختبئين، وقال في غضب: «كلا! إنني عائد إلى الديار». وأشار عبر الوادي إلى معقل الأوركيين. «ليست هناك فائدة في إبلاء أنفي على الصخور أكثر من ذلك. ليس هناك أي أثر متروك، هذا قولي. لقد فقدتُ الرائحة من خلال إفساح الطريق لك. لقد صعدت الرائحة إلى التلال، وليس عبر الوادي، إنني أؤكد لك».

وقال الأوركي الكبير: «ليست هناك فائدة كبيرة منكم، أيها المتشممون الصغار؟ أعتقد أن الأعين أفضل من أنوفكم التي يسيل المخاط منها».

وقال الآخر مزمجرًا في غضب: «عندئذ ما الذي رأيته بهما؟ اللعنة! إنك حتى لا تعرف ما الذي تبحث عنه».

وقال الجندي: «ومن الذي يلام على ذلك؟ ليس أنا. إن هذا يأتي من أعلى. في البداية قالوا جني كبير يرتدي درعًا براقًا، وبعد ذلك نوع صغير ما بين رجل وقزم، وبعد ذلك لا بد أنه مجموعة من الأوروك هاي المتمردين؛ أو ربما أنه كل ذلك معًا».

وقال مقتفي الأثر: «حسنًا! لقد فقدوا عقولهم، هذا هو الأمر. وسوف يفقد بعض الرؤساء جلودهم أيضًا، في اعتقادي، إذا كان ما أسمعه صحيحًا: تمت الإغارة على البرج فوق كل شيء، والمئات من رجالك قضوا حتفهم بداخله، وهرب السجناء. إذا كانت هذه هي الطريقة التي تعملون بها أيها المحاربون، فلا عجب أن هناك أخبارًا سيئة من المعارك».

وصاح الجنود: «من الذي قال إن هناك أخبارًا سيئة؟».

«حسنًا! من الذي قال ليست هناك؟».

«إذا لم تغلق فمك عن هذا الحديث الملعون عن المتمردين فسوف أطعنك، هل تفهم ما أقول؟».

وقال مقتفي الأثر: «حسنًا، حسنًا! لن أتفوه بكلمة أكثر من ذلك وسوف أواصل تفكيري. ولكن ما شأن المتسلل الأسود بذلك كله؟ هذا المخلوق بيديه اللتين تشبهان الخف؟».

«لا أدري. ربما لا شيء. ولكنه لا يخطط لأي شيء، إنه يتجسس، في اعتقادي، على المكان. اللعنة عليه! ولم يكد يهرب منها ويجري بعيدًا حتى جاءت الأخبار أنه مطلوب حيًا، مطلوب سريعًا».

وقال مقتفي الأثر في غضب وثورة: «حسنًا، أتمنى أن يعثروا عليه، ويجعلوه يدفع ثمن ذلك. لقد أفسد الرائحة هناك وراءنا، وقد أمسك بذلك الدرع الواقي الملقى على الأرض الذي وجده، وراح يجوس في المكان كله قبل أن أصل إلى هناك».

وقال الجندي: «لقد أنقذ ذلك حياته على أية حال. ولم لا، قبل أن أعلم أنه مطلوب أطلقتُ سهمي عليه، بكل دقة، على مسافة خمسين خطوة تمامًا من الخلف؛ ولكنه واصل جريه».

وقال مقتفي الأثر: «اللعنة! لقد أفلتَه. في البداية رحت ترمي في جموح، وبعد ذلك رحتَ تجري بطيئًا أكثر من اللازم، وعندئذ ترسل في طلب مقتفي الأثر المساكين. لقد رأيتُ منك الكثير». وبعد ذلك فر هاربًا.

(1) Morgai ومعناها <Black Fence> أي السور الأسود. (المترجم)

وصاح الجندي: «عد وإلا سوف أبلغ عنك!».

«لمن؟ ليس لشاجرات قائدك الثمين. لن يكون قائدًا بعد ذلك».

فقال الجندي وهو يخفض صوته حتى صار هسيسًا: «سوف أعطي اسمك ورقمك للنازجول. إن واحدًا منهم هو المسئول في البرج الآن».

وتوقف الآخر، وكان صوته مليئًا بالخوف والغضب الشديد، وصاح قائلًا: «أنت أيها اللص المختلس الواشي! لا يمكنك أن تقوم بعملك، بل ولا يمكنك أن تبقى إلى جوار جماعتك. اذهب إلى زاعقيك القذرين، وأتمنى أن يجمدوا لحكم! إذا لم ينل العدو منهم أولًا. لقد فعلوا ذلك في رقم واحد، حسبما سمعت، وأتمنى أن يكون ذلك صحيحًا!».

وقفز الأوركي الكبير وراءه وحربته في يده. ولكن مقتفي الأثر، وقد قفز وراء صخرة، وضع سهمًا في عينه وهو يجري صاعدًا، وسقط محدثًا ارتطامًا شديدًا وجرى الآخر مندفعًا عبر الوادي واختفى.

ولبعض الوقت جلس الهوبيتيان في صمت. وأخيرًا تململ سام، وقال: «حسنًا، إنني أقول عن ذلك إنه دقيق غاية الدقة. لو أن تلك الصداقة اللطيفة انتشرت في موردور، فإن نصف متاعبنا سوف ينتهي».

وهمس فرودو: «اخفض صوتك يا سام. ربما يكون هناك آخرون حولنا. لقد هربنا فيما يبدو بشق الأنفس، وكانت المطاردة حامية أكثر مما كنا نظن. ولكن تلك هي روح موردور، يا سام؛ وقد انتشرت في كل ركن فيها. لقد كان الأوركيون يتصرفون على هذا النحو دائمًا، أو هكذا تروي الحكايات، عندما يكونون مستقلين مع أنفسهم فقط. إنهم يكرهوننا أكثر بكثير، تمامًا وفي جميع الأوقات. لو أن هذين الاثنين كانا قد رأيانا، لكانا قد تخليا عن كل شجارهما إلى أن نصبح نحن أمواتًا».

وجاء صمت آخر طويل. وكسره سام مرة أخرى، ولكن بهمس هذه المرة. «هل سمعتَ ما قاله عن ذلك المخلوق ذي اليدين اللتين تشبهان الخف، يا سيد فرودو؟ لقد قلتُ لك إن جولام لم يمت بعد، ألم أقل لك ذلك؟».

فقال فرودو: «نعم، أذكر ذلك. وأعجب كيف عرفتَ ذلك. حسنًا، هيا الآن! أعتقد أنه من الأفضل ألا نتحرك خارجين من هنا مرة أخرى، حتى تصبح الدنيا مظلمة تمامًا. وهكذا سوف تخبرني كيف عرفت كل شيء عما حدث. إذا كنت تستطيع أن تفعل ذلك في هدوء».

فقال سام: «سوف أحاول، ولكني عندما أفكر في ذلك المتسلل فإنني أصبح مهتاجًا للغاية لدرجة أنني أصيح وأصرخ».

وهناك جلس الهوبيتيان تحت غطاء الأجمة الشوكية، في حين أن الضوء الأكثر كآبة، ضوء موردور، راح يذبل ببطء متحولًا إلى ليل عميق لا نجم فيه؛ وراح سام يتحدث في

أذن فرودو قائلًا له كل ما استطاع أن يجد له من كلمات عن هجوم جولام الخائن الغادر، ورعب شيلوب، ومغامراته هو نفسه مع الأوركيين. وعندما انتهى من حكايته، لم يتفوه فرودو بكلمة ولكنه أخذ يد سام وضغط عليها. وأخيرًا تحرك في مكانه، وقال:

«حسنًا، أظن أنه ينبغي علينا أن نواصل سيرنا مرة أخرى. وإنني لأتساءل كم من الوقت سوف يمضي قبل أن يتم الإمساك بنا حقًا وينتهي كل التعب والتلصص، ويكون كل شيء عبثًا دون جدوى». ووقف في مكانه. «الدنيا مظلمة، ولا يمكننا استخدام قنينة السيدة. أبقِ عليها سليمة وآمنة لي يا سام. ليس لدي أي مكان أحتفظ بها فيه الآن، إلا أن أحتفظ بها في يدي، وسوف أحتاج إلى كلتا يديّ في الليلة المظلمة العمياء. ولكن ستينج سوف أعطيه لك. معي سيف أوركي، ولكن لا أظن أن سيكون دوري أن أضرب أي ضربة مرة أخرى».

كانت الحركة صعبة وخطيرة في الليل في الطريق غير المعبد؛ ولكن ببطء ومع كثير من التعثر والتخبط راحا الهوبيتيان يكدان ويكدحان ساعة تلو الأخرى باتجاه الشمال عبر الحافة الشرقية للوادي الصخري. عندما راح الضوء يزحف عائدًا فوق المرتفعات الغربية، بعد أن انفتح الليل بكثير في الأراضي التي كانت وراءها، اختبأا مرة أخرى وناما قليلًا، يتناوبان النوم واليقظة. وفي نوبات استيقاظه كان سام مشغولًا بأفكار عن الطعام. وأخيرًا عندما استيقظ فرودو وتحدث عن الأكل وعن الاستعداد لجهد آخر سيأتي، سأل السؤال الذي كان يقلقه أكبر قلق، وقال:

«إنني أستميحك عذرًا يا سيد فرودو، ولكن هل لديك أدنى فكرة عن المسافة التي لا يزال ينبغي علينا أن نقطعها؟».

وأجابه فرودو بقوله: «كلا، ليست لدي أي فكرة واضحة يا سام. في ريفنديل قبل أن أبدأ الرحلة أروني خريطة لموردور كانت قد صنعت قبل أن يعود العدو إلى هنا؛ ولكني أتذكرها بغموض وبشكل غير واضح تمامًا. وأتذكر بأكبر قدر من الوضوح أنه كان هناك مكان في الشمال حيث يبرز أنف الجبل من سلسلة الجبال الغربية ومن سلسلة الجبال الشمالية حيث يكادان يتقابلان. لا بد أن هذا يبعد عشرين فرسخًا من الجسر إلى جوار البرج. ربما تكون هذه نقطة جيدة يمكن العبور عندها. ولكن بالطبع، ستين ميلًا منه، في اعتقادي. أظن أننا سرنا مسافة اثني عشر فرسخًا شمالًا من الجسر الآن. حتى إذا سار كل شيء على ما يرام، فلا يكاد يمكنني الوصول إلى الجبل في أسبوع. إنني أخشى يا سام أن الحمل يصبح ثقيلًا للغاية، وسوف أسير بشكل أكثر بطئًا كلما ازددنا قربًا».

وتنهد سام، وقال: «هذا ما كنتُ أخشاه تمامًا. حسنًا، ناهيك عن الماء، فإنه يتحتم علينا أن نأكل أقل، يا سيد فرودو، وإلا يتحتم علينا أن نسير أسرع قليلًا، على أية حال

بينما لا نزال في هذا الوادي. لقمة واحدة أخرى وينتهي كل ما لدينا من طعام، باستثناء طعام الجن الليمباس».

«سوف أحاول وأسير بسرعة أكبر قليلًا يا سام» قال ذلك فرودو وهو يأخذ نفسًا عميقًا. «هيا بنا إذن! لنبدأ مسيرة جديدة!».

ولم يكن الجو مظلمًا تمامًا بعد مرة أخرى. وراحا يسيران بتثاقل وإجهاد، سائرين حتى دخول الليل. ومرت الساعات في مشي طويل مجهد مرهق ومتعثر مع فترات توقف قليلة وقصيرة. وعند أول لمحة للضوء الرمادي تحت جوانب ظُلة الظل اختبأا مرة أخرى في تجويف مظلم تحت حجر معلق.

وراح الضوء يزداد بطيئًا، حتى أصبح أوضح مما كان عليه مع ذلك. وكانت هناك ريح قوية تأتي من الغرب تدفع أدخنة موردور من الأجواء العلوية. وقبل أن يمضي وقت طويل، استطاع الهوبيتيان أن يتبينا شكل الأرض على مسافة بعض الأميال من حولهما. وراح الغور الذي كان بين الجبال وموروجاي يتضاءل باستمرار وهما يصعدان لأعلى، ولم تكن الحافة الداخلية عندئذ أكثر من رف في الأسطح شديدة الانحدار لقمة إيفيل دُواث؛ ولكن إلى الشرق راح يهبط بانحدار شديد كما هو شأنه دائمًا إلى جورجوروث. وفي الأمام وصل مجرى الماء إلى نهايته عند درجات صخرية مكسرة؛ لأنه قفز من السلسلة الرئيسية أنف جبل عال وقاحل، يبرز نحو الشرق مثل جدار. وامتد من سلسلة إريد ليثوي الشمالية الرمادية والسديمية ذراع طويل بارز حتى يلتقي به؛ وبين النهايتين كانت هناك فجوة ضيقة: كاراتش أنجرين، آيزنماوث، وكان يقع وراءها وهد أدون العميق. في ذلك الوهد وراء مورانون.كانت هناك الأنفاق ومستودعات الأسلحة العميقة التي صنعها خدام موردور للدفاع عن البوابة السوداء لأرضهم؛ وهناك كان سيدهم يقوم في عجلة شديدة بتجميع قوات عظيمة لملاقاة هجوم قادة الغرب. وعلى الأنوف البارزة تم بناء حصون وأبراج، وأشعلت نيران الحراسة؛ وتم تشييد جدار طيني عبر الفجوة بكاملها، وغاص هابطًا خندقًا عميقًا لم يكن بالإمكان عبوره إلا بجسر واحد.

وعلى بعد أميال قليلة، عاليًا في الزاوية حيث تفرع الأنف الغربي بعيدًا عن السلسلة الرئيسية، كانت تقف قلعة دورثانج[1] القديمة، وهي الآن واحدة من معاقل الأوركيين الكثيرة التي تجمعت حول وهد أودون. وجاء طريق يتعرج هابطًا منه وكان مرئيًا بالفعل في الضوء المتزايد حتى استدار شرقًا على بعد مسافة ميل أو ميلين فقط من المكان الذي كان يرقد الهوبيتيون فيه، وراح يسير عبر رف صخري منحوت في جانب أنف الجبل، وهكذا راح يهبط إلى السهل، مواصلًا سيره إلى آيزنماوث.

(1) Durthang القلعة القديمة في شمال موردور. (المترجم)

وبدا للهوبيتيين وهما ينظران نحو الخارج أن كل رحلتهما شمالًا كانت دون جدوى. كان السهل إلى يمينهم معتمًا ويغطيه الدخان، ولم يكن بإمكانهما أن يريا هناك لا معسكرات ولا قوات تتحرك؛ ولكن كانت المنطقة كلها تحت يقظة كاراتش أنجرين.

وقال فرودو: «لقد وصلنا إلى طريق مسدود يا سام. إذا واصلنا سيرنا، فإننا سنصل فقط إلى ذلك البرج الأوركي فوقنا، ولكن الطريق الوحيد الذي ينبغي أن نسلكه هو ذلك الطريق الذي يأتي هابطًا منه إلا إذا كنا نريد الرجوع. لا يمكننا أن نصعد غربًا، أو نهبط شرقًا».

فقال سام: «عندئذ ينبغي علينا أن نأخذ الطريق يا سيد فرودو. ينبغي أن نأخذه ونخاطر ونجرب حظنا، لو كان هناك أي حظ في موردور. ربما يتحتم علينا كذلك أن نصرف النظر عن التجوال في المكان أكثر من ذلك، أو محاولة الرجوع. إن ما معنا من طعام لن يبقى. ينبغي علينا أن نغامر ونندفع بسرعة!».

فقال فرودو: «حسنًا يا سام. لتقدني إذن! مادام عندك أي أمل باقٍ. ما لدي من أمل ذهب. ولكن لا يمكنني الاندفاع والمغامرة يا سام. سوف أمشي بتثاقل وراءك».

«قبل أن تبدأ في المزيد من السير بتثاقل، تحتاج إلى بعض النوم والطعام، يا سيد فرودو. تعال وخذ ما يمكنك أن تحصل عليه منهما!».

وأعطى فرودو ماء وشريحة إضافية من الليمباس، وصنع وسادة بمعطفه لرأس سيده. كان فرودو مرهقًا للغاية بحيث لم يمكنه التحدث بشأن الأمر ومناقشته، ولم يخبره سام أنه قد شرب آخر قطرة من مائهما، وأكل حصة سام من الطعام بالإضافة إلى حصته. وعندما كان فرودو نائمًا انحنى سام فوقه وراح ينصت لصوت نفسه ويتحسس وجهه. كانت به تجاعيد وكان نحيلًا، ولكن في النوم بدا راضيًا وغير خائف. وقال مغمغمًا مع نفسه: «حسنًا، ها نحن أولاء يا سيدي! سوف يتحتم علي أن أتركك لبعض الوقت وأعهد بك للحظ. ينبغي علينا أن نحصل على الماء، وإلا فلن نسير إلى أبعد من ذلك».

وزحف سام خارجًا، وراح يتنقل سريعًا من حجر إلى حجر بحذر وعناية أكثر من العناية والحذر الهوبيتيين، وهبط إلى مجرى الماء، وعندئذ تبعه لمسافة ما وهو يصعد شمالًا، حتى وصل إلى السلم الحجري حيث حدث منذ زمن طويل، بلا شك، أن جاء مجراه متدفقًا لأسفل في صورة مسقط ماء صغير. بدا كل شيء عندئذ جافًا وصامتًا؛ ولكن لما كان سام يرفض اليأس انحنى وراح ينصت، ولفرحته وسعادته التقط صوت تقاطر الماء. ولما صعد خطوات قليلة وجد جدولًا غاية في الصغر من ماء مظلم كان يأتي خارجًا من جانب التل وملأ بركة صغيرة جرداء، وانبجس منها مرة أخرى، وتلاشى عندئذ تحت الصخور القاحلة.

وذاق سام الماء، وبدا أنه جيد كفاية. وعندئذ شرب بعمق، وملأ الزجاجة مرة

أخرى، واستدار ليعود. وفي تلك اللحظة لمح شكلًا أسود أو ظلًا أسود يقفز مسرعًا بين الصخور بعيدًا بالقرب من مخبأ فرودو. وكبت صرخة، وقفز هابطًا من الجدول وراح يجري، ويقفز من حجر إلى حجر. لقد كان مخلوقًا حذرًا متيقظًا، يصعب رؤيته، ولكن سام كان لديه القليل من الشك بشأنه: كان يتوق إلى أن يضع يديه على عنقه. ولكن المخلوق سمع سام يأتي وانسل بعيدًا بسرعة. ظن سام أنه رأى لمحة أخيرة سريعة طائرة منه، وهو يحدق في الوراء فوق حافة الجرف الشرقي، قبل أن ينحني ويختفي.

وغمغم سام قائلًا: «حسنًا، الحظ لم يخذلني، ولكن هذا كان شيئًا قريبًا! أليس يكفي وجود أوركيين بالآلاف من حولنا دون أن يأتي هذا الوغد المتسلل يتلصص من حولنا؟ أتمنى أن لو كان قد قتل رميًا!». وجلس إلى جوار فرودو ولم يوقظه؛ ولكنه لم يجرؤ على النوم هو نفسه. وأخيرًا عندما شعر بعينيه تغلقان وعرف أن محاولته الجاهدة للبقاء مستيقظًا لن تستمر أكثر من ذلك، أيقظ فرودو بلطف، وقال:

«ذلك الجولام من حولنا مرة أخرى، فيما أخشى، يا سيد فرودو. على الأقل، إذا لم يكن ذلك هو، إذن فهناك اثنان منه. ذهبت بعيدًا لأجد بعض الماء، ولمحته يتلصص في المكان عندما التفتُ. أعتقد أنه ليس من الأمان بالنسبة لنا نحن الاثنين أن ننام معًا، وإنني أستميحك عذرًا، ولكني لا أستطيع أن أمنع جفني من أن ينطبقا أكثر من ذلك».

فقال فرودو: «يباركك الله يا سام! لترقد وتأخذ دورك المناسب! ولكني أفضل وجود جولام على الأوركيين. وعلى أية حال فإنه لن يسلمنا إليهم ليس إلا إذا تم الإمساك به هو نفسه».

قال سام في غضب: «ولكنه ربما يقوم بشيء من سرقة أو قتل بمفرده ومن تلقاء نفسه. أبقِ عينيك مفتوحتين يا سيد فرودو! هناك زجاجة مليئة بالماء. اشرب. يمكننا أن نملأها مرة أخرى عندما نواصل سيرنا». وبهذه الكلمات غاص سام في النوم.

راح الضوء يتلاشى مرة أخرى عندما استيقظ. كان فرودو جالسًا وظهره للحجر الذي كان وراءه، ولكنه كان قد نام. كانت زجاجة الماء فارغة. لم تكن هناك أي علامة على وجود جولام.

لقد عادت ظلمة موردور، وراحت نيران الحراسة على المرتفعات تشتعل بشراسة وترتفع ألسنتها حمراء، عندما بدأ الهوبيتيان رحلتهما مرة أخرى في أخطر مرحلة من رحلتهما كلها. ذهبا أولًا إلى نبع الماء الصغير، وبعد ذلك صعدا في إعياء حتى وصلا إلى الطريق عند النقطة التي دار فيها شرقًا باتجاه آيزنماوث على بعد عشرين ميلًا. لم يكن طريقًا واسعًا، ولم يكن به أي جدار أو حاجز عبر الحافة، وبينما كان يجري على المنخفض شديد الانحدار من حافته راح يصبح أعمق وأعمق. ولم يكن الهوبيتيان يسمعان أي حركات، وبعد التنصت لبعض الوقت بدأا سيرهما شرقًا بسرعة ثابتة.

وبعد أن قطعا قرابة اثني عشر ميلًا، توقفا. وإلى مسافة قصيرة في الطريق للوراء مال الطريق قليلًا باتجاه الشمال وأصبح امتداد الطريق الذي مرا فوقه محجوبًا عن الرؤية الآن. وثبت أن ذلك كان كارثيًا. استراحا بضع دقائق وبعد ذلك واصلا سيرهما؛ ولكنهما لم يسيرا خطوات كثيرة عندما سمعا فجأة في سكون الليل صوتًا كانا يخشيانه طوال طريقهما سرًا: وقع الأقدام السائرة. كان لا يزال على بعد مسافة وراءهما، ولكنهما لما نظرا للوراء رأيا وهج المشاعل يأتي حول المنحنى على مسافة أقل من ميل، وكانوا يتحركون سريعًا: سريعًا للغاية بحيث لا يمكن لفرودو أن يهرب بالطيران عبر الطريق أمامهما.

وقال فرودو: «كنتُ أخشى ذلك يا سام. لقد وثقنا في الحظ، وقد خذلنا. لقد وقعنا في فخ». ونظر لأعلى في جموح إلى الجدار الكئيب، حيث كان بناءو الطرق القدامى قد شقوا الصخر عموديًا لمسافة قامات كثيرة فوق رءوسهم. وجرى إلى الجانب الآخر ونظر فوق الحافة إلى هوة من ظلمة مظلمة، وقال: «لقد وقعنا في فخ أخيرًا! وخر على الأرض أسفل الجدار الصخري وحنى رأسه».

وقال سام: «يبدو أن الأمر كذلك. حسنًا، لا يمكننا إلا أن ننتظر ونرى». وبهذه الكلمات جلس إلى جوار فرودو تحت ظل الجرف.

لم يتحتم عليهما أن ينتظرا كثيرًا ليريا. لقد كان الأوركيون يسيرون بسرعة كبيرة. كان أولئك الذين يسيرون في الصفوف الأولى يحملون مشاعل. وواصلوا تقدمهم؛ مشاعل حمراء في الظلمة، تزداد وتكبر سريعًا. وعندئذ حنى سام رأسه كذلك، آملًا أن تخفي وجهه عندما تصل المشاعل إليهما؛ ووضع دروعهما أمام ركبهما ليخفي أقدامهما.

وفكر قائلًا: «لو أنهم كانوا في عجلة فسوف يتركون جنديين متعبين وحدهما ويواصلون سيرهم!».

وهكذا بدا أنهم سيفعلون ذلك. وجاء الأوركيون الذين في المقدمة يقفزون عبر الطريق، يلهثون، وهم مطأطئون رءوسهم. كانوا جماعة من سلالات أصغر يقادون دون رغبتهم إلى حروب سيد الظلام؛ كان كل ما يأبهون به هو الانتهاء من السير والهروب من السوط. وإلى جوارهم، كان اثنان من الأوروك الشرسين الضخام، يجرون عبر الصفوف متقدمين أحيانًا ومتأخرين أحيانًا أخرى، وهم يضربون بأسواطهم ويصيحون. وراحت الصفوف تمر صفًا بعد الآخر، وكان ضوء المشاعل بالفعل على بعد مسافة في المقدمة. وحبس سام نفسه. الآن وقد أصبح أكثر من نصف الصف قد مر بهما. وبعد ذلك فجأة رأى أحد قادة العبيد هذين الاثنين جاثيين إلى جانب الطريق. وضربهما بالسوط وصاح فيهما: «هاي، أنتما! انهضا!». ولم يجيباه، وبصرخة أوقف المجموعة كلها.

وصاح: «هيا أيها الكسالى! ليس هذا وقتًا للجلوس والراحة». وخطا خطوة باتجاههما، واستطاع، حتى في الظلمة، أن يتذكر العلامات التي كانت على دروعهما، وقال في غضب: «تهربان، نعم؟ أم أنكما تفكران في ذلك؟ كان ينبغي أن يكون كل قومكما داخل حصن أودون[1] مساء قبل أمس. تعرفان ذلك. انهضا وادخلا في الصف، وإلا فسوف آخذ أرقامكما وأبلغ عنكما».

وجاهدا حتى وقفا على أقدامهما، وقد ظلا منحنيين، وهما يعرجان كجنديين أقدامهما متقرحة، وجرا أقدامهما عائدين إلى مؤخرة الصف. ولكن قائد العبيد صاح فيهما: «كلا، ليس في المؤخرة! تقدما ثلاثة صفوف للأمام، وابقوا في ذلك المكان، وإلا فسوف تعرفان ما يحدث، عندما أمر عبر الصف!». وأطلق سوطه الطويل وراح يضرب به في الهواء ويطرقع على رءوسهما؛ وعندئذ بضربة سوط أخرى وصرخة أمر المجموعة بالسير مرة أخرى في هرولة سريعة.

كان ذلك صعبًا بما فيه الكفاية بالنسبة لسام المسكين، لما كان فيه من تعب؛ ولكن بالنسبة لفرودو فقد كان ذلك عذابًا، وسريعًا أصبح كابوسًا. وراح يجز على أسنانه وحاول أن يوقف عقله عن التفكير، وراح يجاهد مواصلًا سيره. كانت رائحة الأوركيين من العرق خانقة من حوله، وبدأ يلهث من العطش. وظلوا يسيرون ويسيرون، وعقد كل عزمه وعزيمته على أن يسحب الهواء ويتنفس وعلى أن يجعل ساقيه تظلان تسيران؛ إلا أنه لم يجرؤ مع ذلك على التفكير في النهاية الشريرة التي كان يكد ويكدح سائرًا إليها ويتحملها. لم يكن هناك أي أمل في أن ينسل من الصف دون أن يراه أحد. وكان القائد الأوركي من وقت لآخر يتأخر في الصف وينظر إليهما.

وكان يضحك ويقول: «ها أنتما أولًا!». وهو يضرب بسوطه عند أرجلهما. «مادام كان هناك سوط، فهناك إرادة وعزيمة، أيها الكسالى. توقفا! سوف أمنحكما منعشًا لطيفًا الآن، كل ما ستحصلان عليه هو الكثير من الجلد بالسوط بقدر ما يمكن لجلودكما أن تتحملاه عندما تصلان متأخرين إلى معسكركما. افعلا خيرًا بأنفسكما. ألا تعرفان أننا في حرب؟».

كانوا قد ساروا مسافة بعض الأميال، وكان الطريق أخيرًا يسير هابطًا عبر منحدر طويل إلى السهل، عندما بدأت قوة فرودو تخور وتضعف عزيمته. وترنح وتعثر في سيره. وفي يأس حاول سام أن يساعده ويقيمه، على الرغم من أنه أحس أنه هو نفسه لم يعد بإمكانه أن يصمد أمام سرعتهم أطول من ذلك كثيرًا. كان يعلم أن النهاية ستأتي

(1) Udûn قلعة قديمة في أقصى شمال العالم. (المترجم)

في أي لحظة. عندئذ سوف يغمى على سيده أو يقع على الأرض، وسوف يكتشف كل شيء، وسوف تكون جهودهما القاسية بلا جدوى، وفكر مع نفسه قائلًا: «سوف أنال من ذلك الشيطان قائد العبيد على أية حال».

عندئذ وعندما كان يضع يده على مقبض سيفه، جاءت انفراجة وراحة لم تكن متوقعة. كانوا عندها في العراء في السهل وكانوا يقتربون من المدخل إلى حصن أودون. وعلى بعد مسافة أمامه، أمام البوابة عند نهاية الجسر، فإن الطريق الذي كان يأتي من الغرب التقى مع طرق أخرى تأتي من الجنوب، ومن باراد دور. كانت القوات تتحرك عبر طول الطرق؛ لأن قادة الغرب كانوا يتقدمون وكان سيد الظلام يسوق قواته بسرعة شمالًا. وهكذا تصادف أن التقى العديد من السرايا والمجموعات معًا عند ملتقى الطرق، وفي الظلام فيما وراء ضوء نيران الحراسة على الجدار. وفي الحال كان هناك تدافع وسب كثير عندما كانت كل قوة تحاول أن تصل إلى البوابة وإلى نهاية سيرهم أولًا. على الرغم من أن سائقي المجموعات كانوا يصيحون ويضربون بسياطهم، فقد اندلع الهياج وسحبت بعض السيوف. وهجمت قوة من الأوركيين من باراد دور وكانت مسلحة بأسلحة ثقيلة على صف قلعة الدورثانج وأحدثت فيهم هرجًا ومرجًا.

ولما كان سام فيما عليه من دوار من فرط الألم والإعياء، فإنه استيقظ، وتشبث بفرصته سريعًا، وألقى بنفسه على الأرض، وسحب فرودو لأسفل معه. وسقط الأوركيون فوقهما، وهم يزمجرون ويلعنون. وبطيئًا راح الهوبيتيان يزحفان على أيديهما وركبهما بعيدًا خارجين من هذه الجلبة وذلك الهياج، حتى وصلا في النهاية دون أن يلاحظهما أحد إلى الحافة البعيدة للطريق. كان بالطريق رصيف عال يمكن لقادة القوات أن يوجهوا أنفسهم به في الليل المظلم أو في الضباب، وكان مرتفعًا بضعة أقدام فوق مستوى الأرض المكشوفة.

ورقدا في مكانيهما ساكنين لبعض الوقت. كانت الدنيا ظلامًا للغاية بحيث لم يكونا بحاجة للبحث عن غطاء، إذا كان هناك أي غطاء حقًا يمكن العثور عليه؛ ولكن سام أحس أنه ينبغي عليهما على الأقل أن يذهبا بعيدًا عن الطرق الرئيسية وخارج نطاق ضوء المشاعل.

وقال لفرودو همسًا: «هيا يا سيد فرودو! دفعة أخرى من زحف، وبعد ذلك يمكن أن ترقد ساكنًا».

وبجهد أخير يائس رفع فرودو نفسه على يديه، وراح يكافح ويناضل زاحفًا لمسافة عشرين ياردة تقريبًا. وبعد ذلك ألقى بنفسه في حفرة ضحلة فتحت أمامهما فجأة، ورقد هناك مثل جثة هامدة.

الفصل الثالث
جبـــل الهـــلاك

وضع سام معطفه الأوركي الممزق تحت رأس سيده، وغطاه وغطى نفسه بمعطف لوريين الرمادي؛ وبينما كان يفعل، خرجت أفكاره إلى تلك الأرض الجميلة، وإلى الجن، وكان يأمل أن يكون للثياب التي نسجتها أيديهم فضيلة تجعلهما مختفيين، الأمر الذي يفوق كل أمل في ذلك التيه من الخوف. وسمع الشجار والصيحات تخمد بينما كانت القوات تمر في سيرها عبر آيزنماوث. وبدا على أية حال أن أحدًا لم يكتشف اختباءهما بعد وسط الضجيج وامتزاج الكثير من المجموعات والسرايا من جميع الأنواع.

وارتشف سام رشفة من ماء، ولكنه ضغط على فرودو ليشرب، وعندما أفاق سيده قليلًا أعطاه شريحة كاملة من خبزهما الثمين الليمباس وجعله يأكلها. وبعد ذلك، إذ كانا مرهقين إلى أبعد الحدود بحيث لم ينتبهما الشعور بالخوف فقد تمددا على الأرض. وناما قليلًا في نوبات قلقة؛ لأن عرقهما تحول إلى برودة عليهما، وراحت الحجارة الصلبة تلدغهما، وراحا يرتعشان. وتدفق هامسًا من الشمال من البوابة السوداء عبر سيريث جورجور هواء بارد ضعيف.

في الصباح، جاء ضوء رمادي مرة أخرى؛ حيث كانت الريح الغربية لا تزال تهب في المناطق العالية، ولكن في الأسفل على الصخور وراء سياجات الأرض السوداء كان الهواء يبدو ميتًا، باردًا ولكنه خانق. ونظر سام لأعلى من خارج الحفرة التي كانا يرقدان فيها. كانت الأرض في كل مكان حولهما كئيبة موحشة، مسطحة وملونة بلون قماش رمادي. وفي الطرقات القريبة لم يكن آنذاك أي شيء يتحرك؛ ولكن سام كان يخشى الأعين المراقبة اليقظة على جدران آيزنماوث، والتي لم تكن تبعد أكثر من فرسخ واحد نحو الشمال، ونحو الجنوب الشرقي، بعيدًا كظل منتصب، لاح الجبل. كان الدخان يتدفق منه، وبينما كانت الأدخنة التي ارتفعت في طبقات الجو العليا تنطلق بعيدًا باتجاه الشرق، راحت سحب هائلة متدفقة تتكاثر على جنباته وتنتشر فوق الأرض. وعلى بعد أميال قليلة نحو الشمال الشرقي، وقفت التلال السفحية للجبال الرمادية مثل أشباح رمادية كئيبة، وشمخت وراءها المرتفعات الشمالية الضبابية مثل صف من سحاب بعيد لا يكاد يكون أكثر ظلمة من السماء العابسة.

حاول سام أن يخمن المسافة وأن يحدد الطريق الذي ينبغي عليهما أن يسلكاه، وغمغم في كآبة: «يبدو أن المسافة خمسون ميلًا كاملة»، وراح يحدق في الجبل المهدد، «وسوف يستغرق هذا أسبوعًا، إذا كان يستغرق يومًا، والسيد فرودو على ما هو عليه». وهز

رأسه، وبينما كان يستوضح الأشياء، راحت تنمو في عقله فكرة مظلمة جديدة. لم يحدث أن خمد الأمل قط في قلبه الراسخ، ودومًا إلى الآن كان يفكر بعض الشيء في عودتهما. ولكن الحقيقة المرة جاءت إليه أخيرًا: وفي أفضل الأحوال فإن ما معهما من مؤن سوف يوصلهما إلى هدفهما؛ وعندما تنتهي المهمة، هناك سوف يصلان إلى النهاية، وحدهما، دون مأوى، دون طعام، وسط صحراء رهيبة. لن تكون هناك عودة أو رجوع.

وراح سام يفكر: «إذن فقد كانت هذه هي المهمة التي كنتُ أرى أنه علي أن أنجزها عندما بدأتُ الرحلة، أن أساعد السيد فرودو حتى آخر خطوة وبعد ذلك أموتُ معه؟ حسنًا، إذا كانت هذه هي المهمة فيجب علي إذن أن أنجزها. ولكني أود بإلحاح أن أرى قرية مجاورة الماء [1]مرة أخرى، وكذلك روزي كُوتُن وأخواتها، والجافر العجوز وماريجول والجميع. لا يمكنني أن أفكر بحال من الأحوال أن جَنْدَلْف كان سيرسل فرودو في هذه المهمة، لو لم يكن هناك أي أمل لعودته مرة أخرى على الإطلاق. لقد فسد كل شيء عندما سقط في موريا. أتمنى لو أنه لم يحدث له ذلك. كان من الممكن أن يفعل شيئًا ما».

ولكن وإن كان الأمل قد مات في سام، أو يبدو أنه مات، فقد تحول إلى قوة جديدة. وأصبح وجه سام الهوبيتي البسيط صارمًا، متجهمًا شرسًا تقريبًا، بينما قويت الإرادة فيه وتصلبت، وأحس في جميع أوصاله برعشة قوية، كما لو كان قد تحول إلى مخلوق من حجر وفولاذ لا يمكن أن يقهره لا اليأس ولا الإرهاق ولا الإعياء ولا الأميال القاحلة.

وبإحساس جديد بالمسئولية عاد بعينيه إلى الأرض قريبًا، وراح يدرس الخطوة التالية. وبينما زاد الضوء قليلًا رأى لدهشته أن ما كان يبدو من بعيد سهولًا واسعة عديمة التضاريس والملامح إنما كان في حقيقة الأمر مكسرًا ومدمرًا تمامًا. لقد كان كل سطح سهول جورجوروث مغطى بالحفر الكبيرة، كما لو كان قد ضربها وابل من قذائف وحجارة ضخمة، في حين أنها كانت لا تزال أرضًا بورًا من وحل مائع. كانت أكبر هذه الحفر محاطة بحواف من صخور مكسرة، وشقوق واسعة كانت تجري منها في جميع الاتجاهات. لقد كانت أرضًا يمكن الانتقال فيها زحفًا من مخبأ إلى مخبأ دون أن تلحظك سوى الأعين الأكثر يقظة، على الأقل بالنسبة لشخص كان قويًا وليست به حاجة إلى السرعة. وبالنسبة للجوعى والمتعبين المرهقين، الذين ينبغي عليهم أن يقطعوا مسافة كبيرة قبل أن تخفق الحياة، كان منظرها شريرًا.

ولما كان سام قد فكر في كل هذه الأشياء، فإنه عاد إلى سيده. لم تكن هناك حاجة

(1) Bywater قرية في المقاطعة تقع على مسافة بضعة أميال جنوب شرقي هوبيتون (قرية الهوبيتيين). (المترجم)

لديه لإيقاظه. كان فرودو نائمًا على ظهره وعيناه مفتوحتان، يحدق في السماء الغائمة. وقال سام: «حسنا يا سيد فرودو. كنت أستطلع المكان حولنا وأفكر قليلًا. ليس هناك شيء على الطرق، ومن الأفضل لنا أن نرحل من هنا مادامت هناك فرصة لذلك. هل بإمكاننا أن نفعل ذلك؟».

فقال فرودو: «يمكنني أن أفعل ذلك، بل يجب علي ذلك».

وبدأا المسير مرة أخرى، يزحفان من تجويف إلى تجويف، وهما يسيران مسرعين تحت ما كان يمكنهما أن يجداه من غطاء، ولكنهما كانا يتحركان دومًا في شكل مائل باتجاه التلال السفحية لسلسلة الجبال الشمالية. ولكن بينما كانا يسيران كان الطريق في أقصى الشرق يتبعهما، حتى انتهى، وراح يحيط بجنبات الجبال، بعيدًا إلى جدار من ظل أسود بعيدًا أمامهما. لم يكن يتحرك عبر امتداداته الرمادية المسطحة لا إنسان ولا أوركي الآن؛ لأن سيد الظلام كان قد استكمل تقريبًا حركة قواته، وحتى في عزلة مملكته هو نفسه فإنه كان يلتمس سرية الليل، خشية رياح العالم التي انقلبت عليه، ممزقة أقنعته وحجبه، وكانت تقلقه الأخبار عن الجواسيس الجريئين الذين كانوا يعبرون عبر سياجه وأسواره.

كان الهوبيتيان قد سارا مسافة أميال قليلة في إرهاق وإعياء عندما توقفا. كان فرودو يبدو منهكًا للغاية. رأى سام أنه لن يستطيع أن يسير أكثر من ذلك بهذه الطريقة، زحفًا، ومنحنيًا، أحيانًا يأخذ طريقًا مشكوكًا فيه بطيئًا للغاية، وأحيانًا أخرى يسير مسرعًا في جري متخبط، وراح يقول:

«سوف أعود إلى الطريق مادام هناك ضوء يا سيد فرودو. لنثق في الحظ مرة أخرى! لقد خذلنا تقريبًا في آخر مرة، ولكنه لم يخذلنا تمامًا. سرعة ثابتة لمسافة أميال قليلة أخرى، وبعد ذلك نستريح».

لقد كان يخاطر بشكل أكبر مما كان يعلم؛ ولكن فرودو كان منشغلًا للغاية بحمله وعبئه وبالنضال الذي كان في عقله بحيث لم يمكنه أن يتناقش معه وقد كان يائسًا للغاية تقريبًا بحيث لم يكن يأبه بشيء. وصعدا إلى المجاز وراحا يسيران في إجهاد وإعياء، هابطين الطريق القاسي الشرس الذي كان يقود إلى برج الظلام نفسه. ولكن حظهما حالفهما، ولم يقابلا خلال ما تبقى من ذلك اليوم أي كائن حي أو شيء متحرك؛ وعندما حل الليل تلاشيا في ظلمة موردور. كانت الأرض كلها جاثية ساكنة آنذاك مثلما يحدث عند قدوم ريح عظيمة؛ لأن قادة الغرب كانوا قد عبروا مفترق الطرق وأشعلوا النار في حقول إملاد مورجول الميتة.

وهكذا استمرت الرحلة اليائسة، حيث سار الخاتم جنوبًا ورايات الملوك شمالًا.

وبالنسبة للهوبيتيين، كان كل يوم، وكل ميل، أشد مرارة من سابقه، فقد تضاءلت قوتهما وأصبحت الأرض أكثر شرًا. لم يقابلا أي عدو في النهار. وفي بعض الأوقات في الليل، بينما كانا يجثمان أو ينعسان في قلق في مخبأ إلى جانب الطريق، سمعا صرخات وضوضاء كثير من الأقدام أو مرور سريع لجواد كان ينطلق مسرعًا يقوده خياله في قسوة وشراسة. ولكن كان أسوأ من كل تلك المخاطر كثيرًا ذلك التهديد الذي كان يقترب دومًا، والذي كان يضربهما وهما يسيران؛ ذلك التهديد المخيف الذي تشكله القوة التي كانت بالانتظار، والتي كانت مستغرقة في تفكير عميق وحنق لا يعرف النوم وراء ستار الظلام حول عرشها. وراحت تقترب أكثر وأكثر، وهي تلوح أكثر سوادًا، مثل قدوم جدار من الليل في النهاية الأخيرة من العالم.

وجاء أخيرًا الغروب المخيف؛ وبينما كان قادة الغرب يقتربون من نهاية الأراضي الحية، وصل الجوالان الهائمان إلى ساعة من يأس تام. مضت أربعة أيام منذ أن هربا من الأوركيين، ولكن الوقت كان يرقد وراءهما مثل حلم مظلم تمامًا، متزايدة ظلمته دومًا. طوال ذلك اليوم الأخير كله لم يتحدث فرودو قط، ولكنه راح يمشي نصف محني، وكان غالبًا ما يتعثر، كما لو أن عينيه لم تعودا تريان الطريق أمام قدميه. وخمن سام أنه من بين جميع الآلام كان يحمل الأسوأ، الحمل المتزايد حمل الخاتم؛ عبء على الجسم وعذاب لعقله. وفي قلق لاحظ سام كيف كانت يد سيده اليسرى ترتفع عاليًا كما لو كانت تحاول أن تتقي ضربة، أو تحجب عينيه المنكمشتين من عين[1] مخيفة كانت تحاول أن تنظر فيهما. وكانت يده اليمنى تنسل أحيانًا إلى صدره، وتقبض، وبعد ذلك في بطء، حيث تستعيد الإرادة سيطرتها وسيادتها، كانت تنسحب.

والآن ولما كانت ظلمة الليل وسواده قد عادا جلس فرودو، ورأسه بين ركبتيه، وذراعاه مدليتان في إرهاق وإعياء إلى الأرض حيث كانت يداه ترتعشان في ضعف. وراح سام يشاهده، حتى غطاهما الليل وأخفاهما عن بعضهما. لم يعد بإمكانه العثور على أي كلمات ليقولها؛ وعاد إلى أفكاره هو الكئيبة المظلمة. وبالنسبة له هو نفسه، على الرغم من أنه كان متعبًا يظلله الخوف، فكان لا يزال لديه بعض قوة متبقية. يتمتع الليمباس بفضيلة وميزة لولاها لكانا يرقدان ميتين منذ فترة طويلة. لم يكن الليمباس يشبع رغبتهما، وفي بعض الأوقات كان عقل سام مليئًا بذكريات الطعام، والحنين للخبز البسيط واللحوم. ومع ذلك فإن خبز الطريق الذي يصنعه الجن له قدرة كانت تزيد عندما يعتمد المسافرون عليه وحده ولا يخلطونه بأطعمة أخرى. لقد كان يطعم الإرادة، وكان يمنح القوة والقدرة على التحمل والسيطرة على الأعصاب والأطراف

(1) الإشارة إلى عين ساورون (Eye). (المترجم)

بما يفوق كل قدرات النوع الفاني. ولكن الآن ينبغي اتخاذ قرار جديد. لم يكن بإمكانهما أن يتبعا هذا الطريق أكثر من ذلك؛ لأنه كان يواصل سيره باتجاه الشرق إلى الظل العظيم، ولكن الجبل الآن لاح على يمينهما، في خط مستقيم جنوبًا تقريبًا، وينبغي عليهما أن يذهبا باتجاهه. ولكن كانت تمتد أمامه ساكنة هنالك منطقة واسعة من أرض ينبعث منها الدخان، قاحلة، يعمها الرماد.

وغمغم سام: «ماء، ماء!». لقد قتر على نفسه، وفي فمه الجاف كان لسانه يبدو سميكًا ومنتفخًا؛ ولكن مع كل ما بذلا من عناية واهتمام فإن ما كان متبقيًا معهما الآن كان قليلًا جدًا، ربما نصف زجاجة، وربما كانت لاتزال أمامهما أيام سوف يسيرانها. كان كل شيء سينقضي، لو أنهما لم يتجرأا على أن يتبعا طريق الأوركيين؛ إذ كانت على مسافات طويلة متباعدة على ذلك الطريق الرئيسي هناك خزانات ماء تم بناؤها لاستخدام القوات والجنود التي يتم إرسالها في عجلة عبر المناطق التي لا يوجد فيها ماء. وجد سام في واحد منها بعض الماء متبقيًا، كان عفنًا وموحلًا من استخدام الأوركيين له، ولكنه كان لا يزال كافيًا لحالتهما اليائسة. إلا أن ذلك كان قد مضى عليه يوم عندئذ. لم يكن هناك أي أمل في المزيد.

وأخيرًا لما كانت قد أعيته وأرهقته همومه، نعس سام تاركًا للصباح أن يطلع؛ لم يكن يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك. وامتزج الحلم واليقظة في اضطراب. رأى أضواء مثل أعين محدقة، وأشكالًا مظلمة زاحفة، وسمع أصواتًا كأصوات حيوانات برية أو صرخات مروعة لمخلوقات يتم تعذيبها؛ وكان سينهض ليجد العالم كله مظلمًا ولن يجد سوى السواد الأجوف في كل مكان حوله. وبدا له مرة واحدة فقط وهو واقف ويحدق في ذهول من حوله أنه على الرغم من أنه كان مستيقظًا عندئذ فقد كان لا يزال يرى أضواء شاحبة مثل الأعين؛ ولكن في الحال ومضت هذه الأضواء وتلاشت.

ومضت الليلة البغيضة بطيئًا وعلى مضض. وكان ضوء النهار الذي تلاها معتمًا باهتًا؛ لأنه هناك بينما كان الجبل يقترب كان الهواء مظلمًا غائمًا دائمًا، في حين راحت تزحف خارجة من برج الظلام ستائر من الظل كان ساورون يحركها حول نفسه. كان فرودو يرقد على ظهره ولا يتحرك. وقف سام إلى جواره، كارهًا أن يتكلم، ومع ذلك كان يعرف أن العالم يرقد آنذاك معه: ينبغي عليه أن يجعل إرادة سيده تعمل لإنجاز مجهود آخر. وأخيرًا، وهو منحنٍ، يداعب جبين فرودو، تحدث في أذنه قائلًا:

«استيقظ يا سيدي! حان الوقت لنبدأ مرة أخرى».

وكما لو كان قد استيقظ على جرس مفاجئ، نهض فرودو سريعًا، ووقف ونظر بعيدًا باتجاه الجنوب؛ ولكن عندما رأت عيناه الجبل والصحراء جبن مرة أخرى، وقال:

«لا يمكنني أن أتدبر الأمر يا سام. إنه لحمل ثقيل أنوء بحمله، يا له من حمل ثقيل!».

وكان سام يعرف قبل أن يتحدث، أن ذلك لا جدوى منه، وأن تلك الكلمات قد يكون ضررها أكثر من نفعها، ولكن في شفقته لم يستطع أن يلزم الصمت، وقال: «إذن دعني أحمله عنك قليلًا يا سيدي. أنت تعلم أنني أستطيع ذلك، عن طيب خاطر، مادامت لدي قوة».

ولمع في عيني فرودو ضوء جامح متوهج، وصاح: «قف بعيدًا! لا تلمسني! أقول لك إنه يخصني. اغرب عني!». وراحت يده تبحث عن مقبض سيفه. ولكن سرعان ما تغير صوته، وقال في حزن: «لا لا يا سام. ولكن ينبغي أن تفهم. إنه حملي، ولا يستطيع أي شخص آخر أن يحمله. فات الأوان الآن يا عزيزي سام. لا يمكنك أن تساعدني بهذه الطريقة أيضًا. إنني في قبضة قوته الآن تقريبًا. لا يمكنني أن أتخلى عنه، وإذا حاولت أن تأخذه فإنني سأصاب بالجنون».

وهز سام رأسه وقال: «أفهم ذلك. ولكني كنت أفكر، يا سيد فرودو، هناك أشياء أخرى يمكننا أن نتخلى عنها. لماذا لا تخفف الحمل قليلًا؟ إننا ذاهبان في هذا الطريق الآن، في خط مستقيم قدر استطاعتنا». وأشار إلى الجبل. «ليست هناك فائدة من أخذ أي شيء لسنا على يقين من أننا سنحتاج إليه».

ونظر فرودو مرة أخرى باتجاه الجبل، وقال: «كلا، لن نحتاج إلى الكثير على ذلك الطريق. وفي نهايته لا يوجد شيء». وأخذ درعه الأوركي وطرحه بعيدًا ورمى خوذته وراءه. وبعد ذلك جذب المعطف الرمادي وفك الحزام الثقيل وتركه يسقط على الأرض، ومعه السيف المغمد. ومزق بقايا المعطف الأسود من على جسمه ونثرها.

وفعل سام مثله، ونحّى جانبًا عدته الأوركية؛ وأخرج جميع الأشياء التي كانت في حزمة أمتعته. وعلى نحو من الأنحاء أصبح كل شيء من هذه الأشياء عزيزًا جدًا إلى نفسه: وذلك لأنه حملها لمسافة بعيدة، وبكثير من الكد والتعب. وكان أصعب ما يمكنه التخلي عنه على نفسه هو معدات الطهي التي كانت لديه. وتفجرت الدموع في عينيه وهو يفكر في طرحها بعيدًا والتخلي عنها، وقال:

«هل تذكر ذلك الأرنب يا سيد فرودو؟ ومكاننا تحت الضفة الدافئة في بلدة القائد فارامير، في ذلك اليوم الذي رأيت فيه الفيل العملاق؟».

وقال سام: «كلا، لا أحسبني أذكر ذلك يا سام. إني لأعرف على الأقل، أن تلك الأمور قد حدثت، ولكني لا أستطيع أن أراها. لم يترك لي أي مذاق لطعام، ولا إحساس بالماء، ولا صوت لريح، ولا ذكرى لشجرة أو عشب أو زهرة، ولا صورة لقمر أو نجم. إنني عار في الظلام يا سام، وليس هناك أي حجاب بيني وبين عجلة النار. بل إنني أكاد أراها بعيني المجردتين، وكل شيء ما عدا ذلك قد تلاشى».

وذهب سام إليه وقبل يده، وقال في تلعثم، حيث لم يجد كلمات أفضل يتلفظ بها: «إذن كلما أسرعنا في التخلص منه، كانت راحتنا أسرع». وغمغم مع نفسه، وهو يجمع كل حاجياته التي اختار أن يرميها ويتخلى عنها: «إن الكلام لن يصلح أي شيء». لم يكن يرغب في أن يتركها تنبسط مكشوفة في العراء لتراها الأعين. لقد أخذ المتسلل ذلك القميص الأوركي، فيما يبدو، ولن يضيف إليه سيفًا. إن يديه سيئتان إلى حدّ كاف عندما تكونان خاليتين. ولن يعبث بآنياتي!». وبهذه الكلمات حمل كل المعدات والأدوات بعيدًا إلى شق من الشقوق الكثيرة الفاغرة التي كانت منتشرة تشق الأرض ورماها فيه. كان صوت قعقعة أوانيه الثمينة وهي تسقط في ظلمة الشق كناقوس الموت بالنسبة لقلبه.

وعاد إلى فرودو، وعندئذ قطع من حبله الجني قطعة صغيرة لتكون حزامًا لسيده وربط المعطف الرمادي بشدة حول وسطه. أما ما تبقى من الحبل فقام بلفه ووضعه في حزمة أمتعته. وإلى جانب ذلك لم يحتفظ إلا ببقايا خبز الطريق الذي كان معهما وزجاجة الماء، وكان السيف ستينج لا يزال معلقًا في حزامه؛ وكانت قنينة السيد جلدريل والصندوق الصغير الذي خبّته إياه مخبأين بعيدًا في جيب من جيوب چاكتته.

والآن أخيرًا أدارا وجهيهما إلى الجبل وبدأا رحلتهما، ولم يعودا يفكران في التخفي، مركزين تعبهما وإرهاقهما وإرادتيهما الخائرتين على مهمة واحدة فقط وهي مواصلة السير. وفي عتمة يومهما الكئيب الموحش، فإن أشياء قليلة حتى في تلك الأرض اليقظة كان يمكن أن تتجسس عليهما وتراقبهما، إلا أن يكون ذلك من مكان قريب متاخم. من بين جميع خدام وعبيد سيد الظلام، فإن النازجول فقط هم الذين كان يمكن أن ينبهوه للخطر الذي كان يأتي زاحفًا، صغيرًا بيد أنه لا يقهر، إلى قلب مملكته المحروسة والمحصنة. ولكن النازجول وأجنحتهم السوداء كانوا بالخارج في مهمة أخرى، كانوا قد تم حشدهم بعيدًا، يتعقبون مسير قادة الغرب، وإلى هناك تحول تفكير برج الظلام.

في ذلك اليوم بدا لسام أن سيده قد وجد بعض القوة الجديدة، أكثر مما يمكن تفسيره وتبريره بالجزء الخفيف الذي اطّرحه من حمله الذي كان يحمله. في المرات الأولى التي سارا فيها، راحا يسيران أبعد وأسرع مما كان يأمل. كانت الأرض وعرة ومعادية، ومع ذلك كانا يحرزان المزيد من التقدم، وكان الجبل يزداد قربًا باستمرار. ولكن بينما راح اليوم ينقضي، بدأ الضوء المعتم يتضاءل ويختفي سريعًا، وراح فرودو ينحني مرة أخرى، وبدأ يترنح، كما لو كان الجهد المتجدد قد شتت وبدد قوته الباقية.

وفي المرة الأخيرة التي توقفا فيها، خر ساقطًا على الأرض وقال: «أنا عطشان يا سام"، ولم يتحدث مرة أخرى. وأعطاه سام ملء فم من ماء؛ ولم يتبق سوى ملء فم

آخر. ولم يتناول هو أي شيء؛ والآن بينما راح ليل موردور يطبق عليه مرة أخرى، واتت جميع أفكاره ذكرى الماء؛ وراح كل جدول صغير أو مجرى مائي أو نافورة كان قد رآها، تحت ظلال أشجار الصفصاف الخضراء أو كانت تتوهج في الشمس، يرقص ويترقرق معذبًا إياه وراء العمى الذي حل بعينيه. وأحس بالوحل البارد من حول أطراف أصابعه وهو يخوض في البركة في مجاورة الماء مع چولي كوتن وتوم ونيبز، وأختهم روزي، وتنهد قائلا: ولكن هذا كان منذ سنوات، وفي مكان بعيد. إن طريق العودة، إذا كانت هناك عودة، يمر عبر الجبل».

ولم يستطع أن ينام، ودارت مناقشة وحوار مع نفسه، حيث قال في جلد: «حسنًا، هيا الآن، لقد أنجزنا أفضل مما كنتَ تأمل. لقد بدأنا جيدًا على أية حال. أعتقد أننا قطعنا نصف المسافة قبل أن نتوقف. يوم واحد آخر سوف ينجز المهمة». وعندئذ توقف عن الكلام.

وجاءته إجابة بصوته هو نفسه: «لا تكن أحمق يا سام جامجي. إنه لن يسير يومًا آخر مثل ذلك، لو أنه تحرك على الإطلاق. ولن يمكنك أن تواصل أكثر من ذلك أن تعطيه كل الماء ومعظم الطعام».

«يمكنني أن أستمر في المسير لمسافة جيدة مع ذلك، وسوف أفعل هذا».

«إلى أين؟».

«إلى الجبل، بالطبع».

«ولكنِ ماذا بعد ذلك، يا سام جامجي، ماذا بعد ذلك؟ عندما تصل إلى هناك، ما الذي تفعله؟ لن يكون قادرًا على أن يفعل أي شيء لنفسه».

ومما أصاب سام نفسه بالفزع والرعب أنه أدرك أنه لم يحصل على إجابة عن هذا التساؤل. ليست لديه أي فكرة واضحة على الإطلاق. لم يتحدث فرودو معه كثيرًا عن مهمته، وكان سام يعرف في إبهام وحسب أن الخاتم ينبغي أن يطرح بطريقة أو بأخرى في النار. «شقوق الهلاك»، غمغم مع نفسه، وواتى عقله الاسم القديم. «إذا كان سيدي يعلم أين يجدها، فإنني لا أعلم».

وجاءته الإجابة: «هأنتذا. الأمر كله عديم الجدوى ولا طائل وراءه. قال ذلك لنفسه. أنت الأحمق، تظل تسير وتأمل وتكد وتكدح. كان يمكن أن ترقدا وتناما معًا منذ أيام، لو أنك لم تكن عنيدًا للغاية. ولكنك ستموت بالطريقة ذاتها مع ذلك، أو ربما بشكل أسوأ. ربما ترقد الآن كذلك وحسب وتتخلى عن الأمر برمته. لن تصل إلى القمة أبدًا على أية حال».

وقال سام: «سوف أصل إلى هناك، حتى لو تركتُ كل شيء ورائي، ما عدا عظامي. وسوف أحمل السيد فرودو بنفسي، حتى لو قصم ظهري وكسر فؤادي. ولذلك فلنكف عن الجدل!».

وفي تلك اللحظة، أحس سام برعشة في الأرض وراءه، وسمع أو أحس بقعقعة بعيدة عميقة كما لو كانت قعقعة رعد محبوس تحت الأرض. وكان هناك لهب أحمر خاطف توهج تحت السحاب ثم خمد وتلاشى، ونام الجبل أيضًا في انزعاج وقلق:

وجاءت المرحلة الأخيرة من رحلتهما إلى جبل أورودروين[1]، وقد كان ذلك تعذيبًا أكبر مما ظن سام أنه بمكنه احتماله على الإطلاق. كان يتألم، وكان عطشانًا للغاية جافًا حلقه لدرجة أنه لم يعد يمكنه أن يبتلع حتى لقمة من طعام. وظلت الدنيا ظلامًا من حوله، ليس فقط بسبب أدخنة الجبل. كان يبدو أن هناك ريحًا قادمة، وبعيدًا إلى الجنوب الشرقي كان هناك وهج من برق تحت السماوات السوداء. والأسوأ من ذلك كله، كان الهواء مليئًا بالأبخرة؛ كان التنفس مؤلمًا وصعبًا، وحل بهما دوار ودوخة، بحيث راحا يترنحان وكانا غالبًا ما يسقطان على الأرض. ومع ذلك لم تضعف إرادتاهما أو تخمدا، وظلا يكدان ويكدحان مواصلين سيرهما.

وراح الجبل يزحف صاعدًا مقتربًا طوال الوقت، لدرجة أنهما، لو رفعا رأسيهما الثقيلين، لملأ نظرهما، وقد لاح كبيرًا وشاسعًا أمامهما؛ كتلة ضخمة من رماد وخبث وصخر محترق، ارتفع منها مخروط شديد الانحدار، مرتفعة جوانبه إلى السحب. وقبل أن ينقضي الغسق الذي استمر طوال اليوم ويأتي الليل الحقيقي راحا يزحفان وسقطا عند سفحه.

وفي لهاث ألقى فرودو بنفسه على الأرض. وجلس سام إلى جواره. ولدهشته أحس بالتعب بيد أنه كان يحس أنه أكثر خفة، وبدا ذهنه صافيًا مرة أخرى. لم تعد تقلق عقله أي حوارات أو نقاشات مع نفسه. عرف جميع مناقشات ومحاورات اليأس ولن ينصت إليها. لقد انعقد عزمه وعزيمته، ولن يكسرها سوى الموت وحده. لم يعد يشعر لا باليأس ولا بالحاجة إلى النوم، بل راح يشعر باليقظة والانتباه. علم أن كل المخاطر والأخطار كانت الآن تتجمع معًا في نقطة واحدة: اليوم التالي سيكون يوم القدر، يوم الجهد الأخير والنهائي أو الكارثة الأخيرة أو النهائية، اللهاث الأخير.

ولكن متى سيأتي ذلك اليوم؟ لقد بدا هذا اليوم لانهائيًا وسرمديًا، راحت الدقائق تتساقط دقيقة بعد الأخرى وتضيف إلى ساعة لا تمر، دون أن تجلب أي تغيير. وبدأ سام يتساءل عما إذا كانت هناك ظلمة ثانية، بدأت ولن يعاود الظهور أي نهار مرة أخرى أبدًا. وأخيرًا راح يتحسس بحثًا عن يد فرودو. كانت باردة ومرتعشة. كان سيده يرتعش وينتفض.

(1) Orodruin جبل النار المتوهجة ‹Mountain of Blazing Fire›، أو جبل الهلاك Mount Doom. (المترجم)

«لم يكن ينبغي عليّ أن أترك بطانيتي»، غمغم سام بهذه الكلمات؛ وحاول وهو راقد أن يواسي سيده ويمنحه الراحة بذراعيه وجسمه. عندئذ استولى عليه النوم، ووجدهما الضوء المعتم لآخر يوم في مهمتهما راقدين جنبًا إلى جنب. كانت الريح قد خمدت في اليوم السابق حيث تحولت من الغرب، والآن جاءت من الشمال وبدأت ترتفع؛ وفي بطء انسل ضوء الشمس غير المرئية هابطًا إلى الظلال، حيث كان الهوبيتيان يرقدان.

«والآن حان الوقت! الآن إلى اللهاث الأخير!». قال ذلك سام وهو يجاهد ليقف على قدميه. وانحنى فوق فرودو، وهو يوقظه في رفق. وتأوه فرودو؛ ولكنه بجهد كبير من إرادة وعزيمة ترنح ووقف على رجليه؛ وعندئذ خر على ركبتيه مرة أخرى. ورفع عينيه بصعوبة إلى منحدرات جبل الهلاك المظلمة وهي ترتفع عاليًا فوقه، وعندئذ على نحو يثير الشفقة والرثاء راح يزحف متقدمًا للأمام على يديه.

ونظر سام إليه وراح يبكي في قلبه، إلا أنه لم تطفر أي دموع إلى عينيه الجافتين اللاسعتين، وغمغم قائلًا: «قلت إنني سأحمله، حتى ولو قصم ظهري، وسوف أفعل ذلك!». وصاح قائلًا:

«هيا يا سيد فرودو. لا يمكنني أن أحمله عنك، ولكن يمكنني أن أحملك وأحمله أيضًا. إذن اصعد! هيا، يا سيد فرودو يا عزيزي! سوف يحملك سام ويسير بك. فقط أخبره أين يذهب، وسوف يذهب».

وبينما كان فرودو متعلقًا على ظهره، وذراعاه ملتفتان حول رقبته في غير إحكام، وساقاه ممسكتان بإحكام تحت ذراعيه، راح سام يترنح ليقف على قدميه؛ وعندئذ لدهشته أحس بالحمل خفيفًا. لقد خشي ألا تكون لديه القوة على أن يرفع سيده بمفرده، وفوق ذلك فإنه كان قد توقع أن يشارك في الثقل المخيف والمقعد لذلك الخاتم اللعين. ولكن لم يكن الأمر كذلك. سواء لأن فرودو كان مرهقًا للغاية من فرط آلامه الطويلة، وجرح السكين الذي أصيب به، والطعنة السامة، والحزن، والخوف، والتجوال دون مأوى في هيام، أو لأن هبة من قوة نهائية كانت قد أعطيت له، فقد رفع سام فرودو دونما أي صعوبة تزيد على تلك الصعوبة التي كان سيجدها لو أنه حمل طفلًا هوبيتيًا على الظهر والكتفين في نزهة مرحة في المروج أو المراعي بالمقاطعة. وأخذ نفسًا عميقًا وبدأ السير.

ووصلا إلى سفح الجبل عند جانبه الشمالي، وإلى الغرب قليلًا؛ وهناك فإن منحدراته الرمادية الطويلة، على الرغم من كونها مكسرة، لم تكن شديدة الانحدار متعامدة، وما تكلّم فرودو، وهكذا راح سام يجاهد بأفضل ما استطاع، ولم يكن لديه

أي توجيه سوى الإرادة والرغبة في الصعود عاليًا قدر الاستطاعة قبل أن تخور قواه وتنكسر عزيمته. وراح يواصل كده وكدحه، صاعدًا أعلى وأعلى، آخذًا هذا الطريق وذاك ليقلل المنحدر، وكان غالبًا ما يتعثر إلى الأمام، وأخيرًا زاحفًا مثل قوقع يحمل حملًا ثقيلًا على ظهره. وعندما عجزت قوة إرادته عن أن تدفعه أكثر من ذلك، خارت أطرافه، وتوقف وأنزل سيده من على ظهره برفق.

وفتح فرودو عينيه وأخذ نفسًا. كان التنفس أكثر سهولة هنا فوق الأدخنة التي كانت تتلوى وتندفع أسفل منهما، وقال في همس مشروخ: «شكرًا لك يا سام. كم بقي من مسافة ينبغي علينا أن نقطعها؟».

وقال سام: «لا أدري؛ لأنني لا أعلم أين نحن ذاهبان».

ونظر للوراء، وبعد ذلك نظر لأعلى؛ واندهش عندما رأى قدر المسافة التي دفعه خلالها جهده الأخير. لما كان الجبل يقف منذرًا بسوء، ووحيدًا أعزل فإنه بدا أطول مما كان. ورأى سام الآن أنه كان أقل ارتفاعًا من مجازات إيفيل دواث الشاهقة التي كان قد صعدها هو وفرودو. وارتفعت أكتاف قاعدته الضخمة، المختلطة والمتداعية، ربما لمسافة ثلاثة آلاف قدم فوق السهل، وارتفع فوقها بنصف الارتفاع مرة أخرى مخروطه المركزي الطويل، كواحة أو مدخنة شاسعة مغطاة بفوهة محززة. ولكن كان سام بالفعل عند ما يزيد على نصف القاعدة لأعلى، وكان سهل جورجوروث معتمًا أسفل منه، يغلفه الدخان والظلال. ولما نظر لأعلى كان من الممكن أن يطلق صرخة لو سمح له حلقه الجاف بذلك؛ لأنه رأى بوضوح وسط الروابي والأكتاف الوعرة المتجعدة فوقه مجازًا، كان يسير صاعدًا مثل حزام مرتفع من الغرب وراح يدور مثل الثعبان حول الجبل، حتى وصل قبل أن يدور ويتوارى عن النظر إلى سفح المخروط فوق جانبه الشرقي.

لم يستطع سام أن يرى المسار الذي كان فوق رأسه على الفور، حيث كان المسار أقل انخفاضًا؛ إذ كان منعطفًا شديد الانحدار، راح يصعد من المكان الذي كان واقفًا فيه؛ ولكنه اعتقد أنه لو استطاع أن يجاهد قليلًا بعض الشيء لأعلى، فإنهما سيصلان إلى ذلك المجاز. وعاد إليه وهج من أمل. ربما كانا لا يزالان يستطيعان أن يقهرا الجبل. وقال لنفسه: «ولم لا، ربما يكون قد وُضع هناك عمدًا! لو لم يكن هناك، لتوجّبَ علي أن أقول إنني غُلبتُ في النهاية».

لم يكن المجاز قد وضع هناك من أجل سام. لم يكن يعرفه، ولكنه كان ينظر في طريق ساورون من باراد دُور إلى ساماث نور[1]، غرف النار. ومن البوابة الغربية الضخمة لبرج الظلام جاء الطريق عابرًا فوق هوة عميقة عبر جسر كبير من حديد، وبعد ذلك عبر إلى السهل ليجري لمسافة فرسخ بين هوتين مُدخنتين، وهكذا وصل إلى مجاز طويل منحدر قاد لأعلى إلى الجانب الشرقي للجبل. ومن هناك، راح يدور ويلف في محيطه الواسع من الجنوب إلى الشمال، وصعد أخيرًا، عاليًا في المخروط العلوي، ولكن كان لا يزال بعيدًا عن القمة الملتفة، إلى مدخل مظلم كان يطل للوراء شرقًا إلى نافذة العين في قلعة ساورون الملفعة بالظل. وكان في الغالب ما يسده أو يدمره جلبة أفران الجبل، وكان دائمًا ما يتم إصلاح ذلك الطريق وإخلاؤه مرة أخرى بواسطة أعداد لا حصر لها من الأوركيين.

وأخذ سام نفسًا عميقًا. كان هناك طريق، ولكن كيف كان يسعه أن يصعد إلى المنحدر ليصل إليه، ذلك ما لم يكن يعرفه. أولًا ينبغي عليه أن يريح ظهره الذي كان يؤلمه. ورقد على ظهره إلى جوار فرودو لبعض الوقت. ولم يتكلم أي منهما. وبطيئًا راح الضوء يزداد. وفجأة انتاب سام إحساس مفاجئ بالعجلة لم يفهمه. كان ذلك قريبًا كما لو أنه قد نودي عليه: «الآن، الآن، وإلا فسوف يفوت الأوان!». ولملم شتات نفسه ونهض. وبدا أن فرودو أيضًا قد أحس بالنداء. وناضل ليقف على ركبتيه؛ وقال لاهثًا: «سوف أحبو يا سام».

وهكذا راحا يزحفان قدمًا قدمًا مثل حشرات رمادية صغيرة، صاعدين المنحدر. ووصلا إلى الطريق ووجدا أنه كان واسعًا، وممهدًا بحجارة مكسرة ورماد مدكوك. وراح فرودو يتسلق إليه، وعندئذ راح يتحرك كما لو كان ذلك بواسطة طريق قوة جبرية، واستدار بطيئًا ليواجه الشرق. وبعيدًا كانت ظلال ساورون معلقة؛ ولكنها كانت قد مزقتها دفقة من ريح جاءت من العالم، أو بأي وسيلة أخرى، وحركه ما بداخله من قلق بالغ في هذا الاتجاه، وراحت السحب الكثيفة المغطية تلف وتدور في دوامة، وللحظة تحركت نحو الجانبين؛ وبعد ذلك رأى القمم الشرسة والتاج الحديدي لأعلى برج في باراد دور، يرتفع أسود، وأكثر سوادًا وظلمة من الظلال الشاسعة التي كان يقف في وسطها. وحدق فقط للحظة واحدة، ولكن انبعث وهج أحمر فجأة، كما لو كان يأتي من نافذة عظيمة عالية على نحو لا يمكن قياسه باتجاه الشمال، كان ذلك وهج عين ثاقبة؛ وعندئذ راحت الظلال تلف مرة أخرى، وزال الطيف والخيال المروع. لم يكن قد تم تحوُّل العين إليهما، كانت تحدق شمالًا إلى المكان الذي كان قادة الغرب يقفون عنده في مأرق وورطة، وإلى هناك كان حنقه وغضبه آنذاك مركزًا ومنصبًا،

(1) Sammath Naur ومعناها «غرف النار» في قلب جبل الهلاك. (المترجم)

حيث كانت القوة تتحرك لتضرب ضربتها القاتلة؛ ولكن فرودو سقط على الأرض عندما رأى هذا المنظر المروع كمن ضُرب ضربة قاتلة. وراحت يده تبحث عن السلسلة التي كانت في رقبته.

وجثا سام إلى جواره. وسمع فرودو يهمس في ضعف، لا يكاد يُسمع تقريبًا: «ساعدني يا سام! ساعدني يا سام! أمسك يدي! لا يمكنني أن أمنعها». وأخذ سام بيدي سيده ووضعهما معًا، كفًا لكف، وقبلهما؛ وبعد ذلك أمسك بهما في رفق بين يديه. وخطر بباله فجأة هذا التفكير: «لقد رآنا! انتهى كل شيء، أو سوف ينتهي قريبًا. والآن، يا سام جامجي، هذه نهاية النهايات».

ومرة أخرى رفع فرودو وشد يديه إلى صدره هو، تاركًا ساقي سيده تتدليان. وعندئذ حنى رأسه وراح يجاهد عبر الطريق الصاعد. لم يكن الطريق سهلًا مثلما كان قد بدا في أول الأمر. ومصادفةً تحدّرت النيران التي كانت تتدفق في اهتياج شديد عندما كان سام يقف على سيريث أنجول هابطة بشكل أساسي على المنحدرات الجنوبية والغربية، ولم يكن الطريق في ذلك الجانب مسدودًا، ولكنه تقوض وتفتت وصدعته الشقوق الكبيرة في أماكن كثيرة. بعد الصعود شرقًا لبعض الوقت مال عائدًا على نفسه بزاوية حادة وسار غربًا لمسافة ما. وهناك عند الثنية تم قطعه بشكل عميق عبر جرف من صخر قديم، نالت منه العوامل الجوية بشدة وقد كانت لفظته منذ زمن طويل في وقت من الأوقات أفران الجبل. ودار سام حول الثنية وهو يلهث تحت حمله؛ وبينما كان يفعل ذلك، لمح بطرف عينه شيئًا يسقط من الجرف الصخري، كما لو كان قطعة صغيرة من صخر أسود، انقلبت ساقطة عندما مر.

وضربه حمل ثقيل فجأة وسقط للأمام، ممزقًا ظهري يديه اللتين كانتا لا تزالان ممسكتين بيدي سيده. عندئذ عرف ما الذي حدث؛ إذ سمع من فوقه وهو راقد على الأرض صوتًا بغيضًا.

وراح الصوت يهس قائلًا: «أيها السيد الشرير! السيد الشرير يخدعنا؛ يخدع سميجول، جولام[1]. يجب ألا تذهب في هذا الطريق. يجب ألا يؤذى الثمين. أعطه لسميجول، نعمم[2]، أعطه لنا! أعطه لننننا[3]!».

وبجهد عنيف نهض سام. وفي الحال استل سيفه؛ ولكنه لم يستطع أن يفعل أي شيء. لقد كان جولام وفرودو متشابكين معًا. وكان جولام يمزق سيده، محاولًا أن يأخذ السلسلة والخاتم. ربما كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يوقظ الجذوات

(1) صوت الحشرجة الذي يخرج من حنجرته. (المترجم)

(2) محاكاة لكلمة yess. (المترجم)

(3) محاكاة لكلمة uss. (المترجم)

المحتضرة في قلب فرودو وإرادته: هجوم، محاولة لانتزاع كنزه منه بالقوة. وراح يجاهد ويقاتل في غضب وحنق مفاجئين أذهلا سام، وجولام أيضًا. حتى والأمر كذلك فقد كان من الممكن أن تسير الأمور في اتجاه آخر غير ذلك، لو أن جولام نفسه ظل دون تغيير؛ ولكن المجازات والطرق المخيفة التي سار فيها، وحيدًا وجائعًا وعطشانًا، تدفعه رغبة نهمة وخوف رهيب، تركت علامات موجعة بشعة عليه. كان شيئًا نحيلًا مهزولًا من فرط الجوع منهكًا، مجرد عظام وجلد شاحب مشدود جدًا حول عظامه. وتوهج في عينيه ضوء جامح، ولكن حقده لم يعد تضاهيه قوته القديمة التي تمسك بإحكام. وطرحه فرودو بعيدًا ونهض وهو يرتعش وينتفض.

«انزل، انزل!». قال ذلك وهو يلهث، وهبّ قابضًا بيده على صدره، حيث كان يمسك تحت غطاء قميصه الجلدي بالخاتم: «انزل، أيها الشيء الحقير الزاحف، وابعد عن طريقي! لقد وصل وقتك إلى النهاية. لا يمكنك أن تخدعني أو تقتلني الآن».

عندئذ فجأة، كما هي الحال من قبل تحت أطناف إمين مويل، رأى سام هذين الخصمين برؤية أخرى. شكل جاثم، لا يكاد يزيد على ظل شيء حي، مخلوق صار الآن مدمرًا ومنهزمًا تمامًا، ولكنه مع ذلك كان ممتلئًا برغبة وحنق مخيفين بشعين؛ وكان يقف الآن أمامه صارمًا، لا يمكن لمسه الآن شفقة، شكل يرتدي ثيابًا بيضاء، ولكنه كان يمسك عند صدره عجلة من نار. ومن النار راح يتحدث صوت آمر:

«اغرب عن وجهي، ولا تقلقني وتضايقني أكثر من ذلك! لو أنك لمستني مجرد مرة أخرى، فسيلقي بك أنت نفسك في جحيم الهلاك».

وتراجع الشكل الذي كان جاثمًا على الأرض، وفي عينيه الوامضتين رعب وفزع، ومع ذلك في نفس الوقت كان فيهما رغبة نهمة لا تشبع.

عندئذ انقضت هذه الرؤية وهذا المنظر، ورأى سام فرودو يقف، ويده على صدره، ونفسه يخرج من صدره في لهاث هائل، وجولام عند قدميه، جاثٍ على ركبتيه ويداه الكبيرتان العريضتان مبسوطتان على الأرض.

وصاح سام: «احترس! سوف يقفز!». وقفز فرودو للأمام، وهو يشهر سيفه. وصاح في لهاث: «سريعًا يا سيدي. اذهب أنت! اذهب أنت! ليس هناك وقت لتضيعه. سوف أتعامل أنا معه. اذهب أنت!».

ونظر فرودو إليه كما لو كان ينظر عندئذ إلى شخص من بعيد جدًا، وقال: «نعم، يجب أن أذهب. الوداع يا سام! هذه هي النهاية أخيرًا. على جبل الهلاك سوف يقع القدر ويأتي الهلاك. الوداع!». واستدار وواصل سيره، وهو يمشي بطيئًا ولكن منتصبًا، صاعدًا المجاز الصاعد.

وقال سام: «الآن! أخيرًا يمكنني أن أتعامل معك!». وقفز للأمام مستلًا سيفه ومستعدًا للقتال. ولكن جولام لم يقفز. سقط على الأرض منبطحًا وراح ينشج بالبكاء، وقال وهو يبكي:

«لا تقتلنا. لا تؤذنا بالصلب القذر الشرس! دعنا نعش، نعم، نعش فقط قليلًا. ضائعون ضائعون! إننا ضعنا. وعندما يذهب الثمين، فإننا سنهلك، نعم، نهلك في التراب». وراح ينبش رماد الطريق بأصابعه الطويلة النحيلة. وقال في هسيس: «تراب!».

ولوحت يد سام. كان عقله مهتاجًا بالغضب الشديد وذكرى الشر. سوف يكون من العدل أن يذبح هذا المخلوق الخائن القاتل، وسوف يستحق ذلك عدلًا ومرات كثيرة؛ كما بدا له أيضًا أن هذا هو الشيء الوحيد الآمن الذي يمكنه أن يفعله. ولكن في أعماق قلبه كان هناك شيء يمنعه، لم يستطع أن يضرب هذا الشيء الذي يرقد على الأرض في التراب، تعيسًا، ويائسًا، ومدمرًا تمامًا. هو نفسه، حمل الخاتم، على الرغم من أنه لم يحمله إلا لفترة قصيرة، وهو الآن يخمن دون وضوح العذاب الذي يعانيه عقل وجسد جولام الضامران، وقد استعبده الخاتم، و.. ولم يعد قادرًا على أن يجد السلام أو الراحة على الإطلاق في الحياة مرة أخرى. ولكن سام لم تكن لديه أي كلمات ليعبر بها عما يشعر به، وقال:

«أوه! اللعنة عليك، أيها الشيء النتن! امض بعيدًا، اغرب عن وجهي. إنني لا أثق بك، كثيرًا ما كان بإمكاني أن أركلك؛ ولكن اغرب عن وجهي. وإلا فإنني سوف ألحق بك الأذى، نعم، بالصلب القذر الشرس!».

ونهض جولام على أطرافه الأربعة، وتراجع عدة خطوات، وبعد ذلك استدار، وبينما كان يصوب ليركله برجله فر بعيدًا هابطًا عبر المجاز. ولم يعره سام أي انتباه آخر. وفجأة تذكر سيده. ونظر لأعلى المجاز، ولم يستطع أن يراه. وانطلق بأقصى سرعة ممكنة لديه يكد ويكدح صاعدًا الطريق. ولو أنه نظر للوراء، لرأى على مسافة غير بعيدة أسفل منه جولام يستدير مرة أخرى، وبعد ذلك وبضوء وحشي يتقد من جنون في عينيه، جاء سريعًا، ولكن في حذر، يزحف وراءه، ظل متلصصًا متسللًا بين الصخور.

وواصل المجاز صعوده. وسرعان ما انحنى مرة أخرى، وللمرة الأخيرة دار شرقًا ومر في شق عبر سطح المخروط ووصل إلى الباب المظلم في جانب الجبل، باب ساماث نور. وبعيدًا آنذاك راحت الشمس وقد ارتفعت باتجاه الجنوب مخترقة الأدخنة والغيم، تشتعل على نحو منذر بالسوء، قرص أحمر كئيب غائم؛ ولكن موردور كلها كانت ترقد حول الجبل مثل أرض ميتة، صامتة، تغمرها الظلال، مترقّبةً ضربة مخيفة.

ووصل سام إلى الفم الفاغر وحدق فيه. كان مظلمًا وساخنًا، وهزت الهواء قعقعة

عميقة هائلة، وراح هو ينادي: «فرودو! سيدي!». ولم تأته أي إجابة. ووقف للحظة، وكان قلبه يخفق بمخاوف جامحة، وعندئذ قفز داخلًا. وتبعه ظل.

بداية لم يستطع أن يرى أي شيء. وفي حاجته الماسة أخرج مرة أخرى قنينة جلَدْرِيل، ولكنها كانت باهتة وباردة في يده المرتعشة، ولم تشع أي ضوء في تلك الظلمة الخانقة. لقد وصل إلى قلب مملكة ساورون ومسابك عظمته الماضية، الأعظم في الأرض الوسطى؛ خضعت كل القوى الأخرى هنا. وخطا في خوف خطوات قليلة غير واثقة في الظلمة، وبعد ذلك، في الحال جاء وميض أحمر راح يطفر للأمام، وضرب السقف الأسود العالي. عندئذ رأى سام أنه كان في كهف أو نفق طويل، كان يقود في ثقوبه وتجاويفه إلى المخروط الداخن للجبل. ولكن على بعد مسافة قصيرة فقط للأمام شقّ أرضيته وجدرانه على الجانبين شرخ هائل، انبعث منه الوهج الأحمر، وكان يقفز لأعلى أحيانًا، وأحيانًا أخرى يخمد متحولًا إلى ظلمة؛ وفي ذات الوقت كان هناك على بعد مسافة كبيرة في الأسفل صخب هائل صادر عن آلات وأدوات تخفق وتعمل وتضرب.

وقفز الضوء عاليًا مرة أخرى، وهناك على حافة الهوة، عند شق الهلاك نفسه، وقف فرودو، أسود أمام الوهج، متوترًا، منتصبًا، بيد أنه كان ساكنًا كما لو كان قد تحول إلى حجر.

وصاح سام: «سيدي!».

عندئذ تحرك فرودو وتحدث بصوت واضح صاف، حقًا بصوت أوضح وأصفى وأكثر قوة مما سمعه منه سام على الإطلاق، وارتفع فوق ضجيج وصخب جبل الهلاك، مدويًا في السقف والجدران، وقال:

«لقد جئتُ. ولكني لا أريد الآن أن أفعل ما جئتُ من أجله. لن أفعل هذا العمل. إن الخاتم ملك لي!». وفجأة، عندما وضعه في إصبعه، اختفى عن بصر سام. وراح سام يلهث، ولكنه لم تتح له الفرصة لأن يصرخ؛ إذ حدث في تلك اللحظة كثير من الأمور.

ضرب سام من الخلف بعنف شيء لم يتبينه، وأزيلت ساقاه من تحته وطُرح جانبًا، مما جعل رأسه يرتطم بالأرض الصخرية، بينما قفز فوقه شكل أسود. ورقد ساكنًا وللحظة أصبح كل شيء أسود.

وبعيدًا، عندما لبس فرودو الخاتم وادعى ملكيته لنفسه، حتى في ساماث، نور قلب مملكته، راحت القوة في باراد دور تهتز، وارتعش البرج من أساساته، حتى تاجه الشامخ المتغطرس القاسي الساخر. وأدرك سيد الظلام وجوده فجأة، ونظرت عينه التي كانت تخترق كل الظلال، نظرت عبر السهل إلى الباب الذي كان قد صنعه؛ وظهر له مدى حماقته في لمحة خاطفة، وظهرت أخيرًا كل حيل ومعدات أعدائه عارية أمامه.

عندئذ احتدَمَ غضبه في لهب مستعر، ولكن خوفه تصاعَدَ كدخان أسود هائل ليخنقه؛ إذ كان يعرف خطره القاتل والخيط الذي كان قدره الآن معلقًا عليه.

ومن جميع سياساته وحبائله من الخوف والخيانة، من جميع حيله وخدعه وحروبه تحرر عقله؛ وسرت في كل مملكته رعشة، وجبن خدامه وعبيده، وتوقفت جيوشه، واضطرب قادته وأصابهم اليأس وقد أصبحوا فجأة دون قيادة توجههم، مجردين من الإرادة والعزيمة؛ لأنهم كانوا قد نُسوا. كان العقل والهدف الكاملان للقوة التي كانت تديرهما وتتحكم فيهما الآن مركزين بقوة جارفة على الجبل. وبناء على استدعائه، جاء النازجول، أطياف الخاتم، مسرعين وهم يصرخون صراخًا يشق الهواء، في سباق يائس أخير، جاءوا متدفقين متدافعين بسرعة أكبر من سرعة الريح، وبعاصفة من الأجنحة اتجهوا مندفعين باتجاه الجنوب إلى جبل الهلاك.

ونهض سام. كان مذهولًا غائبًا عن وعيه، وكان الدم يتقاطر من رأسه ليسقط في عينيه، وراح يتحسس أمامه، وعندئذ رأى شيئًا غريبًا ومروعًا. جولام على حافة الهاوية كان يحارب كشيء مجنون مع خصم غير مرئي. وراح يترنح جيئة وذهابًا، وفي أحد الأوقات قريبًا للغاية من الحافة لدرجة أنه كان يكاد يهوي فيها، وفي أحيان أخرى كان يتراجع ويجر نفسه للوراء، ويسقط على الأرض، وينهض، ويقع مرة أخرى. وكان دائمًا يهس ولكنه لم يكن ينطق بأي كلمات.

واستيقظت النار أسفل منهم في غضب، وراح الضوء الأحمر يتوهج، وامتلأ كل الكهف بسخونة ووهج عظيمين. وفجأة رأى سام يدي جولام الطويلتين تمتدان لأعلى إلى فمه؛ وتوهجت مخالبه البيضاء، وعندئذ طقت وهو يعض. وصرخ فرودو، وها هو ذا، ساقطًا على ركبتيه عند حافة الهاوية. ولكن جولام، وكان يرقص مثل شيء مجنون، كان يمسك بالخاتم عاليًا، وكان لا يزال هناك أصبع داخل حلقته. وكان يسطع عندئذ كما لو كان حقًا قد صُنع من نار حية.

وصاح جولام: «الثمين، الثمين، الثمين! شيئي الثمين! يا شيئي الثمين!». وبهذه الكلمات، وبينما كانت عيناه ترتفعان ليحدق بإعجاب إلى غنيمته، خطا بعيدًا أكثر من اللازم، وانقلب، وترنح للحظة على الحافة، وبعد ذلك وبصرخة سقط. وجاءت من الأعماق صرخته الأخيرة: «الثمين». وذهب واختفى.

وكان هناك صخب وارتباك عظيم من ضوضاء. وراحت النار تقفز وتلعق السقف وازداد الخفقان متحولًا إلى جلبة عظيمة، واهتز الجبل. وجرى سام إلى فرودو وأخذه وحمله إلى الباب. وهناك فوق عتبة ساماث نور المظلمة، عاليًا فوق سهول موردور،

حل به عجب ورعب لدرجة أنه وقف ساكنًا ذاهلًا عن كل شيء آخر، وراح يحدق كشخص تحول إلى صخر.

وأتته رؤية قصيرة لسحب دوارة، وفي وسط أبراجها وشرفاتها المفرجة، التي كانت طويلة مثل التلال؛ ومؤسسة على عرش جبل عظيم فوق حفر تفوق كل قياس؛ أبهاء وأبراج محصنة هائلة، سجون بلا منافذ شديدة الانحدار مثل الجُرف، وبوابات من فولاذ وأدمنت مفتوحة على مصاريعها كأفواه فاغرة: وعندئذ انقضى كل شيء. سقطت الأبراج وانزلقت الجبال؛ وتداعت الجدران وذابت، وسقطت مُندكّة؛ وصعدت عاليًا قمم مستدقة من دخان وأبخرة منبجسة في صورة أمواج عظيمة لأعلى، حتى انقلبت مثل موجة عظيمة ساحقة، وتلوّت طبقتها الجامحة وجاءت هابطة لأسفل مزبدة فوق الأرض. عندئذ وأخيرًا فوق الأميال التي كانت بين ذلك كله صدرت قعقعة، مرتفعة إلى صوت ارتطام وضجيج يصيب بالصمم؛ واهتزت الأرض، وارتج السهل وتصدع، وماج جبل أورودروين، جبل الهلاك، وارتج. وتقاذفت النار بقوة من قمته المتصدعة المشقوقة. وانفجرت السماوات إلى رعد يسفعه برق. وهطل وابل من أمطار سوداء مثل سياط سافعة. وإلى قلب العاصفة، وبصرخة اخترقت كل الأصوات وفاقتها، يمزق السحب ويفصلها، جاء النازجول، مندفعين كالقذائف، ولما انحصروا في الخراب الناري الذي غمر التل والسماء خاروا، وضعفوا، وتلاشوا.

«حسنًا، هذه هي النهاية يا سام جامجي»، قال هذه الكلمات صوت كان إلى جواره. وكان ذلك هو فرودو، شاحبًا ومنهكًا، ومع ذلك عاد إلى نفسه مرة أخرى؛ وفي عينيه كان هناك سلام وطمأنينة مرة أخرى، لم يكن هناك أي توتر للإرادة، ولا جنون، ولا أي خوف. كان حمله قد أُنزل عن عاتقه. كان هناك السيد العزيز، سيد الأيام الجميلة في المقاطعة.

«سيدي!». صاح سام، وخر على ركبتيه. وفي كل ذلك الدمار الذي حل بالعالم، في هذه اللحظة لم يشعر إلا بالفرحة، الفرحة العارمة. لقد ذهب الحمل. لقد تم إنقاذ سيده؛ وعاد إلى نفسه مرة أخرى، لقد أصبح حرًا. وعندئذ لمح سام اليد المصابة والدامية، وقال:

«يدك المسكينة! وليس لدي أي شيء أضمدها به، أو أداويها به. كنت أتمنى لو أنني منحته يدًا كاملة من يدي بدلًا منه. ولكنه ذهب الآن خارج نطاق كل استدعاء، ذهب إلى الأبد.

فقال فرودو: «نعم. ولكن هل تتذكر كلمات جندلف: حتى جولام ربما لا يزال لديه شيء يفعله؟ لولاه هو يا سام ما كنتُ دمرتُ الخاتم. كانت المهمة ستنتهي إلى عبث وتكون بلا جدوى، حتى عند نهايتها المريرة. ولذلك لنصفح عنه ونغفر له! لأن المهمة قد تم إنجازها، والآن انتهى كل شيء. إنني سعيد أنك هنا معي. هنا عند انتهاء كل الأمور يا سام».

الفصل الرابع
حقــل كورمالين

في كل مكان حول التلال اهتاجت حشود موردور وماجت غضباً. كان قادة الغرب يغرقون في بحر متكاثر. كانت الشمس تومض حمراء، وتحت أجنحة النازجول جاءت ظلال الموت مظلمة سوداء على الأرض. وكان أراجورن يقف تحت رايته، صامتًا وصارمًا، كواحد تائه في التفكير في أشياء مضى عليها زمن طويل أو بعيدة بعيدة؛ ولكن عيناه توهجت مثل نجوم تسطع على نحو أكثر إشراقًا كلما توغل الليل. وفوق قمة التل، كان يقف جَنْدَلْف، وكان أبيض وباردًا ولم يكن هناك ظل يقع عليه. لقد جاء هجوم موردور مثل موجة على التلال المحاصرة، كانت الأصوات تهدر وتزمجر مثل المد والجزر وسط حطام وصدام الأسلحة وارتطامها.

وتحرك جَنْدَلْف كما لو أن هناك رؤية مفاجئة ما قد مُنحت لعينيه؛ والتفت، ناظرًا الوراء باتجاه الشمال حيث كانت السماء شاحبة وصافية. بعد ذلك رفع يديه وصاح بصوت عال راح يدوي فوق الضجيج والجلبة: النسور قادمة! وردت عليه الكثير من الأصوات صائحة: النسور قادمة! النسور قادمة! ونظرت حشود موردور لأعلى وتساءلت متعجبة عما يمكن أن تعنيه هذه العلامة.

وجاء جوايهير سيد الريح، وأخاه لاندروفال، أضخم نسور الشمال، أعظم نسل ثورونددور العجوز الذي بنى أوكاره في القمم التي لا يمكن الوصول إليها في الجبال المحيطة عندما كانت الأرض الوسطى لا تزال شابة. وجاء وراءهما في صفوف طويلة سريعة جميع خدامهما من الجبال الشمالية، مسرعين على ريح حاشدة. وحملوا في خط مستقيم لأسفل على النازجول، منحنين، فجأةً، قادمين من الأجواء العالية، وكان اندفاع أجنحتهم العريضة وهم يمرون مثل ريح هوجاء.

ولكن النازجول استداروا وفروا، وتلاشوا في ظلال موردور، لما كانوا قد سمعوا نداء مفاجئًا رهيبًا من برج الظلام؛ وحتى في تلك اللحظة فإن جميع حشود موردور ارتعشت، وقبض الشك على قلوبهم، ومات ضحكهم، وراحت أيديهم ترتعش وأطرافهم تتفكك. القوة التي كانت تدفعهم وتملؤهم بالكراهية والحنق بدأت تضعف، لقد أزيلت إرادتها منهم؛ والآن لما راحوا ينظرون في أعين أعدائهم كانوا يرون ضوءاً مميتًا وكانوا يخافون.

عندئذ راح جميع قادة الغرب يصيحون عاليًا؛ لأن قلوبهم امتلأت بأمل جديد وسط الظلمة. ومن التلال المحاصرة تدافعت فرسان جوندور، خيالة روهان والدونادانيون سكان الشمال، كتائب وسرايا مكتظة ومحتشدة، ضد خصومهم المنهارين، مخترقين الحشد بطعان الحراب القاسية المرة. ولكن جَنْدَلْف رفع ذراعيه وصاح مناديًا مرة أخرى في صوت واضح:

«اصمدوا يا بشر الغرب! اصمدوا وانتظروا! هذه ساعة القدر».

وبينما كان يتكلم اهتزت الأرض تحت أقدامهم. وبعد ذلك قفزت إلى السماء ظلمة هائلة محلقة وهي تومض بالنار، وهي ترتفع سريعًا لأعلى، إلى ما فوق أبراج البوابة المظلمة، عاليًا فوق الجبال. وأنّت الأرض وارتعشت. وتأرجح برجا الأسنان، وتمايلا، وخرا على الأرض؛ وتداعى المتراس العظيم؛ وتدمرت البوابة السوداء تمامًا؛ ومن على البعد، جاءت قعقعة مدوية، هدير وزئير، دوي طويل يملأ صداه المكان لضوضاء مدمرة، معتم أحيانًا، متزايد أحيانًا أخرى، وأحيانًا يصعد إلى السحاب.

وقال جَنْدَلْف: «لقد انتهت مملكة ساورون! لقد أنجز حامل الخاتم مهمته». وبينما كان القادة يحدقون جنوبًا إلى أرض موردور، بدا لهم أنه راح يرتفع هناك، أسود قبالة حجاب من سحاب، شكل ضخم من ظل، لا يمكن اختراقه، ويتوجه البرق، يملأ كل السماء. وارتفع هائلًا فوق العالم، وامتدت نحو الخارج باتجاههم يد مهددة، رهيبة بيد أنها عاجزة؛ لأنها بينما كانت تنحني فوقهم، جاءت ريح هائلة وأخذتها، وتم جرفها بعيدًا تمامًا، وانقضت وزالت؛ وعندئذ ساد صمت.

وحنى القادة رءوسهم؛ وعندما نظروا لأعلى مرة أخرى، ماذا رأوا! كان أعداؤهم يطيرون وكانت قوة موردور تتناثر مثل الغبار في وجه الريح. ومثلما يحدث عندما يضرب الموت ذلك الشيء الجاثم، على الأرض، المنتفخ الذي يسكن تلهم الزاحف ويكبحهم جميعًا، فإن النمل سوف يهيم دون عقل ودون غرض وبعد ذلك يموت في ضعف، هكذا هي الحال مع مخلوقات ساورون، الأوركيون أو الغيلان أو الحيوانات التي تم استعبادها بالسحر، تجري هنا وهناك دون عقل أو تفكير؛ وقتل بعضهم أنفسهم، أو ألقوا بأنفسهم في الحفر، أو فروا وهم ينتحبون عائدين ليختبئوا في الحفر وفي الأماكن المظلمة التي لا ضوء فيها بعيدًا عن الأمل. ولكن بشر رون[1] وبشر هاراد، الشرقيين والجنوبيين، رأوا دمار حربهم والجلال العظيم والفخامة العظيمة لقادة الغرب. وأولئك الذين كانوا الأكثر غوصًا في عبودية الشر والذين أمضوا أطول مدة في العبودية، الكارهين للغرب، ومع ذلك كانوا رجالًا فخورين وشجعانًا، جمعوا

(1) Rhûn أي الشرق، وتستخدم على وجه العموم مع البلدان في أقصى شرق الأرض الوسطى. (المترجم)

أنفسهم الآن بدورهم لمقاومة أخيرة في معركة يائسة. ولكن الجزء العظيم فر باتجاه الشرق ممن استطاعوا ذلك؛ وألقى بعضهم سلاحهم وطلبوا الرحمة.

عندئذ وقف جَنْدَلْف، وقد ترك كل تلك المسائل المتصلة بالمعركة والقيادة لأراجورن والسادة الآخرين، فوق قمة التل وصاح مناديًا؛ ونزل هابطًا إليه نسر عظيم، جوايهير سيد الريح، ووقف أمامه، وقال جَنْدَلْف:

«لقد حملتني مرتين يا جوايهير يا صديقي. ثلاث مرات سوف تكون كل ما أستحقه، إذا كنت تقبل ذلك طواعية. لن تجدني حملًا ثقيلًا أكبر بكثير مني عندما حملتني من زيراكزيجيل[1]، حيث أنهكتْ صحتي وانقضى عمري».

وأجابه جوايهير: «سوف أحملك إلى أي مكان تريده، حتى لو كنتَ قد خلقتَ من حجر».

«إذن تعال، ودع أخاك يأتي معنا، وبعضًا آخرين من قومك الأكثر سرعة! لأننا بحاجة إلى سرعة أكبر من أي ريح، تفوق أجنحة النازجول».

وقال جوايهير: «ريح الشمال تهب، ولكننا سوف نتفوق عليها في الطيران». ورفع جَنْدَلْف وانطلق مسرعًا جنوبًا، وذهب معه لاندروفال، ومينيلدور شابًا وسريعًا. ومروا فوق أودون وجورجوروث ورأوا تحتهم كل الأرض مدمرة وما فيها من صخب، وكان جبل الهلاك يتوهج أمامهم، ويصب النيران صبًا.

وقال فرودو: «إنني سعيد أنك هنا معي. هنا في نهاية كل الأشياء يا سام».

«نعم، إنني معك يا سيدي»، قال ذلك سام وهو يضع يد فرودو المجروحة بلطف على صدره. «وأنت معي. وانتهت الرحلة. ولكن بعد أن سرنا كل هذا الطريق، فإنني لا أريد أن أستسلم بعد. لستُ أنا الذي يفعل ذلك، بطريقة أو بأخرى، إذا كنتَ تفهمني».

وقال فرودو: «ربما لا يا سام، ولكن ذلك مثله مثل الأشياء في العالم. الآمال تخفق. وتأتي نهاية. ليس لدينا سوى القليل من الوقت للانتظار. لقد ضعنا في الدمار والانهيار، وليس هناك من مهرب أمامنا».

«حسنًا يا سيدي يمكننا على الأقل أن نذهب لمسافة أبعد بعيدًا عن هذا المكان الخطير هنا، عن شق الهلاك هذا، إذا كان ذلك هو اسمه. والآن أليس بإمكاننا ذلك؟ هيا يا سيد فرودو، هيا بنا نهبط الطريق مهما يكن الأمر!».

«حسنًا جدًا، يا سام. إذا كنتَ ترغب في أن نذهب، فسوف آتي»، قال ذلك فرودو؛ ونهضا وذهبا ببطء هابطين الطريق المتعرج؛ وبينما كانا يمران باتجاه سفوح الجبل المرتعشة، جاء دخان عظيم وبخار مندفعًا من ساماث نور، وتصدع جانب

(1) Zirakzigil وهو «The Silvertine"، اسم على جبل يطلق عليه أيضًا [Celebdil] أو [Silvertine]، فوق مملكة الأقزام في [Khazad-dûm] خازاد دوم. (المترجم)

المخروط وانفتح، واندفعت قذائف نارية ضخمة في شلال رعدي بطيء هابطة جانب الجبل الشرقي.

ولم يستطع فرودو وسام أن يذهبا أكثر من ذلك. كانت آخر قوة من عقل وجسم لديهما تتدهور وتنهار سريعًا. لقد وصلا إلى تل رمادي منخفض مكوم عند سفح الجبل؛ ولكن لم يكن هناك أي مهرب آخر منه. لقد كان جزيرة الآن، لن يكون بالإمكان احتمالها كثيرًا، وسط تعذيب أورودروين. كانت الأرض في كل مكان حوله فاغرة فاها، ومن الشروخ والحفر العميقة راح الدخان يتدافع عاليًا والأبخرة. وكان الجبل يرتج وراءهما. وتفتحت شروخ وشقوق كبيرة هائلة في جانبه. وجاءت أنهار بطيئة من نار هابطة عبر المنحدرات والمنعطفات باتجاههما. وسريعًا سوف يتم احتواؤهما. كان هناك مطر من رماد ساخن يتساقط.

ووقفا آنذاك؛ وكان سام لا يزال ممسكًا بيد سيده يربت عليها. وتنهد. وقال: «يا لها من حكاية تلك التي كنا فيها يا سيد فرودو، ألا ترى ذلك؟ أتمنى أن أسمع هذه الحكاية تقص وتروى! هل تظن أنهم سيقولون: والآن تأتي قصة فرودو ذي الأصابع التسعة وخاتم الهلاك؟ وعندئذ سوف يسكت الجميع وينصتون، مثلما فعلنا نحن، عندما أخبرونا في ريفنديل حكاية يد بيرين الواحدة والجوهرة العظيمة. أتمنى أن أسمعها! وإنني لأتمنى أن أعرف كيف ستسير بعد أن يضاف إليها دورنا نحن».

ولكن بينما كان يتكلم على هذا النحو، حتى يطرد الخوف بعيدًا حتى آخر لحظة، فإن عينيه كانتا لا تزالان شاردتين تنظران شمالًا، شمالًا إلى عين الريح، إلى حيث كانت السماء بعيدًا بعيدًا صافية، مثل هبة ريح باردة، ترتفع إلى عاصفة، تصد الظلمة ودمار السحب.

وهكذا كان أن رآهما جوايهير بعينيه الحادتين طويلتي النظر، حيث جاء هابطًا سريعًا عبر الريح الهوجاء، ومتحديًا الخطر العظيم في السماوات راح يدور في الجو: شكلان مظلمان صغيران، يائسان، يدًا في يد فوق تل صغير، في حين كان العالم يرتعش تحتهما، وهما يلهثان، وكانت أنهار من نار تقترب منهما. ولما وقعت عيناه عليهما جاء منقضًا لأسفل، ورآهما يسقطان، وقد نال منهما الإرهاق والإعياء، أو يختنقان بالأدخنة والحرارة، أو ينصرعان على الأرض يأسًا في آخر المطاف، وهما يخفيان أعينهما من الموت.

ورقدا جنبًا إلى جنب؛ واندفع جوايهير هابطًا، وهبط لاندروفال ومينيلدور السريع؛ وفي حلم، دون أن يعرف الهائمان أي قدر ومصير قد حل بهما، رُفعا وحملا بعيدًا خارج الظلمة والنيران.

عندما استيقظ سامٌ، وجد أنه كان يرقد على فراش وثير، ولكن كانت تتأرجح فوقه أغصان الزان الكبيرة، وكان ضوء الشمس يتوهج متخللًا أوراقها الشابة، أخضر وذهبيًا. كان الهواء كله ممتلئًا برائحة جميلة ممزوجة.

وتذكر تلك الرائحة: رائحة إيثيلين، وفكر مع نفسه: «ليباركني الله! كم مضى من زمن علي وأنا نائم؟». لأن الرائحة حملته وعادت به إلى اليوم الذي أشعل فيه ناره الصغيرة تحت الضفة المشمسة؛ وفي هذه اللحظة فإن كل شيء آخر بين ذلك كان خارج نطاق الذكرى الحية. وتمطى وأخذ نفسًا عميقًا، وغمغم: «عجبًا، يا له من حلم ذلك الذي كنتُ فيه! إنني سعيد أنني استيقظتُ!». وجلس في مكانه وعندئذ رأى أن فرودو كان يرقد إلى جواره، وكان ينام في سلام وطمأنينة، وإحدى يديه خلف رأسه، وكانت الأخرى موضوعة على غطاء السرير. كانت هي اليد اليمنى، وكان الأصبع الثالث مفقودًا.

وعاودته ذكرى كاملة مثل الطوفان، وصاح سام بصوت عال: «لم يكن ذلك حلمًا! إذن فأين نحن؟».

وجاء صوت يتحدث بنبرة منخفضة وقال له: «في أرض إيثيلين، وفي رعاية الملك؛ وهو بانتظاركما». ومع هذه الكلمات وقف جَنْدَلْف أمامه، مرتديًا زيًا أبيض، وكانت لحيته عندئذ تتوهج مثل ثلج صاف في وهج ضوء الشمس الذي يأتي عبر الأوراق، وقال: «حسنًا يا سيدي ساموايز كيف تشعر؟».

ولكن سام مال للوراء، وحدق فاغرًا فاه، وللحظة، بين ذهول وفرحة عظيمة، لم يستطع أن يجيب. وأخيرًا قال لاهثًا: «جَنْدَلْف! ظننتُ أنك مت! ولكني ظننتُ عندئذ أنني نفسي مت. هل كل شيء حزين لن يصير حقيقة؟ ماذا حدث للعالم؟».

«لقد رحل ظل عظيم»، قال ذلك جَنْدَلْف، وبعد ذلك ضحك، وكان الصوت مثل الموسيقى، أو مثل ماء في أرض جافة عطشى؛ وبينما كان سام ينصت عاوده التفكير.. إنه لم يسمع ضحكًا، الصوت النقي للمرح، لأيام وأيام لا حصر لها. لقد وقع على أذنيه مثل صدى كل المرح والفرح الذي عرفه من قبل على الإطلاق. ولكنه هو نفسه انفجر بالبكاء. عندئذ، مثلما يمر مطر جميل هابطًا عبر ريح الربيع ومثلما تشرق الشمس أكثر صفاء من أي وقت، توقفت دموعه، وزادت ضحكته، وقفز وهو يضحك من فراشه، وصاح قائلًا:

«كيف أشعر؟ حسنًا، لا أدرى كيف أقولها. أشعر، أشعر» ولوح بذراعيه في الهواء «أشعر مثل الربيع بعد الشتاء، والشمس على أوراق الشجر؛ ومثل الأبواق والقيثارات وكل الأغاني التي سبق أن سمعتها على الإطلاق!». وتوقف والتفت باتجاه سيده، وقال: «ولكن كيف حال السيد فرودو؟ أليس هذا عارًا ذلك الذي في يده اليسرى؟ ولكني أتمنى أن يكون على ما يرام فيما عدا ذلك. لقد مر بوقت عصيب وقاس».

«نعم، إنني على ما يرام فيما عدا ذلك»، قال ذلك فرودو، وقد جلس في مكانه وهو يضحك بدوره. «لقد نمتُ مرة أخرى بانتظارك يا سام أيها الشخص كثير النوم. لقد استيقظتُ في وقت مبكر هذا الصباح، ولا بد أننا في وقت الظهيرة الآن تقريبًا».

«الظهيرة؟». قال سام ذلك وهو يحاول أن يحسب. «ظهيرة أي يوم؟».

فقال جَنْدَلْف: «الرابع عشر من السنة الجديدة، أو إذا أردتَ، اليوم الثامن من إبريل بتقويم المقاطعة[1]. ولكن في جوندور فإن السنة الجديدة سوف تبدأ دائمًا في الخامس والعشرين من شهر مارس تاريخ سقوط ساورون، وعندما جيء بكما من النيران إلى الملك. لقد قام بعلاجكما، وهو الآن في انتظاركما. سوف تأكلان وتشربان معه. عندما تكونان جاهزين سوف أقودكما إليه».

فقال سام: «الملك؟ أي ملك؟ ومن هو؟».

فقال جَنْدَلْف: «ملك جوندور وسيد البلاد الغربية، ولقد استعاد مملكته القديمة كلها. سوف يخرج راكبًا في الحال لتتويجه، ولكنه بانتظاركما».

«وماذا سنرتدي؟». سأل سام السؤال؛ لأن كل ما كان يراه هو الملابس القديمة والمهلهلة التي كانا يرتديانها في رحلتهما، وهي موضوعة مطوية على الأرض إلى جوار أسرتهما.

فقال جَنْدَلْف: «الملابس التي كنتما ترتديانها في طريقكما إلى جوندور. حتى أثمال الأوركيين التي كنتما تحملانها في الأرض السوداء، يا فرودو، سوف يتم الاحتفاظ بها. لن يكون أي حرير أو جوخ، ولا أي دروع أو شارات نبالة أكثر تشريفًا وشرفًا. ولكن في وقت لاحق، سوف أجد لكما ملابس أخرى، ربما».

عندئذ مد يديه لهما، ورأيا أن واحدة كانت تلمع بالضوء، فصاح فرودو: «ماذا لديك هناك؟ أيمكن أن يكون ذلك؟».

«نعم، لقد أحضرتُ كنزيك. لقد وجدا مع سام عندما تم إنقاذكما؛ هدايا السيدة جَلَدْريل: قنينتك يا فرودو؛ وصندوقك يا سام. سوف تكونان سعيدان لاستعادة هذه الأشياء سليمة مرة أخرى».

وعندما استحم الهوبيتيان ولبسا ثيابهما، وأكلا وجبة خفيفة، تبعا جَنْدَلْف. وخرجا من أيكة الزان التي كانا يرقدان فيها، ومرا سائرين إلى مرج أخضر طويل، تتوهج في وهج الشمس، ويحيط بها أشجار فخمة داكنة الأوراق محملة ببراعم قرمزية. وكانا يسمعان وراءهما صوت المياه المتساقطة، وراح جدول يجري أمامهما بين الضفاف

(1) هذا الهامش الذي يظهر أعلاه (كان هناك ثلاثون يومًا في مارس (أو ريث) في تقويم المقاطعة). وضعه المؤلف، أي هو من صلب القصة نفسها؛ وليس من وضع المترجم. (المترجم)

المزهرة، حتى وصل إلى غابة خضراء عند سفح المرج ومر بعد ذلك تحت قنطرة من أشجار، رأيا عبرها وهج المياه وتلألؤها بعيدًا.

وعندما وصلا إلى الفرجة التي كانت في الغابة، اندهشا لرؤية الفرسان وهم مرتدون دروعًا براقة وكذلك الحراس الطوال وهم مرتدون ثيابًا فضية وسوداء وواقفون هناك، والذين حيوهما بشرف وإجلال وانحنوا أمامهما. وعندئذ نفخ أحدهم بوقًا طويلًا، وواصلا تقدمهما عبر ممر الأشجار إلى جانب الجدول المغني. وهكذا وصلا إلى أرض خضراء واسعة، وفيما وراءها كان هناك نهر واسع عريض في سديم فضي، ومنه ارتفعت جزيرة خشبية طويلة، وكانت هناك سفن كثيرة راسية عبر شطآنه. ولكن في الحقل الذي كانا يقفان فيه كان هناك حشد هائل مصطف في صفوف وسرايا تتوهج في الشمس. ولما اقترب الهوبيتيان سُحِبَتْ السيوف من أغمادها، واهتزت الرماح والحراب، وغنت الأبواق والنُّفُر، وصاح الرجال بأصوات كثيرة بألسنة كثيرة:

يعيش الأنصاف! لهم كل الإطراء والثناء والمديح!
Cuio i Pheriain anann! Aglar'ni Pheriannath!
لهما كل الإطراء والثناء والمديح، فرودو وساموايز!
Daur a Berhael, Conin en Annûn! Eglerio!
لهما الإطراء والمديح والثناء!
Eglerio!
A laita te, laita te! Andave laituvalmet!
لهما الإطراء والمديح والثناء!
Cormacolindor, a laita tárienna!

لهما الإطراء والمديح والثناء! حاملي الخاتم، لهما كل الإطراء والثناء والمديح!».

وهكذا والدم الأحمر متورد في وجهيهما وأعينهما تلمع بالعجب والدهشة، ذهب فرودو وسام، قدمًا ورأيا أنه وسط الحشد الصاخب تم وضع ثلاثة مقاعد عالية مبنية من عشب أخضر. ووراء المقعد على اليمين، أبيض على أخضر، حصان عظيم يجري حرًا؛ على اليسار كانت هناك راية، فضية ممزوجة بزرقة، سفينة مقدمتها على شكل بجعة تبحر على سطح البحر؛ ولكن وراء أكبر عرش في وسطها جميعًا كانت هناك راية عظيمة ترفرف مع الريح، وكانت هناك شجرة بيضاء مزهرة على حقل داكن تحت تاج مشرق وسبع نجوم متوهجة. كان يجلس على العرش رجل مرتديًا درعًا، وكان هناك سيف عظيم موضوع على ركبتيه، ولكنه لم يكن يرتدي خوذة. ولما اقتربا قام، في هيئة ملكية، سيد البشر، داكن الشعر بعينين عسليتين.

وجرى فرودو ليقابله، وتبعه سام ملاصقًا وراءه، وقال: «حسنًا، إذا لم يكن هذا التاج هو سيد كل التيجان، سترايدار، وإلا فإنني لا أزال نائمًا!».

وقال أراجورن: «نعم يا سام، إنه سترايدار. إنه لطريق طويل، أليس كذلك، من البري، حيث لم يكن يعجبك منظري ولم تحبه؟ طريق طويل لنا جميعًا، ولكن طريقك كان أكثر الطرق ظلامًا».

وبعد ذلك، لدهشة سام وارتباكه المفرط، فإنه حنى ركبته أمامهما؛ وأخذهما من أيديهما، فرودو على اليمين وسام على اليسار، وقادهما إلى العرض، ووضعهما عليه، والتفت إلى الرجال والقادة الذين كانوا واقفين قريبًا وراح يتحدث، بحيث راح صوته يدوي فوق جميع الحشود، وهو يصيح:

«لهما كل الإطراء والثناء والمديح!».

وعندما تصاعدت الصيحة الفرحة وخمدت مرة أخرى، فإنه لفرط رضا سام ولفرحته الحقيقية، وقف موسيقي شاعر من جوندور، وانحنى، وطلب الإذن بالغناء. ويا للعجب! راح يقول:

«انظروا! أيها السادة والفرسان والبشر الذين لم تلطخ شجاعتهم، والملوك والأمـراء، وشعب جوندور الجميل، وخيالة روهـان، وأنتم يا أبناء إلروند، والدونادانيين أهل الشمال، والجني والقزم، وعظماء المقاطعة، وشعب الغرب الحر، أنصتوا الآن إلى أغنيتي؛ لأنني سوف أغني لكم عن فرودو صاحب الأصابع التسعة وخاتم الهلاك».

وعندما سمع سام ذلك ضحك عاليًا لمجرد الفرح والبهجة المطلقين، ووقف وراح يصيح: «يا للمجد والروعة العظيمين! ولقد تحققت كل أمنياتي!». وبعد ذلك راح يبكي.

وضحك الحشد كله وبكى، وفي وسط مرحهم ودموعهم ارتفع صوت المغني الواضح مثل الفضة والذهب، وصمت جميع الرجال. وراح يغني لهم، حينًا بلسان جني، وحينًا آخر بلغة الغرب، حتى فاضت قلوبهم، وقد جرحتها الكلمات الحلوة، وحتى أصبح مرحهم مثل السيوف، ومروا في أفكارهم خارجين إلى مناطق يفيض ويتدفق فيها الألم والسرور معًا والدموع هي خمر الغبطة.

وأخيرًا، عندما هبطت الشمس من الظهيرة وتطاولت ظلال الشجر، انتهى من غنائه. وقال وانحنى راكعًا: «لهما كل الإطراء والثناء والمديح!». وعندئذ وقف أراجورن، ونهض جميع الحشود المجتمعون، وساروا إلى سرادقات كانت قد تم إعدادها وتجهيزها، لتناول الطعام والشراب والمرح مادام النهار مستمرًا.

وأخذ فرودو وسام وحدهما بعيدًا عن الجمع إلى خيمة، وهناك خلعا ثيابهما القديمة،

ولكنها طويت ووضعت جانبًا بشرف وتكريم؛ وأعطيت لهما ثياب من كتان نظيفة. عندئذ جاء جَنْدَلْف وبين ذراعيه، لدهشة فرودو، كان يحمل السيف والمعطف الجني ومعطف الميثريل وهي الأشياء التي كانت قد أخذت منه في موردور. وأحضر لسام معطفًا من درع مطلي بالذهب، ومعطف الجني وقد نظفت جميعها من التراب ومن كل ما لحق بها؛ وعندئذ وضع أمامهما سيفين.

وقال فرودو: «لا أريد أي سيف».

فقال جَنْدَلْف: «الليلة على الأقل يجب أن تتقلد سيفًا».

عندئذ أخذ فرودو السيف الصغير الذي كان سيف سام، وقد تم وضعه إلى جانبه في سيريث أنجول، وقال: «لقد أعطيتك السيف ستينج يا سام».

«كلا يا سيدي! السيد بيلبو أعطاه لك، وهو يمشي مع المعطف الفضي؛ إنه ما كان ليحب أن يتقلده شخص آخر الآن».

واستسلم فرودو؛ وانحنى جَنْدَلْف، كما لو كان فارسهما التابع، وراح يربط أحزمة السيوف حولهما، وعندئذ نهض ووضع قلائد من فضة على رءوسهما. وعندما تم إلباسهما ذهبا إلى الحفلة العظيمة؛ وجلسا على طاولة الملك مع جَنْدَلْف، والملك إيومر ملك روهان، والأمير إمراهيل وكبير القادة؛ وكان هناك أيضًا جيملي وليجولاس.

ولكن، بعد الصمت الطويل، عندما أحضر النبيذ دخل خادمان من الفرسان لخدمة الملوك؛ أو هكذا بدا أنهما يكونان؛ كان أحدهما مرتديًا اللباس الفضي والفرو الخاص بحراس ميناس تيريث، وكان الآخر مرتديًا ثيابًا بيضاء وخضراء. ولكن سام تعجب عما كان يفعله هذان الولدان في جيش من الرجال العظام. عندئذ فجأة عندما اقتربا واستطاع أن يراهما بوضوح، صاح متعجبًا:

«يا للعجب، انظر يا سيد فرودو! انظر هنا! حسنًا، إذا لم يكن بيبين. السيد بيريجرين توك يمكنني القول، والسيد ميري! كيف كبرا! لتحل بي البركة! إنني أرى أن هناك الكثير من الحكايات يمكن قصها أكثر من حكايتنا».

وقال بيبين وقد التفت تجاهه: «هناك الكثير فعلًا. وسوف نبدأ في قصها، بمجرد أن تنتهي هذه الوليمة. وفي نفس الوقت يمكنك أن تجرب جَنْدَلْف. إنه ليس متحفظًا وسريًا مثلما اعتاد أن يكون، على الرغم من أنه يضحك الآن أكثر مما يتكلم. وفي الوقت الحالي فإنني أنا وميري مشغولان. إننا فرسان المدينة والمارك، مثلما أتمنى أنكما تلاحظان.

وأخيرًا انتهى اليوم السعيد؛ وعندما غربت الشمس وصعد القمر الدائري بطيئًا فوق سديم أندوين وراح يتوهج عبر أوراق الشجر المرفرفة، جلس فرودو وسام تحت

الشجر الهامس وسط رائحة إيثيلين الجميلة؛ وتحدثا حتى ساعة متأخرة من الليل مع ميري وبيبين وجَنْدَلْف، وبعد قليل من الوقت انضم إليهم ليجولاس وجيملي. هناك علم فرودو الكثير عن كل ذلك الذي حدث للمجموعة بعد أن تفرقت رفقتهم في اليوم المشئوم في بارث جالين عند مساقط نهر راوروس؛ وكان لا يزال هناك الكثير دائمًا للسؤال عنه والكثير للإخبار عنه.

الأوركيون، والأشجار المتكلمة، وفراسخ من عشب وحشائش، وخيالة ينطلقون سريعًا بخيلهم، وكهوف متوهجة، وأبراج بيضاء وأبهاء ذهبية، ومعارك، وسفن طويلة مبحرة، كل هذا مر أمام عقل سام حتى أحس بالذهول. ولكن وسط كل تلك العجائب كان يعود دائمًا إلى ذهوله ودهشته من حجم ميري وبيبين؛ وجعلهما يقفان وظهورهما لظهره هو وظهر فرودو. وحك رأسه، وقال: «لا يمكنني أن أفهم ذلك عند عمركما هذا! ولكن ها هو قد حدث: لقد أصبح طولكما أكبر مما ينبغي أن يكون عليه بمقدار ثلاث بوصات، وإلا فإنني أنا قزم».

وقال جيملي: «لست أنت هذا بكل تأكيد. ولكن ما الذي قلته أنا؟ لا يمكن للفانين أن يشربوا شراب الإنتيين ولا يتوقعون ألا يأتي من هذا الشراب أكثر مما يأتي من إناء من بيرة».

وقال سام: «شراب الإنتيين؟ ها أنت ذا تتحدث عن الإنتيين مرة أخرى؛ ولكن كنههم يعجزني. يا للعجب، سوف يستغرق الأمر أسابيع قبل أن نصل إلى تحديد حجم كل تلك الأشياء!».

وقال بيبين: «أسابيع حقًا. وعندئذ سوف يكون لزامًا أن يحبس فرودو في برج في ميناس تيريث ويكتب كل شيء. وإلا فإنه سوف ينسى نصف ذلك، وسوف يصاب بيلبو المسكين بالإحباط بشكل مخيف».

وأخيرًا نهض جَنْدَلْف، وقال: «يدا الملك يدا الشفاء، يا أصدقائي الأعزاء. ولكنكما ذهبتما إلى حافة الموت قبل أن يستدعيكما، وقد بذل كل قوته، وأرسلكما إلى عالم النسيان الجميل في النوم. وعلى الرغم من أنكما قد نمتما حقًا وقتًا طويلًا وفي سعادة، مع ذلك فإنه قد حان الوقت لتناما مرة أخرى».

وقال جيملي: «وليس فقط سام وفرودو هناك، ولكنك أنت أيضًا يا بيبين. إنني أحبك، لولا تلك الآلام التي سببتها لي، والتي لن أنساها قط. كما أنني لن أنسى العثور عليك فوق التل في المعركة الأخيرة. ولولا جيملي القزم لكان من الممكن أن تضيع عندئذ. ولكن أخيرًا فإنني أعرف الآن منظر قدم الهوبيتي، على الرغم من أنها قد تكون كل ما يمكن رؤيته تحت كومة من الأجساد. وعندما رفعت تلك الجثة الهائلة من فوقك، فإنني تأكدت تمامًا أنك قد مت. كان من الممكن أن أمزق لحيتي. ولم يمض

سوى يوم مع ذلك منذ أن كنتَ واقفًا على قدميك وكنت بالخارج مرة أخرى. وتذهب إلى الفراش الآن. وكذلك سوف أفعل أنا».

وقال ليجولاس: «وأنا سوف أمشي في غابات هذه الأرض الجميلة، وهذا راحة كافية. على مدار أيام ستأتي، إذا سمح لي سيدي الجني، فإن بعضًا من قومي سوف ينتقلون إلى هنا؛ وعندما نأتي سوف تكون مباركة، لبعض الوقت. ولبعض الوقت: شهر، حياة، مائة سنة من سنين البشر. ولكن نهر أندوين قريب، ونهر أندوين يقود هابطًا إلى البحر. إلى البحر!

إلى البحر، إلى البحر! طيور النورس البيضاء تزعق،
الريح تهب، والزبد الأبيض يتطاير.
غربًا، بعيدًا غربًا، الشمس الدائرية تهبط.
سفينة رمادية، سفينة رمادية، هل تسمعهم ينادون،
أصوات شعبي الذين ذهبوا قبلي؟
سوف أغادر، سوف أغادر الغابات التي حملتني؛
لأن أيامنا تنتهي وأعوامنا تنقضي.
سوف أعبر البحار الشاسعة مبحرًا وحيدًا.
طويلة هي الأمواج تسقط على الشاطئ الأخير،
وحلوة هي الأصوات المنادية في الجزيرة الضائعة،
في إريسيا، في إلنهوم بحيث لا يمكن لبشر اكتشافها،
حيث لا تسقط الأوراق: أرض قومي إلى الأبد!».

وهكذا انطلق ليجولاس المغني بعيدًا هابطًا التل.

عندئذ رحل الآخرون أيضًا، وذهب فرودو وسام إلى فُرشهما وناما. وفي الصباح نهضا مرة أخرى في أمل وسلام؛ وأمضيا أيامًا كثيرة في إيثيلين. لأن حقل كورمالين، حيث كانت هذه الجموع والحشود معسكرة، كان قريبًا من هينيث أنون، والنبع الذي كان يتدفق من مساقطه يمكن سماعه في الليل وهو ينطلق مندفعًا هابطًا عبر بوابته الصخرية، ويمر خلال المروج المزهرة إلى تيارات نهر الأندوين عبر جزيرة كير أندروس. وراح الهوبيتيون يتجولون هنا وهناك يزورون مرة أخرى الأماكن التي كانوا قد مروا بها من قبل؛ وكان سام يأمل دائمًا أن يرى أو ربما يلمح الأفيال العملاقة العظيمة في ظل من ظلال الغابة أو في منطقة مكشوفة منها. وعندما علم أنه في حصار

جوندور كان هناك عدد كبير من هذه الحيوانات ولكن تم تدميرها جميعًا، فإنه رأى ذلك خسارة حزينة، وقال:

«حسنًا، لا يمكن للشخص أن يكون في كل مكان في نفس الوقت، حسب ظني. ولكن فاتني الكثير، فيما يبدو».

وفي نفس الوقت استعدت الحشود للعودة إلى ميناس تيريث. استراح المتعبون وتم علاج وشفاء المتألمين. لأن البعض قد عملوا وكدوا وقاتلوا كثيرًا مع بقايا الشرقيين والجنوبيين، حتى تم إخضاع الجميع وقهرهم. وآخر الجميع، عاد أولئك الذين ذهبوا إلى موردور ودمروا الحصون في شمال البلاد.

ولكن أخيرًا عندما كان شهر مايو يقترب، خرج قادة الغرب في رحلتهم مرة أخرى؛ وذهبوا على متن السفينة مع جميع رجالهم، وأبحروا من كير أندروس عبر نهر الأندوين إلى أوسجيلياث؛ وهناك مكثوا ليوم واحد؛ وفي اليوم التالي وصلوا إلى الحقول الخضراء، حقول بيلينور، ورأوا مرة أخرى الأبراج البيضاء أسفل جبل ميندولوين، مدينة بشر جوندور، آخر ذكر للأرض الغربية، التي مرت عبر الظلمة والنار إلى يوم جديد.

وهناك في وسط الحقول نصبوا خيامهم وسرادقاتهم وانتظروا الصباح؛ لأن المساء كان مساء مايو، وسوف يدخل الملك بواباته مع شروق الشمس.

الفصل الخامس

القهرمـــان والمـــلك

كان الشك والخوف العظيم يخيمان على مدينة جوندور ويهددانها. بدا أن الطقس الجميل والشمس الصافية لم يكونا سوى مسخ للرجال الذين كانت أيامهم بها القليل من الأمل، والذين كانوا يبحثون كل صباح عن أخبار الهلاك والقدر. مات ملكهم وحرق، ملك روهان يرقد ميتًا في قلعتهم، والملك الجديد الذي جاء إليهم في الليل خرج مرة أخرى للحرب مع قوات شريرة ورهيبة للغاية بحيث لا يمكن لأي قوة أو شجاعة أن تقهرها. ولم تأت أي أخبار. بعد أن غادرت الحشود وادي مورجول وأخذت الطريق الشمالي أسفل ظل الجبال، لم يعد أي مرسال ولم تأت أي شائعة عما كان يجري في الشرق الكئيب.

ولما لم يكن قد مضى سوى يومين منذ أن ذهب القادة، أمرت السيدة إيووين النساء الذين كانوا يقومون على خدمتها وعلاجها أن يحضروا لها ثيابها، ولم يستطع أحد أن يجادلها، ولكنها نهضت؛ وعندما ألبسوها ووضعوا ذراعها في جبيرة من كتان، ذهبت إلى مدير دور الشفاء، وقالت:

«سيدي. إنني في قلق عظيم، ولا يمكنني أن أرقد أكثر من ذلك في كسل وخمول».

وأجابها هو: «سيدتي، إنك لم تكوني لتنهضي من فراشك لمدة سبعة أيام بعد، أو هكذا الأوامر لدي. إنني أرجوك أن تعودي إلى فراشك».

وقالت هي: «لقد شفيت، شفيتُ أخيرًا في جسدي، باستثناء ذراعي اليسرى فقط، وهذا سهل. ولكني سوف أمرض من جديد، إذا لم يكن هناك أي شيء أفعله. أليست هناك أخبار عن الحرب؟ النساء لا يمكنهن أن يخبرنني أي شيء».

وقال مدير دور الشفاء: «ليست هناك أخبار، باستثناء أن السادة قد ساروا إلى وادي مورجول؛ ويقول الرجال إن القائد الجديد من الشمال هو رئيسهم. إنه سيد وملك عظيم، وشاف ومعالج؛ وإنه لشيء غريب بالنسبة لي أن اليد التي تشفي ينبغي أيضًا أن تمسك بالسيف وتستخدمه ببراعة. ليس الأمر هكذا في جوندور الآن، على الرغم من أنه كان كذلك في وقت من الأوقات، إذا صدقت الحكايات القديمة. ولكن على مدار سنين طويلة لم نكن نسعى ـ نحن المعالجين ـ فقط إلا إلى تجبير الشروخ التي يحدثها رجال السيف. على الرغم من أنه لا يزال لدينا ما يكفي لنستغني عنهم: العالم مليء كفاية بالآلام والبلايا بدون أن تأتي الحروب وتفاقم ذلك وتضاعفه».

وأجابته إيووين: «الأمر يحتاج فقط إلى خصم واحد ليغذي الحرب، وليس اثنين،

يا سيدي مدير دور الشفاء. وأولئك الذين ليست لديهم سيوف لا يزال بالإمكان أن يموتوا تحتها. هل ستجعل شعب جوندور يجمعون الأعشاب فقط، بينما يجمع سيد الظلام السلاح؟ وليس دائمًا جيدًا أن تُعالج في الجسد. كما إنه ليس دائمًا شرًا أن تموت في المعركة، حتى في ألم قاسٍ ومبرح. وإذا كان مسموحًا لي، في هذه الساحة المظلمة فإنني سوف أختار الأخيرة».

ونظر مدير دور الشفاء إليها. كانت تقف طويلة هناك، وكانت عيناها براقتين في وجهها الأبيض، وأطبقت يديها وهي تستدير وتحدق من النافذة التي كانت تطل على الشرق. وتنهد هو وهز رأسه. وبعد وقفة استدارت والتفتت إليه مرة أخرى.

وقالت هي: «أليس هناك أي عمل يمكن فعله؟ من الذي يحكم في هذه المدينة؟».

وأجابها هو: «لا أعرفها على وجه الصواب. تلك الأشياء ليست مما أهتم به. هناك قائد على خيالة روهان؛ والسيد هورين، هكذا أُخبرتُ، يحكم رجال جوندور ولكن السيد فارامير فهو قهرمان المدينة قانونًا».

«وأين أستطيع أن أجده؟».

«في هذه الدار يا سيدتي. لقد كان مصابًا إصابة بالغة، ولكنه في طريقه للشفاء مرة أخرى. ولكني لا أعلم ———».

«ألن تأخذني إليه؟ وعندئذ فسوف تعلم».

كان اللورد فارامير يمشي وحده في حديقة دور الشفاء، ومنحه ضوء الشمس دفئًا، وأحس بالحياة تجري مجددًا في عروقه؛ ولكن قلبه كان منقبضًا، ونظر للخارج فوق الجدران باتجاه الشرق. ولما جاءت، سمع القهرمان اسمه، والتفت ورأى السيدة إيووين سيدة روهان؛ وامتلأ شفقة، لأنه رأى أنها كانت مصابة، وأدرك ببصره الصافي الحاد حزنها وقلقها.

وقال مدير دور الشفاء: «مولاي، ها هي السيدة إيووين، سيدة روهان. لقد خرجت مع الملك وكانت مصابة إصابة بالغة، وتقيم الآن عندي. ولكنها غير راضية، وترغب في أن تتحدث مع قهرمان المدينة».

وقالت إيووين: «لا تسئ فهمه، يا مولاي. ليس ما يحزنني عدم الرعاية. ليست هناك أي دور شفاء ستكون أجمل من ذلك، لأولئك الذين يرغبون في الشفاء والعلاج. ولكني لا أستطيع أن أرقد في كسل، وتبطل، وأحبس في قفص. لقد كنتُ أسعى إلى الموت في المعركة. ولكني لم أمت، ولا تزال المعركة دائرة».

وبإشارة من فارامير، انحنى مدير دور الشفاء وغادر المكان، وقال فارامير: «ما الذي تريدينني أن أفعله يا سيدتي؟ أنا أيضًا سجين المعالجين». ونظر إليها، ولما كان

رجلًا حركته الشفقة بشدة، بدا له أن جمالها وسط حزنها سوف يخترق قلبه. ونظرت هي إليه ورأت اللطف الشديد في عينيه، ومع ذلك عرفت، لأنها تربت بين الرجال المحاربين، أنها كانت أمام رجل لم يكن لأي خيال من المارك أن يبزه في المعركة.

وقال مرة أخرى: «ما الذي تريدينه؟ إذا كان ذلك في مقدوري، فسوف أفعله».

وقالت هي: «أود أن أطلب منك أن تأمر مدير دور الشفاء وتجعله يتركني أمضي»؛ ولكنها ظنت أن كلماتها لا تزال بها كبرياء وفخر، ورفرف قلبها، وللمرة الأولى شكت في نفسها. وظنت أن هذا الرجل الطويل، والذي كان صارمًا ولطيفًا على السواء، قد يظن أنها ليست سوى متمردة مشاكسة، مثل طفل ليست لديه صلابة الرأي بحيث يواصل مهمة صعبة حتى النهاية.

وأجابها فارامير: «أنا نفسي تحت رعاية مدير دور الشفاء. كما إنني لم أتقلد سلطتي في المدينة بعد. ولو أنني كنتُ قد فعلتُ ذلك، فكان لا يزال لزامًا علي أن أنصت لمشورته، ولم أكن لأعتدي على إرادته في مسائل في عمله وحرفته، إلا أن يكون ذلك في حاجة ماسة للغاية».

وقالت هي: «ولكني لا أرغب في الشفاء. أرغب في أن أخرج للمعركة مثل أخي إيومر، أو الأفضل من ذلك مثل الملك ثيودن، لأنه مات ونال كلًا من الشرف والطمأنينة».

وقال لها فارامير: «فات الأوان يا سيدتي لأن تتبعي القادة حتى لو كانت لديك القوة. ولكن الموت في المعركة لا يزال بالإمكان أن يدهمنا جميعًا رغبنا أم أبينا. سوف تكونين أكثر استعدادًا لمواجهته بطريقتك الخاصة، إذا أنت نفذت ما يطلبه منك المعالج مادام هناك وقت لذلك. أنت وأنا، ينبغي علينا أن نتحمل بصبر ساعات الانتظار».

ولم تجبه، ولكن بينما كان ينظر إليها، بدا له أن شيئًا ما قد لان فيها، كما لو أن صقيعًا قارصًا قد تداعى أمام أول البشائر الواهنة للربيع. وقفزت دمعة في عينيها وسقطت على خدها، مثل قطرة مطر متلألئة. وانحنت رأسها الفخورة قليلًا. وبعد ذلك في هدوء، كما لو كانت تتحدث مع نفسها أكثر من كونها تتحدث معه، قالت: «ولكن المعالجين سيجعلونني أرقد في الفراش لمدة سبعة أيام. ونافذتي لا تطل على الشرق». وكان صوتها آنذاك صوت سيدة شابة وحزينة.

وابتسم فارامير، على الرغم من أن قلبه كانت تملؤه الشفقة، وقال: «نافذتك لا تطل على الشرق؟ يمكن إصلاح ذلك. في هذا الشأن سوف آمر مدير دور الشفاء. إذا أنت بقيت في هذه الدار في رعايتنا يا سيدتي واسترحت، عندئذ سوف تمشين في هذه الحديقة في الشمس، حسبما تريدين؛ وسوف تطلين على الشرق، إلى حيث ذهبت كل آمالنا. وهنا سوف تجدينني، ماشيًا ومنتظرًا، وكذلك مطلًا نحو الشرق. سوف يخفف همي، إذا أنت تحدثت معي، أو مشيت في بعض الأوقات معي».

عندئذ رفعت رأسها ونظرت إليه في العينين مرة أخرى؛ وتلون وجهها الشاحب، وقالت: «كيف سأخفف همك يا مولاي؟ وإنني لا أرغب في حديث البشر الأحياء».

وقال لها: «هل تقبلين إجابتي البسيطة الواضحة؟».

«سوف أقبلها».

«عندئذ، يا إيووين، سيدة روهان، أقول لك إنك جميلة. في وديان تلالنا هناك ورود جميلة ومشرقة، ونساء أجمل مع ذلك؛ ولكني لم أر لا وردة ولا سيدة حتى الآن في جوندور بمثل هذا الجمال، وهذا الحزن. ربما يكون أنه لم تتبق سوى أيام قليلة قبل أن تحل الظلمة على عالمنا، وعندما تأتي أتمنى أن أواجهها في ثبات؛ ولكن سوف يريح قلبي ويثلج صدري، مادمت أستطيع رؤيتك ما دامت الشمس لا تزال تشرق. لأنني أنا وأنت عبرنا تحت أجنحة الظل. ونفس اليد سحبتنا للوراء».

وقالت هي: «واحسرتاه يا مولاي! لا يزال الظل يقع علي. لا تتطلع إلي من أجل الشفاء! إنني محاربة ويدي ليست لطيفة رقيقة. ولكني أشكرك على هذا على الأقل، أنه ليس لزامًا عليَّ أن أبقى في غرفتي. سوف أمشي في الخارج بفضل ومنة من قهرمان المدينة». وانحنت له انحناءة احترام وعادت إلى الدار. ولكن فارامير مشى وحده لفترة طويلة في الحديقة، وراحت نظرته عندئذ تذهب إلى المنزل لا إلى الجدران الشرقية.

وعندما عاد إلى غرفته نادى على مدير دور الشفاء، وسمع كل ما استطاع أن يخبره به عن سيدة روهان.

وقال المدير: «ولكني لا أشك يا مولاي أنك سوف تتعلم أكثر من النصف الذي هو معنا؛ لأنه كان يركب مع الملك، ومع السيدة في النهاية، هكذا يقولون».

وهكذا تم إرسال ميري إلى فارامير، وطوال ذلك اليوم تحدثا طويلًا معًا، وتعلم فارامير الكثير، بل أكثر مما صاغ ميري في كلمات؛ وظن أنه فهم عندئذ شيئًا ما عن حزن وقلق إيووين سيدة روهان. وفي المساء الجميل مشى فارامير وميري في الحديقة، ولكنها لم تأت.

ولكن في الصباح، عندما جاء فارامير من دور الشفاء، رآها، وهي تقف على الجدران؛ وكانت مرتدية ثيابًا بيضاء، وكانت تتوهج في الشمس. ونادى عليها، وجاءت إليه هابطة، ومشيا معًا على العشب أو جلسا تحت شجرة خضراء معًا، تارة صامتين، وتارة أخرى يتحدثان. وكل يوم بعد ذلك كانا يفعلان نفس الشيء. وكان المشرف سعيدًا في قلبه وهو ينظر من نافذته، لأنه كان معالجًا، وقد خف همه؛ وقد كان ذلك مؤكدًا، ثقيلًا مثلما كان الرعب ونذير تلك الأيام فوق قلوب الرجال، ومع ذلك فإن هذين الاثنين اللذين كانا في عهدته ازدهرا وزادت قوتهما يوميًا.

وهكذا أتى اليوم الخامس منذ أن ذهبت السيدة أيووين للمرة الأولى إلى فارامير؛

ووقفا عندئذ معاً مرة أخرى فوق جدران المدينة ونظرا نحو الخارج. لم تكن أي أخبار قد جاءت بعد وغطت جميع القلوب ظلمة. كما أن الطقس أيضًا لم يعد مشرقًا. كان باردًا. كانت هناك ريح قفزت في الليل، كانت تهب وقتها بشدة من الشمال وكانت ترتفع؛ ولكن الأراضي من حولهم كانت تبدو مظلمة وكئيبة.

وكانا مرتديين ملابس دافئة ومعاطف ثقيلة، وفوق ذلك كله كانت السيدة إيووين مرتدية معطفًا أزرق كبيرًا لونه لون ليل الصيف العميق، وكان مرصعًا بنجوم فضية حول الحافة وحول العنق. كان فارامير قد أرسل في طلب ذلك المعطف ولفه حولها؛ وكان يرى أنها بدت جميلة وملكية بهيجة وهي تقف هناك إلى جواره. كان المعطف مصنوعًا لأمه، فيندويلاس سيدة أمروث، التي ماتت مبكرًا، ولم تكن بالنسبة له سوى ذكرى من جمال في أيام بعيدة وذكرى حزنه الأول؛ وبدا ثوبها له ثوبًا يلائم جمال وحزن إيووين.

ولكنها كانت عندئذ ترتعش تحت المعطف المرصع بالنجوم، ونظرت شمالاً، فوق الأراضي المظلمة القريبة، إلى عين الريح الباردة حيث كانت السماء بعيدًا صلبة وصافية.

وقال فارامير: «ما الذي تبحثين عنه يا إيووي؟».

وقالت هي: «أليست البوابة المظلمة تقع هنالك؟ وأليس ينبغي أن يكون هو قد وصل إلى هناك؟ لقد مضت سبعة أيام منذ أن سار راكبًا بعيدًا».

وقال فارامير: «سبعة أيام. ولكن لا تظني بي السوء، إذا أنا قلتُ لك: لقد جلبوا لي فرحة وألمًا لم أفكر قط أن أعرفهما. فرحة لأن أراك؛ ولكن ألم، لأن الخوف والشك في هذا الوقت قد أصبحا مظلمين حقًا. يا إيووي، إنني لم أكن لأنهي هذا العالم الآن، أو أفقد سريعًا جدًا ما قد وجدته».

وأجابته قائلة: «تفقد ما وجدته يا مولاي؟؛ ولكنها نظرت إليه في تركيز ولكن عينيها كانتا عطوفتين. «لا أعلم ما وجدته في هذه الأيام ويمكنك أن تفقده. ولكن تعال يا صديقي دعنا لا نتحدث عن ذلك! دعنا لا نتحدث على الإطلاق! إنني أقف فوق حافة خطيرة للغاية، والدنيا مظلمة تمامًا في الهوة التي تقع أمام قدميّ، ولكن لا أستطيع أن أقول إذا ما كان هناك أي ضوء ورائي؛ لأنني لا أستطيع أن ألتفت بعد. إنني بانتظار ضربة القدر».

وقال فارامير: «نعم، إننا ننتظر ضربة القدر». ولم يتحدثا بأكثر من ذلك؛ وبدا لهما وهما يقفان فوق الجدار أن الريح قد خمدت، وأن الضوء قد تلاشى، وأن الشمس قد صارت غائمة، وأن جميع الأصوات في المدينة أو في الأراضي من حولها قد صمتت وسكتت: لم تكن هناك ريح، ولا صوت، ولا نداء طير، ولا حفيف ورق شجر، ولا حتى نَفَسُهُمَا هما أنفسهما يمكن سماعه؛ حتى خفقان قلبيهما كان ساكنًا. وتوقف الزمن.

وبينما كانا يقفان على هذا النحو، تلاقت أيديهما وتشابكت، على الرغم من أنهما لم يعرفا ذلك. ومع ذلك انتظرا ما لم يكونا يعرفانه. عندئذ بدا لهما في الوقت الحالي أنه

فوق سلاسل الجبال البعيدة كان يرتفع جبل آخر من ظلمة شاسعة ممتدة يرتفع عاليًا مثل موجة مرتفعة عاليًا ينبغي أن تحيط بالعالم كله، ومن حوله كانت أضواء البرق تتوهج؛ وعندئذ سرت رعشة عبر الأرض، وأحسا بجدران المدينة ترتجف. وصعد صوت شبيه بتنهيدة من جميع الأراضي من حولهما؛ وراحت قلوبهما تخفق فجأة مرة أخرى.

وقال فارامير، وقد تعجب لأن يسمع نفسه يتحدث: «إنه يذكرني بنومينور».

وقالت إيووين: «بنومينور؟».

فقال لها فارامير: «نعم، بالأرض الغربية التي تم تشييدها، وبالموجة العظيمة المظلمة تصعد فوق الأراضي الخضراء وفوق التلال، وتأتي متقدمة، ظلمة لا يمكن الفكاك منها. إنني كثيرًا ما أحلم بها».

وقالت إيووين: «إذن فأنت تعتقد أن الظلمة قادمة؟ ظلمة لا يمكن الفكاك منها؟». وفجأة اقتربت منه.

وقال فارامير، وهو ينظر في وجهها: «كلا. لم يكن هذا سوى صورة في العقل. إنني لا أعلم ما يجري. إن منطق عقلي المتيقظ يخبرني أن خطرًا عظيمًا قد وقع وأننا نقف في نهاية الزمان. ولكن قلبي يقول لا؛ وجميع أطرافي خفيفة، وقد أتى إلي أمل وفرحة لا يمكن لأي عقل أو منطق أن ينكرها. إيووين، إيووين، السيدة البيضاء، سيدة روهان، في هذه الساعة لا أعتقد أن أي ظلمة سوف تدوم وتستمر!». وانحنى وقبَّل جبينها.

وهكذا وقفا على جدران مدينة جوندور، وارتفعت ريح عظيمة وهبت، وراح شعرهما وقد كان أسود فاحمًا وذهبيًا ينساب متطايرًا ممتزجًا في الهواء. ورحل الظل، وانكشفت الشمس، وقفز الضوء صاعدًا؛ ولمعت مياه نهر الأندوين مثل الفضة وفي جميع دُور المدينة راح الرجال يغنون للفرح الذي تفجر في قلوبهم متدفقًا من أي مصدر، لم يمكنهم أن يعرفوا ذلك.

وقبل أن تغرب الشمس بعيدًا عند الظهيرة جاء من الشرق نسر عظيم طائر، وكان يحمل أخبارًا تفوق كل أمل من سادات الغرب، وكان يصيح:

غنوا الآن، يا شعب برج أنور،
لأن مملكة ساورون قد انتهت إلى الأبد،
وقد سقط برج الظلام.

غنوا وامرحوا يا شعب برج الحراس،
لأن حراستكم لم تكن دون جدوى،
وقد انكسرت البوابة السوداء،

وهو قد انتصر.

غنوا وكونوا مسرورين، أنتم يا جميع أبناء الغرب،
لأن ملككم سوف يأتي مرة أخرى،
وسوف يسكن بينكم،
طوال أيام حياتكم.

والشجرة التي كانت قد ذبلت سوف تتجدد،
وسوف يزرعها في الأماكن العالية،
وسوف تبارك المدينة.

غنوا جميعًا أيها الناس!

وراح الناس يغنون في كل طرق المدينة.

وكانت الأيام التي تلت ذلك ذهبية، والتحم الربيع والصيف وراحا يمرحان ويقصفان معًا في حقول جوندور. وراحت الأخبار عندئذ تأتي سريعًا يحملها خيالة مسرعون من كير أندروس عن كل ما تم فعله، واستعدت المدينة لقدوم الملك. وتم استدعاء ميري وركب سائرًا مع العربات الضخمة التي أخذت أحمالاً من بضائع إلى أوسجيلياث ومن هناك بالسفن إلى كير أندروس؛ ولكن فارامير لم يذهب؛ لأنه لما كان قد شُفي الآن فقد أخذ على عاتقه سلطته ومنصبه ككهرمان المدينة، على الرغم من أن ذلك كان لوقت قليل، وكانت مهمته الاستعداد لواحد سوف يحل محله.

ولم تذهب إيووين، على الرغم من أن أخاها أرسل رسالة يرجوها فيها أن تأتي إلى حقل كورمالين. واندهش فارامير من ذلك، ولكنه نادرًا ما كان يراها، حيث كان منشغلاً بالكثير من الأمور؛ وهي ظلت تقيم في دور الشفاء وكانت تمشي وحدها في الحديقة، وأصبح وجهها شاحبًا مرة أخرى، وبدا أنها هي وحدها في المدينة كلها التي كانت مريضة وحزينة.

وكان مدير دور الشفاء قلقًا، وتحدث مع فارامير.

عندئذ أتى فارامير وبحث عنها، ومرة أخرى وقفا على الجدران معًا؛ وقال لها: «يا إيووين، لماذا أنت باقية هنا، ولم تذهبي إلى المرح في كورمالين فيما وراء كير أندروس، حيث أخوك في انتظارك؟».

وقالت له: «ألا تعرف؟».

ولكنه أجابها قائلاً: «ربما يكون هناك سببان، ولكن أيهما صواب، لا أعرف».

وقالت هي: «لا أريد أن ألعب بالألغاز والأحاجي. تكلم بشكل أكثر بساطة!».

وقال هو: «إذن يا سيدتي إذا قبلت ما أقوله لك على هذا النحو، فإنك لن تذهب لأن أخاك فقط هو الذي طلب حضورك، وأنت تنظرين إلى الملك أراجورن، وريث إلينديل، في نصره لن يجلب لك الآن أي فرحة. أو لأنني لا أذهب، وأنت لا زلت ترغبين في البقاء قريبة مني. وربما لكلا السببين هذين، وأنت نفسك لا يمكنك الاختيار بينهما. يا إيووين، ألست تحبينني، أم أنك لن تفعلي؟».

وأجابته هي: «كنتُ أتمنى أن يحبني آخر. ولكني لا أريد أي شفقة من أي رجل».

وقال هو: «ذلك أعرفه. كنت ترغبين في حب الملك أراجورن؛ لأنه كان عاليًا وقويًا، وكنت ترغبين أن يكون لك الشهرة والمجد وأن ترتفعي عاليًا فوق الأشياء الوضيعة التي تحبو على الأرض. وربما بدا لك، مثلما يبدو قائد عظيم لجندي شاب، جدير بالإعجاب. ولأنه هو كذلك، سيد وسط الرحال، أعظم من يكون الآن. ولكن عندما لم يعطك سوى فهم وشفقة، عندئذ لم ترغب في أي شيء، سوى أن يكون ذلك موتًا شجاعًا في معركة. انظري إلي، يا إيووين!».

ونظرت إيووين إلى فارمير طويلاً وفي ثبات؛ وقال لها فارامير: «لا تستخفي بالشفقة التي هي هبة القلب اللطيف الطيب، يا إيووين! ولكني لا أقدم لك شفقتي. لأنك سيدة رفيعة وباسلة وقد حققت أنت نفسك شهرة لن تُنسى؛ وأنت سيدة جميلة، في رأيي، بل حتى على نحو يفوق كلمات لغة الجن بحيث لا يمكن أن تنقل ذلك. وإنني أحبك. في وقت من الأوقات أشفقتُ عليك من الحزن. ولكن الآن، لو أنك كنت بلا حزن، وبدون خوف أو نقص، لو أنك كنت ملكة جوندور السعيدة، فإنني كنت سأظل أحبك. يا إيووين، ألست تحبينني؟».

وعندئذ تغير قلب إيووين، وإلا فعلى الأقل فقد فهمته[1]. وفجأة انقضى شتاؤها، وسطعت الشمس عليها، وقالت:

«إنني أقف في ميناس أنور، وبرج الشمس، وانظر يا للعجب! لقد رحل الظل! لن أكون محاربة بعد ذلك، كما لن أتنافس مع الخيالة العظام، ولن أفرح فقط بأغاني القتل والقتال. سوف أكون شافية معالجة، وسوف أحب كل الأشياء التي تنمو وليست قاحلة».

ومرة أخرى نظرت إلى فارامير، وقالت: «لم أعد أرغب في أن أكون ملكة».

وعندئذ ضحك فارامير في مرح، وقال: « هذا أمر جيد، لأنني لستُ ملكًا. ولكني

(1) الضمير يعود على قلبها. (المترجم)

مع ذلك سُوف أتزوج من السيدة البيضاء، سيدة روهان، إذا كانت هذه مشيئتها ورغبتها. وإذا أرادت هي وشاءت، إذن هيا بنا نعبر النهر وفي الأيام الأكثر سعادة هيا بنا نسكن في إيثيلين الجميلة وهناك نصنع لنا حديقة. سوف تنمو كل الأشياء مع الفرحة هناك، إذا أتت السيدة البيضاء إليها».

وقالت هي: «إذن هل يتحتم علي أن أترك شعبي يا رجل جوندور؟ وهل ستجعل شعبك الفخور الأبي يقول عنك: ها هو يذهب؛ الملك الذي روض المحاربة الشمالية! ألم تكن هناك أي امرأة من جنس نومينور ليختارها؟».

فقال فارامير: «سوف أفعل ذلك». وأخذها بين ذراعيه وقبلها تحت السماء التي تضيئها الشمس، ولم يأبه بأنهما كان يقفان عاليًا فوق الجدران على مرأى من الكثيرين. ولقد رآهما حقًا الكثيرون ورأوا كذلك الضوء الذي كان يسطع من حولهما وهما يهبطان من على الجدران ويذهبان يدًا في يد إلى دور الشفاء.

وإلى مدير دور الشفاء تحدث فارامير قائلًا: «ها هي السيدة إيووين، سيدة روهان، والآن فقد شفيتْ».

وقال المشرف: «إذن فإنني سوف أخرجها من رعايتي وأودعها، وأدعو لها ألا تعاني أبدًا أيّ أذى أو مرض مرة أخرى. إنني أعهد بها في رعاية قهرمان المدينة، حتى يعود أخوها».

ولكن إيووين قالت: «ولكن الآن حيث إنني حصلت على الإذن بالرحيل، فإنني سوف أظل. لأن هذه الدار قد أصبحت بالنسبة لي من بين جميع الديار والمساكن الأكثر بركة». وظلت هناك حتى جاء الملك إيومر.

وتم إعداد كل الأشياء في المدينة عندئذ؛ وكان هناك حشد عظيم من الناس؛ لأن الأخبار كانت قد سافرت إلى جميع أجزاء جوندور، من مين ريمون حتى بيناث جيلين وسواحل البحر البعيدة؛ وقدم أولئك كل من استطاعوا القدوم إلى المدينة. وامتلأت المدينة مرة أخرى بالنساء والأطفال الحسان الذين عادوا إلى ديارهم محملين بالورد؛ ومن دُول أمروث جاء عازفو القيثارات الذين كان عزفهم هو الأكثر مهارة في جميع البلاد؛ وكان هناك لاعبون على آلات الفيول[1] وعلى آلات الفلوت وعلى الأبواق الفضية، وكذلك المغنون ذوو الأصوات الصافية من وديان ليبيين.

وأخيرًا جاء مساء عندما كان بالإمكان أن تُرى السرادقات من على الجدران في الحقل، وكانت جميع مصابيح الليل مضيئة بينما كان الرجال يتطلعون إلى الفجر.

(1) Viol آلة موسيقية شبيهة بالكمان. (المترجم)

وعندما أشرقت الشمس في الصباح الصافي المشرق فوق الجبال في الشرق، والتي لم يعد الظل يرقد عليها بعد، عندئذ دقت جميع الأجراس، ورفرفت كل الرايات وراحت تنساب مع الريح؛ وفوق برج القلعة الأبيض راية القهرمانات، فضية لامعة براقة مثل الثلج في ضوء الشمس، ولم تكن تحمل أي هجوم أو مكيدة، ارتفعت فوق جوندور للمرة الأخيرة.

وعندئذ قاد قادة الغرب جيوشهم وحشودهم تجاه المدينة، ورآهم القوم يتقدمون في صف يتبعه صف، تومض وتتوهج مع شروق الشمس وتتقاطر مثل الفضة. وهكذا أتوا أمام مدخل البوابة وتوقفوا على بعد فرسخ من الجدران. وحيث لم تكن قد أنشئت أي أبواب من جديد حتى الآن، ولكن تم وضع حاجز عبر المدخل إلى المدينة، ووقف رجال هناك حاملين السلاح وهم مرتدون ثيابًا فضية وسوداء وسيوف طويلة مسلة. ووقف أمام الحاجز فارامير القهرمان، وهورين حارس المفاتيح، وقادة آخرون من جوندور، والسيدة إيووين سيدة روهان مع إلفهيلم القائد والكثير من فرسان المارك؛ وعلى كل جانب من جانبي البوابة حشد كبير من الناس الحسان مرتدين ثيابًا عديدة الألوان وأكاليل من الزهور.

وهكذا في هذا الوقت كانت هناك مساحة فضاء شاسعة أمام جدران ميناس تيريث، وقد أحاط بها من جميع الجهات فرسان وجنود جوندور وروهانْ وكذلك أناس المدينة من جميع أرجاء البلاد. وساد صمت وغطى الجميع حيث تقدم من الحشد الحاشد الدونادانيون وكانوا مرتدين ثيابًا فضية رمادية؛ وجاء يمشي أمامهم بطيئًا الملك أراجورن. كان مرتديًا درعًا بحزام فضي، وكان مرتديًا معطفًا طويلًا أبيض صافيًا مشبوكًا عند العنق بجوهرة عظيمة خضراء كانت تلمع مشرقة من بعيد؛ ولكن رأسه كان مكشوفًا باستثناء نجمة كانت فوق جبهته مربوطة بعصابة رأس رقيقة من فضة. وكان معه إيومر سيد روهان، والأمير إمراهيل، وجندلف وقد كانوا جميعًا مرتدين ثيابًا بيضاء، وأربعة أشخاص صغار الحجم كانوا مثار دهشة وتعجب الكثير من الرجل عند رؤيتهم لهم.

«كلا يا ابنة العم! إنهم ليسوا صبيانًا»، قالت ذلك إيوريث لإحدى قريباتها من إيملوث ميلوي، كانت تقف إلى جوارها: «هؤلاء هم بريانيون، من ذلك البلد الشمالي البعيد، بلد الأنصاف، حيث هم هناك أمراء لهم شهرة عظيمة، حسبما يقال. سوف أعرف؛ لأن هناك عندي واحدًا لأعتني به في دور الشفاء. إنهم صغار الحجم، ولكنهم بواسل. نعم ويا للعجب، يا ابنة العم، إن واحدًا منهم مع مرافق واحد معه، ذهب إلى البلاد السوداء وحارب مع سيد الظلام بمفرده، وأشعل النار في برجه، إذا كان بإمكانك أن تصدقي ذلك. على الأقل تلك هي الحكاية في المدينة. سوف يكون ذلك هو

الذي يمشي مع الحجر الجُني. إنهم أصدقاء أعزاء، على ما سمعتُ. الآن إنه أعجوبة، الملك الحجر الجني: ليس رقيقًا أكثر من اللازم في حديثه، لا بد أن تراعي ذلك، ولكن له قلب من ذهب، حسبما يقال في المثل؛ كما أنه يملك اليدين الشافيتين المعالجتين. لقد قلتُ «يدا الملك هما يدا المعالج»؛ وكانت تلك هي الطريقة التي تم بها اكتشاف كل شيء. وميثرانديز، قال هو لي: «يا إيوريث، سوف يتذكر الرجال كلماتك طويلًا»، وـــ».

ولكن إيوريث لم يسمح لها بالاستمرار في إسداء النصح والتعليم لقريبتها من الريف؛ لأن بوقًا واحدًا مدويًا قد دق، وتبعه سكوت تام. وعندئذ ذهب خارجًا من البوابة فارامير مع هورين حارس المفاتيح، ولم يأت أحد آخر بعدهما، باستثناء أنه جاء يمشي وراءهما أربع رجال مرتدين خوذات طويلة ودرع القلعة، وكانوا يحملون صندوقًا عظيمًا من خشب الليبيثرون[1] أسود مرصعًا بالفضة.

وقابل فارامير أراجورن في وسط أولئك الذين كانوا محتشدين ومتجمعين، وركع، وقال: «آخر قهرمانات جوندور يطلب السماح له بأن يتخلى عن منصبه». ومد له صولجانًا أبيض؛ ولكن أراجورن أخذ الصولجان وأعطاه له مرة أخرى، قائلًا: «هذا المنصب لم ينته، وسوف يكون لك ولورثتك مادام نسلي ممتدًا وقائمًا. والآن لتقم بمهام منصبك!».

عندئذ نهض فارامير وتحدث بصوت واضح صاف: «يا شعب جوندور، اسمعوا الآن قهرمان هذه المملكة! انظروا! لقد جاء واحد يطالب بالملك مجددًا مرة أخرى. ها هو أراجورن بن أراثورن، زعيم دونادانيي أرنور، قائد جيش الغرب، حامل نجمة الشمال، حامل السيف الذي أعيد صنعه من جديد، المنتصر في المعركة، وتحمل يداه الشفاء، الحجر الجني، إليسار من سلالة فالانديل. ابن إيسيلدور، ابن إلينديل سيد نومينور. هل يصبح ملكًا ويدخل المدينة ويسكن هناك؟».

وصاح جميع المحتشدين وجميع الناس، صاحوا جميعًا نعم في صوت واحد.

وقالت إيوريث لقريبتها: «هذا احتفال مثل ذلك الذي أقمنا في المدينة تمامًا يا ابنة العم؛ لأنه دخل بالفعل، مثلما قلتُ لك؛ وقال لي ـــــ» وعندئذ اضطررت مرة أخرى للصمت؛ لأن فارامير بدأ يتكلم من جديد.

«يا شعب جوندور، إن أساطين المعرفة يخبروننا أن العادة في الماضي كانت أنه يتوجب أن يتسلم الملك التاج من أبيه قبل وفاته؛ أو في حالة احتمال عدم إمكان ذلك، فإنه ينبغي عليه أن يذهب وحده ويأخذه من يدي والده في القبر في المكان الذي وضع فيه والده. ولكن حيث إن الأشياء ينبغي أن تتم الآن بشكل مغاير لذلك، فإنني،

(1) Lebethron شجرة تنمو في جوندور وكانت جميلة وكان يحبها النجارون في جوندور. (المترجم)

مستخدمًا سلطتي كقهرمان للمدينة، قد أحضرتُ معي إلى هنا من راث دينين تاج إيرانور آخر الملوك، الذي انقضت أيامه في عهد آبائنا القدماء في الماضي».

عندئذ تقدم الحراس، وفتح فارامير الصندوق، وأمسك بتاج قديم. كان شكله مثل خوذات حراس القلعة، باستثناء أنه كان أعلى، وكان كله أبيض، وكانت الأجنحة على كلا الجانبين مصنوعة من اللؤلؤ والفضة مثل أجنحة طائر البحر؛ لأنه كان شعار الملوك الذين جاءوا من البحر؛ وكانت مرصعة في حليته الدائرية سبع جواهر من أدمنت، وفوق قمته جوهرة راح ضوءها يصعد عاليًا مثل اللهب.

بعد ذلك أخذ أراجورن التاج وأمسك به عاليًا وقال:

Then Aragorn took the crown and held it up and said:

Et Eärello Endorenna utúlien. Sinome maruvan ar Hildinyar tenn' Ambar-metta!

وكانت تلك هي الكلمات التي تحدث بها إلينديل عندما جاء من البحر على أجنحة الريح: «من البحر العظيم إلى الأرض الوسطى جئتُ أنا. في هذا المكان سوف أسكن وأستقر، وكذلك ورثتي، حتى نهاية العالم».

عندئذ لدهشة الكثيرين، لم يلبس أراجورن التاج على رأسه، ولكنه أعاده إلى فارامير، وقال: «من خلال عمل وبسالة الكثيرين عدتُ إلى ميراثي. واعترافًا بذلك وعلامة عليه فإنني أجعل حامل الخاتم يحضر التاج لي، وأدع ميثرانديز يضعه على رأسي، إذا هو شاء؛ لأنه هو كان محرك كل ذلك الذي تم إنجازه، وهذا هو انتصاره».

عندئذ تقدم فرودو وأخذ التاج من فارامير وحمله إلى جَنْدَلْف؛ وانحنى أراجورن، ووضع جَنْدَلْف التاج الأبيض على رأسه، وقال:

«الآن تأتي أيام الملوك، وإنني أدعو لهم بالبركة ما دامت عروش الأقوياء البواسل قائمة!».

ولكن عندما نهض أراجورن فإن جميع من رأوه حدقوا في صمت؛ لأنه بدا لهم أنه قد تم الكشف عنه لهم الآن للمرة الأولى. طويلًا مثل ملوك البحر القدماء، وهو يقف فوق كل من كانوا قريبين منه؛ بدا كبيرًا من أيام ماضية ولكنه كان في زهرة الشباب والرجولة؛ وجلست الحكمة على جبينه، والقوة والشفاء كانا في يديه، وكان هناك ضوء يحيط به. عندئذ صاح فارامير قائلًا:

«انظروا إلى الملك!».

وفي تلك اللحظة نُفخت الأبواق، وتقدم الملك إليسار وأتى إلى الحاجز، ودفعه هورين حارس المفاتيح للوراء؛ ووسط موسيقيي القيثارة والفيول والفلوت وغناء الأصوات الصافية الجميلة راح الملك يمر عبر الشوارع الحافلة بالورد، ووصل إلى القلعة، ودخلها؛ وأطلقت راية الشجرة والنجوم وراحت ترفرف فوق أعلى برج، وبدأت حقبة الملك إليسار، والتي حكى عنها الكثير من الأغاني والأشعار.

وفي وقته، جُعلت المدينة أكثر جمالًا أكثر من أي وقت كانت عليه من قبل، حتى في أيام مجدها الأول؛ وقد امتلأت بالأشجار وبالنافورات، وصنعت أبوابها من الميثريل والصلب، وتم رصف شوارعها بالرخام الأبيض؛ وراح سكان الجبال يعملون ويكدون فيها، وراح سكان الغابات يمرحون لمجيئهم إلى هناك؛ وتم شفاء الجميع وجعلهم بحالة وبصحة جيدة، وامتلأت البيوت بالرجال والنساء وضحك الأطفال، ولم تكن هناك فتحة نافذة بلا نافذة ولم يكن هناك فناء دار خال؛ وبعد انتهاء العصر الثالث من العالم فإنه حفظ للعصر الجديد ذكرى مجد السنين الخوالي.

وفي الأيام التي تلت تتويجه، جلس الملك على عرشه في بهو الملوك وراح يصدر أحكامه وجاءت السفارات من البلاد والشعوب، من الشرق ومن الجنوب، ومن حدود غابة ميركوود، ومن دونلاند في الغرب. وعفا الملك عن الشرقيين الذين كانوا قد باعوا أنفسهم، وأرسلهم بعيدًا أحرارًا، وتصالح مع شعوب هاراد؛ وحرر خدم وعبيد موردور وأعطاهم جميع الأراضي التي كانت حول بحيرة نورنين لتكون ملكًا لهم. وتم إحضار الجميع أمامه ليتلقوا مديحه ومكافأته على بسالتهم؛ وأخيرًا أحضر قائد الحرس إليه برجوند ليتم الحكم عليه.

وقال الملك لبرجوند: «يا برجوند، بسيفك أريقت الدماء في الأماكن المقدسة، وهو محظور في هذا المكان. كما أنك تركت موقعك دون إذن من سيد أو من قائد. وكانت عقوبة هذه الأشياء في الماضي الموت. والآن بناء على ذلك يجب أن أصدر حكمي عليك.

«تم إعفاؤك من العقوبة كاملة نظرًا لبسالتك في المعركة، ومع ذلك فإن ذلك يعود بشكل أكبر إلى أن كل ذلك الذي فعلته كان حبًا للسيد فارامير. ومع ذلك يجب أن تترك حرس القلعة، ينبغي أن تخرج من مدينة ميناس تيريث».

عندئذ ترك الدم وجه برجوند، وأصيب بالرعب في أعماق قلبه وأحنى رأسه. ولكن الملك راح يقول:

«هكذا ينبغي أن يكون، لأنه قد تم تعيينك في السرية البيضاء، حرس فارامير، أمير إيثلين، وسوف تكون أنت قائدها وسوف تقيم في إمين آرنين في شرف وسلام، وفي خدمته ذلك الذي خاطرت من أجله بكل شيء، لتنقذه من الموت».

وعندئذ، لما أدرك برجوند رحمة وعدالة الملك، ملأه السرور والفرح، وركع وقبل يده ورحل في فرح ورضا. وأعطى أراجورن لفارامير إيثيلين لتكون إمارته التي يقوم عليها، وأمره أن يقيم في تلال إمين آرنين في نطاق رؤية المدينة، وقال له:

«لأن ميناس إيثيل في وادي مورجول سوف تُدمر تمامًا، ومع أنها قد تصبح نظيفة وخالية في الوقت المناسب، إلا أنه ربما لن يسكن فيها أي رجل لسنين طويلة».

وأخيرًا حيا أراجورن إيومر سيد روهان، وتعانقا، وقال له أراجورن: «لن تكون بيننا أي كلمة عن عطاء أو أخذ، ولا عن مكافأة؛ لأننا أخوان. في ساعة سعيدة ركب إيورل من الشمال، ولم تكن على الإطلاق أي جماعة من الشعوب أكثر بركة ونعمة، لدرجة أنه لم يحدث قط أن خذل واحد الآخر، ولن يخذله أبدًا. والآن، وكما تعرف، فقد وضعنا ثيودن الشهير في قبره في الأماكن المقدسة، وهناك سوف يرقد إلى الأبد بين ملوك جوندور، إذا شئتَ أنت. أو إذا رغبتَ، فسوف نأتي إلى روهان ونحضره ليرقد مع شعبه».

وأجابه إيومر بقوله: «منذ اليوم الذي طلعتَ فيه أمامي من العشب الأخضر في التلال فإنني أحببتك، ولن يضعف هذا الحب أبدًا. ولكن الآن ينبغي علي أن أرحل لبعض الوقت إلى مملكتي، حيث هناك الكثير مما ينبغي علاجه وترتيبه. ولكن بالنسبة للملك الذي سقط في ساحة القتال، عندما يتم تجهيز كل شيء سوف نعود إليه؛ ولكن هنا دعه ينام لبعض الوقت».

وقالت إيووين لفارامير: «الآن ينبغي عليَّ أن أعود إلى بلادي وأن أنظر إليها مرة أخرى، وأساعد أخي في كده وكدحه؛ ولكن عندما يتم وضع ذلك الذي أحببتُه طويلًا كأب في مثواه الأخير، عندئذ سوف أعود».

هكذا راحت الأيام السعيدة تمضي؛ وفي اليوم الثامن من مايو؛ استعد خيالة روهان، وانطلقوا عبر الطريق الشمالي، ومعهم ذهب أبناء إلروند. وقد اصطفت على طول الطريق جموع من الناس تشريفًا لهم وإطراء، من بوابة المدينة إلى جدران بيلينور. عندئذ عاد كل أولئك الذين كانوا يسكنون بعيدًا إلى ديارهم فرحين؛ ولكن في المدينة كان هناك عمل لكثير من الأيدي الراغبة في إعادة البناء والتجديد لإزالة جميع آثار الحرب وذكرى الظلام.

وظل الهوبيتيون في ميناس تيريث، مع ليجولاس وجيملي؛ لأن أراجورن كان كارهًا أن يتم فض الصحبة، وقال: «أخيرًا ينبغي أن تنتهي كل تلك الأشياء، ولكني سوف أجعلكم تنتظرون فترة أطول من الوقت: لأن نهايات الأعمال التي شاركتم فيها لم تأت بعد. واقترب يوم كنتُ أتطلع إليه طوال سني شبابي، وعندما يأتي فينبغي أن يكون أصدقائي إلى جواري». ولكنه لم يقل أي شيء أكثر من هذا عن ذلك اليوم.

في تلك الأيام سكن رفاق الخاتم معًا في منزل جميل مع جَنْدَلْف، وراحوا يتحركون جيئة وذهابًا حسبما يرغبون. وقال فرودو لجَنْدَلْف: «هل تعلم ما هو هذا اليوم الذي يتحدث عنه أراجورن؟ لأننا سعداء هنا، ولا أرغب في الرحيل؛ ولكن الأيام تجري مسرعة، وبيلبو في الانتظار؛ والمقاطعة هي داري».

فقال جَنْدَلْف: «بالنسبة لبيلبو، فإنه ينتظر اليوم نفسه وهو يعلم ما يبقيك هنا.

وبالنسبة لمرور الأيام وانقضائها، فنحن في شهر مايو وحسب ولم يأت منتصف الصيف بعد؛ وعلى الرغم من أن جميع الأشياء تبدو قد تغيرت، كما لو أن عصرًا من العالم قد انقضى، إلا أنه بالنسبة للأشجار والعشب فإن الوقت الذي انقضى إنما هو أقل من سنة منذ أن خرجنا».

وقال فرودو: «بيبين، ألم تقل إن جَنْدَلْف كان أقل تحفظًا مما كان عليه في الماضي؟ كان متعبًا ومرهقًا من أعماله الشاقة عندئذ. في اعتقادي الآن أنه قد شفي واستعاد تحفظه».

وقال جَنْدَلْف: «الكثيرون يحبون أن يعرفوا مقدمًا ما الذي سيوضع على الطاولة؛ ولكن أولئك الذين تعبوا وكدوا في إعداد الوليمة يحبون أن يحتفظوا بسرهم؛ لأن الدهشة تجعل كلمات المديح والإطراء أكثر. وأراجورن نفسه ينتظر إشارة».

وجاء يوم عندما لم يكن بالإمكان العثور على جَنْدَلْف، وتساءل الرفاق عما كان يحدث. ولكن جَنْدَلْف أخذ أراجورن وخرجا من المدينة ليلًا، وجاء به إلى السفوح الجنوبية لجبل ميندولوين؛ وهناك وجدا طريقًا تم شقه في عصور مضت لدرجة أن قليلين الآن يجرءون على أن يسيروا فيه؛ لأنه كان يقود صاعدًا إلى الجبل إلى مكان مقدس عال حيث لم يكن سوى الملوك معتادين على الذهاب إلى هناك. وصعدا عبر طرق شديدة الانحدار، حتى وصلا إلى حقل عال أسفل الثلوج التي كانت تكسو القمم السامقة وكان يطل لأسفل على الجرف الذي كان يقع خارج المدينة. ووقفا هناك وراحا يمسحان الأراضي؛ لأن الصباح كان قد جاء؛ ورأيا أبراج المدينة بعيدًا أسفل منهما مثل حزم بيضاء مستدقة وقعت عليها أشعة الشمس، وكان وادي أندوين كله مثل حديقة، وكانت جبال الظل مغطاة بسديم ذهبي. وعلى أحد الجانبين وصل بصرهما إلى قمة إمين مويل الرمادية، وكان وهج نهر راوروس مثل نجم يتلألأ من على بعد؛ وعلى الجانب الآخر رأيا النهر مثل شريط موجه باتجاه مرفأ بيلارجير، وفيما وراء ذلك ظهر هناك ضوء على حواف السماء كان يتحدث عن البحر.

وقال جندلف: «هذه هي مملكتك، وقلب المملكة الأكبر التي ستكون. لقد انتهى العصر الثالث للعالم، وقد بدأ العصر الجديد؛ وإنه يقع على عاتقك أن تنظم بدايته وأن تحفظ ما يمكن الحفاظ عليه؛ لأنه على الرغم من أنه قد تم إنقاذ الكثير، إلا أن الكثير الآن لا بد أن يفنى؛ كما أن قوة الخواتم الثلاثة قد انتهت. وجميع الأراضي التي تراها، وتلك التي تقع حول هذه الأراضي، سوف تكون سكنًا للبشر؛ لأن الزمان يأتي من سيادة البشر، وسوف تتلاشى العشائر الأكبر سنًا أو ترحل».

وقال أراجورن: «أعرف ذلك جيدًا، يا صديقي العزيز، ولكني لا أزال بحاجة إلى مشورتك».

وقال له جَنْدَلْف: «ليس لوقت طويل الآن. لقد كان العصر الثالث عصري. لقد كنتُ عدو ساورون؛ وقد انتهى عملي. سوف أذهب قريبًا. ينبغي أن يوضع الحمل عليك وعلى عشيرتك».

فقال له أراجورن: «ولكني سأموت؛ لأنني إنسان فان، وعلى الرغم مما أنا عليه وكوني لم أمتزج بسلالة الغرب فإن عمري سيكون أطول كثيرًا من آخرين، ومع ذلك ليس ذلك سوى قليل من الوقت؛ وعندما يولد أولئك الذين هم في أرحام النساء الآن ويكبرون، فأنا أيضًا سوف أكبر. ومن عندئذ سوف يحكم جوندور وأولئك الذين ينظرون إلى هذه المدينة مثلما ينظرون إلى ملكتهم، إذا لم تتحقق رغبتي؟ الشجرة التي في بهو النافورة لا تزال ذابلة وقاحلة. متى سأرى إشارة أنها ستكون غير ذلك على الدوام؟».

فقال جَنْدَلْف: «أدر وجهك من العالم الأخضر، وانظر إلى حيث يبدو كل شيء قاحلًا وباردًا!».

عندئذ التفت أراجورن، وكان هناك منحدر صخري وراءه يجري هابطًا من حواف الثلوج؛ وبينما كان ينظر أدرك أنه كان هناك شيء نام يوجد وحده في اليباب. وتسلق إلى ذلك الشيء، ورأى أنه من نفس حافة الجليد انبثقت شتلة صغيرة لم يكن طولها أكثر من ثلاثة أقدام. وكانت قد أنبتت بالفعل أوراقًا صغيرة ومحددة الشكل، وكانت سمراء من أعلى، وفضية من أسفل، وفوق تاجها النحيل كانت تحمل مجموعة صغيرة من الورد كانت بتلاتها البيضاء تسطع مثل ثلج تضيئه الشمس.

عندئذ صاح أراجورن: « *'Yé! utúvienyes!* وجدتها! انظر! ها هي برعمة أكبر الأشجار عمرًا! ولكن كيف أتت إلى هنا؟ لأنها هي نفسها ليس عمرها سبع سنوات بعد؟».

وجاء جَنْدَلْف ونظر إليها، وقال: «حقًا هذه شتلة من سلالة شجرة نيملوث الجميلة؛ وكانت هذه نبتة جالاثيليون، وتلك ثمرة تيلبريون ولها أسماء كثيرة، أكبر الأشجار. من الذي سيقول كيف أتت إلى هنا في الساعة الموعودة؟ ولكن هذا مكان مقدس قديم، وقبل أن يضعف الملوك وقبل أن تذبل الشجرة في البلاط، لا بد أن ثمرة قد وضعت هنا؛ لأنه يقال إنه، على الرغم من أن ثمرة الشجرة نادرًا ما تصل إلى النضج، فإن الحياة، مع ذلك، بداخلها قد تكون عندئذ راقدة عبر سنين طويلة، ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بالوقت الذي ستستيقظ فيه. تذكر هذا؛ لأنه لو حدث على الإطلاق ونضجت ثمرة، فإنه لا بد من غرسها، مخافة أن تنقرض سلالتها من العالم. هنا تم وضعها مختبئة في الجبل، بينما كان جنس إلينديل يرقد مختبئًا في يباب الشمال. ولكن سلالة نيملوث أكبر بكثير من سلالتك، أيها الملك إليسار».

عندئذ وضع أراجورن يده في رفق على الشتلة، وانظروا لعجب ما حدث! بدا أنها لم تكن ثابتة في الأرض إلا قليلًا، وتم إخراجها بدون أي مشكلة أو تشوه؛ وحملها

أراجـورن وعاد بها إلى القلعة. عندئذ تم اجتثاث الشجرة الذابلة، ولكن في تبجيل وإجلال؛ ولم يحرقوها، ولكن وضعوها في مثواها الأخير في راث دينين[1]. وقام أراجورن بغرس الشجرة الجديدة في البهو إلى جوار النافورة وسريعًا وفي سعادة بدأت تكبر؛ وعندما حل شهر يونية كانت محملة بالبراعم.

وقال أراجورن: «لقد جاءت الإشارة، وليس اليوم ببعيد». ووضع الحراس على الجدران.

كان اليوم هو اليوم الذي يسبق منتصف الصيف عندما جاء الرسل من أمون دين إلى المدينة، وقالوا إن هناك ركبًا من الشعب الجميل سائرًا من الشمال، واقتربوا الآن من جدران بيلينور. وقال الملك: «أخيرًا جاءوا. لتستعد المدينة كلها».

وفي نفس مساء منتصف الصيف، عندما كانت السماء زرقاء مثل الياقوت الأزرق وتفتحت النجوم البيضاء في الشرق، ولكن كان الغراب لا يزال ذهبيًا، وكان الهواء باردًا وعطر الرائحة، وجاء الخيالة عبر الطريق الشمالي إلى بوابات ميناس تيريث. وجاء في المقدمة إلروهير وإلادان براية فضية، وبعد ذلك جاء جلورفينديل وإريستور وجميع أهل ريفنديل، وبعدهم جاءت السيدة جَلَدْرِيل وسيليبورن، سيد لوثلورين، راكبين جيادًا بيضاء مطهمة ومعهما الكثيرون من الشعب الجميل من أرضهم، مرتدين معاطف رمادية وفي شعرهم جواهر بيضاء؛ وأخيرًا جاء السيد إلروند، عظيمًا بين الجن والإنس، يحمل صولجان أنوميناس وإلى جواره على جواد صغير كانت تركب أروى ابنته، نجمة المساء في شعبها.

ولما رآها فرودو تأتي متوهجة في المساء، ونجوم على جبينها ورائحة ذكية تحيط بها، تأثر في عجب ودهشة شديدين، وقال لجندلف: «أخيرًا أفهم سبب انتظارنا! هذه هي النهاية. الآن ليس النهار فقط هو الذي سيكون محبوبًا، ولكن الليل أيضًا سوف يكون جميلًا ومباركًا وقد انقضت جميع مخاوفه وراحت!».

عندئذ رحب الملك بضيوفه، وترجلوا عن جيادهم؛ وتخلى إلروند عن الصولجان، ووضع يد ابنته في يد الملك وصعدا معًا إلى المدينة العالية، وأزهرت كل النجوم في السماء. وتزوج أراجورن الملك إليسار من أروين أوندومييل في مدينة الملوك في يوم منتصف الصيف، ووصلت حكاية انتظارهما الطويل وكدهما الطويل إلى نهاية وتم جني ثمارها.

(1) Rath Dínen ومعناها «Silent Street» أي الشارع الصامت. (المترجم)

الفصل السادس
الجميـع يفتـرقـون

عندما انتهت أيام الفرح والمرح، فكر الرفاق أخيرًا في العودة إلى ديارهم. وذهب فرودو إلى الملك بينما كان جالسًا مع الملكة أروين إلى جوار النافورة، وكانت تغني أغنية من فالينور، بينما كانت الشجرة تكبر وتزهر. ورحبا بفرودو وقاما ليحيياه؛ وقال أراجورن:

«أعلم ما جئتَ لتقوله يا فرودو: إنك ترغب في العودة إلى ديارك. حسنًا، يا أعز أصدقائي، الشجرة تنمو أفضل ما يكون في أرض آبائها؛ ولكن بالنسبة لك في كل بلاد الغرب سوف تكون دائمًا مرحبًا بك. وعلى الرغم من أن قومك لديهم القليل جدًا من الشهرة في أساطير العظماء، فإنهم الآن سوف يكون لهم من الشهرة أكثر من أي ممالك شاسعة لم تعد لها أي شهرة».

فقال فرودو: «صحيح أنني أريد العودة إلى المقاطعة. ولكن أولًا يجب أن أذهب إلى ريفنديل؛ لأنه إذا كان هناك أي شيء ينقصني في وقت سعيد كل هذه السعادة؛ فإنني أفتقد بيلبو؛ وقد حزنتُ عندما رأيت بين كل أهل إلروند أنه لم يأت معهم».

وقالت أروين: «هل تعجب من ذلك يا حامل الخاتم؟ لأنك تعرف قوة ذلك الشيء الذي تم تدميره الآن؛ وكل ما تم فعله بواسطة تلك القوة قد مضى وانقضى الآن. ولكن قريبك امتلك ذلك الشيء أكثر منك. إنه عجوز جدًا الآن، بالنظر إلى نوعه؛ وهو في انتظارك؛ لأنه لن يقوم بأي رحلة طويلة مرة أخرى باستثناء رحلة واحدة».

فقال فرودو: «إذن فإنني أطلب الإذن بالرحيل قريبًا».

فقال أراجورن: «في خلال سبعة أيام سوف نذهب؛ لأننا سوف نخرج معك ونسير بعيدًا على الطريق، بل بعيدًا حتى نصل إلى بلاد روهان. في خلال ثلاثة أيام الآن سوف يعود إيومر إلى هنا ليحمل ثيودن ليعود به إلى مثواه الأخير في المارك، وسوف نخرج معه تشريفًا للملك الذي سقط في ساحة القتال. ولكن الآن قبل أن تذهب، سوف أؤكد على الكلمات التي تحدث بها إليك فارامير، وسوف تكون حرًا إلى الأبد في مملكة جوندور؛ وكذلك جميع رفاقك لهم نفس الحرية. ولو كانت هناك أي هدايا يمكنني أن أقدمها بحيث تضاهي ما قمتَ به من أعمال عظيمة فإنه ينبغي أن تحصل عليها؛ ولكن كل ما ترغب فيه سوف تأخذه معك، وسوف تتحرك في موكب تشريفي وسوف تلبس مثل أمراء البلاد».

ولكن الملكة أروين قالت: «سوف أعطيك هدية؛ لأنني ابنة إلروند. إنني لن أذهب معه الآن عندما يرحل إلى المرافئ؛ لأن اختياري هو اختيار لوثين، وبصفتي هي،

فإنني قد اخترتُ كلًا من الحلاوة والمرارة. ولكن بالنيابة عني سوف تذهب أنت يا حامل الخاتم، عندما يحين الوقت، وإذا أنت رغبت في ذلك آنذاك. إذا كانت آلامك لا تزال تحزنك، ولا يزال حمل ذكراك ثقيلًا عليك، عندئذ ربما تمر إلى الغرب، حتى تُشفى كلُّ جروحك وتعبك. ولكن ارتد هذا الآن في ذكر الحجر الجني ونجمة المساء التي نُسجت حياتك معهما!».

وأخذت جوهرة بيضاء مثل نجم كانت موضوعة على صدرها مدلاة من سلسلة فضية، ووضعت السلسلة حول رقبة فرودو، وقالت: «عندما تنتابك ذكرى الخوف والظلمة وتقلقك، فإن هذه سوف تمنحك العون».

في خلال ثلاثة أيام، كما قال الملك، جاء إيومر سيد روهان في خيله إلى المدينة، وجاءت معه مجموعة من أجمل فرسان المارك. وتم الترحيب به؛ وعندما جلسوا جميعًا إلى الطاولة في ميريثروند، قاعة الاحتفالات العظيمة، رأى جمال السيدات اللائي رآهن في عظيم اندهاش ملأه كله. وقبل أن يذهب إلى مخدعه أرسل في طلب جيملي القزم، وقال له: «يا جيملي ابن جولين، هل بلطتك جاهزة معك؟».

فقال جيملي: «كلا يا مولاي، ولكن يمكنني أن أحضرها على وجه السرعة، إذا كانت هناك حاجة إليها».

فقال له إيومر: «سوف ترى؛ لأن هناك بعض كلمات متهورة تتعلق بالسيدة في الغابة الذهبية لا تزال ترقد فيما بيننا. والآن فقد رأيتُها بعيني هاتين».

فقال جيملي: «حسنًا يا مولاي، وماذا تقول الآن؟».

فقال إيومر: «وا أسفاه! لن أقول إنها أجمل سيدة تعيش».

فقال جيملي: «عندئذ ينبغي أن أذهب لأحضر بلطتي».

فقال إيومر: «ولكني أطلب هذا العذر أولًا. لو أنني كنت قد رأيتها في صحبة أخرى، لكنتُ قد قلتُ كل ما كنتَ ترغب فيه. ولكن الآن سوف أضع الملكة أروين نجمة المساء أولًا، وأنا مستعد للدخول في معركة من جانبي مع أي شخص ينكر ذلك. هل أنادي طلبًا لسيفي؟».

عندئذ انحنى جيملي واطئًا، وقال: «كلا، لك العذر من ناحيتي أنا يا مولاي. لقد اخترتَ المساء؛ ولكن حبي قد أعطي للصباح. وإن قلبي يحدثني أنه سوف يمر وينقضي قريبًا إلى الأبد».

وأخيرًا جاء يوم الرحيل، واستعدت مجموعة كبيرة وجميلة للسير شمالًا من المدينة على صهوة الجياد. عندئذ ذهب ملكا جوندور وروهان إلى الأماكن المقدسة وجاءا إلى

القبور في راث دينين، وحملا بعيدًا الملك ثيودن على نعش ذهبي، ومرا به عبر المدينة في صمت. بعد ذلك وضعا النعش على عربة كبيرة وكان خيالة روهان حولها من جميع الجهات تم حمل رايته أمامها؛ ولما كان ميري الخادم الخصوصي لثيودن فقد ركب على العربة واحتفظ معه بأسلحة الملك.

تم تجهيز جياد أخرى للرفاق الآخرين وفقًا لقاماتهم؛ وركب فرودو وساموايز إلى جوار أراجورن، وركب جندلف على شادوفاكس، وركب پيپين مع فرسان جوندور؛ وركب ليجولاس وجيملي مثلما هي الحال دائمًا معًا على أرود.

وفي هذا الركب، ذهبت أيضًا الملكة أروين وسيليبورن وجلدريل مع قومهن، وإلروند وأبناؤه؛ وأمراء دول أمروث وإيثيلين والكثير من القادة والفرسان. لم يحدث قط أن سارت مع أي ملك من ملوك المارك مثل هذه المجموعة على الطريق مثل تلك التي سارت مع ثيودن بن ثينجل إلى أرض بلاده وموطنه.

وبدون عجلة وفي سلام مروا إلى أنذورين، ووصلوا إلى الغابة الرمادية تحت أمون دين؛ وهناك سمعوا صوتًا كصوت طبول تدق في التلال، على الرغم من أنه لم ير أحد أي شيء حي. عندئذ أمر أراجورن بأن تنفخ الأبواق؛ وصاحت طلائع المقدمة:

«انظروا، لقد جاء الملك إليسار! إنه يمنح غابة دروادان لـ «غان بوري غان» ولقومه، خاصة بهم تمامًا إلى الأبد؛ ولا يدخلها أي إنسان من الآن فصاعدًا دون إذنٍ منهم!».

عندئذ راحت الطبول تدوي عاليًا، وساد صمت.

وأخيرًا بعد خمسة عشر يومًا من السير، ومرت عربة الملك ثيودن عبر حقول روهان الخضراء إلى إيدوراس؛ وهناك استراحوا جميعًا. تم تزيين البهو الذهبي بستائر جميلة وتم ملؤه بالأضواء، وهناك عقدت أكبر وليمة عرفت على الإطلاق منذ أيام بنائها؛ لأنه بعد ثلاثة أيام جهز شعب المارك جنازة ثيودن؛ وتم إيداعه في منزل من حجر ومعه أسلحته وغيرها من الأشياء الجميلة التي كان يملكها، وتم بناء رابية عظيمة فوقه، وتم تغطيتها بطبقة خضراء من عشب ومن زهرة القبور البيضاء[1]. وأصبح الآن هناك ثماني روابي جنائزية في الجانب الشرقي في باروفيلد.

وبعد ذلك راح خيالة آل الملك على جياد بيضاء يسيرون حول الرابية الجنائزية ويغنون معًا أغنية ثيودن بن ثينجل التي صاغها شاعره ومغنيه جليوواين، ولم يؤلف أي أغنية غيرها بعد ذلك. وحركت الأصوات البطيئة للخيالة قلوب الجميع حتى أولئك الذين لم يكونوا يعرفون لغة ذلك الشعب؛ ولكن كلمات الأغنية جلبت ضوءًا في أعين

(1) اسمها (white evermind). (المترجم)

شعب المارك وهم يسمعون مرة أخرى من بعيد دوي حوافر الشمال وصوت إيورل يصيح فوق وطيس المعركة في حقول سيليبرانت؛ وراحت حكاية الملك تروى وتروى، وكان صوت الهيلم عاليًا في الجبال، حتى حلت الظلمة ونهض الملك ثيودن وركب عبر الظل إلى النار، ومات في بهاء وعظمة، عندما كانت الشمس، وهي عائدة بعد أن فقد كل أمل، تتوهج وتشع فوق ميندولوين في الصباح.

من الشك، من الظلمة، إلى طلوع النهار
ركب يغني في الشمس، شاهرًا سيفه.
أشعل الأمل من جديد، وانتهى من أجل الأمل؛
فوق الموت، فوق الرعب، فوق القدر ارتفع
من الضياع، من الحياة، إلى مجد طويل.

ولكن ميري وقف عند قاع الرابية الجنائزية الخضراء، وراح يبكي، وعندما انتهت الأغنية نهض وصاح:

«ثيودن الملك، ثيودن الملك! الوداع! كنتَ لي كأب، لوقت قصير. الوداع!».

وعندما انتهت مراسم الدفن وسكت نحيب النساء، وتُرك ثيودن أخيرًا وحده في التلة الجنائزية، عندئذ تجمع القوم في البهو الذهبي من أجل الوليمة العظيمة والتخلي عن الحزن؛ لأن ثيودن مات عن عمر طويل وانتهى في شرف لا يقل عن أعظم آبائه. وعندما جاء الوقت الذي ينبغي عليهم فيه في عرف المارك أن يشربوا في ذكرى الملوك، تقدمت السيدة إيووين سيدة روهان، ذهبية مثل الشمس وبيضاء مثل الثلج، وحملت كأسًا مملوءة إلى إيومر.

عندئذ وقف مغنٍ وخبير فنون شعبية وراحا يقصان جميع أسماء ملوك المارك بترتيبهم: إيورل الصغير؛ برجو باني البهو؛ ألدور أخي بالدور التعيس؛ وفريا، وفرياوين، وجولدواين، وديور، وجرام؛ وهيلم الذين اختبئوا في وادي هيلم ديب عندما تم اجتياح المارك؛ وهكذا انتهت التلال الجنائزية التسعة في الجانب الغربي؛ لأنه في ذلك الوقت انقطعت السلالة، وبعد ذلك جاءت التلال الجنائزية للجانب الشرقي: فريالاف، ابن أخت هيلم، وليوفا، ووالدا، وفولكا، وفولكواين، وفينجل، وثينجل، وثيودن آخرهم. وعندما تم ذكر ثيودن أفرغ إيومر الكأس. عندئذ أمرت إيووين أولئك الذين كانوا يقومون بالخدمة بأن يملئوا الكئوس، وتجمع جميع أولئك الذين كانوا مجتمعين ونهضوا وشربوا نخب الملك الجديد، صائحين: «يعيش، إيومر، ملك المارك!».

وفي النهاية عندما اقترب الحفل من النهاية نهض إيومر وقال: «الآن هذه هي وليمة الجنازة جنازة ثيودن الملك؛ ولكني سوف أتحدث قبل أن ننتقل إلى أخبار الفرح والمرح؛ لأنه لن ينكر علي أنه ينبغي علي أن أفعل ذلك، حيث إنه كان دائمًا والدًا لأختي إيووين. اسمعوا إذن يا جميع ضيوفي، أيها الشعوب الجميلة لكل الممالك الكثيرة، مثلما لم يحدث قط من قبل أن تتجمعوا في هذا البهو! فارامير، قهرمان جوندور، وأمير إيثيلين، يطلب أن تكون إيووين سيدة روهان زوجة له، وهي توافق على ذلك راغبة تمامًا. وبناء عليه فإنه سوف تتم خطبتهما أمامكم جميعًا».

ووقف فارامير وإيووين وتقدما ووضعا يدًا في يد؛ وشرب كل الحضور نخبهما وكانوا سعداء. وقال فارامير: «وهكذا، فإن صداقة المارك وجوندور ارتبطت برباط جديد، وإنني أكثر ابتهاجًا بذلك».

وقال أراجورن: «إنك لست بالبخيل يا إيومر لأن تعطي هكذا لجوندور أجمل شيء في مملكتك!».

عندئذ نظرت إيووين في عيني أراجورن، وقالت: «ادعُ لي بالسعادة يا مولاي وطبيبي!».

وأجابها بقوله: «لقد تمنيتُ لك السعادة دومًا منذ أن رأيتك أول مرة. إنه ليشفي صدري أن أراك الآن في غبطة وسعادة».

وعندما انتهى الاحتفال، فإن أولئك الذين كانوا سيغادرون، أخذوا الإذن من الملك إيومر. أراجورن وفرسانه، وشعب لورين وريفنديل، استعدوا للمسير؛ ولكن فارامير وإمراهيل ظلا في إيدوراس؛ وبقيت أروين نجمة المساء أيضًا، وودعت إخوتها. لم ير أحد لقاءها الأخير مع إلروند أبيها؛ لأنهما صعدا إلى التلال وهناك تحدثا طويلًا معًا، وكان افتراقهما مرًا للغاية لدرجة أنه سيظل إلى ما بعد نهاية العالم.

وفي الختام، قبل أن يخرج الضيوف في رحلتهم، جاء إيومر وإيووين إلى ميري، وقالا له: «الوداع الآن، يا ميريادوك في المقاطعة، وهولدواين[1] في المارك! سر إلى حظ جيد، وعد سريعًا لترحابنا!».

وقال إيومر: «الملوك القدامى كانوا سيحملونك بالهدايا لم تكن لعربة أن تحملها لقاء أعمالك البطولية في حقول موندبرج؛ ومع ذلك فلن تأخذ شيئًا، حسب قولك، سوى الأسلحة التي أعطاها لك. هذا أحتمله؛ لأنني في حقيقة الأمر ليست لدي أي هدية جديرة بك؛ ولكن أختي ترجوك أن تأخذ هذا الشيء الصغير، كتذكار لديرنهيلم ولأبواق المارك عند قدوم الصباح».

(1) Holdwine الاسم الذي أطلقه أهل المارك على ميريادوك (ميري). (المترجم)

عندئذ أعطت إيووين لميري بوقًا قديمًا، صغيرًا ولكنه كان مصنوعًا ببراعة من الفضة الجميلة بحمالة خضراء؛ وقد نحت الصناع عليه خيالة سريعين يركبون في صف كان ينعرج حوله من الطرف للفم؛ وكان مرصعًا عليها حروف رونية ذات فضيلة عظيمة.

وقالت إيووين: «هذا إرث منزلنا. لقد صنعه الأقزام، وجاء من مخزن التنين سكاذا الدودة[1]. لقد أحضره إيومر الصغير من الشمال. إن ذلك الذي ينفخ فيه عند الحاجة سوف يبث الخوف في قلوب أعدائه والفرح في قلوب أصدقائه، وسوف يسمعونه ويأتون إليه».

وبعد ذلك أخذ ميري البوق؛ لأنه لم يكن بالإمكان رفضه، وقبل يد إيووين؛ وعانقاه، وهكذا افترقوا في تلك المرة.

والآن استعد الضيوف، وشربوا نخب الوداع، وافترقوا بإطراء وصداقة عظيمين ووصلوا أخيرًا إلى وادي هيلم ديب، وهناك استراحوا لمدة يومين. عندئذ وفى ليجولاس بوعده لجيملي وذهب معه إلى الكهوف المتوهجة؛ وعندما عادا لزم الصمت، ولم يتفوه بكلمة سوى أن جيملي فقط هو الذي يمكنه أن يجد الكلمات الملائمة ليتحدث عنها، وقال: «ولم يحدث من قبل على الإطلاق أن انتصر قزم على جني في مسابقة بالكلمات. والآن بناء على ذلك هيا بنا نذهب إلى فانجورن ونصحح الوضع!».

ومن وادي ديبينج كومب[2] ساروا إلى آيزنجارد، ورأوا كيف كان الإنتيون مشغولين. تم تدمير الدائرة الحجرية وإزالتها، وتم تحويل الأرض التي كانت في داخلها إلى حديقة مملوءة بالبساتين والأشجار، وراح يجري عبرها جدول؛ ولكن في وسط ذلك كله كانت هناك بحيرة من ماء صاف، ومنها ارتفع برج أورثانك ثابتًا، وعاليًا ومنيعًا حصينًا، وكانت صخرته السوداء تنعكس على صفحة الماء في الحوض.

ولبعض الوقت جلس المسافرون في المكان الذي كانت تقع فيه في وقت من الأوقات بوابات آيزنجارد، وكانت هناك الآن شجرتان طويلتان مثل الحارسين عند بداية طريق محاط بالخضرة كان يجري باتجاه أورثانك؛ ونظروا في دهشة وعجب إلى العمل الذي تم إنجازه، ولكن لم يروا أي شيء حيًا بعيدًا أو قريبًا. ولكن في الوقت الحالي سمعوا صوتًا ينادي هووم هوم، هووم هوم؛ وجاء تريبيرد يسير بخطوات واسعة عبر الطريق ليحييهم مع كويكبيم إلى جواره.

وقال: «مرحبًا بكم في تريجارث بأورثانك! علمتُ أنكم قادمون، ولكني كنتُ في

(1) Scatha the Worm تنين عظيم قتله [Fram] ابن [Frumgar] أحد أجداد [Eorl the Young] إيورل الصغير، في الأيام الأولى لـ [Éothéod] والذين عرفوا فيما بعد باسم [the Rohirrim] الروهيريميين. (المترجم)

(2) Deeping-coomb الوادي الذي يقود إلى وادي ديب هيلم. (المترجم)

عمل أعلى الوادي؛ لا يزال هناك المزيد مما يجب إنجازه. ولكنكم لم تكونوا عاطلين أيضًا بعيدًا في الجنوب وفي الشرق، حسبما أسمع؛ وكل ما أسمعه جيد، جيد جدًا». عندئذ امتدح تريبيرد كل أعمالهم التي كان يبدو أن لديه معرفة كاملة بها؛ وأخيرًا توقف ونظر طويلًا في جَنْدَلْف، وقال:

«حسنًا، تعال الآن! لقد أثبتَّ أنك أنت الأكثر عظمة، وقد سارت كل أعمالك على نحو جيد. أين ستذهب الآن؟ ولماذا تأتي إلى هنا؟».

فقال له جَنْدَلْف: «لأرى يا صديقي كيف يسير عملك، ولأشكرك على مساعدتك في كل ما تم تحقيقه وإنجازه».

فقال تريبيرد: «هووم، حسنًا، هذا عدل كفاية، لأنه حتى تكون متأكدًا فإن الإنتيون قد أدوا دورهم. وليس فقط في التعامل مع ذلك. هووم؛ ذلك الملعون قاتل الأشجار الذي كان يسكن هنا؛ لأنه كان هناك تدافع كبير من أولئك، بوراروم، أولئك ذوو الأعين الشريرة والأيدي السوداء والسيقان المقوسة والقلوب القاسية والأصابع المخلبية والبطون النتنة والمتعطشون للدماء، موريماتيسينكاهوندا[1]، هووم، حسنًا، حيث إنكم قوم متعجلون وحيث إن اسمهم الكامل طويل مثل طول سنين العذاب، هؤلاء هم هوام الأوركيين؛ وقد جاءوا فوق النهر وساروا من الشمال وفي كل مكان حول غابة لوريليندورينان[2]، التي لم يتمكنوا من دخولها، بفضل العظماء الذين هم هنا». وانحنى لسيد وسيدة لورين.

«وهؤلاء المخلوقات الشريرة أنفسهم كانوا أكثر من مندهشين لملاقاتنا في الخارج في العالم؛ لأنه لم يكونوا قد سمعوا عنا من قبل؛ على الرغم من أن ذلك قد يقال عن شعب أفضل منهم. ولن يتذكرنا الكثيرون؛ لأنه لم ينج منا الكثيرون، والنهر به معظمنا. ولكن ذلك جيد بالنسبة لنا؛ لأنهم لو لم يكونوا قد قابلونا، عندئذ فإن ملك أرض المراعي ما كان ليسير بعيدًا، وإذا كان قد حدث له ذلك فما كانت لتكون هناك ديار للرجوع إليها».

فقال أراجورن: «إننا نعرف ذلك جيدًا، ولن يُنسى ذلك أبدًا في ميناس تيريث ولا في إيدوراس».

وقال تريبيرد: «إن كلمة «أبدًا» كلمة طويلة جدًا حتى بالنسبة لي. لطالما كانت ممالكك ليست قائمة، هذا ما تقصده؛ ولكن سوف يتحتم أن تستمر طويلًا في الحقيقة حتى تبدو طويلة بالنسبة للإنتيين».

(1) *morimaitesincahondo*. (المترجم)

(2) Laurelindorenan ومعناها [<Valley of Singing Gold>] أي وادي الذهب المغني، وهي [Lórien]. لورين. (المترجم)

فقال جَنْدَلْف: «العصر الجديد بدأ، وفي هذا العصر ربما يثبت أن ممالك البشر سوف تبقى من بعدك، يا فانجورن يا صديقي. ولكن الآن تعال أخبرني: ماذا عن المهمة التي وضعتها لك؟ كيف حال سارومان؟ ألم يسأم من أورثانك بعد؟ لأنني لا أفترض أنه سيظن أنك قد حسنت المنظر من نوافذه».

ونظر تريبيرد إلى جَنْدَلْف نظرة طويلة، تكاد تكون نظرة ماكرة، وفكر مليًا، وقال: «آه! ظننتُ أنك ستصل إلى هذا. يسأم من أورثانك؟ لقد سئم كثيرًا أخيرًا؛ ولكن لم يسأم من برجه مثلما سئم صوتي. هووم! لقد حكيتُ له بعض حكايات طويلة، أو على الأقل ما يمكن أن يقال عنه إنه طويل في لغتكم».

وسأله جَنْدَلْف: «إذن لماذا ظل يستمع؟ هل ذهبت إلى أورثانك؟».

فقال تريبيرد: «هووم، كلا، لم أذهب إلى أورثانك! ولكنه جاء إلى نافذته وراح ينصت، لأنه لم يستطع الحصول على أي معلومات بأي طريقة أخرى، وعلى الرغم من أنه كان يكره الأخبار، فقد كان شديد التوق إليها؛ ورأيتُ أنه سمعها كلها. ولكني أضفت أشياء كثيرة جدًا للأخبار كان من الجيد بالنسبة له أن يفكر فيها. وأصابه السأم كثيرًا جدًا. لقد كان دائمًا متعجلًا. وكان هذا دماره».

فقال جَنْدَلْف: «إنني ألاحظ يا عزيزي فانجورن أنه بعناية كبيرة تقول «كان»، سكن، أصبح. ماذا عن «يكون»؟ أهو مات؟».

فقال تريبيرد: «لا، لم يمت، بقدر علمي. ولكنه ذهب. نعم، لقد ذهب منذ سبعة أيام. تركته يذهب. كان هناك الكثير مما تُرك له عندما زحف خارجًا وبالنسبة لذلك المخلوق الدودي الخاص به، فقد كان ظلًا شاحبًا. الآن، لا تخبرني يا جَنْدَلْف أنني وعدتُ أن أبقيه سالمًا؛ لأنني أعرف ذلك. ولكن الأشياء قد تغيرت منذ ذلك الحين. وقد أبقته حتى كان آمنًا، آمنًا من أن يفلت أي شر أو أذى آخر. ينبغي أن تعرف أنني فوق كل شيء أكره حبس المخلوقات الحية، وإنني لن أبقى حتى على مخلوقات كهذه محبوسة دونما أن تكون هناك حاجة ماسة لذلك. ثعبان بدون أنياب يمكنه أن يزحف إلى حيث يشاء».

وقال له جَنْدَلْف: «ربما تكون مصيبًا، ولكن هذا الثعبان لا يزال لديه سم متبقٍ، في اعتقادي. إن لديه سم هو صوته، وفي ظني أنه قد أقنعك، حتى أنت يا تريبيرد، حيث عرف نقطة الضعف في قلبك. حسنًا، لقد ذهب، وليس هناك المزيد يمكن قوله. ولكن برج أورثانك يعود الآن إلى الملك، إلى ذلك الذي يخصه. على الرغم من أنه ربما لن يحتاج إليه».

فقال أراجورن: «سوف يجري النظر في هذا في وقت لاحق. ولكني سوف أعطي الإنتيين كل هذا الوادي ليتصرفوا فيه كيفما يشاءون، ماداموا يراقبون برج أورثانك ويحرصون على ألا يدخله أحد دون إذن مني».

فقال تريبيرد: «إنه مغلق. لقد جعلتُ سارومان يغلقه ويعطيني المفاتيح. إنها مع كويكبيم».

وانحنى كويكبيم مثل شجرة تنحني في الريح وأعطى لأرجورن مفتاحين أسودين كبيرين شكلهما معقد، وتربطهما حلقة من فولاذ. وقال أراجورن: «الآن فإنني أشكرك مرة أخرى، وأقول لك الوداع. أتمنى أن تنمو غابتك مرة أخرى في سلام. عندما يمتلئ هذا الوادي فهناك مساحة لك ويزيد إلى غرب الجبال، حيث مشيتَ أنت في وقت من الأوقات منذ زمن طويل».

وأصبح وجه تريبيرد حزينًا، وقال: «ربما تنمو الغابات. وربما تمتد وتنتشر الأشجار متكاثرة. ولكن ليس الإنتيون. ليست هناك إنتيات».

فقال أراجورن: «ولكن ربما يكون هناك المزيد من الأمل الآن في بحثكم. سوف تكون الأرض مكشوفةً أمامكم باتجاه الشرق؛ والتي كانت مغلقة لزمن طويل».

ولكن تريبيرد هزَّ رأسه وقال: «إنها لمسافة كبيرة بعيدة تلك التي ينبغي قطعها. وهناك بشر كثيرون للغابةِ في هذه الأيام. ولكنني أنسى أخلاقي! هل ستبقون هنا وتستريحون لبعض الوقت؟ وربما يكون هناك البعض الذين سيسعدون بالمرور عبر غابة فانجورن وهكذا يقصرون طريق عودتهم؟». ونظر إلى سيليبورن وجَلَدْرِيل.

ولكن الجميع باستثناء ليجولاس قالوا إنه ينبغي عليهم الآن الاستئذان والرحيل إما جنوبًا أو غربًا، وقال ليجولاس: «هيا يا جيملي. الآن بعد إذن فانجيُرن سوف أزور الأماكن العميقة في غابة الإنتيين غابة إنتوود وأرى تلك الأشجار التي لا توجد في أي مكان آخر في الأرض الوسطى. سوف تأتي معي وتفي بكلمتك؛ وهكذا فإننا سوف نسير في رحلتنا معًا إلى أرضنا في غابة ميركوود وفيما وراء ذلك». ووافقه جيملي على ذلك، على الرغم من أنه لم يكن سعيدًا سعادة كبيرة، كما بدا.

وقال أراجورن: «هنا إذن أخيرًا تأتي نهاية صحبة الخاتم. ولكني أتمنى قبل أن يمضي وقت طويل أن تعود إلى بلادي بالمساعدة التي كنتَ قد وعدتَ بها».

فقال جيملي: «سوف نأتي، إذا سمح لنا بذلك سادتنا. حسنًا، الوداع يا أحبائي الهوبيتيين! ينبغي أن تصلوا سالمين لدياركم الآن، ولن أبقى مستيقظًا دون نوم خوفًا من خطركم. سوف نرسل لكم أخبارًا عندما يكون بإمكاننا ذلك، والبعض منا مع ذلك قد يتقابلون في وقت من الأوقات؛ ولكني أخشى أننا لن نتجمع جميعًا معًا مرة أخرى».

بعد ذلك ودع تريبيرد الجميع كلًا في دوره، وانحنى ثلاث مرات بطيئًا وبعظيم إجلال واحترام لسيليبورن وجَلَدْرِيل، وقال: «لقد مضى زمن طويل جدًا منذ أن تلاقينا إلى جوار جذع أو حجر، أيها الجميلون، آباء الأبناء الجميلين[1]! إنه لمن المحزن أنه

---

(1) A vanimar, vanimalion nostari! الترجمة الصحيحة كما وردت في خطابات تولكين هي «O beautiful ones, parents of beautiful children!» التي أوردتها أعلاه. (المترجم)

ينبغي علينا أن نتقابل فقط على هذا النحو في النهاية؛ لأن العالم يتغير: إنني أحس بذلك في الماء، أحس به في الأرض، وأشمه في الهواء. لا أظن أننا سنتقابل مرة أخرى».

وقال سيليبورن: «لا أدري أيها الأكبر». ولكن جَلَدْرِيل قالت: «ليس في الأرض الوسطى، ولا حتى إلى أن ترفع الأرض التي تقع تحت الموج لأعلى مرة أخرى. عندئذ في مروج الصفصاف في تاساريننان[1] قد نلتقي في الربيع. الوداع!».

وقال ميري وبيبين آخرهم جميعًا إلى اللقاء للإنتي العجوز، وأصبح أكثر دُكنة وهو ينظر إليهما، وقال: «حسنًا، يا أيها المرحون، هل ستشربان جرعة أخرى معي قبل أن تذهبا؟».

قالا: «في الحقيقة سوف نفعل»، أخذهما جانبًا إلى ظل واحدة من الأشجار، وهناك رأيا أنه قد تم وضع وعاء صخري كبير. وملأ تريبيرد ثلاث كئوس، وشربوا، ورأيا عينيه الغريبتين تنظران إليهما من فوق حافة كأسه، وقال: «اعتنيا بنفسيكما، اعتنيا بنفسيكما! لأنكما قد كبرتما بالفعل منذ أن رأيتكما في المرة الأخيرة». وضحكا وشربا كأسيهما، وقال:

«حسنًا، إلى اللقاء! ولا تنسيا أنكما إذا سمعتما أي أخبار عن الزوجات الإنتيات في بلادكما، سوف ترسلان لي الأخبار». عندئذ لوح بيديه العظيمتين لجميع الرفاق وانطلق إلى الأشجار.

وانطلق المسافرون عندئذ سائرين بخيلهم بسرعة أكبر، وأخذوا طريقهم باتجاه فجوة روهان؛ واستأذن أراجورن منهم أخيرًا قريبًا من ذلك المكان نفسه الذي كان بيبين قد نظر فيه إلى حجر أورثانك. كان الهوبيتيون حزانى لهذا الفراق؛ لأن أراجورن لم يخذلهم قط وقد كان مرشدهم عبر الكثير من الأخطار.

وقال بيبين: «أتمنى أن لو كان معنا حجر يمكننا أن نرى جميع أصدقائنا فيه، وأن نتحدث معهم من على مسافة كبيرة!».

وأجابه أراجورن بقوله: «لا يظل الآن سوى واحد يمكنك أن تراه؛ لأنك لن ترغب في أن ترى ما يريه لك حجر ميناس تيريث. ولكن حجر البالانتير حجر أورثانك، سوف يحتفظ به الملك، ليرى ما يجري في مملكته، وما الذي يقوم به خدامه وعبيده. لأنه يجب ألا تنسى يا برجرين التـوكي أنك فارس من فرسان جوندور، وإنني لا أعفيك من خدمتك. إنك تمضي الآن في إجازة، ولكني قد أستدعيك. وتذكروا يا أصدقائي الأعزاء من المقاطعة، أن مملكتي تقع أيضًا في الشمال، وسوف آتي إلى هناك يومًا ما.

(1) Tasarinan وادي الصفصاف. (المترجم)

بعد ذلك استأذن أراجورن من سيليبورن وجَلَدْرِيل؛ وقالت السيدة له: «إلف ستون، عبر الظلمة جئتَ إلى أملك، وقد حققت الآن كل رغبتك. أحسن استخدام الأيام!».

ولكن سيليبورن قال: «يا قريبي، الوداع! لعل قدرك يكون مختلفًا عن قدري، وأدعو أن يظل كنزك معك حتى النهاية!».

وبهذه الكلمات افترقوا، وقد كان الوقت عندها وقت الغروب؛ وعندما استداروا بعد وقت قصير ونظروا للوراء، رأوا ملك الغرب يجلس على حصانه وفرسانه من حوله؛ وكانت الشمس الغاربة تسطع من فوقهم وتجعل سروج خيلهم تتوهج مثل الذهب الأحمر، وتحول معطف أراجورن الأبيض إلى لهب. عندئذ أخذ أراجورن الحجر الأخضر وأمسك به، وعندما جاءت نار خضراء من يده.

وسريعًا راحت الرفقة المتضائلة، وهي تتبع نهر الآيزن، تستدير غربًا وتسير عبر الفجوة إلى الأراضي اليباب فيما وراءه، وعندئذ استداروا شمالاً، ومروا فوق حدود دونالاند. وفر الدونالانديون واختبئوا، وكانوا خائفين من القوم الجنيين، على الرغم من أن الذين حدث وأتوا إلى بلادهم كانوا قليلين حقًا؛ ولكن المسافرين لم يأبهوا بهم؛ لأنهم كانوا لا يزالون صحبة عظيمة وكان لديهم كل ما كانوا بحاجة إليه؛ وظلوا يسيرون في طريقهم على راحتهم وحريتهم، وكانوا ينصبون خيامهم كلما أرادوا.

في اليوم الثالث منذ افتراقهم عن الملك ارتحلوا عبر غابة تهبط من التلال عند سفوح الجبال السديمية التي كانت عندئذ تسير على يمينهم. ولما خرجوا مرة أخرى إلى الأراضي المكشوفة عند الغرب لمحوا رجلًا عجوزًا يتوكأ على عكاز، وكان مرتديًا أثمالًا بالية من ثياب رمادية أو قذرة، وكان يسير في عقبيه شحاذ آخر، يمشي مترهلًا ويئن.

فقال جَنْدَلْف: «حسنًا يا سارومان! إلى أين أنت ذاهب؟».

وأجابه بقوله: «وماذا يعني هذا بالنسبة لك؟ هل ستأمرني إلى أين أذهب، ألستَ راضيًا عما حل بي من دمار؟».

فقال له جَنْدَلْف: «أنت تعرف الأجوبة، لا ولا. ولكن على أية حال فإن وقت أعمالي يقترب من النهاية. لقد اضطلع الملك بالحمل. لو أنك كنت قد انتظرت في أورثانك لكنت قد رأيته، ولكان قد أراك الحكمة والرحمة».

فقال له سارومان: «إذن فهذا سبب أكبر لأنني غادرت على عجل؛ لأنني لا أرغب في أي منهما منه. حقًا إذا كنت تريد الحصول على إجابة عن سؤالك الأول، فإنني أبحث عن طريق للخروج من مملكته».

فقال جَنْدَلْف: «إذن فإنك تسير في الطريق الخطأ للمرة الثانية، ولا أرى أي أمل في رحلتك. ولكن هل ستستخف بمساعدتنا لك لأننا نعرضها عليك؟».

فقال ساروُمان: «علي أنا؟ كلا، أرجوك لا تبتسم في وجهي! إنني أفضل عبوسك. وبالنسبة للسيدة الموجودة هنا، فإنني لا أثق بها: إنها كانت تكرهني دائمًا، وكانت تخطط لصالحك. إنني لا أشك أنها قد أحضرتك إلى هذا الطريق لتستمتع بالشماتة على ما ألم بي من فقر. لو أنني كنتُ قد تلقيتُ تحذيرًا بشأن مطاردتك، لكنتُ قد ضننتُ عليك بهذه المتعة».

فقالت جلَدْريل: «ساروِمان، لدينا مهام أخرى ومشاكل أخرى تبدو بالنسبة لنا أكثر إلحاحًا من مطارَدتك. لتقل بدلًا من ذلك أنك قد حالفك الحظ السعيد؛ لأنك الآن لديك فرصة أخيرة».

فقال ساروِمان: «إذا كانت هي الأخيرة حقًّا، فإنني سعيد بذلك؛ لأن ذلك سوف يوفر علي متاعب رفضها مرة أخرى. لقد تحطمت كل آمالي، ولكني لن أشارككم في آمالكم. إذا كانت لديكم أي آمال».

وتوهجت عيناه للحظة، وقال: «اذهبوا! لن أمضي في دراسة طويلة في تلك الأشياء من أجل لا شيء. لقد حكمتم على أنفسكم، وأنتم تعرفون ذلك. وسوف يوفر ذلك لي بعض الراحة وأنا أتجول لأفكر أنكم قد هدمتم منزلكم عندما دمرتم منزلي. والآن، أي سفينة سوف تحملكم في طريق العودة عبر بحر واسع؟». وراح يسخر منهم ويهزأ بهم. «سوف تكون سفينة رمادية، ومليئة بالعفاريت». وأخذ يضحك، ولكن صوته كان مشروخًا ومخيفًا.

«انهض أيها الأبله!». صاح في الشحاذ الآخر بهذه الكلمات، والذي كان جالسًا على الأرض؛ وضربه بعكازه. «التفت! إذا كان هؤلاء القوم اللطفاء سائرين في طريقنا، فسوف نسلك طريقًا آخر. انهض، وإلا فإنني لن أعطيك أي كسرة خبز لتتناولها في العشاء!».

واستدار الشحاذ وراح يمشي مترهلًا أمامه وهو يئن: «يا لجريما المسكين العجوز! يا لجريما المسكين العجوز! دائمًا يُضرب ويُسب ويُشتم. لكم أكرهه! لكم أتمنى أن أتركه!».

فقال جَنْدَلف: «إذن فلتتركه!».

ولكن وورمتونج نظر نظرة سريعة فقط بعينيه المغرورقتين المليئتين بالرعب إلى جَنْدَلف، وعندئذ تملص سريعًا أمام ساروِمان. وبينما كان الاثنان التعيسان يمران بالصحبة فإنهما مرا بالهوبيتيين، وتوقف ساروِمان وحدق فيهم؛ ولكنهم نظروا إليه في إشفاق.

وقال هو: «وأنتم كذلك جئتم للشماتة أيضًا، أليس كذلك؛ أيها الصغار الأشرار؟ إنكم لا تأبهون بما ينقص الشحاذ ويحتاج إليه، ألستم كذلك؟ لأنه لديكم كل ما تريدونه، الطعام والملابس الجيدة، وأفضل الأعشاب لغليونكم. آه، نعم، إنني أعرف ذلك! أعرف من أين يأتي. إنكم لن تعطوا ملء غليون لشحاذ، أتفعلون ذلك؟».

فقال فرودو: «سوف أفعل، لو كان معي أي كمية».

وقال ميري: «يمكنك أن تأخذ ما تبقى معي، لو أنك انتظرت لحظة». ونزل وراح يبحث في الحقيبة التي كانت في سرجه. عندئذ أعطى ساروِمان جرابًا جلديًا، وقال له: «خذ ما به. يمكن أخذه على الرحب والسعة؛ لقد جاء من حطام آيزنجارد».

وصاح ساروِمان، وهو يقبض على الجراب: «إنه ملكي، ملكي، نعم ولقد اشتريته غاليًا! إنه رد عوض صغير فقط؛ لأنكم قد أخذتم أكثر من ذلك بكثير، سوف أكون مقيدًا وملزمًا. ومع ذلك، ينبغي أن يكون الشحاذ ممتنًا، إذا أعاد له اللص حتى لقمة واحدة مما هو له. حسنًا، سوف يعود عليكم هذا بالنفع عندما تعودون إلى دياركم، إذا وجدتم الأشياء أقل جودة في الربع الجنوبي مما ترغبون فيه. ليت أرضكم يكون بها عجز في الورق لزمن طويل!».

وقال ميري: «شكرًا لك! في تلك الحالة سوف أسترد جرابي الذي هو ليس ملكك ولا يخصك ولقد سار رحلة طويلة معي. لتلف العشب في خرقة مما معك».

وأجابه ساروِمان: «اللص يستحق الآخر»، والتفت للوراء إلى ميري، وركل وورمتونج، وذهب بعيدًا باتجاه الغابة.

فقال بيبين: «حسنًا، يعجبني ذلك! لص حقًّا! ماذا عن الكمين الذي نُصب لنا على الطريق، وجرحنا، وجر الأوركيين لنا واقتيادهم لنا عبر روهان؟».

قال سام: «آه! وقال «اشتريته»! كيف؟ إنني لأتساءل ولا أُحب ما قاله عن الربع الجنوبي. لقد حان الوقت لأن نعود».

فقال فرودو: «إنني متأكد من أنه قد حان. ولكن لا يمكننا أن نسير أسرع من ذلك، إذا كنا نريد أن نرى بيلبو. إنني ذاهب إلى ريفنديل أولًا، مهما يكن ما يحدث».

فقال جَنْدَلف: «نعم، أعتقد أنه من الأفضل أن تفعل ذلك. ولكن واأسفاه على ساروِمان! إنني لا أخشى أي شيء أكثر من ذلك يمكن أن يُصنع به. لقد ذبل وذوى تمامًا. ومع ذلك، فإنني غير متأكد أن تريبيرد على صواب: إنني أتخيل أن بإمكانه أن يأتي صنيعًا شريرًا بطريقة وضيعة».

وفي اليوم التالي ذهبوا إلى دونالاند الشمالية، حيث لم يكن يسكن هناك أي بشر، على الرغم من أنها كانت بلدًا خضراء ولطيفة. وجاء شهر سبتمبر بأيام ذهبية وليال فضية، وراحوا يسيرون في رفق حتى وصلوا إلى نهر سوان فليت[1]، ووجدوا المخاضة القديمة، شرق الشلالات حيث كان ينخفض فجأة ليصل إلى الأخوار[2]؛ لأنه إلى الغرب في الضباب تقع المستنقعات والجزر الصغيرة التي كان يسير متعرجًا خلالها

(1) Swanfleet هي مستنقعات نهر جلاندوين [River Glanduin]، والترجمة الحرفية لها «أسطول التَّم / الإوز العراقي». (المترجم)

(2) أرض منخفضة.

شاقًا طريقه إلىّ نهر جراي فلود: وهناك كانت تقيم أعداد من طيور التم لا حصر لها في أرض من البوص.

وهكذا عبروا إلى إريجيون، وأخيرًا طلع عليهم فجر صباح جميل، يتوهج فوق سديم متلألئ؛ ولما نظر المسافرون من مخيمهم إلى أسفل على تل منخفض رأوا بعيدًا في الشرق الشمس تطلع على ثلاث قمم كانت بارزة عاليًا باتجاه السماء عبر سحب طافية: كارادراس، وسيليبديل، وفانويدهول. كانت قريبة من بوابات موريا.

وهنا ظلوا لمدة سبعة أيام؛ لأن الوقت كان قريبًا لافتراق آخر وقد كانوا كارهين لأن يتم ذلك. قريبًا كان سيليبورن وجَلَدْريل وقومهما سوف يتجهون شرقًا، وهكذا يعبرون إلى بوابة القرن الأحمر وهبوطًا عبر طريق ديمريل ستير[1] إلى نهر سيلفرلود وإلى بلدهم هم. وهكذا كانوا قد ساروا في رحلتهم بعيدًا عبر الطرقات الغربية؛ لأنه كان لديهم الكثير ليتحدثوا عنه مع إلروند ومع جَنْدَلْف، وهناك ظلوا يتحادثون مع أصدقائهم. وغالبًا بعد فترة طويلة بعد أن يكون الهوبيتيون قد راحوا في النوم كانوا يجلسون معًا تحت النجوم، مسترجعين العصور التي مضت وجميع أوقات فرحهم وعملهم وكدهم في العالم، أو كانوا يعقدون مجالس تشاور، فيما يتصل بالأيام القادمة. وإذا حدث وتصادف أن عبر أي متجول، فإنه كان سيرى أو سيسمع القليل، وقد كان سيبدو له فقط أنه رأى شكلين مظلمين، منحوتين في الصخر، نصبين تذكاريين لأشياء منسية ضاعت الآن في أرض غير مأهولة بأي سكان. لأنهما لم يكونا يتحركان أو يتحدثان بفم، كانا ينظران من عقل إلى عقل؛ ولم تكن تتحرك سوى أعينهما اللامعة وتتوهج بينما كانت أفكارهما تروح جيئة وذهابًا.

ولكن أخيرًا قيل كل شيء، وافترقوا مرة أخرى لبعض الوقت، حتى حان الوقت لأن تمر الخواتم الثلاثة بعيدًا. وسريعًا تلاشى إلى الصخور والظلال قوم لورين بمعاطفهم الرمادية حيث ساروا باتجاه الجبال؛ وجلس أولئك الذين كانوا ذاهبين إلى ريفنديل على التل وراحوا يراقبون، حتى جاء من السديم المتراكم وميض؛ وعندئذ لم يروا أي شيء أكثر من ذلك. وعرف فرودو أن جَلَدْريل قد رفعت خاتمها علامة على الوداع.

واستدار سام بعيدًا وتنهد: «أتمنى أنْ لَوْ كنتُ عائدًا إلى لورين!».

وأخيرًا ذات مساء وصلوا فوق المستنقعات العالية، وفجأة كما كان يبدو دائمًا للمسافرين، إلى حافة وادي ريفنديل العميق ورأوا بعيدًا أسفل منهم المصابيح تتوهج في منزل إلروند. وساروا هابطين وعبروا الجسر ووصلوا إلى الأبواب، وكان المنزل كله مليئًا بالضوء والغناء فرحًا بعودة إلروند إلى الديار.

---

(1) Dimrill Stair الطريق الذي يؤدي إلى وادي ديمريل. (المترجم)

أولًا وقبل كل شيء، قبل أن يأكلوا أو يغتسلوا أو حتى يخلعوا معاطفهم، ذهب الهوبيتيون يبحثون عن بيلبو. ووجدوه بمفرده في غرفته الصغيرة. وكانت الأوراق والأقلام الحبر والرصاص مبعثرة في كل مكان بالغرفة؛ ولكن بيلبو كان يجلس في كرسي أمام نار متوهجة. كان يبدو عجوزًا جدًا، إلا أنه كان مطمئنًا هادئًا، ويغالبه النوم.

وفتح عينيه ونظر لأعلى وهم يدخلون، وقال: «مرحبًا، مرحبًا! إذن فقد عدتم؟ وغدًا عيد ميلادي كذلك. يا لمهارتكم وذكائكم! هل تعلمون، سوف يكون عمري مائة وتسعة وعشرين؟ وبسنة أخرى، إذا بقيتُ، سوف أعادل في العمر التوكي العجوز. إنني أحب أن أغلبه؛ ولكن سوف نرى».

بعد الاحتفال بعيد ميلاد بيلبو بقي الهوبيتيون الأربعة في ريفنديل بضعة أيام، وجلسوا كثيرًا مع صديقهم العجوز الذي كان يمضي معظم وقته آنذاك في غرفته، باستثناء أوقات تناول الطعام؛ لأنه بالنسبة لهذه المواعيد كان -ولا يزال- دقيقًا للغاية كقاعدة، ونادرًا ما كان يخفق في الاستيقاظ مبكرًا لتلك الأوقات والمواعيد. وأخبروه، وهم يجلسون حول النار كل بدوره، كل ما استطاعوا أن يتذكروه عن رحلاتهم ومغامراتهم. تظاهر في البداية بأنه يقوم بتدوين بعض الملاحظات؛ ولكنه كان غالبًا ما يروح في النوم؛ وعندما كان يستيقظ، كان يقول: «يا للروعة! يًا للجمال! ولكن أين كنتم؟». وعندئذ كانوا يواصلون الحكاية من النقطة التي بدأ ينعس فيها.

الجزء الوحيد الذي بدا أنه يوقظه حقًا ويسترعي انتباهه فعلًا كان حكاية تتويج أراجورن وزواجه، وقال: «كنتُ مدعوًا في حفل الزواج بالطبع. وقد انتظرته طويلًا. ولكن بحال من الأحوال عندما حان الموعد وجدتُ أنه كان لدي الكثير للغاية مما ينبغي عليه فعله هنا؛ وحزم الأمتعة أمر مضجر للغاية».

عندما كانت قد انقضت مدة أسبوعين، نظر فرودو من نافذته ورأى أنه كان هناك صقيع في الليل، وكانت بيوت العنكبوت مثل شباك أبيض. عندئذ فجأة علم أنه لا بد أن يذهب، وأن يودع بيلبو. كان الطقس لا يزال هادئًا وجميلًا، بعد صيفية من أجمل الصيفيات التي يمكن للناس أن يتذكروها؛ ولكن شهر أكتوبر كانت قد أتى، ولا بد أن الجو سيتحول سريعًا ويبدأ المطر وتبدأ الريح في الهبوب. وكان لا يزال هناك طريق طويل عليهم أن يقطعوه. ولكن لم يكن في حقيقة الأمر التفكير في الطقس هو الذي حركه. كان لديه شعور أنه حان الوقت للرجوع إلى المقاطعة. وكان سام يشاركه هذا الشعور. فقد قال في الليلة السابقة مباشرة:

«حسنًا، يا سيد فرودو، لقد كنا بعيدين ورأينا الكثير، ومع ذلك لا أظن أننا وجدنا

مكانًا أفضل منَّ هذا. هناك شيء ما من كل شيء هنا، إذا كنتَ تفهم ما أقصده: المقاطعة والغابة الذهبية وجوندور ومنازل الملك والحانات والمروج والجبال ممتزجة جميعًا. ومع ذلك، على أية حال، إنني أشعر أنه ينبغي علينا أن نذهب في الحال. إنني قلق بشأن والدي العجوز إذا أردتَ الحقيقة».

وأجابه فرودو بقوله: «نعم، شيء ما من كل شيء، يا سام، ما عدا البحر»، وكررها بعد ذلك لنفسه: «ما عدا البحر».

في ذلك اليوم تحدث فرودو مع إلروند، وقد تم الاتفاق على أن يغادروا في صباح اليوم التالي. ولسرورهم قال جَنْدَلْف: «أعتقد أنني سوف آتي كذلك. على الأقل حتى نصل إلى قرية البريّ[1]. إنني أريد أن أرى بَتَرْبير».

في المساء ذهبوا لوداع بيلبو، حيث قال: «حسنًا، إذا كان ينبغي عليكم الذهاب، فلابد أن تذهبوا. إنني آسف لذلك. إنني سوف أفتقدكم جميعًا. إنه من اللطيف تمامًا أن أعرف أنكم في المكان من حولي. ولكني أشعر بالنعاس الشديد». عندئذ أعطى فرودو معطف الميثريل والسيف ستينج، حيث كان قد نسي أنه فعل ذلك فعلًا؛ وأعطاه كذلك ثلاثة كتب عن المعرفة والتراث الشعبي كان قد ألفها في أوقات مختلفة، كتبها بيده التي تشبه خيوط العنكبوت، وكتب على الغلاف الأحمر الخلفي لكل منها: ترجمات من اللغة الجنية، ترجمة ب. ب.

وأعطى سام كيسًا صغيرًا من ذهب، وقال: «آخر قطرة تقريبًا من نبيذ سموج. لعلها تكون مفيدة لك، إذا أنت فكرت في الزواج، يا سام». واحمر وجه سام خجلًا.

وقال هو لميري وبيبين: «ليس لدي شيء كثير أعطيه لكما أيها الرفاق الصغار، سوى النصيحة الطيبة». وعندما أعطاهم عينة جيدة من هذه، أضاف عنصرًا آخر على طريقة المقاطعة: «لا تدعوا رءوسكم تكبر أكثر من اللازم على قبعاتكم! ولكن إذا لم تنتهوا من النمو سريعًا، فإنكم ستجدون القبعات والملابس قد صارت غالية».

وقال بيبين: «ولكنك إذا كنت تريد أن تغلب التوكي العجوز، فإنني لا أرى سببًا في ألا نحاول ونغلب بُول رور[2]».

وضحك بيلبو، وأخرج من جيبه غليونين جميلين وكانت قطعة الفم في كل منهما من اللؤلؤ وكانا مطليين بفضة جميلة الصنع، وقال: «فلتفكروا فيَّ عندما تدخنون هذين الغليونين! لقد صنعهما الجن لي، ولكني لا أدخن الآن». وعندئذ فجأة هز رأسه وراح في النوم لفترة قصيرة؛ ولما استيقظ مرة أخرى قال: «الآن أين كنا؟ نعم، بالطبع، نقدم الهدايا. الأمر الذي يذكرني: ما الذي حدث لخاتمي، يا فرودو، الذي أخذتَه بعيدًا؟».

---

(1) Bree اسم قديم، معناه مسات، في لغة أكثر قدمًا؛ يظل كما هو دون ترجمة حسب المؤلف. (المترجم)

(2) Bullroarer وهو لقب أطلق على [Bandobras Took] «الباندوبراس التوكي»؛ الكلمة [Bullroarer] مكونة من [Bull] ومعناها ثور، و[roarer] وهذه مشتقة من الفعل [roar] ومعناه يهدر، يزمجر، يزأر. (المترجم)

فقال له فرودو: «لقد ضاع مني يا عزيزي بيلبو. لقد تخلصتُ منه، وأنت تعلم ذلك».

فقال له بيلبو: «يا لسوء الحظ! كنتُ أرغب في أن أراه مرة أخرى. ولكن كلا، كم هذا سخيف مني! هذا هو الذي ذهبتَ من أجله، أليس كذلك: أن تتخلص منه؟ ولكن الأمر كله مربك للغاية، لأنه يبدو أن هناك أشياء كثيرة قد اختلطت معه: شئون أراجورن والمجلس الأبيض وجوندور والخيالة والجنوبيون والفيلة العملاقة هل رأيت واحدًا منها حقًا، يا سام؟ والكهوف والأبراج والأشجار الذهبية، والله وحده يعلم ما كان غير ذلك.

«لقد عدتُ بكل وضوح عبر طريق مستقيم للغاية من رحلتي. أعتقد أن جَنْدَلْف ربما كان سيتجول بي في المكان قليلًا. ولكن كان المزاد سينتهي قبل أن أعود، وكنتُ سأتعرض لمتاعب أكثر مما تعرضتُ لها. على أية حال، فات الأوان الآن؛ وفي الحقيقة فإنني أعتقد أن الجلوس هنا والسماع عن كل ما حدث أمر أكثر راحة بكثير. النار دافئة ومريحة للغاية هنا، والطعام جيد جدًا، وهناك جن عندما تريدهم. ماذا يمكن للواحد أن يطلب أكثر من ذلك؟

الطريق يسير إلى الأبد،
من عند الباب حيثما ابتدا،
والآن بعيدًا الطريق قد مضى،
فليتبعه الذين يستطيعون!
فليبدءوا رحلة جديدة الآن،
ولكني أخيرًا بأقدام متعبة
سوف أستدير باتجاه الحانة المضاءة،
راحتي المسائية وأنام لنتلاقى».

وبينما كان بيلبو يغمغم بالكلمات الأخيرة استرخى رأسه على صدره وراح في نوم عميق.

وازداد المساء توغلًا في الغرفة وراح ضوء المدفأة يصبح أكثر إشراقًا؛ ونظروا إلى بيلبو وهو نائم ورأوا أن وجهه كان باسمًا. وجلسوا في صمت لبعض الوقت؛ وعندئذ قال سام في صوت منخفض وقد نظر حوله في الغرفة والظلال التي تلعب على الجدران:

«لا أعتقد يا سيد فرودو أنه قد كتب الكثير بينما كنا نحن بعيدًا. إنه لن يكتب قصتنا أبدًا الآن».

وعند ذلك فتح بيلبو عينه، كما لو كان قد سمع تقريبًا. عندئذ نهض وقال: «كما ترون فإنني أصبحت كثير النوم. وعندما يكون لدي الوقت للكتابة فإنني لا أحب سوى كتابة الشعر. وإنني لأتساءل يا رفيقي العزيز فرودو إذا لم يكن لديك مانع في أن تنظم الأشياء قليلًا قبل أن تذهبوا. اجمع كل ملاحظاتي وأوراقي، ومذكراتي كذلك، وخذ ذلك كله معك، إذا كنتَ ترغب في ذلك. وكما ترى، فإنني ليس لدي الكثير من الوقت لاختيار وترتيب ذلك كله. اجعل سام يساعدك، وعندما تكون قد انتهيت من ترتيب واستكمال كل شيء، عد إلي، وسوف أمر عليه سريعًا. لن أكون كثير النقد أكثر من اللازم».

وقال فرودو: «بالطبع سوف أفعل ذلك! وبالطبع سوف أعود إليك قريبًا: لن يكون الأمر خطرًا بعد ذلك. هناك ملك حقيقي الآن، وسوف يرتب الطرقات قريبًا».

فقال بيلبو: «شكرًا لك يا رفيقي العزيز. إن هذا مثار ارتياح عظيم للغاية بالنسبة لعقلي». وبهذه الكلمات راح في النوم مرة أخرى.

وفي اليوم التالي استأذن جَنْدَلْف والهوبيتيون من بيلبو في غرفته؛ لأن الجو كان باردًا بالخارج؛ وعندئذ ودعوا إلروند وجميع أهل بيته.

وبينما كان فرودو يقف على العتبة، تمنى له إلروند رحلة طيبة، وباركه، وقال له:

«في اعتقادي يا فرودو أنه ربما لن تحتاج إلى العودة ثانية، إلا إذا جئتَ قريبًا جدًا وسريعًا؛ لأنه في ذلك الوقت من السنة تقريبًا، عندما تكون أوراق الشجر ذهبية قبل أن تسقط، ابحث عن بيلبو في غابات المقاطعة. سوف أكون معه».

ولم يسمع هذه الكلمات أي أحد سواه، واحتفظ بها فرودو لنفسه.

الفصل السابع
في الطريق إلى الديار

أخيرًا وجه الهوبيتيون وجوههم باتجاه الديار. كانوا متلهفين عندئذ لرؤية المقاطعة مرة أخرى؛ ولكنهم راحوا في البداية يسيرون ببطء؛ لأن فرودو كان يشعر بالقلق وعدم الراحة. عندما وصلوا إلى مخاضة بروينين، فإنه توقف، وبدا أنه كاره للسير في النبع؛ ولاحظوا أنه لبعض الوقت بدت عيناه وكأنهما لا تراهم ولا ترى الأشياء من حولهم. كان صامتًا طوال ذلك اليوم كله، وكان ذلك اليوم هو السادس من أكتوبر.

«هل تحس بألم يا فرودو؟». قال ذلك جَنْدَلْف له وهو يسير على حصانه إلى جوار فرودو.

فقال له فرودو: «حسنًا، نعم، إنني أحس بألم. إنه كتفي. الجرح يؤلمني، وذكرى الظلمة تطبق بشدة على صدري. لقد مضت سنة على ذلك اليوم».

فقال جَنْدَلْف: «وا أسفاه! هناك بعض الجروح لا يمكن أن تشفى كلية».

وقال فرودو: «أخشى أن يكون الأمر هكذا بالنسبة لجروحي. ليس هناك أي عودة حقيقية. على الرغم من أنني أعود للمقاطعة، فإنها لن تبدو هي نفسها؛ لأنني لن أكون أنا نفسي. لقد جرحتُ بسكين، ولسعة، وسن، وحمل ثقيل. أين سأجد الراحة؟».

ولم يُجِبْهُ جَنْدَلْف.

ومع نهاية اليوم التالي، كان الألم والقلق قد راحا، وكان فرودو سعيدًا مرحًا مجددًا، سعيدًا مرحًا كما لو لم يكن قد تذكر سواد اليوم السابق. بعد ذلك سارت الرحلة على ما يرام، وراحت الأيام تمضي سريعًا؛ لأنهم كانوا يسيرون بخيلهم على مهل، وكانوا غالبًا ما يتوقفون في الغابات الجميلة حيث أوراق الشجر حمراء وصفراء في شمس الخريف. وأخيرًا وصلوا إلى تل الريح[1]؛ وكان اليوم عندئذ يقترب من المساء وكان ظل التل يرقد مظلمًا على الطريق. وعندئذ رجاهم فرودو بأن يسرعوا، ولم يستطع أن ينظر باتجاه التل، ولكنه سار عبر ظله ورأسه محني ومعطفه مشدود بإحكام حول جسمه. وتغير الطقس في تلك الليلة، وجاءت ريح من الغرب محملة بالمطر، وراحت تهب بصوت عال وباردة، وراحت أوراق الشجر الصفراء تتطاير مثل الطيور في الهواء. وعندما وصلوا إلى غابة تشيتوود بالفعل، كانت الأغصان جرداء تقريبًا، وراحت ستارة عظيمة من مطر تحجب تل البري عن أنظارهم.

(1) Weathertop ومعناها (Hill of the Wind) حسب المؤلف أي تل الريح. (المترجم)

وهكذا كان قد حدث بالقرب من نهاية مساء هائج ورطب في اليوم الأخير من أكتوبر أن سار المسافرون الخمسة صاعدين الطريق الصاعد ووصلوا إلى البوابة الجنوبية لقرية البري. كانت موصدة؛ وكان المطر يهب في وجوههم، وفي السماء المظلمة راحت السحب المنخفضة تنطلق مسرعة، وخارت قلوبهم قليلًا؛ لأنهم كانوا يتوقعون المزيد من الترحاب.

وعندما نادوا مرات عديدة، أخيرًا خرج حارس البوابة، ورأوا أنه كان يحمل هراوة كبيرة. ونظر إليهم في خوف وريبة؛ ولكنه عندما رأى أن جَنْدَلْف كان معهم، وأن رفاقه كانوا هوبيتيين، على الرغم من عدتهم، عندئذ أشرق وجهه ورحب بهم، وقال وهو يفتح البوابة:

«ادخلوا! لن نظل هنا لانتظار الأخبار بالخارج في ذلك الجو البارد والرطب، إنه مساء همجي. ولكن بارلي العجوز سوف يرحب بكم بلا شك في حانة الفرس الوثاب، وهناك سوف تسمعون كل ما هو هنالك مما تودون سماعه».

وضحك جَنْدَلْف: «وهنالك سوف تسمع في وقت لاحق كل ما سنقوله، وأكثر من ذلك. كيف حال هاري؟».

وقطب جبين حارس البوابة وقال: «لقد ذهب. ولكن من الأفضل أن تسأل بارليمان. مساؤكم سعيد!».

«مساؤك سعيد أنت أيضًا!». قال له ذلك ومروا عبر البوابة؛ وعندئذ لاحظوا أنه وراء السياج عند جانب الطريق تم بناء كوخ طويل واطئ، وخرج عدد من الرجال وكانوا يحدقون فيهم من فوق السور. عندما وصلوا إلى منزل بيل فيرني رأوا أن السياج هناك كان ممزقًا وغير منظم، وكانت جميع النوافذ مغطاة بألواح خشبية.

وقال بيبين: «هل تظن أنك قتلته بتلك التفاحة يا سام؟».

فقال سام: «إنني لست مفعمًا بالأمل يا سيد بيبين. ولكني أود أن أعرف ما الذي حل بذلك الفرس المسكين. لقد كان في عقلي مرات كثيرة، والذئاب تعوي وغير ذلك من أخطار».

وأخيرًا وصلوا إلى حانة الفرس الوثاب، وهذه على الأقل كانت تبدو لم تتغير من الخارج؛ وكانت هناك مصابيح وراء الستارة الحمراء في النوافذ الدنيا. ودقوا الجرس، وجاء نوب إلى الباب، وفتحه قليلًا وحدق عبر الفتحة؛ وعندما رآهم يقفون تحت المصباح صاح صيحة اندهاش، وصرخ قائلًا:

«يا سيد بتَرْبير! سيدي! لقد عادوا!».

«أعادوا حقًا؟ سوف أعرفهم». جاء صوت بتَرْبير بهذه الكلمات، وخرج مندفعًا،

وكانت هناك كأس في يده. ولكن عندما رأى من كانوا توقف فجأة، وتغيرت التكشيرة السوداء التي كانت على وجهه إلى دهشة وسرور، وصاح:

«يا نوب، أيها المغفل ذو الرأس المحشو صوفًا! ألا يمكنك أن تذكر الأصدقاء القدامى بأسمائهم؟ يجب ألا تفزعني وتخيفني على هذا النحو، والأوقات التي نعيشها هي على ما هي عليه. حسنًا، حسنًا! ومن أين أتيتم؟ لم أتوقع قط أن أرى أي أحد منكم مرة أخرى، وهذه حقيقة: الخروج إلى البرية مع ذلك الـ «سترايدار»، وكل أولئك البشر السود من حولكم. ولكني سعيد حقًا لرؤيتكم، وليست هناك سعادة أكثر من سعادتي برؤية جَنْدَلْف. ادخلوا! ادخلوا! نفس الغرف مثلما كان من قبل؟ إنها خالية. في الواقع معظم الغرف خالية هذه الأيام؛ لأنني لن أخفي عنكم، لأنكم ستكتشفون ذلك بأنفسكم سريعًا بالشكل الكافي. وسوف أرى ما الذي يمكن فعله بشأن العشاء، بأقصى سرعة ممكنة؛ ولكن عندي عجز في العمالة حاليًا. هيا، يا نوب، أيها البليد! أخبر بوب! آه، ولكني هأنذا أنسى، لقد ذهب بوب؛ يذهب إلى داره إلى أهله مع حلول الليل الآن. حسنًا، خذ أفراس الضيوف إلى مَرابضها، يا نوب! وأنت سوف تأخذ حصانك إلى مَربضه بنفسك يا جَنْدَلْف، لا أشك في ذلك. حيوان جميل، هذا ما قلته عندما وقعت عيناي عليه للمرة الأولى. حسنًا، ادخلوا! لتكونوا على راحتكم وكأنكم في بيتكم!».

لم يغير السيد بتَرْبير، على أية حال، من طريقته في الكلام، وكان لا يزال يبدو أنه يعيش في جلبته القديمة اللاهثة. ومع ذلك لم يكد يكن هناك أحد في المكان، وكان كل شيء هادئًا؛ ومن غرفة الاستراحة جاء صوت غمغمة لعدد لا يزيد عن شخصين أو ثلاثة. ولما رؤي وجهه عن كَثَب أكثر في ضوء الشمعتين اللتين أضاءهما وحملهما أمامهم فإنه كان مغضنًا بعض الشيء ومضنى بالهموم.

وقادهم هبوطًا عبر الممر إلى الردهة التي كانوا قد استخدموها في تلك الليلة الغريبة منذ أكثر من سنة مضت؛ وتبعوه، قلقين بعض الشيء؛ لأنه كان يبدو واضحًا لهم أن بارليمان العجوز كان يتظاهر بالشجاعة في وجه المشاكل. لم تكن الأشياء على ما كانت عليه. ولكنهم لم يقولوا شيئًا، وانتظروا.

وكما توقعوا فإن السيد بتَرْبير جاء إلى الردهة بعد العشاء ليرى إذا ما كان كل شيء على النحو الذي يحبونه ويرغبون فيه. وقد كان ذلك حقًا: فلم يطرأ أي تغيير للأسوأ بعد على البيرة أو المواد الغذائية في حانة الفرس الوثاب، على أية حال، وقال بتَرْبير: «الآن لن أدعي الشجاعة وأقترح عليكم أن تأتوا إلى غرفة الاستراحة الليلة. سوف تكونون متعبين؛ وليس هنالك الكثير من الأشخاص بها هذا المساء، على أية حال. ولكن إذا سمحتم لي بنصف الساعة قبل أن تخلدوا للنوم، فإنني أود بشدة أن أتحدث معكم، فيما بيننا تمامًا».

وقال جَنْدَلْف: «هذا هو ما نرغب فيه تمامًا، كذلك. إننا لسنا متعبين. لقد كنا نسير الهوينى. لقد كنا مبللين ونشعر بالبرد والجوع، ولكنك شفيتنا من ذلك كله. تعال، اجلس! وإذا كان لديك أي عشب غليون، فإننا سنسعد بذلك ونشكرك كثيرًا».

فقال بَتَرْبير: «حسنًا، لو أنكم كنتم قد طلبتم أي شيء آخر، لكنتُ أكثر سعادة. إنما هذا هو شيء به عجز عندنا، إذ كما ترون فإن ما لدينا هو فقط ذلك الذي نزرعه بأنفسنا، وهذا ليس بكاف. ليس هناك أي شيء يمكننا الحصول عليه من المقاطعة هذه الأيام. ولكن سوف أفعلُ ما بوسعي».

وعندما عاد، أحضر معه لهم ما يكفيهم لمدة يوم أو يومين، عصا من ورقة غير مقطوعة، وقال لهم «ساوث لينتش»، وهي أفضل ما لدينا؛ ولكنها لا تضاهي أبدًا أوراق الربع الجنوبي، كما كنتُ أقول دائمًا، على الرغم من أنني أنحاز دائمًا للبري في معظم الأمور، مع احترامي لكم وطلبي لعذركم لي».

ووضعوه في كرسي كبير إلى جوار موقد الخشب، وجلس جَنْدَلْف على الجانب الآخر من الموقد، وجلس الهوبيتيون فيما بينهما على كراسي واطئة؛ وعندئذ راحوا يتحدثون لأضعاف كثيرة من النصف ساعة، وتبادلوا جميع الأخبار التي كان السيد بتربير يرغب في الاستماع إليها وفي أن يعطيها لهم. كانت معظم الأشياء التي كان ينبغي عليهم الإخبار عنها مثار دهشة وذهول تام لمضيفهم، وكانت تفوق خياله كثيرًا للغاية؛ وقد قدموا تعليقات قليلة بخلاف: «لا تقل»، كانت تتكرر غالبًا في تحدٍ لأدلة ما سمعته أذني السيد بَتَرْبير نفسه. «إنك لا تقل، يا سيد باجينز، أم أن اسمك السيد أندرهيل؟ إن الأمر تشابه علي تمامًا. لا تقل، سيدي جَنْدَلْف! حسنًا أبدًا على الإطلاق! من الذي كان يفكر في ذلك في أوقاتنا!».

ولكنه قال الكثير من جانبه. كانت الأشياء أبعد كثيرًا جدًا عن كونها جيدة، حسب قوله. بل إن العمل لم يكن جيدًا، لقد كان سيئًا تمامًا، حيث قال: «ليس هناك من أحد يقترب من البري الآن من الخارج. والناس من الداخل، يبقون كثيرًا في منازلهم معظم الأوقات ويوصدون أبوابهم. كل ذلك كان بسبب القادمين الجدد والمتشردين الذين بدءوا يأتون صاعدين الطريق الأخضر السنة الماضية، حسبما قد تتذكرون؛ ولكن جاء المزيد فيما بعد. كان البعض مجرد أجساد مسكينة تجري بعيدًا من المشاكل؛ ولكن معظمهم كانوا رجالًا أشرارًا، مليئين بالميل للسرقة واللصوصية والأذى. وكانت هناك مشاكل وقلق في البري هنا، مشاكل وقلق كبير. ولم لا؟ لقد كانت هناك معركة حقيقية، وقد قُتل البعض، قتلوا وماتوا! إذا كنتم سوف تصدقونني».

فقال جَنْدَلْف: «سوف أصدقك حقًا. كم عددهم؟».

«ثلاثة واثنان»، قال ذلك بَتَرْبير، وهو يشير إلى القوم الكبار والصغار. «كان

هناك مات هيثرتوز المسكين، وراولي أبل دور، وتوم بيكثوم الصغير من فوق التل؛ وويلي بانكس من هناك من بعيد، وواحد من آل أندرهيل من ستادل: جميعهم أشخاص طيبون، ونفتقدهم كلهم. وهاري جوت ليف الذي اعتاد أن يكون على البوابة الغربية، وذلك المدعو بيل فيرني، جاءوا في جانب الغرباء، ومشوا معهم؛ وإنني أعتقد أنهم سمحوا لهم بالدخول. في عشية المعركة، هذا ما أقصده. وكان ذلك بعد أن أريناهم البوابات ودحرنا نحو الخارج: كان ذلك قبل السنة؛ وكانت المعركة مبكرًا في السنة الجديدة، بعد الثلج الثقيل الذي تعرضنا له.

«والآن فقد ذهبوا وصاروا لصوصًا وأصبحوا يعيشون بالخارج، يختبئون في الغابات فيما وراء قرية الأرشيت، ونحو الخارج في الغابات البرية بعيدًا في الشمال. إن الأمر يشبه، قليلًا، حكايات الأوقات الماضية السيئة، حسب قولي. ليست الدنيا آمنة على الطريق وليس من أحد يسير بعيدًا، ويغلق الناس أبواب دورهم مبكرًا. ينبغي علينا أن نضع الحراس في كل مكان حول السور ونضع الكثير من الرجال على البوابات في الليل».

وقال بيبين: «حسنًا لم يقلقنا أحد، وقد جئنا عبر الطريق ببطء، ولم نضع أي حراسة. كنا نرى أننا تركنا كل المتاعب والمشاكل وراءنا».

وقال بَتَرْبير: «آه، هذا لم تتركوه، يا سيدي، بكل أسف وأسى. ولكن ليس من عجب أنهم تركوكم وشأنكم. إنهم لم يكونوا ليتعرضوا لأشخاص مسلحين، معهم سيوف وخوذات ودروع وغير ذلك. هذا الأمر يجعلهم يفكرون مرتين. وينبغي أن أقول إن أمرًا قد فاجأني وأرعبني قليلًا عندما رأيتكم».

عندئذ أدرك الهوبيتيون فجأة أن الناس كانوا ينظرون إليهم في ذهول؛ ليس عجبًا ودهشة من عودتهم بل دهشة وعجبًا من عدتهم التي كانوا يحملونها. هم أنفسهم صاروا معتادين على عتاد الحرب وعلى ركوب الخيل في مجموعات جيدة الترتيب لدرجة أنهم نسوا تمامًا أن الدرع البراق الذي يشع من تحت معاطفهم، وأن خوذات جوندور والمارك، وأن المعدات الجميلة التي يحملونها على دروعهم، سوف تبدو غريبة في بلدهم هم أنفسهم. وكان جَنْدَلْف، كذلك، عندئذ يركب حصانه الرمادي الطويل، وكان مرتديًا ثيابًا كلها بيضاء مع معطف عظيم أزرق وفضي فوق ذلك كله، وكان السيف الطويل جلامدرينج معلقًا في جانبه.

وضحك جَنْدَلْف وقال: «حسنًا، حسنًا، إذا كانوا خائفين من خمسة منا فقط، عندئذ فإننا قد قابلنا أعداء أسوأ في أسفارنا. ولكن على أية حال فإنهم سيمنحونكم السلام والطمأنينة في الليل ما دمنا نحن هنا».

وقال بَتَرْبير: «وكم من الوقت سوف يستمر ذلك؟ إنني لن أنكر أننا سنكون سعداء

لأن تكونوا مَعنا بعض الوقت. كما ترون، إننا لسنا معتادين على تلك المتاعب؛ وقد ذهب الجوالة الحراس جميعًا بعيدًا، هكذا يخبرني الناس. لا أظن أننا فهمنا فهمًا صحيحًا حتى الآن ما فعلوه لنا؛ لأنه كان هناك أسوأ من اللصوص من حولنا. كانت الذئاب تعوي حول الأسوار الشتاء الماضي. وكانت هناك أشكال مظلمة في الغابة، أشياء مرعبة كان مجرد التفكير فيها يصيب ببالغ الرعب والخوف. كان الأمر مقلقًا للغاية، إذا كنت تفهم قصدي».

وقال جَنْدَلْف: «إنني أتوقع أن الأمر كان كذلك. لقد كانت كل الأراضي والبلدان في قلق واضطراب تقريبًا هذه الأيـام، قلق واضطراب شديدين. ولكن ابتهج يا بارليمان! لقد كنتَ على حافة متاعب جسام للغاية، وإنني سعيد كل السعادة أن أسمع أنك لم تكن متورطًا في ذلك كثيرًا. ولكن أوقات أفضل قادمة. لقد عدنا بها. وهناك ملك مرة أخرى، يا بارليمان. سوف يدير عقله في هذا الاتجاه قريبًا».

«إذن سوف يُفتح الطريق الأخضر مرة أخرى، وسوف يأتي رسله شمالاً، وسوف يكون هناك أشخاص يأتون ويذهبون، وسوف تُطرد الأشياء الشريرة من الأراضي اليباب. في حقيقة الأمر لن يكون الصياع في الوقت ضياعًا بعد ذلك، وسوف يكون هناك أشخاص وحقول في أماكن كانت من قبل صحراء قاحلة».

وهز السيد بَتَرْبير رأسه، وقال: «إذا كان هناك القليل من أشخاص محترمين مهذبين على الطرق، فإن ذلك لن يضير. ولكننا لا نريد المزيد من الغوغاء والمتشردين. ولا نريد أي دخلاء في البري، ولا بالقرب من البري على الإطلاق. إننا نريد أن نُترك وشأننا. لا أريد حشدًا كبيرًا من الغرباء معسكرين هنا ومستقرين هناك وهم يمزقون هذا البلد الريفي».

فقال جَنْدَلْف: «سوف تُتركون وحدكم، يا بارليمان. هناك مساحة وفضاء كافيان لممالك بين الآيزن ونهر الطوفان الرمادي[1]، أو عبر أراضي المقاطعة إلى جنوب براندي واين، بدون أن يكون هناك أي شخص يعيش على مسيرة عدة أيام من البري. وقد اعتاد الكثيرون السكن بعيدًا في الشمال، على بعد مسافة مائة ميل أو أكثر من هنا، عند النهاية البعيدة من الطريق الأخضر: على المرتفعات الشمالية أو إلى جوار بحيرة إيفينديم[2]».

وقال بَتَرْبير، وهو يبدو أكثر شكًا: «عاليًا على البعد إلى جوار خندق الموتى؟ إنها أرض مسكونة، هكذا يقولون. لن يذهب إلى هناك أي أحد إلا أن يكون لصًا».

(1) نهر الطوفان الرمادي Greyflood. (المترجم).

(2) Evendim اسم بحيرة في الأرض الوسطى. (المترجم).

وقال جَنْدَلْف: «الجوالة الحراس يذهبون إلى هناك. تقول خندق الموتى. هكذا كان يطلق عليه لسنوات طويلة؛ ولكن اسمه الصحيح يا بارليمان هو فورنوست إراين[1]، ضاحية نوربيري الملوك. وسوف يأتي الملوك إلى هناك مرة أخرى في يوم من الأيام؛ وعندئذ سترى شخوصًا جميلين يسيرون عبر البري».

فقال بَتَرْبير: «حسنًا، هذا يبدو أكثر إيحاء بالأمل، إنني أسلم بذلك. وسوف يكون جيدًا بالنسبة للعمل، بلا شك، مادام سيترك البري وشأنها».

فقال جَنْدَلْف: «سوف يفعل ذلك. إنه يعرفها وهو يحبها».

فقال بَتَرْبير وقد بدت عليه الحيرة: «هل يعرفها الآن؟ على الرغم من أنني متأكد أنني لا أعلم لماذا ينبغي عليه ذلك، وهو يجلس في عرشه الكبير عاليًا في قلعته العظيمة، على بعد مئات الأميال. ويشرب من كأس ذهبي، إنني لن أعجب. ما هي الفرس الوثّاب بالنسبة له، أو كأس العصير؟ لا ولكن مدى جودة العصير يا جَنْدَلْف. لقد كانت جيدة بشكل غير معتاد، منذ أن جئت أنت في خريف العام الماضي ووضعت كلمة طيبة عليها. وكان هذا مثار راحة وتعزية في المتاعب والمشاكل، إذا جاز لي القول».

وقال سام: «آه! ولكنه يقول إن عصيرك جيدة دائمًا».

«أيقول ذلك؟».

«بالطبع إنه يقول. إنه سترايدار. رئيس الجوالة الحراس. ألم تستوعب ذلك بعد؟».

وأخيرًا تم استيعاب الأمر، وأصبح وجه بَتَرْبير دراسة في العجب والدهشة. وأصبحت العينان اللتان كانتا في وجهه العريض مستديرتين، وفُغر فاه، ولهث، وقال عندما استعاد نفسه: «سترايدار! هو بتاج وكل شيء وكأس ذهبية! حسنًا، ما الذي سنصل إليه ونحن بصدده؟».

فقال جَنْدَلْف: «أوقات أفضل بالنسبة للبري بكل حال من الأحوال».

فقال بَتَرْبير: «أتمنى ذلك، بكل تأكيد. حسنًا، كان هذا ألطف حديث تحدثت به على مدار فترة طويلة. ولن أنكر أنني سأنام نومًا أكثر يسرًا الليلة وبقلب أكثر خفة وفرحًا. لقد أعطيتموني قدرًا قويًا لأفكر فيه، ولكني سوف أؤجل ذلك حتى الغد. إنني أشعر بالنوم، وليس لديّ شك في أنكم ستكونون مسرورين بأسرتكم كذلك. أنت، يا نوب!».

وراح ينادي عليه، وهو يذهب نحو الباب. «نوب، أنت أيها الكسول البليد!».

وقال لنفسه، وهو يضرب جبهته: «نوب! إذن ما الذي يذكرني ذلك به؟».

وقال ميري: «ليس خطابًا آخر تكون قد نسيته، فيما آمل، يا سيد بَتَرْبير؟».

«الآن، الآن، يا سيد براندِيبَك، لا تذكرني بذلك! ولكن هناك، لقد قطعت حبل

(1) Fornost Erain أي القلعة الشمالية. (المترجم).

أفكاري. والآن أينَ كنتُ؟ نُوب، مرابض الخيل، آه! كان ذلك ما كنتُ بصدده. لديَّ شيء يخصك. إذا كنت تتذكر بيل فيرني وسرقة الخيل؛ فرسه حسبما اشتريتَه أنت، حسنًا، إنه هنا. لقد عاد الطريق بطوله بنفسه، لقد فعلها وعاد. ولكن أين كان، فإن ذلك تعرفه أنت أكثر مني. لقد كان أشعث مثل كلب عجوز ونحيلًا مثل حرف ثوب ولكنه كان حيًا. كان نوب يعتني به».

وصاح سام: «ماذا! عزيزي بيل؟ حسنًا، لقد ولدتُ محظوظًا، مهما يكون ما قد يقله والدي العجوز. هناك أمنية أخرى تحققت! أين هو؟ لن يذهب سام إلى فراشه حتى يزور بيل في مربضه.

وظل المسافرون في البريْ طوال اليوم التالي، ولم يَشْكُ السيد بَتَرْبير من عمله في مساء اليوم التالي على كل حال. وتغلب الفضول على كل المخاوف، وازدحم منزله بالناس وعج بهم. ولفترة قصيرة من الوقت بدافع من الأدب زار الهوبيتيون غرفة الاستراحة في المساء وأجابوا عن عدد كبير من الأسئلة. ولما كانت ذاكرة البري قادرة على الحفظ بشدة فإن فرودو سُئل مرات كثيرة إذا كان قد كتب كتابه.

وأجابهم بقوله: «ليس بعد. إنني عائد إلى دياري الآن لأسجل ملاحظاتي ومدوناتي بالترتيب». لقد وعد أن يتعامل مع الأحداث المذهلة في البري، وهكذا يعطي قدرًا من الاهتمام لكتاب كان يبدو من المحتمل أن يعالج في الأعم الأغلب الشئون البعيدة والأقل أهمية «بعيدًا في الجنوب».

عندئذ طلب أحد الشباب الصغار السماع لأغنية. ولكن ساد صمت عند ذلك وطُلِبَ السكوت، وعبس الجميع في وجهه، ولم يتكرر الطلب. وفيما يبدو أنه لم تكن هناك أي رغبة في أي أحداث غريبة خارقة للطبيعة في غرفة الاستراحة مرة أخرى.

لم يكن هناك أي قلق في النهار، ولا أي صوت في الليل، يقلق سلام وطمأنينة البري طوال فترة بقاء المسافرين هناك؛ ولكن في صباح اليوم التالي استيقظوا مبكرين، فمادام الطقس لا يزال ممطرًا؛ فإنهم يرغبون في الوصول إلى المقاطعة قبل الليل، وقد كانت تلك مسيرة طويلة بخيلهم. كان كل سكان البري في الخارج لتوديعهم، وكانوا في حالة مزاجية أكثر سعادة مما كانوا عليه طوال عام مضى؛ وأولئك الذين لم يروا الغرباء في كامل عتادهم وعدتهم من قبل فغروا أفواههم في ذهول ودهشة منهم: من جَنْدَلْف ولحيته البيضاء، والضوء الذي كان يبدو يتوهج ويشع منه، كما لو أن معطفه الأزرق لم يكن سوى سحابة فوق سطوع الشمس؛ ومن الهوبيتيين الأربعة الذين كانوا مثل خيالة في مهمة جاءوا من حكايات منسية تقريبًا. حتى أولئك الذين كانوا قد سخروا من كل الحديث عن الملك بدءوا يفكرون أنه قد تكون هناك بعض الحقيقة فيه.

وقال بَتَرْبير: «حسنًا، حظ سعيد لكم على الطريق، وحظ سعيد لكم في طريق عودتكم إلى دوركم! كان ينبغي عليَّ أن أحذركم من قبل أنه ليس كل شيء على ما يرام في المقاطعة كذلك، إذا كان ما نسمعه صحيحًا. هناك أشياء غريبة تُرى هناك، حسب قولهم. ولكن شيئًا يطرد الآخر ويدفعه، وقد كنتُ أنا مليئًا بمتاعبي ومشاكلي. ولكني إذا جاز لي أن أكون جريئًا للغاية، فإنكم عدتم وقد تغيرتم من أسفاركم، وإنكم لتبدون الآن كأشخاص يمكنهم التعامل مع مشاكل خارج نطاق السيطرة. إنني لا أشك أنكم ستقومون وتصوبون كل شيء. حظ سعيد لكم جميعًا! وكلما زادت مرات عودتكم وزيارتكم لنا، كلما زاد ذلك من سعادتي وسروري».

وودعوه جميعًا وساروا بأفراسهم بعيدًا، ومروا عبر البوابة الغربية وواصلوا سيرهم باتجاه المقاطعة. وكان بيل الفرس معهم، وكما هي الحال من قبل كان عليه قدر كبير من المتاع، ولكنه راح يسير في خبب إلى جوار سام وكان يبدو راضيًا ومسرورًا تمامًا.

وقال فرودو: «إنني لأعجب وأتساءل عما كان بارليمان العجوز يلمح إليه».

وقال سام في كآبة: «يمكنني أن أخمن بعضًا من ذلك. ما رأيته في المرآة: أشجار قطعت وغير ذلك، وخرج والدي العجوز من الرو[1]. كان ينبغي علي أن أعود قبل ذلك وأسرع».

وقال ميري: «وهناك شيء ليس على ما يرام في الربع الجنوبي فيما يبدو. هناك نقص عام في عشب الغليون».

وقال بيبين: «أيًا ما يكون ذلك. فإن لوثو سوف يكون هو السبب الرئيسي لذلك كله. لقد نسيتم سارومان. لقد بدأ يهتم بالمقاطعة قبل أن تبدأ موردور اهتمامها بها».

وقال ميري: «حسنًا، لقد جعلت تنخرط معنا، ولذلك فإن الأشياء سوف تنجلي قريبًا وسريعًا».

فقال جَنْدَلْف: «إنني معكم في الوقت الحاضر، ولكن قريبًا لن أكون معكم. إنني لست ذاهبًا إلى المقاطعة. ينبغي عليكم أن تسووا أموركم بأنفسكم؛ هذا ما تم تدريبكم من أجله. ألم تفهموا بعد؟ لقد انتهى وقتي وزماني: لم تعد بعد مهمتي أن أصحح الأشياء وأقومها، ولا أن أساعد الأشخاص في أن يفعلوا ذلك. وبالنسبة لكم أنتم يا أصدقائي الأعزاء، فلن تحتاجوا إلى أي مساعدة. لقد كبرتم الآن. كبرتم حقًا وصرتم طوالًا جدًا؛ إنكم بين العظماء، ولم يعد يساورني أي خوف على الإطلاق على أي واحد منكم.

---

(1) Bagshot Row الاسم الذي أطلق على صف «الجحور أو الفجوات أو الحفر» الصغيرة أسفل باج إيند.. وقد سمي بهذا الاسم نسبة للانفجار الذي حدث لتراب الحفر الذي خرج أثناء حفر باج إيند، وقد تكون نتيجة هذا الانفجار الحدائق والجدران الطينية للمساكن الأكثر تواضعًا. (المترجم)

«ولكن إذا كنتم ستعرفون ، فإنني سوف أحيد عن الطريق سريعًا. سوف أتبادل حديثًا طويلًا مع بومباديل: حديث لم يحدث قط أن تبادلت مثله طوال حياتي. إنه جامع طحالب، وقد كنتُ أنا صخرًا كُتب عليه أن يتدحرج ويدور. ولكن أيام تدحرجي ودوراني تصل إلى نهايتها، والآن سوف يكون لدينا الكثير ليقوله كل منا للآخر».

وبعد فترة قصيرة من الوقت، وصلوا إلى نقطة في الطريق الشرقي التي كانوا قد ودعوا بومباديل وتركوه عندها؛ وقد كانوا يأملون ويتوقعون تقريبًا أن يروه واقفًا هناك ليحييهم وهم يمرون. ولكن لم تكن هناك أي علامة عليه؛ وكان هناك سديم رمادي على مرتفعات البار باتجاه الجنوب، وستار عميق على الغابة العجوز هناك بعيدًا بعيدًا.

وتوقفوا ونظر فرودو باتجاه الجنوب في حزن، وقال: «إنني أحب بشدة أن أرى الصديق العجوز مرة أخرى. إنني لأتساءل عما صار إليه وكيف تصير أموره الآن؟».

فقال جَندلف: «على ما يرام مثلما هي الحال أبدًا، يمكنك أن تكون واثقًا ومتأكدًا من ذلك. غير قلق تمامًا؛ وإنني أخمن، أنه غير مهتم بأي شيء فعلناه أو رأيناه، اللهم إلا ربما بزيارتنا للإنتيين. ربما يكون هناك وقت في فترة لاحقة لك أن تذهب وتراه. ولكني لو كنتُ مكانك، فإنني سوف أعجل الآن بالعودة إلى الديار، وإلا فلن تصل إلى جسر براندي واين قبل أن تغلق البوابات».

وقال ميري: «ولكن ليست هناك أي بوابات، ليست على الطريق؛ إنك تعرف ذلك جيدًا تمامًا. هناك بوابة باكلاند بالطبع؛ ولكنهم سوف يجعلونني أمر خلالها في أي وقت من الأوقات».

وقال جَنْدَلف: «لم تكن هناك أي بوابات، هذا ما تقصده. أعتقد أنك ستجد بعضها الآن. وربما تلاقي مشاكل حتى عند بوابة باكلاند أكثر مما تفكر. ولكن سوف تتغلبون على ذلك وتحسنون التصرف. الوداع، يا أصدقائي الأعزاء! ليس للمرة الأخيرة، ليس بعد. إلى اللقاء!».

وأدار شادوفاكس بعيدًا عن الطريق، وقفز الحصان العظيم الخندق الأخضر الذي كان يجري هنا إلى جواره؛ وعندئذ وبصيحة من جَنْدَلف انطلق مسرعًا بأقصى سرعة باتجاه تلال البارو مثل ريح تنطلق من الشمال.

وقال ميري: «حسنًا، ها نحن أولاء، أربعتنا فقط الذين بدءوا الرحلة معًا. لقد خلفنا كل الباقين وراءنا، واحدًا تلو الآخر. إنه يبدو تقريبًا كحلم تلاشى بطيئًا».

فقال فرودو: «ليس بالنسبة لي. بالنسبة لي فإنه يبدو كالخلود للنوم مرة أخرى».

الفصل الثامن
تنظيـف بالمقاطعـة

كان الوقت بعد حلول الليل عندما وصل المسافرون، متعبين ومبتلين، إلى براندي واين، ووجدوا الطريق مسدودًا. وعند كلتا نهايتي الجسر، كانت هناك بوابة هائلة شائكة؛ وعلى الجانب البعيد من النهر كانوا يرون أن بعض المنازل الجديدة قد تم بناؤها، مكونة من طابقين ولها نوافذ ضيقة مستقيمة الجوانب، مكشوفة ومضاءة ضوءًا معتمًا، وكانت كئيبة تمامًا ولم تكن شبيهة بالمقاطعة.

وراحوا يدقون على البوابة الخارجية وينادون، ولكن لم تكن هناك إجابة في البداية؛ وعندئذ لدهشتهم أطلق شخص بوقًا، وانطفأت المصابيح التي كانت في النوافذ. وصاح صوت في الظلمة:

«من هناك؟ اغرب من هنا! لا يمكنك الدخول. ألا تقرأ اللافتة: غير مسموح بالدخول بين غروب الشمس وشروقها؟».

وصاح سام ردًا عليه: «بالطبع لا يمكننا أن نقرأ اللافتة في الظلمة. وإذا كان هوبيتو المقاطعة يتركون هكذا مبتلين في ليلة كهذه، فإنني سوف أمزق هذه اللافتة عندما أجدها».

ومع هذه الكلمات فتحت نافذة بشدة، وتدافع حشد من الهوبيتيين حاملين مصابيح خارجين من المنزل الذي كان في اليسار. وفتحوا البوابة الأخرى، وجاء بعضهم فوق الجسر. وعندما رأوا المسافرين بدا عليهم الرعب والخوف.

وقال ميري وقد تعرف على واحد من الهوبيتيين: «تعال إلى هنا! إذا كنت لا تعرفني، يا هوب هايوورد، ينبغي أن تعرفني. أنا ميري براندِيبَك، وأود أن أعرف معنى ذلك كله، وما الذي يفعله شخص من باكلاند مثلك هنا. لقد اعتدتَ أن تكون على بوابة السور الكبير[1]».

فقال هوب العجوز: «يا إلهي! إنه السيد ميري، على وجه التأكيد، وكل الثياب التي يرتديها ثياب قتال! عجبًا، لقد قالوا إنك مت! تهت في الغابة العجوز حسب كل الروايات. إنني سعيد لرؤيتك حيًا على أية حال!».

وقال ميري: «إذن كفّ عن تحديقك في ذهول واندهاش عبر القضبان، وافتح البوابة!».

«آسف يا سيدي ميري، ولكن لدينا أوامر».

(1) Hay Gate البوابة الشمالية للسور العالي (المترجم)

«أوامر مَن؟».

«الزعيم في باج إيند».

وقال فرودو: «الزعيم؟ الزعيم؟ هل تعني السيد لوثو؟».

«أظن ذلك يا سيد باجينز؛ ولكن ينبغي علينا أن نقول فقط «الزعيم» هذه الأيام».

وقال فرودو: «أهكذا تفعلون حقًا! حسنًا، إنني سعيد أنه قد أسقط الباجينزيين على أية حال. ولكن يبدو أنه حان الوقت لأن تتعامل الأسرة معه وتضعه في مكانه».

وحل صمت بالهوبيتيين الذين كانوا وراء البوابة. وقال أحدهم: «لن يفيد أية إفادة الحديث بهذه الطريقة. سوف يسمع بذلك. وإذا أنتم أحدثتم الكثير من الضوضاء، فإنكم سوف توقظون الرجل الكبير للزعيم».

وقال ميري: «سوف نوقظه بطريقة سوف تدهشه. إذا كنت تعني أن زعيمك كان يستعمل قُطّاع طرق من البرية، إذن فإننا لم نعد سريعًا كما ينبغي». وقفز من فرسه، ولما رأى اللافتة في ضوء المصباح، مزقها ورماها من على البوابة. وتراجع الهوبيتيون ولم يتحركوا لفتحها. وقال ميري: «هيا يا بيبين. اثنان يكفيان».

وتسلق ميري وبيبين البوابة، وفر الهوبيتيون. وانطلق بوق آخر. ومن المنزل الأكبر في اليمين ظهر شكل كبير ثقيل على ضوء مصباح في فتحة الباب.

وقال في سخرية وازدراء وهو يتقدم: «ما هذا كله؟ هجوم على البوابة؟! انصرفوا وإلا كسرت رقابكم الصغيرة القذرة!». وعندئذ توقف؛ لأنه كان قد لمح وهج السيوف.

وقال ميري: «بيل فيرني. إذا لم تفتح هذه البوابة في عشر ثوان. فسوف تندم على ذلك. سوف أغمد هذا السيف فيك، إذا لم تطع ما أقول. وعندما تفتح البوابات سوف تمر منها ولن تعود. إنك متشرد وقاطع طريق».

وجفل فيل فيرني وجرجر قدميه باتجاه البوابة وفتحها. وقال ميري: «أعطني المفتاح!». ولكن المتشرد قذف به على رأسه وانطلق بعد ذلك مندفعًا باتجاه الظلمة. وبينما كان يمر بالأفراس، فإن واحدًا منها رفع حافريه الخلفيين عاليًا ورفسه وهو يجري. وانطلق مختفيًا في الليل وهو يصرخ، ولم يُسمع أي شيء عنه بعد ذلك مرة أخرى.

وقال سام: «عمل محكم وبارع يا بيل»، وهو يقصد بذلك الفرس.

وقال ميري: «كثير جدًا بالنسبة لرجلك الكبير. سوف نرى الزعيم في وقت لاحق. وفي نفس الوقت، نريد سكنًا نأوي إليه هذه الليلة، وحيث إنه يبدو أنكم قد هدمتم حانة الجسر وبنيتم هذا المكان القميء بدلًا منها، فإنه ينبغي عليكم توفير مأوى لنا».

وقال هوب: «إنني آسف يا ميري، ولكن ذلك غير مسموح به».

«ما هو غير المسموح به؟».

فقال هوب: «مثل إيواء أشخاص دون استعداد، وأكل كميات أكثر من الطعام، وجميع تلك الأشياء».

وقال ميري: «ما الذي حل بهذا المكان؟ أكانت سنة سيئة، أم ماذا؟. لقد ظننتُ أن الصيف كان جميلًا والمحصول كان جميلًا».

فقال هوب: «حسنًا، كلا، لقد كانت السنة جميلة إلى حدٍّ كافٍ، وقد زرعنا كمية كبيرة من الطعام، ولكننا لا نعرف على وجه الصواب ما الذي حل به، والأمر كله يعود كما أعتقد إلى كل أولئك «الجامعين» و«المشاركين»، الذين يتجولون في المكان كله ويحصون ويقيسون ويأخذون إلى المخازن. إنهم يقومون بالجمع أكثر من المشاركة، ولا نرى أبدًا معظم هذه الأشياء مرة أخرى».

وقال بيبين وهو يتثاءب: «يا، هيا! هذا كله مرهق فوق طاقتي هذه الليلة. لدينا طعام في حقائبنا. فقط أعطنا غرفة ننام فيها. سوف تكون أفضل من أماكن كثيرة رأيناها».

كان يبدو أن الهوبيتيين الذين على البوابة لا يزالون قلقين منزعجين، ومن الواضح أنه كانت هناك قاعدة أو أخرى تكسر؛ ولكن لم يُستنكر أولئك المسافرون الأربعة المستبدون البارعون المسلحون تمامًا، وكان اثنان منهما كبيرين على نحو غير عادي ويبدوان قويين على نحو غير عادي. وأمر فرودو بإغلاق البوابات مرة أخرى. كان هناك معنى ما على أية حال في وضع حراسة، بينما كان قطاع الطرق لايزالون يعْيثون في المكان. وبعد ذلك ذهب الرفاق الأربعة إلى منزل الحراس الهوبيتيين وأخذوا راحتهم قدر استطاعتهم. كان المكان أجرد قبيحًا، وبه شبكة صغيرة رضيعة لم تكن لتسمح بأي نار مستعرة. وفي الغرفات العلوية كانت هناك صفوف صغيرة من الأسرة الخشنة، وكانت هناك لافتة على كل جدار وقائمة بالقواعد. وقد مزقها بيبين ورماها. لم تكن هناك أي بيرة وكان هناك القليل جدًا من الطعام، ولكن من كل ما أحضره المسافرون ووزعوه تشكلت وجبة جيدة؛ وكسر بيبين القاعدة رقم 4 وذلك بوضع معظم حصة اليوم التالي من الخشب في النار، وقال:

«حسنًا الآن، ماذا عن تدخين سيجار، بينما تخبروننا بما كان يحدث في المقاطعة؟».

وقال هوب: «ليس هناك أي عشب غليون الآن، على الأقل لرجال الزعيم فقط. يبدو أن كل المخزونات قد اختفت. إننا نسمع أن أحمال عربات منه ذهبت بعيدًا عبر الطريق القديم من الربع الجنوبي، على طريق مخاضة سارن فورد. هذه هي نهاية السنة الماضية، بعد أن غادرتم المقاطعة. ولكن الأحمال كانت تُنقل بعيدًا في هدوء قبل ذلك، بطريق صغير. ذلك المدعو لوثو ـــــ».

وصاح عدد من الآخرين: «والآن اخرس أنت يا هوب هاي وورد! أنت تعلم أن

ذلك النحو من الحديث غير مسموح به. سوف يسمع الزعيم به، وسوف نصبح كلنا في ورطة».

وألحف هوب قائلًا في حدة: «إنه لن يسمع أي شيء، إذا لم يكن البعض هنا متسللين واشين».

وقال سام: «حسنًا، حسنًا! هذا كاف تمامًا. لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك. ليس هناك ترحاب، ولا بيرة، ولا سيجار، وبدلًا من ذلك كثير من القواعد وحديث الأوركيين. كنتُ أتمنى أن أنال قسطًا من الراحة، ولكني أرى أن هناك عملًا ومتاعب في انتظارنا. نَمْ وننس ونسى ذلك كله حتى الصباح!».

يبدو أن لـ «الزعيم» الجديد طرقه في الحصول على الأخبار. لقد كانت المسافة من الجسر إلى باج إيند أربعين ميلًا كاملة، ولكن أحدهم قطع الرحلة على عجل. ولذلك سريعًا ما اكتُشف فرودو وأصدقاؤه.

إنهم لم يضعوا أي خطط محددة، ولكنهم فكروا على نحو غامض في الذهاب إلى كريك هولو[1] معًا أولًا، والاستراحة هناك قليلًا. ولكن الآن، لما رأوا ما كانت عليه الأشياء، قرروا الذهاب إلى قرية هوبيتون مباشرة. ولذلك خرجوا في رحلتهم عبر الطريق في اليوم التالي وراحوا يسيرون باطراد. وخمدت الريح ولكن السماء كانت لاتزال قاتمة. بدت الأرض كما لو كانت حزينة؛ ولكن الوقت كان على أية حال الأول من نوفمبر والنهاية المتبقية من الخريف. ولايزال يبدو أن هناك قدرًا غير عادي من اضطرام الحريق، والدخان يتصاعد من كثير من جهات المكان. كانت هناك سحابة هائلة منه ترتفع عاليًا بعيدًا في اتجاه منطقة الغابات الجبلية المرتفعة[2].

وبينما كان المساء يحل بالدنيا، كانوا يتقربون من قرية فروجمورتون، قرية على الطريق مباشرة، على بعد حوالي اثنين وعشرين ميلًا من الجسر. وهناك قصدوا أن يمضوا الليل؛ كانت حانة «فلوتينج لوج[3]» حانة جيدة. ولكن لما وصلوا إلى النهاية الشرقية من القرية قابلوا حاجزًا عليه لوحة كبيرة تقول: لا يوجد طريق؛ وكانت تقف وراءها مجموعة كبيرة من أفراد شرطة المقاطعة بأيديهم هراوات وفي قبعاتهم ريشات، وكانوا يبدون مهمومين ومرعوبين على السواء.

وقال فرودو، وقد شعر بميل للضحك: «ما كل هذا؟».

(1) Crickhollow قرية في الأجزاء الشمالية من باكلاند [Buckland]. (المترجم)

(2) Woody End منطقة غابات مرتفعة في الربع الشرقي [Eastfarthing] من المقاطعة [Shire] بين بلدة التل الأخضر [Green Hill Country] في الغرب والمستنقعات [Marish] في الشرق. (المترجم)

(3) The Floating Log ترجمتها الحرفية «لوح الخشب الطافي» (المترجم)

«هذا هو ما هو، يا سيد باجينز»، قال ذلك قائد شرطة المقاطعة، وقد كان هوبيتيًا بريشتين: «أنتم مقبوض عليكم لاختراقكم البوابة، وتمزيق القواعد، ومهاجمة حراس البوابة، والتعدي على أملاك الغير، والنوم في مباني المقاطعة دون إذن، ورشوة الحراس بالطعام».

وقال فرودو: «وماذا أيضًا؟».

قال قائد شرطة المقاطعة: «حسبك متابعة ذلك».

وقال سام: «يمكنني أن أضيف بعضًا آخر، لو أن ذلك يروقك؛ سب زعيمك وشتمه، والرغبة في ضرب وجهه الذي تكسوه البثور والنمش، والتفكير في أن أفراد شرطتك أقرب ما يكونون إلى الحمقى والمغفلين».

«على رسلك الآن يا سيد، هذا يكفي. إنها أوامر الزعيم أن تسيروا إليه مباشرة. سوف نأخذكم إلى قرية مجاورة الماء ونسلمكم إلى رجال الزعيم؛ وعندما ينظر في قضيتكم يمكنكم أن تقولوا رأيكم. ولكن لو كنت مكانكم، وكنتم لا ترغبون في البقاء في زنازين لوك هولز[4] فوق ما تطيقون، لأقصرت في القول».

ودوت ضحكات فرودو ورفاقه عاليًا، الأمر الذي لم يكن مريحًا لأفراد شرطة المقاطعة، وقال فرودو: «لا تكن سخيفًا! إنني ذاهب إلى حيث أريد، وفي وقتي أنا. لقد حدث أن كنتُ ذاهبًا إلى باج إيند في مهمة، ولكن إن كنتَ تصر على الذهاب كذلك، حسنًا، فهذا شأنك».

وقال القائد وقد دفع الحاجز جانبًا: «حسنًا جدًا يا سيد باجينز. ولكن لا تنس أنني قد قبضتُ عليكم».

فقال فرودو: «لن أنسى أبدًا، ولكني قد أعفو عنك. الآن لن أذهب اليوم إلى أبعد من ذلك، ولذا إن كنت لطيفًا ستصحبني إلى حانة فلوتينج لوج وسيكون ذلك من دواعي امتناني».

«لا يمكنني أن أفعل ذلك يا سيد باجينز. الحانة مغلقة. هناك دار شرطة عند النهاية البعيدة من القرية. سوف أصحبكم إلى هناك».

وقال فرودو: «حسنًا جدًا. سر أنت، وسوف نتبعك».

كان سام ينظر في أفراد شرطة المقاطعة من أعلى لأسفل، وقد وقعت عينه على واحد كان يعرفه، فنادى عليه: «أنت، تعال هنا يا روبين سمول بارو! إنني أريد أن أتحدث معك بكلمة».

(4) Lockholes سجن مايكل ديلفيج... عندما استولى رجال شاركي [Sharkey] على المقاطعة أثناء حرب الخاتم، فإن أنفاق مايكل ديلفيج التي كانت تستخدم مخازن تم تحويلها إلى ما أطلق عليها «لوكهولز».. وكانت زنازين سجن لأولئك الذين كانوا يتمردون على النظام الجديد بين السكان. (المترجم)

وبنظرة جبانة خجول إلى قائده، الذي بدا مغتاظًا ولكنه لم يجرؤ على التدخل، تأخر الجندي سمووول بارو وراح يمشي إلى جوار سام، الذي ترجل عن فرسه.

وقال له سام: «انظر هنا يا كوك روبين[1]! إنك من سلالة قريبة من هوبيتون؛ قرية الهوبيتيين، وينبغي أن يكون لديك المزيد من الإدراك والقدرة على التمييز، حيث تأتي وتكمن للسيد فرودو ومن معه. وماذا عن الحانة التي أغلقت؟».

فقال له روبين: «لقد أغلقت كلها. الزعيم لا يقبل البيرة. على الأقل تلك هي الطريقة التي بدأ الأمر بها. ولكن في اعتقادي الآن أن رجاله هم الذين يأخذونها كلها. وهو لا يقبل الأشخاص الذين يتحركون في المكان؛ ولذلك لو أنهم سيفعلون ذلك أو توجب عليهم فعله، ففي هذه الحالة عليهم أن يذهبوا إلى دار الشرطة ويشرحوا عملهم وشأنهم».

فقال سام: «ينبغي أن تخجل من نفسك لأن يكون لك أي شأن في تلك الترهات والتفاهات. لقد ألفتَ أن تهوى أي حانة من الداخل أكثر من حبك لخارجها. لقد كنتَ دائمًا مغروسًا فيها سواء كنت في نوبة حراسة أو كنتَ خارج نوبة الحراسة».

«وهكذا سوف أكون دائمًا يا سام إذا استطعتُ. ولكن لا تشق علي. ما الذي يمكنني أن أفعله؟ أنت تعرف كيف أصبحتُ جنديًا في شرطة المقاطعة منذ سبعة أعوام، قبل أن يبدأ ذلك كله. لقد أتاحَ لي هذا الفرصة للتجوال في البلد ورؤية الأشخاص، وسماع الأخبار، ومعرفة مكان البيرة الجيدة. ولكن الآن صار الوضع مختلفًا».

وقال سام: «ولكن يمكنك أن تتركها الآن، ولا تنخرط في شرطة المقاطعة، لو أنك لم تعد تعتبرها مهنة محترمة».

فقال له روبين: «غير مسموح لك بذلك».

فقال سام: «لو أنني سمعتُ عبارة «غير مسموح» كثيرًا، فسوف تكون مدعاة غضبي».

وقال له روبين وقد خفض صوته: «لا يمكن القول بأنني سوف آسف لرؤيتها. إذا غضبنا جميعًا فربما كان بالإمكان فعل شيء ما. ولكن الأمر هو أولئك الرجال، يا سام، رجال الزعيم. إنه يرسلهم في المكان كله، وإذا طالب أي أحد منا نحن الأشخاص الصغار بحقوقه، فإنهم يسحبونه إلى سجن لوك هوولز. لقد أخذوا فلاورذمبلينح العجوز، وكذلك ويل ويتفووت العمدة أولًا، وقد أخذوا الكثيرين غيرهم. وصار الأمر أسوأ مؤخرًا. إنهم غالبًا ما يضربونهم الآن».

وقال سام في غضب: «إذن لمَ تقوم بعمل لهم؟ من الذي أرسلك إلى فروجمورتون[2]؟».

«لم يفعل هذا أحد. سنبقى هنا في دار الشرطة الكبيرة. إننا نحن أول قوات الربع

(1) Cock-robin لقب كان يطلق على [Robin Smallburrow]. (المترجم)

(2) Frogmorton القرية التي كانت توجد فيها حانة [The Floating Log]. (المترجم)

الشرقي الآن. هناك مئات من أفراد الشرطة على وجه الإجمال، وهم يريدون المزيد بكل هذه القواعد الجديدة. إن معظمهم ينخرطون في العمل رغم إرادتهم، ولكن ليسوا جميعًا. حتى في المقاطعة هناك بعض ممن يهتمون بشئون الآخرين، ويتباهون ويتبجحون. وهناك أسوأ من ذلك؛ هناك عدد قليل من الذين يقومون بالتجسس للزعيم ورجاله».

«آه! إذن هذه هي الطريقة التي عرفتم بها أخبارنا، أليس كذلك؟».

«صحيح. ليس مسموحًا لنا أن نرسل بواسطتها الآن، ولكنهم الآن يستخدمون خدمة البريد السريع القديمة، ويضعون سعاة خصوصيين في نقاط مختلفة. جاء شخص من ويتفاروز الليلة الماضية حاملًا رسالة سرية، وأخذها آخر منه هنا. وعادت رسالة بعد ظهر اليوم تقول إنه يتم القبض عليكم الآن وأخذك إلى قرية مجاورة الماء، لا إلى سجن لوك هوولز مباشرة. الزعيم يريد أن يراكم في الحال، فيما يبدو».

وقال سام: «لن يكون متلهفًا كل هذه اللهفة عندما يكون السيد فرودو قد أنهى الأمر معه».

كانت دار الشرطة في فروجمورتون سيئة مثل دار الجسر. كانت مكونة من طابق واحد فقط، ولكن بها نفس النوافذ الضيقة، وكانت مبنية من طوب باهت قبيح، مرصوص بشكل سيئ. وفي الداخل كانت رطبة وكئيبة، وكان العشاء يقدم على طاولة طويلة قذرة لم يتم تنظيفها لأسابيع. لم يكن الطعام يستأهل مكانًا أفضل من ذلك. كان المسافرون مسرورين لمغادرتهم المكان. كانت المسافة قرابة ثمانية عشر ميلًا إلى قرية مجاورة الماء، وانطلقوا في سيرهم في تمام الساعة العاشرة صباحًا. كان يمكن أن يبدءوا رحلتهم مبكرًا عن ذلك، إلا أن التأخير بكل وضوح كان لمضايقة قائد الشرطة. وتحولت الريح الغربية باتجاه الشمال وأصبحت أكثر برودة، ولكن المطر توقف.

لقد كان موكبًا هزليًا مضحكًا ذلك الذي غادر القرية، على الرغم من أن الأشخاص القليلين الذين خرجوا لينظروا إلى «مظهر» المسافرين لم يكونوا واثقين فيما يبدو مما إذا كان مسموحًا لهم بالضحك. تم تخصيص عشرة من أفراد الشرطة لمرافقة «السجناء»؛ ولكن ميري جعلهم يمشون في المقدمة، في حين أن فرودو وأصدقاءه ساروا وراءهم. كان ميري وبيبين وسام جالسين على راحتهم يضحكون ويتحدثون ويغنون، في حين كان أفراد الشرطة يكدون ويمشون بتثاقل محاولين أن يبدوا صارمين ومهمين. إلا أن فرودو كان صامتًا وكان يبدو حزينًا ومستغرقًا في التفكير نوعًا ما.

كان آخر شخص مروا به رجل عجوز متين البنية، يقلم سورًا من الأشجار، وصاح فيهم في سخرية واستهزاء: «مرحبًا، مرحبًا! الآن من الذي ألقى القبض على من؟».

وعلى الفور ترك اثنان من الجنود المجموعة وذهبا تجاهه، وقال ميري: «أيها القائد! مُر رفاقك بأن يعودوا إلى أماكنهم في الحال لو أنك لا تريدني على أن أتعامل معهم!».

وبناء على أمر حاد من القائد عاد الهوبيتيان في تجهم، وقال ميري: «والآن

واصلوا السير!». وبعد ذلك حرص المسافرون أن تكون سرعة أفراسهم سريعة بحيث تدفع الجنود عبر الطريق وسع طاقتهم من سرعة السعي. وطلعت الشمس، وعلى الرغم من أن الريح قارسة البرودة، فقد كانوا في الحال ينهجون ويعرقون.

وعند صخرة التقاء الأرباع الثلاثة توقفوا. فقد كانوا قد قطعوا تقريبًا أربعة عشر ميلًا مع فترة راحة واحدة فقط في الظهيرة. كانت الساعة وقتها الثالثة تمامًا. وكانوا جائعين وكانت أقدامهم متقرحة، ولم يكونوا يستطيعون مواصلة السير بهذه السرعة.

وقال ميري: «حسنًا، الحقوا بنا حسب وقتكم أنتم. سوف نواصل نحن السير».

وقال سام: «إلى اللقاء، يا كوك روبين! سوف أنتظركم خارج حانة التنين الأخضر، إذا لم تكن قد نسيت مكانها. لا تتلكئوا في الطريق!».

وقال القائد في كآبة: «إنكم تكسرون أمر القبض عليكم، هذا هو ما تفعلونه، ولن أكون مسئولًا عن ذلك».

فقال له بيبين: «سوف نكسر الكثير من الأشياء بعد، ولن نطلب منك الرد أو أن تكون مسئولًا. حظ سعيد لك!».

واصل المسافرون سيرهم، وبينما كانت الشمس تبدأ في المغيب باتجاه التلال البيضاء بعيدًا في الأفق الغربي وصلوا إلى قرية مجاورة الماء عند حوضها الواسع الكبير؛ وهناك وجدوا صدمتهم الأولى المؤلمة حقًا. كانت هذه بلدة فرودو وسام، واكتشفوا الآن أنهم اهتموا بها أكثر من أي مكان آخر في العالم. كان الكثير من المنازل التي يعرفونها غير موجودة. بدا بعضها وقد أحرق. هجر الصف الجميل من حفر الهوبيتيين التي كانت في الضفة على الجانب الشمالي من حوض الماء، أما حدائقهم الصغيرة التي كانت تجري مشرقة إلى حافة الماء، فقد كانت مملوءة بالأعشاب. والأسوأ من ذلك، كان هناك صف كامل من المنازل القبيحة الجديدة عبر جانب الحوض بطوله، حيث كان طريق قرية هوبيتون يجري متاخمًا للضفة. وكان هنالك صف من الأشجار ينتصب، وقد اختفى ذلك كله. ولما نظروا في حزن وامتعاض في الطريق باتجاه باج إيند رأوا مدخنة عالية من الطوب على مسافة بعيدة. كانت تصب دخانًا أسود إلى هواء المساء.

وكان سام إلى جواره، وصاح: «إنني ذاهب إلى هناك مباشرة، يا سيد فرودو! سوف أذهب لأرى ما يجري. أريد أن أجد والدي الجافر العجوز».

وقال ميري: «ينبغي علينا أن نكتشف أولًا ما نحن بصدده يا سام. أظن أن الزعيم سوف تكون من حوله عصابة من المتشردين قريبة منه. من الأفضل أن نجد شخصًا يخبرنا كيف تسير الأمور هنا من حولنا».

ولكن في قرية مجاورة الماء كانت كل المنازل والحفر مغلقة، ولم يحيهم أحد.

وعجبوا من هذا، ولكن سريعًا ما اكتشفوا سببه. عندما وصلوا إلى حانة التنين الأخضر، آخر منزل في جانب قرية هوبيتون، وقد صار بلا حياة، نوافذه مكسرة، وأقلقهم أن رأوا نصف دستة من رجال كبار بشعين مصطفين قبالة جدار الحانة؛ بأعينهم حول ووجوههم شاحبة.

وقال سام: «مثل ذلك الذي كان صديق بيل فيرني الذي وجدناه في البري».

وغمغم ميري: «مثل كثيرين رأيتهم في آيزنجارد».

كان مع هؤلاء الوحشيين عصي في أيديهم وأبواق معلقة من أحزمتهم، ولكن لم يكن معهم أسلحة أخرى، حسبما يمكن أن يرى. ولما سار المسافرون في طريقهم، تركوا الجدار ومشوا إلى الطريق، سادين طريق سيرهم.

وقال واحد منهم، وكان أكبر المجموعة وكان مظهره الأكثر شرًا: «أين تظنون أنكم ذاهبون؟ ليس هناك أي طريق لكم إلى أبعد من ذلك. وأين هؤلاء الجنود الثمينون؟».

فقال له ميري: «قادمون في لطف. أقدامهم متقرحة قليلًا، ربما. لقد وعدناهم أن ننتظرهم هنا».

وقال الشخص الوحشي لرفاقه: «اللعنة، ماذا قلتُ؟ لقد قلتُ لشاركي أنه ليست هناك فائدة في الوثوق بأولئك الحمقى الصغار. كان ينبغي إرسال بعض من رجالنا».

وقال ميري: «وأي فرق كان سيحدثه ذلك، من فضلك؟ إننا لسنا معتادين على قطاع الطرق في هذا البلد، ولكننا نعرف كيف نتعامل معهم».

وقال الرجل: «قطاع الطرق، صح؟ إذن هذه نغمتك، أهذا صحيح؟ غيرها، وإلا سوف أغيرها لك. أيها الصغار لقد صرتم متغطرسين ومتعالين أكثر من اللازم. ألست تثق أكثر من اللازم في قلب الرئيس الطيب. سوف يأتي شاركي الآن، وسوف يفعل ما يقوله شاركي».

وقال فرودو في هدوء: «وما عسى أن يكون ذلك؟».

وقال قاطع الطريق: «هذا البلد بحاجة إلى أن يستيقظ، إلى أن تصحح الأوضاع فيه، وسوف يفعل ذلك شاركي؛ وسوف يكون الأمر صعبًا، لو أنكم دفعتموه إلى ذلك. إنكم بحاجة إلى رئيس أكبر. وسوف يأتيكم واحد قبل أن تنقضي السنة، لو وجدت أي مشاكل أكثر. إذن فسوف تتعلمون شيئًا أو شيئين، أيها الجرذان الحقيرة الصغيرة».

وقال فرودو: «حقًا. إنني سعيد لأن أسمع ما أسمعه عن خططكم. إنني في طريقي لرؤية لوثو، وربما يكون مهتمًا بالسماع عنها ومعرفتها كذلك».

ضحك قاطع الطريق، وقال: «لوثو! إنه يعرف ذلك كله بالفعل. لا تقلق أنت. سوف يفعل ما يقوله شاركي. لأنه لو أحدث أي رئيس أي مشاكل، يمكننا أن نغيره.

هل ترى؟ وإذا حَاول الأشخاص الصغار التدخل حيث لا يكون مرغوبًا فيهم، يمكننا أن نضعهم بعيدًا عن طريق السوء والشر. هل ترى ذلك؟».

فقال فرودو: «نعم أرى. لشيء واحد، إنني أرى أنك متأخر في الوقت وفي الأخبار التي لديك هنا. لقد حدث الكثير منذ أن تركت الجنوب. لقد انتهى عصرك، وعصر جميع قطاع الطرق. لقد سقط برج الظلام، وهناك ملك في جوندور. وتم تدمير آيزنجارد، وسيدك الثمين الغالي شحاذ متشرد في البرية. لقد مررتُ به على الطريق. سوف يسير رسل الملك على الطريق الأخضر الآن، لا أشخاصًا وحشيين همجيين وقطاع طرق من آيزنجارد».

وحدق الرجل فيه وابتسم، وقال في سخرية وازدراء: «شحاذ متشرد في البرية! أوه، هل كذلك حقًا؟ لنتباه بذلك، لنتباه بذلك أيها المبتهج الصغير. ولكن هذا لن يمنعنا من العيش في ذلك البلد الصغير الغني حيث تكاسلتم فيه كثيرًا بالشكل الكافي. و..» وطقطق أصابعه في وجه فرودو «رسل الملك! هذا لهم! عندما أرى واحدًا منهم، سوف أنتبه وألاحظ، ربما».

كان هذا أكثر من اللازم بالنسبة لبيبين. وعادت أفكاره إلى حقل كورمالين، وهنا كان وغد أحول العينين ينادي حامل الخاتم باسم: «المبتهج الصغير». وطرح معطفه للوراء، واستل سيفه، وراح لون جوندور الفضي الأسود يتوهج عليه وهو يسير متقدمًا للأمام بفرسه، وقال:

«إنني رسول الملك. إنك تتحدث مع صديق الملك، وواحد من أكثر الناس شهرة في جميع أراضي وبلدان الغرب. أنت لص وأحمق. اركع على ركبتيك في الطريق واطلب الصفح والعفو، وإلا سوف أغمد قاتل الغول هذا فيك!».

وتوهج السيف في الشمس التي كانت تتجه غربًا. وسحب ميري وسام سيفيهما كذلك وتقدما على فرسيهما لمساندة بيبين؛ ولكن فرودو لم يتحرك. وتراجع اللصوص. كان عملهم بث الرعب في فلاحي أراضي البري، والتنمر على الهوبيتيين المذهولين. أما الهوبيتيون الجسورون الذين لم يكونوا يخافون من سيوف براقة ووجوه عابسة فكانوا مثار دهشة كبيرة لهم. وكانت هناك نبرة في أصوات أولئك القادمين الجدد لم يسمعوها من قبل. لقد أصابتهم بالقشعريرة خوفًا.

وقال ميري: «اذهبوا. لو أنكم ضايقتم هذه القرية مرة أخرى، فسوف تندمون على ذلك». وواصل الهوبيتيون الثلاثة تقدمهم، وعندئذ استدار اللصوص وفروا، وراحوا يجرون عبر طريق قرية هوبيتون؛ ولكنهم نفخوا أبواقهم وهم يجرون.

وقال ميري: «حسنًا، لقد عدنا أخيرًا قبل فوات الأوان».

فقال فرودو: «إننا لم نعد مبكرين يومًا واحدًا. بل ربما متأخرين أكثر من اللازم، وعلى أية حال لننقذ لوثو. الأحمق التعيس، ولكني آسف له».

وقال بيبين: «ننقذ لوثو؟ ما الذي تقصده؟ ندمره، ينبغي أن أقول».

وقال بيبين: «إنني لا أعتقد أنك تفهم الأشياء تمامًا يا بيبين. لم يقصد لوثو أبدًا أن تصل الأمور إلى هذا الوضع وهذا المأزق. لقد كان أحمق شريرًا، ولكنه وقع الآن. قطاع الطرق فوق القمة، يجمعون ويسرقون ويتنمرون، ويديرون أو يدمرون الأشياء حسبما يحبون، باسمه. وليس باسمه حتى لوقت أطول كثيرًا. إنه سجين في باج إيند الآن، حسب توقعي، ومرعوب للغاية. ينبغي أن نحاول وننقذه».

وقال بيبين: «حسنًا إنني في غاية الذهول! من بين جميع النهايات لرحلتنا فإن هذه النهاية هي آخر نهاية تمامًا كنتُ سأفكر فيها.. إنه ينبغي علي أن أحارب أنصاف الأوركيين وقطاع الطرق في المقاطعة نفسها لإنقاذ لوثو بيمبل!».

فقال فرودو: «نحارب؟ حسنًا، أعتقد أن الأمر قد يصل إلى ذلك. ولكن تذكر: لن يكون هناك ذبح أو تقتيل للهوبيتيين، حتى لو أنهم ذهبوا للجانب الآخر. ذهبوا حقًا للجانب الآخر، هذا ما أعنيه؛ ليس مجرد إطاعة وتنفيذ أوامر قطاع الطرق، وذلك لأنهم خائفون. لم يقتل أي هوبيتي على الإطلاق هوبيتيًا آخر عن عمد في المقاطعة، ولن يبدأ هذا الأمر الآن. ولن يُقتل أي شخص على الإطلاق، إذا كان بالإمكان ذلك. حافظ على رباطة جأشك وأمسك يديك حتى آخر لحظة ممكنة!».

وقال ميري: «ولكن إذا كان هناك الكثيرون من هؤلاء اللصوص قطاع الطرق، فسوف يعني الأمر بكل تأكيد الحرب والقتال. لن تنقذ لوثو، أو المقاطعة، بمجرد كونك قد صدمت، وكونك حزينًا، يا عزيزي فرودو».

وقال بيبين: «كلا. لن تكون إخافتنا إياها وإفزاعهم مرة ثانية بهذه السهولة. لقد بوغتوا. هل سمعتم نفخ البوق؟ بكل وضوح هناك قطاع طرق آخرون بالقرب من هنا. سوف يكونون أكثر جرأة وجسارة عندما يكون هناك الكثير منهم مجتمعين معًا. ينبغي أن نفكر في العثور على مكان للاحتماء فيه هذه الليلة في أي مكان. فعلى أية حال نحن أربعة فقط حتى لو كنا مسلحين».

وقال سام: «لدي فكرة. هيا بنا نذهب إلى مزرعة توم كوتن في الناحية الجنوبية! لقد كان دائمًا شخصًا قويًا. ولديه الكثير من الرجال كانوا جميعهم أصدقاء لي».

فقال ميري: «كلا! ليست هناك فائدة من الاختباء. هذا على وجه التحديد ما كان يفعله الناس، وما يحبه قطاع الطرق هؤلاء تمامًا. سوف يهجمون علينا ببساطة في قوة كبيرة، ويحاصروننا، وبعد ذلك يجعلوننا نخرج من مخبئنا أو يحرقوننا فيه. كلا، علينا أن نفعل شيئًا في الحال».

وقال بيبين: «فعل ماذا؟».

فقال ميري: «نوقظ المقاطعة! الآن! نوقظ جميع الناس! إنهم يكرهون ذلك كله،

يمكنك أن ترى: جميعهم باستثناء وغد أو وغدين، وعدد قليل من الحمقى، من الذين يريدون أن يكونوا مهمين، ولكن لا يفهمون على الإطلاق ما يجري. ولكن سكان المقاطعة كانوا في راحة بالغة طوال فترة طويلة من الزمن لدرجة أنهم لا يعرفون ما يفعلون. إنهم يحتاجون إلى عود ثقاب، مع ذلك، وبعدها سوف يشبون مثل النار.

ينبغي أن يعرف رجال الزعيم ذلك. سوف يحاولون سحقنا وتدميرنا وإخراجنا سريعاً. ليس أمامنا سوى وقت قصير.

«سام، يمكنك أن تنطلق إلى مزرعة كوتن، إذا كنت تريد. إنه هو الشخص الرئيسي هنا، وهو الأشد قوة. هيا! سوف أنفخ بوق روهان، وأعطيهم موسيقى لم يسمعوها من قبل».

وساروا عائدين على أفراسهم إلى وسط القرية. وهناك التفت سام جانباً وانطلق مسرعاً هابطاً الطريق الذي كان يقود جنوباً إلى مزرعة كوتن. ولم يكن قد ذهب بعيداً عندما سمع نداء بوق واضح مفاجئ يدوي عالياً في السماء. لأنه راح يدوي فوق التل والحقل ويسمع صداه؛ وقد كان هذا النداء قهرياً للغاية لدرجة أن سام نفسه كاد أن يستدير وينطلق عائداً. وشب فرسه على قائمتيه الخلفيتين وراح يصهل.

وصاح قائلاً: «أوه، أيها الولد! سوف نعود سريعاً».

عندئذ سمع ميري يغير النبرة، وانطلق عالياً صراخ بوق باكلاند، يهز الهواء.

استيقظوا! استيقظوا! الخوف، النار، الأعداء! استيقظوا!
النار، الأعداء! استيقظوا!

وسمع سام وراءه هرجاً ومرجاً ودوي أصوات وجلبة هائلة وإغلاق الأبواب بعنف. وقفزت أمامه أضواء في الغسق؛ وراحت الكلاب تنبح؛ وجاءت الأقدام تجري. وقبل أن يصل إلى نهاية الطريق كان هناك الفلاح كُوتَن مع ثلاثة من رجاله، يونج توم، وجولي، ونيك، يسرعون تجاهه. كانت معهم فئوس في أيديهم، وسدوا الطريق.

وسمع سام الفلاح يقول: «كلا! إنه ليس واحداً من قطاع الطرق هؤلاء. إنه هوبيتي حسبما يظهر من حجمه، ولكن زيه غريب تماماً». وصاح: «أنت! من أنت، وما هذا كله؟».

«أنا سام، سام جامجي. لقد عدتُ».

واقترب الفلاح كُوتَن وحدق فيه في ضوء الشفق. وقال متعجباً: «حسناً! الصوت صحيح، ووجهك ليس أسوأ مما كان عليه يا سام. ولكن كان يمكن أن أمر بك دون أن أعرفك في ذلك الزي والعدة. لقد كنتَ في أماكن غريبة، فيما يبدو. لقد خشينا أن تكون مت».

وقال سام: «هذا ما لم يحدث لي! ولم يحدث للسيد فرودو. إنه هنا هو وأصدقاؤه.

وهذا هو الشأن واللغط والضجيج. إنهم يوقظون المقاطعة. إننا سوف نجلي قطاع الطرق هؤلاء وزعيمهم كذلك. ها نحن نبدأ الآن».

وصاح الفلاح كُوتَن قائلاً: «جيد، جيد! إذن فقد بدأ الأمر أخيراً! لقد كنتُ أسعى إلى المتاعب والمشاكل طوال هذه السنة، ولكن السكان لم يكونوا ليساعدوني. كما أن لدي زوجة وروزي علي أن أفكر فيهما. إن قطاع الطرق هؤلاء لا يأبهون بأي شيء. ولكن هيا الآن، أيها الرجال! لقد استيقظت قرية مجاورة الماء! ينبغي أن نكون فيها!».

وقال سام: «ماذا عن السيدة كُوتَن وروزي؟ ليس آمناً بالنسبة لهما بعد أن يُتركا هاهنا وحدهما».

«نيبز معهما. ولكن يمكنك أن تذهب وتساعده، إذا كنت تفكر في ذلك» قال ذلك الفلاح كُوتَن وعلى وجهه تكشيرة. عندئذ جرى هو وأولاده تجاه القرية.

وأسرع سام إلى الدار. كانت السيدة كُوتَن وروزي ونيبز في مقدمتهما ممسك بمذراة يقفون إلى جوار الباب الدائري الكبير عند أعلى درجات السلم من الفناء الواسع.

وصاح سام وهو يعدو سريعاً تجاههم: «إنه أنا! سام جامجي! ولذا لا تحاولوا نخسي بالمذراة يا نيبز. على أية حال، فإنني مرتد درعاً واقية».

وقفز مترجلاً عن فرسه وذهب صاعداً درجات السلم. وراحوا يحدقون فيه في صمت، وقال هو: «طاب مساؤك يا سيدة كُوتَن! مرحباً يا روزي!».

وقالت روزي: «مرحباً يا سام! أين كنتَ؟ لقد ذكروا أنك مت؛ ولكني كنت أتوقعك منذ الربيع. إنك لم تسرع، أليس كذلك؟».

فقال سام في خجل: «ربما لا. ولكني أسرع الآن. إننا نخلي القرية من قطاع الطرق، وعلي أن أعود إلى السيد فرودو. ولكني أردتُ أن ألقي نظرة وأرى كيف حال السيدة كُوتَن وأنت وكيف تسير الأمور معكما».

فقالت له السيدة كوتن: «إننا بخير، شكراً لك. أو هكذا كان الأمر حرياً أن يكون، لولا قطاع الطرق اللصوص هؤلاء».

وقالت روزي: «حسناً، انطلق أنت. لو أنك كنت تعتني بالسيد فرودو وترعاه طوال ذلك الوقت كله، فلماذا تريد أن تتركه بعد ذلك كله، بمجرد أن صارت الأمور غاية في الخطورة؟».

وقد كان ذلك أكثر كثيراً مما يحتمل سام. فقد كان ذلك بحاجة إلى أسبوع للرد عليه، أو عدم الرد. واستدار بعيداً وركب فرسه. ولكن بينما كان يهرع مسرعاً، جاءت روزي تجري هابطة درجات السلم، وقالت:

«أعتقد أنك تبدو بخير يا سام. اذهب الآن! ولكن اعتَنِ بنفسك، وعد سريعاً قدر الإمكان بمجرد أن تنتهي من أمر قطاع الطرق هؤلاء!».

وعندما عاد سام، وجد القرية كلها قد نهضت. وبالفعل، بصرف النظر عن الكثيرين من الشباب الصغار، كان هناك ما يزيد على المائة من الهوبيتيين الأشداء محتشدين بفئوسهم، ومطارقهم الثقيلة، والسكاكين الطويلة، والهراوات الشديدة؛ وكان مع عدد قليل منهم أقواس صيد. كان هناك المزيد منهم لا يزالون يفدون من المزارع النائية.

لقد أشعل بعض سكان القرية نارًا ضخمة، فقط ليبعثوا الحياة في الأشياء، وكذلك لأن ذلك كان أحد الأشياء التي حظرها الزعيم. وراحت تشتعل على نحو متوهج بينما راح الليل يدخل ويتوغل. وكان آخرون بناء على تعليمات من ميري يقيمون الحواجز عبر الطريق في كل نهاية في القرية. عندما جاء أفراد شرطة المقاطعة إلى النهاية الدنيا أصيبوا بالدهشة والذهول؛ ولكن بمجرد أن رأوا كيف كانت الأشياء والأمور، فإن معظمهم خلعوا ريشاتهم وانضموا إلى الثوار. وانسل الآخرون هاربين بعيدًا.

ووجد سام فرودو وأصدقاؤه إلى جوار النار يتحدثون مع توم كُوتُن العجوز، في حين كانت هناك مجموعة معجبة من سكان قرية مجاورة الماء يقفون حولهم ويحدقون فيهم.

وقال الفلاح كُوتُن: «حسنًا، ما هي الخطوة التالية؟».

فقال فرودو: «لا يمكنني القول حتى أعرف المزيد. كم عدد قطاع الطرق هؤلاء الموجودين هنا؟».

فقال له كُوتُن: «من الصعب أن أخبرك بذلك. إنهم يتحركون في المكان ويأتون ويذهبون. أحيانًا هناك خمسون منهم في سقائفهم عبر طريق قرية هوبيتون؛ ولكنهم يخرجون من هناك وهم يطوفون في المكان، يسرقون أو «يجمعون» حسبما يسمون سرقاتهم. ومع ذلك، فنادرًا ما يكون هناك أقل من عشرين منهم حول الرئيس، حسبما يطلقون عليه، إن كان في باج إيند، أو كان هناك؛ ولكنه لا يخرج عن الأراضي الآن. لم يره أحد على الإطلاق، في حقيقة الأمر، لمدة أسبوع أو أسبوعين؛ ولكن الرجال لا يتركون أي شخص يقترب من المكان».

وقال بيبين: «ليست قرية هوبيتون مكانهم الوحيد، أليس كذلك؟».

فقال كُوتُن: «لا، بكل أسى وأسف. هناك عدد قليل منهم لا بأس به في الجنوب في لونج بوتوم وإلى جوار مخاضة سارن، حسبما سمعت؛ وآخرون مختبئون في منطقة الغابات الجبلية المرتفعة[1]؛ كما أن لهم سقائف في واي ميت. وبعد ذلك فهناك زنازين لوك هوولز، مثلما يسمونها؛ وهي أنفاق التخزين القديمة في مايكل ديلفينج التي حولها إلى زنازين وسجون لأولئك الذين يقفون في وجههم. لا زلت أعتقد أنه ليس هناك أكثر من ثلاثمائة منهم في المقاطعة على وجه الإجمال، وربما أقل من ذلك. يمكننا التغلب والسيطرة عليهم، إذا نحن ظللنا مع بعضنا متلاحمين متضامين».

(1) Woody End منطقة غابات مرتفعة في الربع الشرقي [Eastfarthing] من المقاطعة [Shire] بين بلدة التل الأخضر [Green Hill Country] في الغرب والمستنقعات [Marish] في الشرق. (المترجم)

وسأل ميري: «هل لديهم أي أسلحة؟».

فقال كُوتُن: «سياط، وسكاكين، وهراوات، ما يكفي لإنجاز عملهم القذر. هذا كل ما أظهروه حتى الآن؛ ولكن ربما أقول إن لديهم معدات أخرى، إذا وصل الأمر إلى القتال والحرب. ولدى بعضهم أقواس، على أية حال. لقد رموا واحدًا أو اثنين من قومنا بالنبال».

فقال له ميري: «هأنتذا يا سيد فرودو! كنتُ أعرف أنه ينبغي علينا أن نقاتل. حسنًا، لقد بدءوا هم القتال».

وقال كُوتُن: «ليس بالضبط. على الأقل ليس الرماية. لقد بدأ التوكيون ذلك. حسبما ترى، والدك يا سيد برجرين، قد قاطع هذا اللوثو تمامًا، ليس من البداية، وقد قال لو أن هناك أي شخص سوف يلعب دور الزعيم في هذا الوقت من النهار، فينبغي أن يكون قائد المقاطعة العسكري[1] الصحيح وليس محدث نعمة أو ثري حرب. وعندما أرسل لوثو رجاله لم يقفوا على أي تغيير منه. التوكيون محظوظون، لديهم تلك الحفر العميقة في التلال الخضراء، الأنفاق العظيمة وغير ذلك، ولا يستطيع قطاع الطرق الوصول إليها؛ ولن يدعوا قطاع الطرق يصلون إلى أرضهم أو يمشون عليها. وإذا هم فعلوا، فإن التوكيين يطاردونهم. لقد أصاب التوكيون ثلاثة بسبب الطواف خلسة بالمكان والسلب والسرقة. وبعد ذلك أصبح قطاع الطرق أكثر قذارة وبشاعة. وقد وضعوا مراقبة مشددة جدًا على أرض التوكيين. لا يدخلها أحد أو يخرج منها أحد الآن».

وصاح بيبين: «أمر طيب لهؤلاء التوكيين! ولكن واحدًا سوف يدخل مرة أخرى، الآن. إنني ذاهب إلى الأنفاق. هل هناك من أحد قادم معي إلى تكبارو؟».

وانطلق بيبين مع نصف دستة من الرجال على الأفراس، وصاح: «أراكم قريبًا! المسافة فقط قرابة أربعة عشر ميلًا فوق الحقول. سوف أحضر لكم في عودتي جيشًا من التوكيين في الصباح». وأطلق ميري نفخة من بوقه بعدهم، بينما كانوا ينطلقون في الليل المتكاثر. وابتهج الناس وصاحوا.

وقال فرودو لجميع أولئك الذين كانوا يقفون قريبًا: «رغم ذلك كله، فإنني لا أريد أي قتل؛ ولا حتى قطاع الطرق، إلا إذا لم يكن هناك بد من ذلك، لمنعهم من إيذاء الهوبيتيين».

وقال ميري: «حسنًا! ولكن سوف ننتظر زيارة من عصابة قرية هوبيتون في أي وقت الآن، في اعتقادي أنهم لن يأتوا فقط ليتحدثوا معنا بشأن الأمور. سوف نحاول التعامل معهم بكل دقة وإتقان، ولكن ينبغي أن نكون مستعدين ومجهزين للأسوأ. والآن لدي خطة».

(1) Thain of the Shire لقب أطلق على كبار الأولدباكيين، والتوكيين. وهو القائد العسكري للمقاطعة. (المترجم)

فقال فرودو: «جيد جداً. قمت أنت بعمل الترتيبات».

وفي تلك اللحظة تماماً، جاء بعض الهوبيتين يجرون، والذين كانوا قد تم إرسالهم باتجاه قرية هوبيتون، وقالوا: «إنهم قادمون! قرابة العشرين أو أكثر. ولكن ذهب اثنان غرباً بعيداً عن الطريق الرئيسي».

فقال كُوتُنْ: «إلى واي ميت، سوف يكون ذلك، ليجلبوا المزيد من أفراد العصابة. حسناً، إنها مسافة خمسة عشر ميلاً ذهاباً وإياباً. لسنا بحاجة للقلق بشأنهم بعد».

وأسرع ميري ليعطي الأوامر. وأخلى الفلاح كُوتُنْ الشوارع، حيث أرسل الجميع إلى داخل البيوت، باستثناء الهوبيتيين الأكبر سناً الذين كانت معهم أسلحة من نوع ما. لم يكن أمامهم الكثير من الوقت للانتظار. وسريعاً سمعوا أصواتاً عالية، وعندئذ وطئت أقدام ثقيلة. وفي الوقت الحالي جاءت زمرة كاملة من قطاع الطرق عبر الطريق. ورأوا الحاجز وضحكوا. إنهم لم يتصوروا أنه كان هناك أي شيء في هذا البلد الصغير سوف يصمد أمام عشرين من نوعيتهم مجتمعين.

وفتح الهوبيتيون الحاجز ووقفوا على الجانبين، وقال الرجال في سخرية: «شكراً لكم! والآن اجروا إلى منازلكم وناموا قبل أن تجلدوا بالسوط». عندئذ راحوا يسيرون عبر الشارع يصيحون: «أطفئوا هذه المصابيح والأضواء! ادخلوا مساكنكم وابقوا فيها! وإلا سوف نأخذ خمسين منكم إلى سجن لوك هوولز. ادخلوا! الرئيس بدأ يفقد حلمه».

ولم يعر أي واحد أي انتباه أو اهتمام لأوامرهم؛ ولكن بينما كان قطاع الطرق يمرون، أطبقوا عليهم من ورائهم وتبعوهم. وعندما وصل الرجال إلى النار كان هناك الفلاح كُوتُنْ يقف بمفرده يدفئ يديه.

وقال قائد قطاع الطرق: «من أنت، وماذا تظن أنك تفعل؟».

ونظر الفلاح كُوتُنْ إليه في بطء: «كنتُ سأسألك نفس السؤال في الحال. هذا ليس بلدك، وأنت غير مرغوب فيك».

فقال القائد: «حسناً، أنت مرغوب فيك على أية حال ومطلوب. إننا نريدك. خذوه يا رجال! زنازين لوك هوولز له، وأعطوه شيئاً يبقيه هادئاً».

وتقدم الرجال خطوة واحدة للأمام وتوقفوا فجأة. ارتفعت صيحة وجلبة من أصوات في كل مكان حولهم، وفجأة أدركوا أن الفلاح كُوتُنْ لم يكن وحده. لقد كانوا محاطين من جميع النواحي. وفي الظلمة على حافة ضوء النار وقفت حلقة من الهوبيتيين ممن كانوا قد زحفوا صاعدين من خارج الظلال. كان هناك قرابة مائتين منهم وكانوا جميعاً يحملون سلاحاً من نوع أو آخر.

وتقدم ميري للأمام، وقال للقائد: «لقد التقينا من قبل، وقد حذرتك ألا تعود إلى هنا. وإنني أحذرك مرة أخرى: إنك تقف في الضوء وأنت مغطى بالأقواس. إذا لمست

الفلاح، أو أي شخص آخر، فسوف ترمى وتقتل في الحال. ألقِ أرضاً أي أسلحة تكون معك!».

ونظر القائد حوله. لقد وقع في مصيدة. ولكنه لم يصب بالرعب ولا الفزع، ليس الآن ومعه عشرون من زملائه ليعضدوه. كان يعرف قليلاً للغاية عن الهوبيتيين بحيث لم يكن يفهم الخطر الذي يحدق به. وفي حماقة قرر أن يقاتل. سوف يكون من السهل الهروب.

وصاح: «اهجموا عليهم يا رجال! دعوهم ينالوا ما يستحقون من مصير!».

وبسكين طويل في يده اليسرى وهراوة في اليد الأخرى اندفع مهاجماً الحلقة، محاولاً أن يجد منفذاً للرجوع باتجاه قرية هوبيتون. وسدد ضربة وحشية إلى ميري الذي كان يقف في طريقه. وسقط ميتاً بأربعة سهام استقرت فيه.

وكان هذا كافياً بالنسبة للآخرين. واستسلموا. وأُخذَت أسلحتهم منهم، ورُبطوا بالحبال معاً، ودُفعوا للسير إلى كوخ خال كانوا قد بنوه هم أنفسهم، وهناك ربطوا أيديهم وأرجلهم، وحبسوهم تحت حراسة. وتم جر القائد الميت ودفنه.

وقال كُوتُنْ: «الأمر يكاد يبدو سهلاً للغاية بخلاف المتوقع، أليس كذلك؟ قلتُ إن بإمكاننا قهرهم والتغلب عليهم. ولكننا كنا بحاجة إلى دعوة ودافع. لقد عدتم في اللحظة الأخيرة، يا سيد ميري.

وقال ميري: «هناك الكثير مما لا يزال علينا فعله. إذا كنتَ على صواب في تقديرك لعددهم، إننا لم نتعامل بعد مع عُشرهم. ولكن الدنيا مظلمة الآن. أعتقد أن الضربة القادمة يجب أن تنتظر حتى الصباح. عندئذ ينبغي علينا أن نقوم بزيارة للزعيم».

فقال سام: «ولم لا الآن؟ الساعة لا تزيد كثيراً عن السادسة. وأريد أن أرى والدي الجافر العجوز. هل تعرف ما صار إليه حاله يا سيد كُوتُنْ؟».

فقال له الفلاح: «إنه ليس بخير جداً، وليس في وضع سيئ جداً، يا سام. لقد نبشوا باج شوت رو، وتلك كانت ضربة حزينة له. إنه في أحد هذه المنازل الجديدة التي كان رجال الزعيم يبنونها عندما كانوا لا يزالون يعملون شيئاً غير الحرق والسرقة: ليس على مسافة تزيد على الميل من قرية مجاورة الماء. ولكنه يأتي إليها من وقت لآخر، عندما تتاح له فرصة، وأرى أنه يحصل على طعام أفضل من بعض الأجساد المسكينة. وكل ذلك ضد القواعد، بالطبع. كنتُ سأدعه يقيم معي، ولكن ذلك لم يكن مسموحاً به».

فقال له سام: «شكراً لك حقاً، يا سيد كُوتُنْ، ولن أنسى لك هذا أبداً. ولكني أريد أن أراه. ذلك الرئيس وذلك الـ «شاركي» حسبما يتحدثون عنهما فقد يفعلون أمراً سيئاً بغيضاً هناك قبل الصباح».

فقال له كُوتُنْ: «حسناً يا سام. اختر رجلاً أو رجلين واذهب وأحضره إلى منزلي.

لن تكون بحاجة إلى الاقتراب من قرية هوبيتون القديمة على صفحة نهر الماء. سوف يريك جولي الطريق».

وانطلق سام. ورتب ميري عمليات الحراسة والمراقبة حول القرية ووضع الحراس على الحواجز أثناء الليل. عندئذ انطلق هو وفرودو مع الفلاح كُوتُن. وجلسوا مع العائلة في المطبخ الدافئ، وسألهم أهل بيت كُوتُن أسئلة قليلة مؤدبة عن أسفارهم، ولكن كانوا لا يكادون ينصتون للإجابة: كان أكثر اهتمامًا بالأحداث التي تجري في المقاطعة.

وقال الفلاح كُوتُن: «بدأ الأمر كله بـ (بيمبل) حسبما نسميه، وبدأ بمجرد أن غادرت أنت يا سيد فرودو. كانت لديه أفكار غريبة، كانت لدى بيمبل. كان يبدو أنه يريد أن يملك كل شيء لنفسه، وعندئذ يأمر الآخرين من حوله ويحكمهم. وسريعًا اتضح بالفعل أن لديه نظرًا أكثر مما كان مفيدًا ونافعًا له؛ وكان دائمًا ما يختطف أكثر، على الرغم من أن المكان الذي كان يحصل منه على المال كان سرًا غامضًا: طواحين وحانات ومزارع تبغ. لقد اشترى بالفعل طاحونة سانديمان قبل أن يأتي إلى باج إيند، فيما يبدو.

«بالطبع بدأ بالكثير من الممتلكات في الربع الجنوبي التي كانت قد آلت إليه من والده؛ ويبدو أنه كان يبيع الكثير من أفضل أوراق التبغ، ويرسله بعيدًا في هدوء لمدة عام أو عامين. ولكن في نهاية السنة الماضية بدأ يرسل بعيدًا أحمالًا من الأشياء، ليس فقط أوراق التبغ. بدأت الأشياء تنقص، والشتاء قادم، كذلك. وغضب الناس، ولكن كان عنده رده. وجاء الكثير من الرجال، قطاع طرق في الأعم الأغلب، بعربات كبيرة، بعضها لحمل البضائع جنوبًا إلى أماكن بعيدة، وآخرون ليبقوا. وجاء آخرون. وقبل أن نعرف أين كنا كانوا يزرعون هنا وهُناك في كل مكان في المقاطعة، وكانوا يقطعون الأشجار وينبشون ويبنون لأنفسهم سقائف ومنازل على النحو الذي كانوا يحبون ويرغبون فيه تمامًا. في البداية كانت البضائع والتعويضات عن الأضرار يدفعها بيمبل؛ ولكن سريعًا بدءوا يستبدون في المكان ويأخذون ما كانوا يريدون.

«عندئذ كانت هناك بعض المشاكل، ولكن لم تكن كافية. وخرج ويل العجوز العمدة إلى باج إيند للاحتجاج، ولكنه لم يصل إلى هناك أبدًا. وضع قطاع الطرق أيديهم عليه وأخذوه وحبسوه في حفرة في مايكل ديلفينج، وها هو ذا هناك الآن. وبعد ذلك، كان ذلك بعد السنة الجديدة مباشرة، لم يكن هناك عمدة، وسمى بيمبل نفسه رئيس شرطة المقاطعة، أو الرئيس فقط، وراح يتصرف كيفما شاء؛ وإذا صار أي شخص «مغرورًا» حسبما يسمون هم ذلك، فإنه كان يتبع ويل. وهكذا تحولت الأشياء من سيئ لأسوأ. لم يكن هناك أي تبغ تبقى، إلا لرجال الزعيم؛ ولم يوافق الزعيم على البيرة، إلا لرجاله، وأغلق كل الحانات؛ وأصبح كل شيء باستثناء القواعد أقصر

وأقصر، إلا إذا استطاع واحد أن يخفي جزءًا من حاجياته عندما يكون قطاع الطرق يسيرون في المكان يجمعون الأشياء «لتوزيعها بالعدل»: الأمر الذي يعني أنهم يأخذونها ونحن لا نأخذها، باستثناء البقايا التي يمكنك أن تحصل عليها في دور الشرطة، إذا كانت نفسك تستسيغها. كل شيء سيئ جدًا. ولكن منذ أن أتى شاركي فإن كل شيء صار خرابًا ودمارًا محضًا».

وقال ميري: «ومن هو هذا الشاركي؟ سمعتُ أحد قطاع الطرق يتحدث عنه».

وأجابه كُوتُن: «قاطع الطرق الأكبر من بينهم جميعًا، فيما يبدو. حدث قرابة موسم الحصاد الأخير، نهاية شهر سبتمبر ربما، إننا سمعنا عنه أول مرة. إننا لم نره أبدًا، ولكنه هناك عالٍ في باج إيند؛ وهو الزعيم الحقيقي الآن، في ظني. جميع قطاع الطرق يفعلون ما يقوله؛ وما يقوله هو في الأعم الأغلب: اقطعوا، احرقوا، دمروا؛ والآن وصل الأمر للقتل. بل لم يعد هناك أي إحساس سيئ في ذلك. إنهم يقطعون الأشجار ويتركونها في مكانها، ويحرقون الدور ولم يعودوا يبنون.

«أخذوا طاحونة سانديمان الآن. لقد هدمها بيمبل تقريبًا بمجرد أن جاء إلى باج إيند. عندئذ أحضر كثيرًا من الرجال ذوي المناظر القذرة ليبنوا واحدة أكبر ويملئوها كاملة بالعجلات والآلات الغريبة. ذلك الأحمق تيد فقط هو الذي كان يعجبه ذلك، وهو يعمل هنا، ينظف العجلات للرجال، حيث كان والده الطحان وسيد نفسه. كانت فكرة بيمبل أن يطحن أكثر وأسرع، أو هكذا قال هو. كانت لديه طواحين أخرى مثلها. ولكن ينبغي أن يكون لديك حنطة قبل أن يمكنك أن تطحن؛ ولم يكن هناك المزيد من الحنطة للطاحونة الجديدة لتطحنه أكثر مما كان هناك للقديمة. ولكن منذ أن أتى شاركي، فإنهم لم يطحنوا أي ذُرة على الإطلاق. كانت دائمًا تطرق وتطلق الدخان والرائحة الكريهة، ولم يكن هناك أي سلام حتى بالليل في قرية هوبيتون. وراحوا يصبون القاذورات في الخارج عن عمد؛ لقد أفسدوا نهر المياه الأدنى تمامًا، وهو ينزل سائرًا إلى نهر برانديواي. إذا كانوا يريدون تحويل المقاطعة إلى صحراء، فإنهم في الطريق الصحيح إلى ذلك. لا أظن أن ذلك الأحمق بيمبل هو الذي وراء ذلك كله. إنه شاركي، أقول لكم».

وتدخل توم الصغير وقال: «هذا صحيح! ولا عجب في ذلك، لقد أخذوا حتى أمه العجوز، تلك الـ «لوبيليا» أخذوها، وكان مغرمًا بها، إذ لم يكن أي أحد آخر مغرمًا بها. بعض الهوبيتيين رأوا ذلك. إنها تأتي تسير في الطريق بمظلتها القديمة. كان بعض قطاع الطريق يسيرون في عربة كبيرة.

وقالت هي: «إلى أين أنت ذاهب؟».

وردوا عليها قائلين: «إلى باج إيند».

فردت عليهم متسائلة: «لماذا؟».

وقالوا هم: «لنشيد بعض السقائف لشاركي».

وقالت هي: «من الذي قال إنكم تستطيعون ذلك؟».

وقالوا هم: «شاركي. ولذلك ابتعدي عن الطريق، أيتها العجوز!».

وقالت هي: «سوف أعطيكم شاركي، أيها اللصوص قطاع الطرق القذرين!» ونهضت بمظلتها وذهبت إلى القائد، وكان ضعف حجمها تقريبًا. وهكذا أخذوها. وجروها إلى زنازين لوك هوولز، على الرغم من كبر سنها كذلك. لقد أخذوا آخرين نفتقدهم أكثر، ولكن لا يمكن أن ينكر أحد أنها أظهرت شجاعة أكثر من معظمنا».

وفي وسط هذا الحديث جاء سام، مندفعًا بوالده الجافر العجوز. لم يكن جامجي العجوز يبدو أكبر سنًا بكثير، ولكنه كان أقل صممًا، وقال:

«طاب مساؤك يا سيد باجينز! سعيد حقًا لرؤيتك تعود سالمًا. ولكن لدي مسألة أريد أن أناقشها معك، إذا جاز التعبير، وإذا جاز لي أن أكون جسورًا للغاية. لم يكن ينبغي على الإطلاق أن تبيع باج إيند، مثلما كنت أقول دائمًا. ذلك هو الذي بدأ كل هذا السوء والشر. وبينما كنت أنت تطوف في أماكن غريبة أجنبية، تطارد رجالًا سودًا عاليًا في الجبال بناء على ما قاله ابني سام، على الرغم من أنه لم يوضح لي السبب وراء ذلك، فإنهم جاءوا إلى هنا ونبشوا باج شوت رو ودمروا زراعتي من البطاطس!».

فقال له فرودو: «إنني في غاية الأسف يا سيد جامجي. ولكني الآن عدت، سوف أبذل قصارى جهدي لإصلاح ذلك كله».

وقال العجوز: «حسنًا، لا يمكنك أن تقول ما هو أجمل من ذلك. السيد فرودو باجينز هوبيتي طيب حقًا، كنت دائمًا أقول ذلك، مهما يكن من ظنك في بعض الآخرين الذين يحملون الاسم، إذا سمحت لي وسامحتني. وأتمنى أن يكون ابني سام قد تصرف على النحو اللائق وأرضاك؟».

فقال له فرودو: «رضا تام، يا سيد جامجي. حقًا، إذا كنت ستصدق ذلك، إنه الآن واحد من أشهر الناس في جميع البلاد، وهم يؤلفون أغانيَ عن أعماله البطولية من هنا إلى البحر وفيما وراء النهر العظيم». واحمر وجه سام خجلًا، ولكن نظر في امتنان إلى فرودو؛ لأن عيني روزي كانتا تلمعان وكانتا تبتسمان في وجهه.

وقال العجوز: «يستغرق الأمر الكثير من التصديق، على الرغم من أنني أرى أنه كان مختلطًا مع مجموعة غريبة. ما الذي حدث لصدريته؟ إنني لا أوافق على لبس الحديد والأدوات المعدنية. سواء كانت جيدة في لبسها أو لا».

استيقظ أهل بيت الفلاح كوتن وجميع ضيوفه مبكرين في صباح اليوم التالي. لم يسمع أي شيء في الليل، ولكن بكل تأكيد سوف يأتي المزيد من المشاكل قبل أن يتقدم النهار. وقال كوتن: «يبدو وكأنه لم يترك أي أحد من قطاع الطرق في باج إيند، ولكن العصابات من واي ميبت سوف تصل في أي وقت الآن».

وبعد الإفطار جاء رسول من أرض التوكيين (توككلاند) على فرسه، وقال: «لقد أيقظ الحاكم العسكري كل الناس في بلدنا والأخبار تسري مثل النار في جميع الطرقات والاتجاهات. قطاع الطرق الذين كانوا يراقبون أرضنا فروا هاربين جنوبًا، أولئك الذين هربوا أحياء. وقد ذهب الحاكم العسكري في عقبهم، ليصد عصابة كبيرة عبر ذلك الطريق ويدحرهم؛ ولكنه أعاد السيد برجرين مع كل الأشخاص الآخرين الذين كان يستطيع أن يوفرهم ويستبقيهم له».

الخبر التالي كان أقل جودة. جاء ميري الذي كان بالخارج طوال الليل حوالي الساعة العاشرة تمامًا، وقال: «هناك مجموعة على بعد حوالي أربعة أميال. إنهم قادمون على الطريق الذي يأتي من واي ميبت، ولكن انضم إليهم عدد كبير من قطاع الطرق الضالين. لا بد أن عددهم يقارب المائة؛ وهم يحرقون كل شيء في طريقهم. اللعنة عليهم!».

وقال الفلاح كوتن: «آه! هذه المجموعة لن تبقى لتتحدث، سوف يقتلون، إذا استطاعوا. إذا لم يأت التوكيون سريعًا، فمن الأفضل أن نختبئ خلف ستار ونبدأ في الرماية عليهم دون نقاش. لا بد أن يكون هناك قتال قبل أن تتم تسوية ذلك، يا سيد فرودو».

ولم يأت التوكيون سريعًا. وقبل أن يمضي وقت طويل وصلوا، مائة أقوياء من تكبارو والتلال الخضراء مع ببين على رأسهم. كان مع ببين الآن عدد كاف من الهوبيتيين الأشداء للتعامل مع قطاع الطرق. قال الكشافة إنهم ملتحمون ومتضامون معًا. وقد عرف أن الريف قد ثار ضدهم، وقد قصدوا التعامل مع الثورة بدون هوادة، في مركزها في مجاورة الماء. ولكن مهما يكن من تجهمهم وقسوتهم، فلم يكن يبدو أن بينهم قائد يفهم الحرب وشئونها. لقد جاء بدون أي تدابير احتياطية. ووضع ميري خططه سريعًا.

وجاء قطاع الطرق يمشون بتثاقل يدكون الأرض عبر الطريق الشرقي، وبدون توقف اتجهوا إلى طريق مجاورة الماء، الذي سار صاعدًا بانحدار لمسافة معينة بين الضفاف العالية ذات السياجات الشجرية المنخفضة في أعلاها. وحول منحنى، على بعد مسافة فرسخ تقريبًا من الطريق الرئيسي، قابلوا حاجزًا شديدًا من عربات المزرعة القديمة مقلوبة. وأوقفهم ذلك. وفي نفس اللحظة أدركوا أن السياجات الشجرية على كلا الجانبين، فوق رءوسهم مباشرة، كانت كلها مصطفة بالهوبيتيين. ووراءهم راح

هوبيتيون آخرون عندئذ يدفعون عربات أخرى كانت مخبأة في حقل من الحقول، وسدوا عليهم طريق العودة. وراح صوت يتحدث معهم من فوقهم.

«حسنًا، لقد دخلتم في مصيدة» هذه كانت كلمات ميري لهم. «وقد فعل رفاقكم من قرية هوبيتون نفس الشيء، ومات واحد منهم والآخرون أسرى. أي واحد يحاول الفرار سوف يُرمى ويقتل».

ولكن قطاع الطرق لم يكن من السهل الآن إرعابهم وإخافتهم بسهولة. وخضع عدد قليل منهم وأذعنوا، ولكن سريعًا ما حثهم رفاقهم ودفعوهم للهجوم. وهاجم عشرون أو أكثر العربات التي كانت في الخلف. وقُتل ستة منهم، ولكن الباقين هاجموا بشدة وقتلوا اثنين من الهوبيتيين، وعندئذ تبعثروا بعيدًا عن الطريق الرئيسي باتجاه منطقة الغابات الجبلية المرتفعة[1]. وسقط اثنان آخران بينما كانا يجريان. وأطلق ميري نفخة عالية من بوقه، وجاءت نداءات مجيبة من مسافة بعيدة.

وقال بيبين: «إنهم لم يذهبوا بعيدًا! كل هذا البلد حي ويعج بصيادينا الآن».

وفي الخلف، حيث الرجال الذين كانوا في المصيدة على الطريق، كان لا يزال عددهم حوالي الثمانين يحاولون تسلق الحاجز والضفاف، وكان الهوبيتيون مضطرين لرمي الكثيرين منهم أو شقهم بالفئوس والبلطات. ولكن الكثيرين من الذين كانوا أكثرهم قوة وأشدهم بأسًا خرجوا إلى الجانب الغربي، وهاجموا عدوهم بشراسة، حيث كانوا عندئذ أكثر تصميمًا على القتال من الهرب. وسقط هوبيتيون عديدون، وكان الباقون يترنحون، عندما جاء ميري وبيبين اللذين كانا في الجانب الشرقي، وعبرا مهاجمين قطاع الطرق. ميري نفسه قتل قائدهم، شخص وحشي ضخم أحول العينين مثل أوركي ضخم. عندئذ سحب قواته، وطوق البقية الباقية من الرجال في حلقة واسعة من الرماة.

وأخيرًا انتهى كل شيء. كان قرابة سبعين من قطاع الطرق يرقدون أمواتًا في الحقل، وكان زهاء العشرة منهم أسرى. قتل تسعة عشر هوبيتيًا، وجرح زهاء الثلاثين. وحُمل قطاع الطرق القتلى على عربات وسحبوا إلى منطقة رملية قريبًا ودفنوا هناك: في «حفرة المعركة»، حسبما أُطلق عليها بعد ذلك. ووضع القتلى من الهوبيتيين معًا في قبر بجانب التل، حيث تم وضع نصب تذكاري عظيم في وقت لاحق وحديقة من حوله. وهكذا انتهت معركة مجاورة الماء، 1419، آخر معركة جرت على أرض المقاطعة، والمعركة الأخيرة منذ «الحقول الخضراء» 1147، بعيدًا في الربع الشمالي. وبناء على ذلك، على الرغم من أنها فيما يحتمل قد أودت بحياة مجموعة قليلة من

(1) Woody End منطقة غابات مرتفعة في الربع الشرقي [Eastfarthing] من المقاطعة [Shire] بين بلدة التل الأخضر [Green Hill Country] في الغرب والمستنقعات [Marish] في الشرق. (المترجم)

الأشخاص، فإنها حظيت بفصل في «الكتاب الأحمر»، ووضعت أسماء كل أولئك الذين شاركوا فيها في سجل خاص، وحفظها مؤرخو المقاطعة عن ظَهر قلب. التغير الأكثر أهمية وخطورة في شهرة وحظ عائلة كوتن يعود إلى هذا الوقت؛ ولكن في قمة السّجل في جميع الروايات يأتي اسم القائدين ميريادوك وبيرجرين.

كان فرودو في المعركة، ولكنه لم يستل سيفًا، وكان دوره الرئيسي منع الهوبيتيين في غضبهم وحنقهم على خسائرهم، من ذبح وقتل أولئك الأشخاص من أعدائهم الذين ألقوا أسلحتهم واستسلموا. وعندما انتهى القتال، وتم توزيع الأعمال التالية، انضم إليه ميري وبيبين وسام، وساروا عائدين على أفراسهم إلى أهل بيت كوتن. وتناولوا وجبة غداء متأخرة، وعندئذ قال لهم فرودو بتنهيدة: «حسنًا، أعتقد أنه حان الوقت الآن للتعامل مع «الزعيم»».

وقال ميري: «نعم، في حقيقة الأمر؛ وكلما كان ذلك أسرع، كان أفضل. ولا تكن لطيفًا أكثر من اللازم! إنه مسئول عن جلب قطاع الطرق هؤلاء إلى المقاطعة، كما إنه مسئول عن كل الشرور التي فعلوها».

وجمع الفلاح كُوتن مجموعة تقارب العشرين من الهوبيتيين الأشداء، وقال: «لأن الأمر ليس مجرد تخمين؛ إنه ليس هناك أي قطاع طرق بقوا في باج إِينْد. إننا لا نعلم يقينًا». بعد ذلك خرجوا سيرًا على الأقدام. وتقدم الجميع فرودو وسام وميري وبيبين.

كانت ساعة من أكثر الساعات حزنًا في حياتهم. كانت المدخنة الكبيرة ترتفع وراءهم؛ وبينما كانوا يقتربون من القرية القديمة عبر نهر الماء، من خلال صفوف من منازل جديدة وضعيفة عبر كل جانب من جانبي الطريق، رأوا الطاحونة الجديدة بكل ما كان بها من كآبة وقبح وقذر: بناء هائل من الطوب يمتطي النهر، وكانت تلوثه بتيار متدفق من البخار والروائح النتنة. وعبر طريق مجاورة الماء بطوله، تم اقتلاع جميع الأشجار.

وبينما كانوا يعبرون الجسر نظروا لأعلى التل وراحوا يلهثون وأفواههم فاغرة. حتى رؤية سام في المرآة لم تعده وتؤهله لما رأوه. تم هدم المزرعة القديمة الموجودة في الجانب الغربي، وأخذت مكانها صفوف من سقائف مكسوة بالقطران. واختفت جميع أشجار الكستناء. وتكسرت الضفاف والسياجات الشجرية. وكانت هناك عربات كبيرة تقف في غير نظام في حقل أجرد خال من أي حشائش. كان صف باج شوت رو رمالًا مفتوحة ومحجرًا. ولم يكن بالإمكان رؤية باج إيند وراء ذلك بسبب مجموعة من أكواخ كبيرة غير منظمة.

ـ وصاح سام: «لقد قطعوها! لقد قطعوا شجرة الحقل!». وأشار إلى المكان الذي كانت الشجرة توجد فيه، والتي ألقى بيلبو خطبة وداعه تحتها. كانت ترقد على الأرض مقطعة وميتة في الحقل. وكما لو كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير، انفجر سام في البكاء.

وجاءت ضحكة وضعت نهاية لتلك الدموع. كان هناك هوبيتي فظ مكفهر مسترخ على الجدار الواطئ لفناء الطاحونة. وكان وجهه عابسًا كالحًا وكانت يداه سوداوين، وقال في سخرية واستهزاء: «ألا تعجبك يا سام؟ ولكنك كنت ناعمًا ورخوًا دائمًا. ظننتُ أنك اختفيت في واحدة من السفن التي كنت تثرثر بشأنها، ورحت تبحر وتبحر. لماذا عدت مرة أخرى؟ لدينا عمل علينا أن ننجزه في المقاطعة الآن».

فقال سام: «هكذا أرى. ليس هناك وقت للاستحمام والاغتسال، ولكن هناك وقت فقط لتقوية الجدران. ولكن انظر هنا، أيها السيد سانديمان، لدي حساب علي أن أسويه في هذه القرية، ولا تجعل الأمر أطول من ذلك بسخريتك واستهزائك وإلا فإنك سوف تدفع فاتورة كبيرة للغاية بحيث تفوق قدرات جيبك».

وبصق سانديمان على الجدار وقال: «اللعنة! لا يمكنك أن تمسني. إنني صديق للرئيس. ولكنه سوف يمسك بكل تأكيد، إذا أنت تحدثت كثيرًا».

وقال فرودو: «لا تضيع أي كلمات أكثر من ذلك مع هذا الأحمق يا سام! أتمنى ألا يكون هناك الكثيرون من الهوبيتيين قد أصبحوا مثل هذا. سوف يكون ذلك مشكلة أسوأ من كل الضرر الذي أحدثه قطاع الطرق».

فقال ميري: «أنت قذر ووقح يا سانديمان. كما أنك أيضًا خارج نطاق تقديرك بكثير. إننا ذاهبون لأعلى التل لنخرج رئيسك الثمين الغالي. لقد تعاملنا مع رجاله».

وفغر تيد فاه؛ لأنه في تلك اللحظة رأى لأول مرة المجموعة التي راحت تسير بناء على إشارة واحدة من ميري فوق الجسر. واندفع عائدًا للوراء إلى الطاحونة وراح يجري ببوق وهو ينفخه عاليًا.

وضحك ميري: «وفر عليك نفسك! لدي واحد أفضل منه». وبعد ذلك رفع بوقه الفضي ونفخ فيه، ودوى صوته الواضح عاليًا فوق التل؛ ومن الحفر والسقائف والمنازل القديمة في قرية هوبيتون أجابه الهوبيتيون وجاءوا يتدافعون، وبصيحات وصرخات عالية تبعوا المجموعة عبر الطريق إلى باج إيند».

وعند أعلى الطريق توقفوا، وواصل فرودو وأصدقاؤه السير؛ ووصلوا أخيرًا إلى المكان الذي كان محبوبًا في يوم من الأيام. كانت الحديقة مليئة بالأكواخ والسقائف، كان بعضها قريبًا من النوافذ الغربية القديمة التي حرموها من كل أضوائها. كانت هناك أكوام من المخلفات والنفايات في كل مكان. كان الباب مشققًا؛ وكانت سلسلة الجرس مدلاة سائبة، ولم يكن الجرس يدق. ولم يأت الطرق بأي إجابة. وأخيرًا، دفعوا الباب، وانفتح الباب بالقوة. ودخلوا. كانت رائحة المكان عفنة وكان مليئًا بالقاذورات وغير مرتب: لم يكن يبدو أنه كان يستخدم لبعض الوقت.

وقال ميري: «أين يختبئ لوثو التعيس؟». لقد بحثوا في كل الغرف ولم يجدوا أي مخلوق حي باستثناء الجرذان والفئران. «هل نطلب من الآخرين أن يبحثوا في كل السقائف؟».

وقال سام: «هذا المكان أسوأ من موردور! أسوأ بكثير إلى حد ما. إنها تأتي إليك في الديار، حسبما يقولون؛ لأن هذه هي الديار، وأنت تتذكرها قبل أن تخرب وتهدم تمامًا».

فقال فرودو: «نعم، هذه هي موردور. إنه فقط واحد من أعمالها. كان ساروما ن يقوم بأعمالها طوال الوقت، حتى عندما كان يظن أنه يعمل لنفسه. وينسحب نفس الشيء على أولئك الذين كان سارومان يخدعهم، مثل لوثو».

ونظر ميري حوله في رعب واشمئزاز، وقال: «هيا بنا نخرج! لو أنني كنتُ أعلم كل الأذى الذي أحدثه، لكنت قد حشوت جرابي في حلق سارومان».

«لا شك في ذلك، لا شك في ذلك! ولكنك لم تفعل، وهكذا فإنني أستطيع أن أرحب بك في بيتك». كان الذي يقف على الباب هو سارومان نفسه، وقد بدا جيد التغذية ومسرورًا للغاية؛ وكانت عيناه تتوهجان بالشر والمتعة.

وظهر ضوء مفاجئ على فرودو، وصاح: «شاركي!».

وضحك سارومان: «إذن فقد سمعتَ الاسم، أليس كذلك؟ جميع شعبي اعتادوا أن ينادوني بذلك الاسم في أيزنجارد، حسبما أعتقد. علامة على الحب، ربما[1]. ولكن من الواضح أنك لم تتوقع أن تراني هنا».

فقال فرودو: «نعم لم أتوقع ذلك. ولكن ربما كان بإمكاني أن أخمن. أذى قليل بطريقة وضيعة: لقد حذرني جَنْدَلْف أنك كنت لا تزال قادرًا على الأذى».

وقال سارومان: «قادر تمامًا، وأكثر من قليل. لقد جعلتموني أضحك، أيها السادة الهوبيتيون، وأنتم تسيرون على الأفراس مع كل أولئك الناس العظماء، آمنين للغاية ومسرورين للغاية بأنفسكم الصغيرة. كنتم تظنون أنكم قد أبليتم بلاء حسنًا ونجوتم من ذلك كله، والآن يمكنكم العودة مباشرة، كما يمكنكم أن تمضوا وقتًا لطيفًا في الريف. يمكن أن يتم تدمير ديار سارومان كلها، ويمكن إخراجه، ولكن لا يمكن لأحد أن يمس ديارك. أوه، كلا! سوف يهتم جَنْدَلْف بشئونك».

وضحك سارومان مرة أخرى. «ليس هو! عندما تكون أدواته قد فعلت مهمتها فإنه يرميها. ولكن ينبغي أن تذهب وراءه تابعًا إياه، وتضيع الوقت وتتكلم، وتسير ضعف ما كنت بحاجة إليه. وفكرتُ أنا «حسنًا، إذا كانوا حمقى إلى هذا الحد، فإنني سوف أسبقهم وأعلمهم درسًا. واحدة بواحدة والبادي أظلم». كان من الممكن أن يكون الدرس أشد حدة وقسوة، لو أنك كنت قد منحتني وقتًا أطول بكثير وعددًا أكبر قليلًا من الرجال. ومع

(1) من المحتمل أن الكلمة كانت [Orkish] في الأصل: أي sharku، شاركو، ومعناها old man أي العجوز. هذا الهامش من وضع المؤلف نفسه، أي أنه من صلب القصة. (المترجم)

ذلك فإنني قد فعلتُ الكثير بالفعل لدرجة أنك ستجد صعوبة في إصلاحه أو إلغائه طوال حياتك. وسوف يكون لطيفًا التفكير في ذلك ووضعه لقاء ما لحق بي من إصابات».

ورد عليه فرودو بقوله: «حسنًا، إذا كان هذا ما تجد متعتك فيه، فإنني أشفق عليك. سوف تكون متعة الذكرى فقط، فيما أخشى. اذهب الآن وفي الحال ولا تعد مطلقًا!».

لقد رأى هوبيتيو القرى ساروما‌ن وهو يخرج من واحد من الأكواخ، وفي الحال جاءوا متزاحمين إلى باب باج إيند. وعندما سمعوا أمر فرودو، فإنهم غمغموا في غضب: «لا تتركه يذهب! اقتله! إنه وغد وقاتل. اقتله!».

ونظر ساروما‌ن حوله في وجوههم المعادية وابتسم، وقال في سخرية واستهزاء: «اقتله! اقتله، إذا كنت تعتقد أن هناك عددًا كافيًا منكم أيها الهوبيتيون الشجعان!». واستجمع شجاعته، وحدق فيهم في شر بعينيه السوداوين. «ولكن لا تظنوا أنني عندما فقدتُ كل بضائعي أنني فقدتُ كل قوتي! أي شخص سوف يضربني سوف تصيبه اللعنة. وإذا لطخ دمي المقاطعة، فإنها ستذبل وتذوي ولن تشفى أبدًا بعدها».

وتراجع الهوبيتيون. ولكن فرودو قال: «لا تصدقوه! لقد فقد كل قوته، اللهم إلا صوته الذي لا يزال يخيفكم ويخدعكم، إذا أنتم تركتموه يفعل ذلك. ولكني لن أدعه يُذبح. من غير المجدي الرد على الانتقام بالانتقام: إن ذلك لن يشفي شيئًا. اذهب يا ساروما‌ن، عبر أسرع طريق!».

ونادى ساروما‌ن: «وورم! وورم!». ومن كوخ قريب جاء وورمتونج يحبو مثل كلب تقريبًا. وقال له ساروما‌ن: «إلى الطريق مرة أخرى، يا وورم! هؤلاء الرفاق والسادة الكرام يخرجوننا مرة أخرى ويدفعوننا إلى الطريق. هيا اتبعني!».

واستدار ساروما‌ن ليذهب، وتبعه وورمتونج مثل الكلب. ولكن بينما كان ساروما‌ن يمر قريبًا من فرودو، ومضت سكين في يده، وطعنه سريعًا. ولكن النصل اصطدم بالدرع المخفى وطق. وتقدم عشرة من الهوبيتيين يقودهم سام وقفزوا للأمام وهم يصيحون وطرحوا النذل على الأرض. واستل سام سيفه.

وقال فرودو: «لا يا سام! لا تقتله حتى الآن؛ لأنه لم يؤذني. وعلى أي حال من الأحوال فإنني لا أريده أن يُقتل في هذا الوضع الشرير. لقد كان في وقت من الأوقات عظيمًا، ومن نوع نبيل لا ينبغي أن نجرؤ على أن نرفع أيدينا ضده. لقد سقط، وعلاجه خارج نطاق قدراتنا؛ ولكني أفضل مع ذلك أن أبقي عليه، أملًا في أنه قد يجد هذا العلاج.

ونهض ساروما‌ن على قدميه، وحدق في فرودو. وكانت هناك نظرة غريبة في عينيه مزيج من الدهشة والاحترام والكراهية، وقال: «لقد كبرتَ أيها النصف. نعم، لقد كبرتَ كثيرًا. إنك حكيم، وقاسٍ. لقد سلبت انتقامي من الحلاوة، والآن ينبغي علي أن أذهب من هنا في مرارة، حاملًا لدين لرحمتك. إنني أكره ذلك وأكرهك! حسنًا، إنني

سوف أذهب ولن أضايقك أكثر من ذلك مرة أخرى. ولكن لا تتوقع مني أن أتمنى لك الصحة وطول العمر. لن تنال أيًا منهما. ولكن ليس هذا من صنيعي. إنني فقط أتنبأ».

وانصرف بعيدًا، وصنع له الهوبيتيون ممرًا ليمر منه؛ ولكن براجمهم كانت تومض بياضًا وهم يقبضون على أسلحتهم. وتردد وورمتونج، وبعد ذلك تبع سيده.

ونادى عليه فرودو: «وورمتونج! ليس لزامًا عليك أن تتبعه. لا أعلم عن أي شر فعلته معي. يمكنك أن تحصل على الراحة والطعام هنا لبعض الوقت، حتى تصبح أكثر قوة وبعدها يمكنك أن تمضي في حال سبيلك وتتصرف بطرائقك».

وتوقف وورمتونج ونظر للوراء إليه، شبه مستعد لأن يقول واستدار ساروما‌ن، وقال بطريقة حادة وساخرة: «أي شر؟ أوه، كلا! حتى عندما يتسلل في الخارج ليلًا فإن ذلك يكون فقط من أجل النظر في النجوم. ولكن هل سمعتَ شخصًا يسأل أين يختبئ لوثو المسكين؟ أنت تعرف، أليس كذلك يا وورم؟ هل ستخبرهم؟».

وجبن وورمتونج وراح ينشج ويئن ويقول: «لا، لا!».

فقال ساروما‌ن: «إذن فسوف أخبرهم أنا. لقد قتل وورم زعيمكم، الصديق الصغير المسكين، رئيسكم الصغير اللطيف. أليس كذلك، يا وورم؟ طعنه وهو نائم، في اعتقادي، ودفنه. أتمنى أن يكون قد فعل ذلك؛ على الرغم من أن وورم كان جائعًا جدًا في الفترة الأخيرة، كلا، وورم ليس لطيفًا حقًا. من الأفضل أن تتركه لي».

وظهرت نظرة كره جامح في عيني وورمتونج الحمراوين، وقال في هسيس: «أنت أخبرتني أن أفعل ذلك؛ أنت جعلتني أفعل ذلك».

وضحك ساروما‌ن. «أنت تفعل ما يقوله شاركي، دائمًا، أليس كذلك، يا وورم؟ حسنًا، الآن يقول: اتبعني!». وركل برجله وورمتونج في وجهه وهو منبطح على الأرض في تذلل، واستدار وانطلق بعيدًا. ولكن عند ذلك طق شـيء ما: نهض وورمتونج فجأة، وهو شاهر سكينًا كان مخفيًا، وعندئذ في شخير مثل كلب قفز على ظهر ساروما‌ن، وجذب رأسه للوراء، وقطع زوره، وبصرخة انطلق يجري سريعًا عبر الطريق الذي صنعه الهوبيتيون لهما. وقبل أن يفيق فرودو أو ينطق بكلمة، رنت ثلاثة أقواس من الهوبيتيين وسقط وورمتونج صريعًا على الأرض.

ولرعب أولئك الذين كانوا واقفين قريبًا، تجمع سديم رمادي حول جثة ساروما‌ن، وراح يرتفع بطيئًا إلى ارتفاعات عالية مثل الدخان الذي ينطلق من نار، وبدا فوق التل مثل شكل شاحب مسجى. وارتعش للحظة، وهو ينظر نحو الغرب؛ ولكن جاءت من الغرب ريح باردة، فمال بعيدًا، وفي تنهيدة تحلل ذاب وتحول إلى لا شيء.

ونظر فرودو إلى الجسد في شفقة ورعب؛ لأنه بينما كان ينظر بدا أن سنوات طويلة من الموت كُشفت وظهرت فجأة فيه، وانكمش، وأصبح الوجه الذابل خرقًا بالية

من جلد فوق جمجمةٍ بشعة رهيبة. ولما رفع طرف المعطف القذر الذي كان ملقى على الأرض إلى جوار الجثة، وكشفه، التفت بعيدًا.

وقال سام: «وهذه نهايته التي يستحقها. نهاية قذرة، وأتمنى أن لو لم يكن لزامًا علي أن أراها؛ ولكنها خلاص جيد».

وقال ميري: «وأتمنى أن تكون النهاية الأخيرة تمامًا للحرب».

فقال فرودو وهو يتنهد: «أتمنى ذلك. الضربة الأخيرة تمامًا. ولكن أن تفكر أنها سوف تقع هنا، في باج إيند الفقير تحديدًا! بين كل آمالي ومخاوفي فإنني لم أتوقع ذلك على الأقل».

وقال سام في كآبة وعبوس: «إنني لن أسميها النهاية، حتى ننظف كل هذه الفوضى. وسوف يستغرق هذا الأمر الكثير من الوقت والعمل».

الفصل التاسع
المرافئ الرمادية

احتاجت عملية التنظيف بكل تأكيد الكثير من العمل، ولكنها استغرقت وقتًا أقل مما كان سام يخشاه. وفي اليوم التالي للمعركة سار فرودو إلى مايكل ديلفينج وأطلق السجناء من زنازين لوك هوولز. كان أحد أول الذين وجدهم فريدجار بولجر المسكين، ولم يعد فاتي (السمين) كما كان. لقد أخذه قطاع الطرق عندما أخرج بالدخان مجموعة من الثوار كان يقودهم هو من مخابئهم في بروكين بورز إلى جوار تلال سكاري.

وقال بيبين، وهم يحملون نحو الخارج حيث إنه كان هزيلًا للغاية لدرجة أنه لم يكن يستطيع المشي: «كنت ستحسن صنعًا لو أنك جئت معنا على أية حال، يا فريدجار العجوز المسكين!».

وفتح عينًا وحاول أن يبتسم بشجاعة، وهمس قائلًا: «من هذا العملاق الشاب ذي الصوت العالي؟ ليس بيبين الصغير! كم مقاسك في القبعات الآن؟».

وبعد ذلك جاءت لوبيليا. ذلك الشيء المسكين، بدت عجوزًا جدًا ونحيلة عندما أنقذوها من زنزانة مظلمة وضيقة. وأصرت على أن تخرج وهي تعرج على قدميها؛ وتم استقبالها استقبالًا حافلًا، حيث كان هناك الكثير من التصفيق والصياح عندما ظهرت، وهي تتكئ على ذراع فرودو، بينما لا تزال ممسكة بمظلتها، لدرجة أنها تأثرت كثيرًا بذلك، وانخرطت في البكاء وهي تسير. لم تكن مشهورة طوال حياتها من قبل قط. ولكن خبر قتل لوثو سحقها حزنًا وكسرها، ولم تعد إلى باج إيند. وأعادته لفرودو، وذهبت إلى قومها، أهل بريس جيردل من هاردبوتل.

عندما ماتت المخلوقة المسكينة في الربيع التالي كانت سنها على أية حال تزيد على المائة سنة. كان فرودو مندهشًا ومتأثرًا للغاية؛ لقد تركت كل ما تبقى من مالها ومال لوثو له ليستخدمه في مساعدة الهوبيتيين الذين شردتهم المشاكل. وهكذا انتهت الضغينة.

مكث ويل ويتفوت العجوز في السجن في لوك هولز أكثر من أي شخص آخر، وعلى الرغم من أنه فيما يحتمل قد عومل بخشونة أقل من البعض، إلا أنه احتاج إلى الكثير من التغذية قبل أن يستطيع أن يبدو جزءًا من العمدة؛ ولذلك فقد وافق فرودو على أن يعمل نائبًا له، حتى صار السيد ويتفوت في حالة جيدة مرة أخرى. الشيء الوحيد الذي فعله كنائب للعمدة كان تحجيم أفراد شرطة المقاطعة وحصرهم في الوظائف والأعداد والمناسبة. تُركت مهمة مطاردة ما تبقى من قطاع الطرق لميري وبيبين، وقد تم إنجازها سريعًا. أما العصابات الجنوبية، فبعد سماعهم أخبار معركة

مجاورة الماء، فقد فروا خارج البلاد وقاوموا القائد العسكري للمقاطعة مقاومة قليلة. وقبل انتهاء العام، فإن العدد القليل من الباقين تم تطويقهم في الغابة، وأما أولئك الذين استسلموا فتم طردهم خارج الحدود.

وفي نفس الوقت فإن أعمال الإصلاح ظلت تجري على قدم وساق، وكان سام مشغولًا للغاية. يستطيع الهوبيتيون العمل مثل النحل عندما يكونون في حالة مزاجية تسمح بذلك وعندما تحتم الحاجة ذلك عليهم. والآن فقد كان هناك آلاف من الأيدي المتطوعة الراغبة من كل الأعمار، من الأيدي الرشيقة على صغرها لشباب وفتيات الهوبيتين إلى كريمي الأصل والمحتد والخشنين من الرجال كبار السن والسيدات العجائز. قبل أن يأتي عيد الميلاد، لم تترك طوبة واحدة واقفة في منازل أفراد شرطة المقاطعة الجديدة أو من أي شيء كان قد بناه «رجال شاركي»؛ ولكن تم استخدام الطوب في إصلاح الكثير من الحفر القديمة[1] وجعلها أكثر دفئًا وراحة وأكثر جفافًا. تم العثور على مخازن كبيرة من البضائع والطعام، والبيرة، كان قطاع الطرق قد أخفوها في سقائف وحظائر وحفر مهجورة، وعلى وجه الخصوص الأنفاق في مايكل ديلفينج وفي المحاجر القديمة في قرية سكاري[2]؛ وهكذا كان هناك قدر كبير للغاية من المرح والفرح في عيد الميلاد ذلك أكثر مما كان يأمل فيه أي شخص.

أحد أول الأشياء التي تم إنجازها في قرية هوبيتون، حتى قبل إزالة الطاحونة الجديدة، كان تنظيف التل وباج إيند، وترميم وتجديد باج شوت رو. وتمت تسوية ساحة اللعب الرملية وتم تحويلها إلى حديقة كبيرة مغطاة، وتم حفر حفر جديدة في الواجهة الجنوبية، المواجهة للتل من الخلف، وتم تبطينها بالطوب. وتم إرجاع الجافر العجوز إلى رقم ثلاثة؛ وكان غالبًا ما يقول ولم يكن يهمه إن كان أي أحد يسمع ذلك:

«إنها لريح سيئة تلك التي لا تجلب خيرًا لأحد، مثلما أقول دائمًا. وكل شيء يكون على ما يرام مادام ينتهي أفضل![3]»

كان هناك بعض النقاش بشأن الاسم الذي سيطلق على صف الأنفاق الجديد. فكر البعض في «حدائق المعركة» أو «أنفاق أفضل». ولكن بعد فترة من الوقت على الطريقة الهوبيتية المعقولة، أطلق عليها ببساطة اسم «الصف الجديد».

---

(1) الحفر هي مساكن الهوبيتيين. (المترجم)

(2) Scary قرية من قرى المقاطعة. (المترجم)

(3) هذه العبارة فيها تحريف لعبارة وعنوان مسرحية شكسبير الكوميدية الشهيرة «All's Well That Ends Well» ويقابلها عندنا في العربية «الأمور بخواتيمها» أما المؤلف فقد جعلها «And All's well as ends Better» ولذلك كانت ترجمتنا على النحو الوارد في النص. (المترجم)

كانت الأشجار أسوأ خسارة وضررًا؛ لأنه بناء على أوامر شاركي تم قطعها بلا هوادة في كل مكان في المقاطعة؛ وحزن سام كثيرًا على هذا أكثر من أي شيء آخر. وكان ذلك لسبب واحد، أن هذا الجرح سوف يستغرق طويلًا حتى يُشفى، ولن يرى المقاطعة على النحو الذي كانت عليه من قبل سوى أحفاد أحفاده.

عندئذ وفجأة في أحد الأيام، لأنه كان مشغولًا للغاية على مدار أسابيع بحيث لم يكن لديه الوقت ليفكر في مغامراته، تذكر هدية جَلَدْرِيل له. وأحضر الصندوق وأراه للمسافرين الآخرين (لأنهم صاروا يُنادون بهذا الاسم الآن)، وطلب منهم النصيحة.

وقال فرودو: «إنني لأعجب وأتساءل متى ستفكر فيه. افتحه!».

وفي الداخل كان ممتلئًا بتراب رمادي، ناعم ودقيق، وكانت في وسطه بذرة، مثل جوزة صغيرة في غلاف فضي. وقال سام: «ما الذي يمكنني أن أفعله بها؟».

وقال بيبين: «ارمها في الهواء في يوم كثير النسمات ودعها تفعل عملها!».

فقال سام: «في يوم ماذا؟».

فقال له ميري: «اختر بقعة واحدة كمشتل، وانظر ما يحدث للنباتات هناك».

وقال سام: «ولكني متأكد أن السيدة لم تكن تريدني أن أحتفظ بها كلها في حديقتي الخاصة، والآن وقد عانى الكثيرون الدمار».

فقال له فرودو: «استخدم كل ملكاتك ومعرفتك الخاصة يا سام، وبعد ذلك استخدم الهدية لمساعدة عملك وتحسينه. واستخدمها في حرص شديد. ليس هناك الكثير منها هنا، وأتوقع أن يكون لكل ذرة منها فائدة وقيمة».

وهكذا غرس سام شتلات في كل الأماكن التي كانت فيها أشجار جميلة أو محبوبة على وجه الخصوص كان قد تم تدميرها، ووضع ذرة من التراب الثمين في التربة عند جذر كل منها. وراح يتجول في كل مكان في المقاطعة وهو يقوم بهذا العمل؛ ولكنه لو أعار انتباهًا خاصًا لقريه هوبيتون وقرية مجاورة الماء لم يكن ليلومه أحد. وفي النهاية وجد أنه كان لا يزال لديه قليل من التراب باقٍ؛ ولذلك ذهب إلى صخرة الأرباع الثلاثة، والتي هي قريبة من مركز المقاطعة مثلما لا يتأتى ذلك لأي شيء آخر، ورماه في الهواء ببركته ودعائه. وغرس الجوزة الفضية الصغيرة في حقل الحفلة في المكان الذي كانت الشجرة توجد فيه في يوم من الأيام؛ وتساءل عما سيحدث لها. وطوال الشتاء كله ظل صابرًا قدر استطاعته، وحاول أن يسيطر على نفسه ويمنعها من التجوال في كل مكان ليرى إذا ما كان أي شيء يحدث.

وتجاوز الربيع أكثر آماله جموحًا. بدأت أشجاره تنمو وتكبر، كما لو أن الوقت كان في عجلة وكان يرغب في أن يجعل سنة واحدة تعوض عشرين سنة. في حقل

الحفلة قفزت شتلة صغيرة جميلة: كان لحاؤها فضيًا، أوراقها طويلة وخرجت منها زهور ذهبية في إبريل. كانت حقًا شجرة مالورن، وكانت عجيبة الأحياء المجاورة ومثار دهشتهم. وفي السنوات التالية، بينما راحت تكبر في جمال وبهاء، طارت شهرتها في الآفاق وكان الناس يقطعون مسافات طويلة ليأتوا لرؤيتها؛ شجرة المالورن الوحيدة غرب الجبال وشرق البحر، وواحدة من أروع الأشجار في العالم وأجملها.

كانت سنة 1420 في المقاطعة سنة عجيبة تمامًا. لم تكن هناك شمس ساطعة رائعة ومطر طيب فحسب، في أوقات مناسبة وبكميات كبيرة، بل كان يبدو أن هناك شيئًا آخر؛ جوًا من الثراء والنمو، ووهجًا من جمال يفوق جمال فصول الصيف الفانية التي تومض وتمر على الأرض الوسطى. ولد جميع الأطفال أو تم إنجابهم في تلك السنة، وكان هناك كثيرون، كانوا أقوياء وكان منظرهم جميلًا، وكان معظمهم شعره ذهبي كثيف وقد كان هذا الشعر نادرًا بين الهوبيتيين من قبل. كان الثمر كثيرًا للغاية لدرجة أن الأطفال الهوبيتيين كانوا يغتسلون تقريبًا في الفراولة والكريم؛ وفيما بعد كانوا يجلسون على المروج تحت أشجار البرقوق ويأكلون، حتى صنعوا أكوامًا من النوى مثل أهرامات صغيرة أو أكوام من جماجم انتصار فاتح، وبعد ذل راحوا يتقدمون. لم يمرض أحد أبدًا، وكان الجميع راضين مسرورين، باستثناء أولئك الذين كان ينبغي عليهم جز العشب.

وفي الربع الجنوبي، تحملت كرمات العنب بالثمار، وكان محصول «الأوراق» مذهلًا؛ وهناك حبوب فى كل مكان لدرجة أنه في وقت الحصاد كانت كل مخازن الحبوب مكدسة. كان شعير الربع الشمالي جيدًا للغاية لدرجة أن بيرة شعير سنة 1420 ظل الناس يتذكرونها طويلًا وأصبحت عبارة متداولة وقولًا مأثورًا. حقًا، كان يحدث بعد جيل كامل أن يحتمل أن يسمع الواحد رجلًا عجوزًا في حانة من الحانات، بعد أن يشرب كأسًا جيدة من الشراب، يضع كأسه ويقول متنهدًا: «آه! لقد كانت هذه الكأس كأس أربعة عشر، عشرين، لقد كان حقًا!».

وبقي سام بداية الأمر في منزل السيد كوتن مع فرودو؛ ولكن عندما كان الصف الجديد جاهزًا انتقل إليه مع الجافر العجوز. بالإضافة إلى كل أعماله الأخرى فإنه كان مشغولًا بالإشراف على عملية تنظيف وترميم وإصلاح باج إيند؛ ولكنه كان كثيرًا ما يكون بعيدًا في المقاطعة في أعمال البستنة الخاصة به. ولذلك فلم يكن فى البيت مع بداية شهر مارس ولم يعرف أن فرودو كان مريضًا. في الثالث عشر من ذلك الشهر وجد الفلاح كوتن فرودو يرقد في سريره؛ كان قابضًا على جوهرة بيضاء كانت معلقة من سلسلة حول رقبته وبدا أنه شبيه بمن يحلم.

وكان يقول: «لقد ذهب إلى الأبد، والآن كل شيء مظلم وخال».

ولكن النوبة مضت، وعندما عاد سام في الخامس والعشرين، كان فرودو قد شُفي، ولم يقل أي شيء عن نفسه. وفي نفس الوقت، كان قد تم ترتيب باج إيند، وجاء ميري وبيبين من كريك هولو جالبين معهما جميع الأثاث القديم والعدة القديمة، لدرجة أن الحفرة القديمة بدت سريعًا مثلما كانت تبدو كثيرًا جدًا من قبل.

وعندما كان كل شيء جاهزًا في النهاية قال فرودو: «متى ستنتقل وتنضم إليّ يا سام؟».

وبدا سام مرتبكًا بعض الشيء.

فقال فرودو: «ليست هناك حاجة إلى أن تأتي بعد، إذا لم تكن تريد ذلك. ولكنك تعرف أن الجافر العجوز قريبًا وفي المتناول، وسوف ترعاه وتهتم به الأرملة رامبل عناية كبيرة».

فقال سام واحمر وجهه للغاية: «ليس ذلك الأمر يا سيد فرودو».

«حسنًا، ما الخطب إذن؟».

فقال له سام: «إنها روزي، روز كوتن. يبدو أنها لا تحب أن أذهب بعيدًا على الإطلاق، الفتاة الحبيبة المسكينة؛ ولكن حيث إنني لم أكن قد تحدثت معها، فإنها لن تستطيع أن تقول لا. وأنا لم أتحدث معها؛ لأنه كانت لدي مهمة عليّ إنجازها أولًا. ولكن الآن فقد تحدثتُ إليها، وهي تقول: «حسنًا، لقد ضيعت سنة، ولذلك لماذا الانتظار أطول من ذلك؟» وقلت: أنا ضيعتُ؟ أنا لن أسميها هكذا. ومع ذلك فإنني أرى ما تعنيه. أشعر أنني ممزق جزأين، إذا جاز القول».

فقال فرودو: «أرى أنك تريد الزواج، ومع ذلك تريد أن تعيش معي في باج إيند كذلك؟ ولكن يا عزيزي سام، يا لسهولة الأمر! تزوج بأسرع ما يمكنك، وبعد ذلك انتقل للعيش معي ومعك روزي. هناك متسع كافٍ في باج إيند لأسرة كبيرة بقدر ما ترغب فيه».

وهكذا حُسم الأمر. تزوج سام جامجي من روز كوتن في ربيع عام 1420 (واشتهر هذا العام بزيجاته كذلك)، وجاءا وعاشا في باج إيند. وإذا كان سام يظن نفسه محظوظًا، فإن فرودو كان يعرف أنه كان أكثر حظًا هو نفسه؛ لأنه لم يكن هناك هوبيتي في المقاطعة كان يحظى بمثل هذه الرعاية. ولما تم الانتهاء من تخطيط كل أعمال الإصلاح والترميم وبدأ العمل فيها فإنه خلد إلى حياة هادئة، وراح يكتب لفترات طويلة ويراجع كل مدوناته ومذكراته. وترك منصب نائب العمدة في المهرجان الحر في منتصف هذا الصيف، وأمضى العزيز ويل ويتفوت العجوز سبع سنوات أخرى في ترؤس المأدب والاحتفالات.

وعاش ميري وبيبِّين معًا لبعض الوقت في كريك هولو، وكان هناك الكثير من الحركة دهابًا وجيئةً ما بين باكلاند وباج إيند. لقد ترك المسافران الصغيران أثرًا عظيمًا في المقاطعة بأغانيهما وحكاياتهما وملابسهما الأنيقة المبهرجة، وحفلاتهما الرائعة. كانوا يسمونهما أشخاصًا «لورديون»، بالمعنى الجيد لذلك؛ لأن رؤيتهما وهما يسيران على فرسيهما وهما لابسان درعيهما اللامعتين للغاية وممسكان بدرعيهما المعدنيتين الرائعتين، وهما يضحكان ويغنيان أغانيَ من أماكن بعيدة، كل ذلك كان يبعث الدفء في كل القلوب؛ وإذا كانا الآن كبيرين وعظيمين، فإنهما لم يتغيرا مع ذلك، اللهم إلا أنهما كانا أكثر لطفًا وتهذيبًا وأكثر مرحًا وجذلًا ومليئين بالسرور والبهجة أكثر من أي وقت مضى.

ومع ذلك، عاد فرودو وسام إلى الزي الطبيعي، باستثناء أنه عندما تكون هناك حاجة كانا يرتديان معاطف رمادية، منسوجة بدقة وأناقة وبها مشبك عند الزور بدبابيس جميلة؛ وكان السيد فرودو يرتدي دائمًا جوهرة بيضاء معلقة من سلسلة كان دائمًا يتحسسها بيده.

وسارت جميع الأشياء وقتها على ما يرام، وكان هناك دائمًا أمل في أن تصبح أفضل فوق ذلك كله؛ وكان سام مشغولًا ومملوءًا بالبهجة إلى أقصى حد يمكن أن يتمناه أي هوبيتي. لم يعكر صفو تلك السنة بالنسبة له أي شيء، اللهم إلا بعض القلق الغامض بشأن سيده. انسل فرودو في هدوء بعيدًا عن كل أعمال المقاطعة، وكان سام متألمًا لملاحظة مدى الشرف القليل الذي يناله في بلده نفسه. أشخاص قليلون هم الذين كانوا يعرفون أو يريدون أن يعرفوا عن أعماله البطولية ومغامراته؛ كان كل إعجابهم واحترامهم منصبًا في معظمه على السيد مريادوك والسيد برجرين وسام نفسه (إذا كان سام نفسه قد عرف ذلك). وكذلك في الخريف ظهر ظل للمشاكل والمتاعب القديمة.

دات مساء جاء سام إلى المكتب ووجد سيده يبدو غريبًا للغاية. كان شاحبًا جدًا وكانت عيناه تبدوان وكأنهما تريان أشياء بعيدة للغاية.

فقال سام: «ما الخطب يا سيد فرودو؟».

فأجابه هو: «إنني مجروح، مجروح؛ لن يُشفى جرحي أبدًا في واقع الأمر».

ولكن عندئذ نهض، وبدا أن النوبة قد مرت، وعاد إلى نفسه تمامًا في اليوم التالي. لم يلاحظ سام إلا فيما بعد ويتذكر أن ذلك التاريخ كان هو السادس من أكتوبر. منذ عامين في ذلك اليوم كانت الدنيا ظلامًا في الوادي الصغير أسفل تل الريح.

وظل الوقت يمضي، وجاء عام 1421. ومرض فرودو مرة أخرى في شهر مارس، ولكن بجهد عظيم أخفى ذلك؛ لأن سام كانت لديه أشياء أخرى ينبغي أن يفكر

فيها. ولد أول أطفال سام وروزي في الخامس والعشرين من مارس، تاريخ سجله سام في مدوناته.

وقال سام: «حسنًا، يا سيد فرودو. إنني في ورطة بعض الشيء. لقد استقر رأيي أنا وروزي على أن نسميه فرودو، بعد إذنك؛ ولكنه ليس هو، إنها هي. على الرغم من أنها طفلة جميلة مثلما يمكن لأي أحد أن يتمنى، فهي أكثر شبهًا بروزي مني، لحسن الحظ. ولذلك فلا ندري ماذا نفعل».

فقال له فرودو: «حسنًا يا سام ما هي المشكلة في العادات والتقاليد القديمة؟ اختر اسم وردة مثل روزي. نصف الأطفال البنات في المقاطعة يحملن مثل هذه الأسماء، وما عساه يكون أفضل من ذلك؟».

فقال له سام: «أعتقد أنه على صواب، يا سيد فرودو. لقد سمعتُ بعض الأسماء الجميلة في أسفاري، ولكني أظن أنها أسماء عظيمة للغاية بالنسبة للاستعمال اليومي، وإذا جاز القول. فالجافر العجوز يقول «اختر الاسم قصيرًا، وبعد ذلك لن تكون مضطرًا لاختصاره قبل أن تستخدمه». ولكن إذا كنا سنختار اسم وردة، ففي هذه الحالة فإنه لن يهمني طول الاسم: لا بد أن يكون وردة جميلة؛ لأنه، حسبما ترى، أعتقد أنها جميلة للغاية، بل وسوف تكون أكثر جمالًا».

وفكر فرودو للحظة. «حسنًا يا سام ماذا عن إلانور، نجمة الشمس هل تتذكر الوردة الذهبية الصغيرة في مروج لوثلورين؟».

فقال سام في ابتهاج وسرور: «أنت على صواب مرة أخرى يا سيد فرودو! هذا ما كنتُ أريده».

كان عمر إلانور الصغيرة قرابة الأشهر الستة، ومر عام 1421 حتى وصل إلى خريفه، عندما استدعى فرودو سام إلى مكتبه، وقال له:

«يوم الخميس سوف يكون عيد ميلاد بيلبو يا سام. وسوف يجتاز التوكي العجوز في العمر. سوف يكون عمره مائة وواحدًا وثلاثين!

فقال سام: «هكذا سوف يتفوق عليه. إنه معجزة!».

فقال فرودو: «حسنًا يا سام. أريدك أن ترى روز وترى إذا ما كانت تستطيع الاستغناء عنك، حتى يمكن أن نذهب أنا وأنت معًا. لا يمكنك أن تذهب بعيدًا أو تغيب لفترة طويلة الآن، بالطبع». قال ذلك في قليل من حزن.

«حسنًا يا سيد فرودو، ليس بشكل جيد جدًا يا سيد فرودو».

«بالطبع لا. ولكن لا تبتئس. يمكنك أن تراني في طريقي. أخبر روز أنك لن تغيب طويلًا، ليس أكثر من أسبوعين؛ وسوف تعود آمنًا وسالمًا تمامًا».

فقال سام: «أتمنى أن لو كان باستطاعتي أن أذهب معك الطريق كله إلى ريفنديل، يا سيد فرودو، وأرى السيد بيلبو. ولكنّ المكان الوحيد الذي أريد أن أكون فيه هو هنا. إنني ممزق بين اثنين».

فقال له فرودو: «مسكين أنت يا سام! سوف يكون الأمر على هذا النحو، فيما أخشى. ولكنك ستشفى. لقد أُريد لك أن تكون صلبًا وصحيحًا معافى، وسوف تكون».

في اليوم التالي أو اليومين التاليين، راح فرودو يتصفح أوراقه وكتاباته مع سام، وسلم مفاتيحه. كان هناك كتاب ضخم بأغلفة حمراء بسيطة؛ كانت صفحاته الطويلة قد امتلأت تقريبًا الآن. في البداية، كانت هناك أوراق كثيرة مغطاة بخط يد بيلبو الرفيع غير المنتظم؛ ولكن كان معظمه مكتوبًا بخط فرودو الثابت المناسب. وقد تم تقسيمه إلى فصول.

بيد أن الفصل الثمانين (80) لم يكن قد تم الانتهاء منه، وبعد ذلك كانت هناك بعض صفحات خالية. كان في صفحة العنوان الكثير من العناوين، تم شطبها واحدًا تلو الآخر، وهكذا:

يومياتي، رحلتي غير المتوقعة. الذهاب والعودة مرة أخرى. وماذا حدث بعد ذلك.

مغامرات خمسة هوبيتيين. حكاية الخاتم العظيم من تأليف بيلبو باجينز من ملاحظاته هو وروايات أصدقائه. ما فعلنا في حرب الخاتم.

هنا انتهى خط بيلبو وكتب فرودو:

سقـوط
مـلـك الخـواتـم
وعـودة المـلـك

(حسب رؤية الناس الصغار لنا؛ وهي ذكريات بيلبو وفرودو من المقاطعة، مع تتمة وتكملة من روايات أصدقائهما وعلوم الحكماء وتعليمهم).

بالإضافة إلى مقتطفات من «كتب المعرفة» من ترجمة بيلبو في ريفنديل.

وصاح سام مستغربًا: «عجبًا، لقد انتهيتَ منه تقريبًا يا سيد فرودو! حسنًا، لقد ثابرتَ وواظبتَ عليه كثيرًا، ينبغي علي أن أقول..».

فقال له فرودو: «لقد انتهيتُ منه تقريبًا يا سام. الصفحات الأخيرة عليك أن تقوم أنت بكتابتها».

في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر خرجا معًا، فرودو على الفرس الذي كان قد حمله طوال الطريق من ميناس تيريث، وكان يُسمى الآن سترايدار؛ وسام على حصانه المحبوب بيل. كان صباحًا ذهبيًا جميلًا، ولم يسأل سام أين كانا ذاهبين: ظن أن بإمكانه أن يخمن.

سلكا طريق ستوك روود فوق التلال وسارا باتجاه منطقة الغابات الجبلية المرتفعة[1]، وتركا أفراسهما تسير على راحتها. وعسكرا في التلال الخضراء، وفي الثاني والعشرين من سبتمبر راحا يسيران بلطف هابطين إلى بداية الأشجار بينما كانت فترة ما بعد الظهيرة تنقضي.

وقال سام وهو يشير إلى الشمال: «إذا لم تكن تلك هي نفس الشجرة التي اختبأت وراءها عندما ظهر الخيال الأسود للمرة الأولى، يا سيد فرودو! فإن الأمر كله، إذن، يبدو الآن كحلم».

كانت الدنيا مساء، وكانت النجوم تتوهج في السماء الشرقية بينما كانا يمران بأشجار البلوط المدمرة وداروا وذهبا عبر التل بين أجمات أشجار البندق. وكان سام صامتًا، مستغرقًا في ذكرياته بعمق. وفي الوقت الحالي أدرك أن فرودو كان يغني بصوت منخفض مع نفسه، يغني أغنية المشي القديمة، ولكن الكلمات لم تكن هي نفسها تمامًا:

ربما لا يزال في الانتظار عند الزاوية
طريق جديد أو بوابة سرية
وعلى الرغم من أنني قد مررتُ بها كثيرًا
فربما يأتي يوم أخيرًا عندما
آخذ الطرق الخفية التي تسير
غرب القمر أو شرق الشمس

(1) Woody End منطقة غابات مرتفعة في الربع الشرقي [Eastfarthing] من المقاطعة [Shire] بين بلدة تل الأخضر [Green Hill Country] في الغرب والمستنقعات [Marish] في الشرق. (المترجم)

وراحت أصواتٌ تغني، وكأنها ترد عليه، من أسفل، تصعد عاليًا عبر الطريق من الوادي، وتقول:
يا إلبرث! جيلثونيل!

silivren penna míriel
o menel aglar elenath,
Gilthoniel, A! Elbereth!

لا نزال نذكر، نحن الذين نسكن
في هذه الأرض البعيدة أسفل الأشجار
ضوء النجوم على البحار الغربية.

وتوقف سام وفرودو وجلسا في صمت في الظلال الناعمة، حتى رأيا وهجًا بينما كان المسافرون يأتون باتجاههما.

وكان قادمًا تجاههما جيلدور والكثيرون من أفراد الجن الجميلين؛ وهناك كان يأتي لدهشة سام إلروند وجلَدْرِيل. كان إلروند يرتدي معطفًا رماديًا وكانت هناك نجمة على جبينه، وقيثارة فضية كانت في يده، وكان يلبس في إصبعه خاتمًا من ذهب به حجر أزرق كبير، فيليا، أعظم الثلاثة جميعًا. ولكن جلَدْرِيل كانت تركب على جواد صغير[1] أبيض اللون وكانت ترتدي ثيابًا كلها بيضاء متوهجة، مثل السحب حول القمر؛ لأنها هي نفسها كانت تبدو وكأنها تتوهج وتشع ضوءًا رقيقًا. وكانت تلبس في إصبعها الخاتم نينيا؛ الخاتم الذي كان مصنوعًا من الميثريل، وكان يحمل حجرًا واحدًا أبيض يتوهج مثل نجم ثلجي. وكان يسير وراءهم في بطء على فرس رمادي صغير، ويبدو أنه كان يهز رأسه وهو نائم، بيلبو نفسه.

وحياهما إلروند في وقار ولطف وسماحة، وابتسمت جلَدْرِيل في وجوههما، وقالت: «حسنًا، أيها السيد ساموايز. أسمع وأرى أنك قد استخدمت هديتي لك أفضل استخدام. سوف تكون المقاطعة الآن أكثر بركة وحبًا مما كانت عليه في أي وقت».
وانحنى سام، ولكنه لم يجد ما يقوله. لقد نسي كم كانت السيدة جميلة.

عندئذ استيقظ بيلبو وفتح عينيه، وقال: «مرحبًا يا فرودو. حسنًا، لقد تجاوزت التوكي العجوز اليوم! وهكذا فقد تمت تسوية هذا الأمر. والآن أعتقد أنني جاهز تمامًا للذهاب في رحلة أخرى. هل ستأتي؟».

(1) Palfrey البلفري جواد صغير تمتطيه السيدات. (المترجم)

وقال له فرودو: «نعم، سوف آتي. حملة الخاتم ينبغي أن يذهبوا معًا».
وصاح سام: «إلى أين تذهب يا سيدي؟». على الرغم من أنه فهم في النهاية ما كان يجري.
وقال له فرودو: «إلى المرافئ يا سام».
«ولا يمكنني أن آتي».
«كلا يا سام. ليس بعد على أية حال، ليس إلى أبعد من المرافئ. على الرغم من أنك أنت أيضًا كنت حاملًا للخاتم، حتى لو كان ذلك لفترة قصيرة من الوقت. ربما يأتي دورك ووقتك. لا تحزن كثيرًا، يا سام. لا يمكن أن تكون دائمًا ممزقًا بين اثنين. ينبغي أن تكون واحدًا وكاملًا صحيحًا معافى، لسنوات كثيرة. لديك الكثير لتستمتع به ولتكونه ولتفعله».

«ولكن»، قال ذلك سام وبدأت الدموع تظهر في عينيه، «ظننتُ أنك كنت ستستمتع بالمقاطعة كذلك لسنوات وسنوات، بعد كل ذلك الذي فعلتَه».
«وهكذا ظننتُ أنا نفسي كذلك في وقت من الأوقات. ولكني كنتُ متأذيًا للغاية أكثر من اللازم يا سام. كنت أحاول إنقاذ المقاطعة، وقد تم إنقاذها، ولكن ليس لي. ينبغي أن يكون الأمر كثيرًا كذلك، يا سام، عندما تكون الأشياء في خطر: ينبغي أن يتنازل عنها واحد، ويفقدها، حتى يمكن لآخرين أن يحتفظوا بها. ولكنك أنت وريثي: كل ما كان لدي وكل ما قد يكون لدي فإنني أتركه لك. كما أن لديك روز أيضًا، وإلانور؛ وسوف يأتي الولد فرودو، والفتاة روزي، وميري، وجولديلوكس، وبيبين؛ وربما أكثر من ذلك مما لا أستطيع رؤيته. سوف تكون هناك حاجة إلى يديك وإلى ملكاتك في كل مكان. سوف تكون العمدة، بالطبع، طولًا بقدر ما تريد وترغب أن تكون، وسوف تكون أشهر بستاني في التاريخ؛ وسوف تقرأ أشياء من الكتاب الأحمر، وتبقى ذكرى العصر الذي انقضى حية، حتى يتذكر الناس الخطر العظيم وبهذا يحبون أرضهم المحبوبة أكثر وأكثر. وسوف يجعلك ويبقيك هذا مشغولًا وسعيدًا مثلما يمكن لأي شخص آخر أن يكون، مادام دورك في القصة مستمرًا ومتواصلًا».
«هيا الآن، اركب معي!».

وبعد ذلك واصل إلروند وجلَدْرِيل سيرهما؛ لأن العصر الثالث قد انتهى، وانقضت أيام الخاتم، وقد أتت نهاية قصة وأغنية تلك الأوقات والعصور. وذهب معهما الكثيرون من الجن ومن العشيرة العالية الذين لن يبقوا أكثر من ذلك في الأرض الوسطى؛ وبينهم سار سام وفرودو وبيلبو، وقد ملأهم حزن كان لا يزال مباركًا وبدون مرارة، وكان أفراد الجن مسرورين لتشريفهم وتعظيمهم.

على الرغم من أنهم ساروا عبر وسط المقاطعة طوال المساء وطوال الليل، فلم يرهم أحد وهم يمرون، باستثناء المخلوقات البرية؛ أو من مكان لآخر هنا وهناك أحد الطوافين في الظلمة الذين كانوا يرون وهجًا سريعًا تحت الأشجار، أو ضوءًا وظلًا ينساب متدفقًا عبر الحشائش بينما كان القمر يسير باتجاه الغرب. وعندما كانوا قد مروا من المقاطعة، وراحوا يسيرون حول الجنبات الجنوبية للمرتفعات البيضاء، وصلوا إلى المرتفعات القصوى، وإلى الأبراج، ونظروا إلى البحر البعيد؛ وهكذا فقد ساروا أخيرًا هابطين إلى ميثلوند، إلى المرافئ الرمادية في اللسان الطويل لنهر لُون.

ولما وصلوا إلى البوابات، جاء سيردان صانع السفن لتحيتهم. كان طويلًا جدًا، وكانت لحيته طويلة، وكان أشيب وعجوزًا، وباستثناء ذلك فقد كانت عيناه حادتين مثل النجوم؛ ونظر إليهم وانحنى، وقال: «كل شيء جاهز الآن».

بعد ذلك قادهم سيردان إلى المرافئ، وهناك كانت ترقد سفينة بيضاء، وفوق رصيف الميناء إلى جوار حصان أبيض كان يقف شكل مرتديًا ثيابًا بيضاء بالكامل بانتظارهم. ولما التفت وجاء باتجاههم، رأى فرودو أنه كان جَنْدَلْف وكان يلبس في يده الآن صراحة الخاتم الثالث، ناريا العظيم، وكان الحجر الذي فيه أحمر مثل النار. عندئذ كان أولئك الذين سيذهبون سعداء؛ لأنهم علموا أن جَنْدَلْف سوف يأتي معهم في السفينة.

ولكن سام كان حزينًا الآن في أعماق قلبه، حيث بدا له إذا كان الفراق سيكون مرًا، فإن الطريق الطويل في العودة إلى الديار سوف يكون أكثر حزنًا وألمًا وهو يمشيه وحده. ولكن بينما كانوا يقفون هناك، وكان أفراد الجن يصعدون على متن السفينة، وكان كل شيء قد تم تجهيزه وإعداده للرحيل؛ صعد ميري وبيبين في عجلة عظيمة. وراح بيبين يضحك وسط دموعه وبكائه.

وقال له: «لقد حاولتَ ذات مرة أن تهرب منا من قبل وفشلتَ، يا فرودو. هذه المرة كدتَ تنجح تقريبًا، ولكنك فشلتَ مرة أخرى. لم يكن سام مع ذلك الذي خانك وخذلك هذه المرة، بل كان جَنْدَلْف نفسه!».

فقال جَنْدَلْف: «نعم، لأنه سوف يكون من الأفضل أن يعود ثلاثة معًا من أن يعود واحدًا بمفرده. حسنًا، ها نحن أولاء أخيرًا، يا أصدقائي الأعزاء، على شواطئ البحر تأتي نهاية صحبتنا ورفقتنا في الأرض الوسطى. اذهبوا في سلام! لن أقول: لا تبكوا؛ لأنه ليست كل الدموع شرًا».

عندئذ قبل فرودو ميري وبيبين، وقبل أخيرًا سام، وصعد على متن السفينة؛ وتم فرد الأشرعة، وهبت الريح، وبطيئًا راحت السفينة تنزلق بعيدًا عبر رصيف الميناء الرمادي الطويل؛ وتوهج ضوء زجاجة جَلَدْريل التي كان يحملها واختفى بعد ذلك.

وخرجت السفينة إلى البحر العالي ومرت إلى الغرب، حتى شم فرودو أخيرًا في ليلة ممطرة رائحة ذكية حلوة في الجو وسمع صوت غناء كان يأتي فوق الماء. وعندها بدا له وكأنه كان في حلمه في منزل بومباديل، فإن ستارة المطر الرمادية تحولت كلها إلى زجاج فضي وسحبت للوراء، ورأى الشواطئ البيضاء وفيما وراءها رأى بلدًا بعيدًا أخضر تحت شمس مشرقة رشيقة.

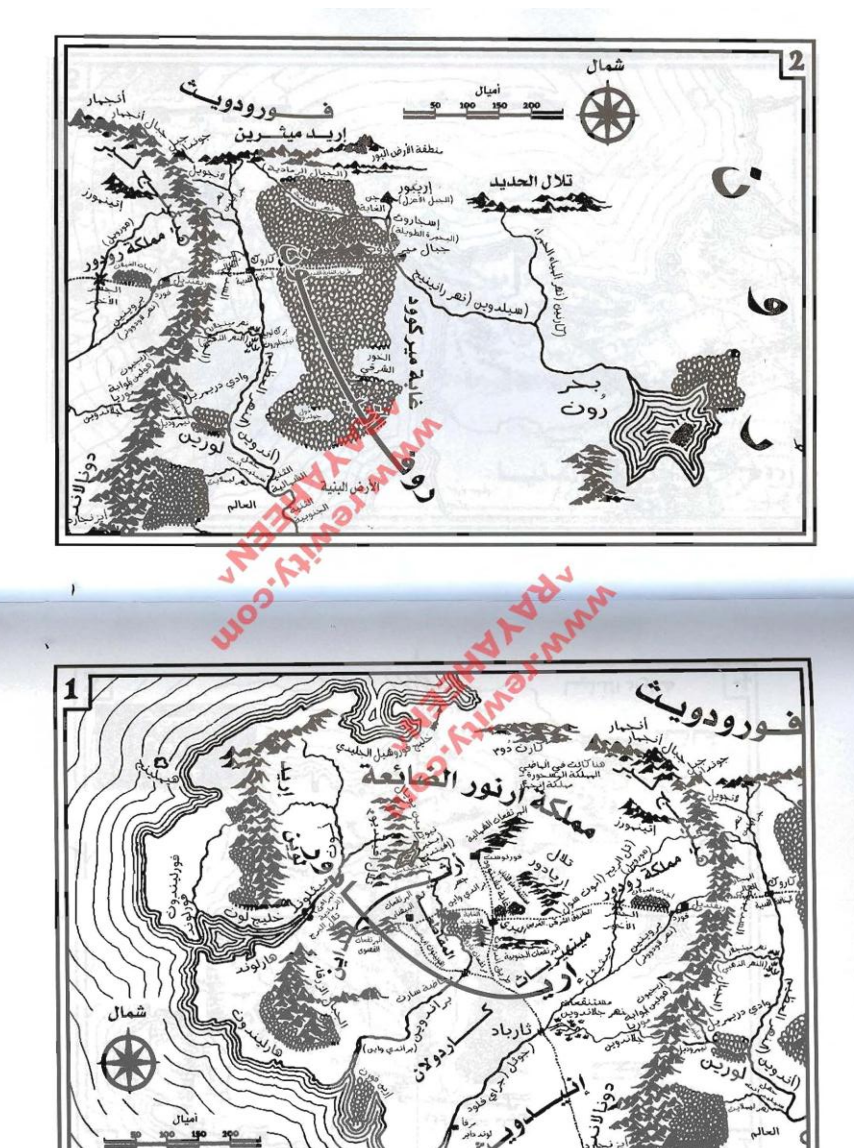
ولكن بالنسبة لسام ازداد المساء عمقًا وإيغالًا في الظلمة وهو يقف إلى جوار المرفأ؛ وبينما كان ينظر إلى البحر الرمادي لم ير سوى ظل على صفحة المياه ضاع سريعًا في الغرب وتلاشى. ووقف في مكانه ساكنًا حتى وقت متأخر من الليل، لا يسمع سوى تنهيد وخرير الأمواج على شواطئ الأرض الوسطى، وراح صوتها يغوص عميقًا في القلب. وإلى جواره كان يقف ميري وبيبين، وكانوا جميعًا صامتين.

وأخيرًا، انصرف الرفاق الثلاثة، ولم ينظروا للوراء مرة أخرى أبدًا وراحوا يسيرون ببطء باتجاه الديار؛ ولم يتحدثوا بكلمة واحد مع بعضهم البعض حتى عادوا إلى المقاطعة، ولكن كان لكل منهم عزاء كبير في أصدقائه على الطريق الطويل الرمادي.

وأخيرًا ساروا فوق المرتفعات وأخذوا الطريق الشرقي، وعندئذ أكمل ميري وبيبين مسيرتهما إلى باكلاند؛ وكانا يغنيان بالفعل مرة أخرى وهما يذهبان. ولكن سام استدار إلى قرية مجاورة الماء، وهكذا عاد إلى التل، بينما كان النهار ينتهي مرة أخرى. وظل يسير، وكان هناك ضوء أصفر، ونار بالداخل؛ وكانت وجبة المساء جاهزة، وكان متوقعًا وصوله. وسحبته روز نحو الداخل، ووضعته في كرسيه، ووضعت إلانور الصغيرة في حجره.

وأخذ نفسًا عميقًا وقال: «حسنًا، هأنذا قد عدتُ».

الخرائط


2
شمال
أميال
50 100 150 200
فـــورودويث
إريـد ميثـريـن
أنجمار
جبال أنجمار
منطقة الأرض البور
(الجبال الرمادية)
تلال الحديد
إريبور
(الجبل الأعزل)
إسجاروث
(البحيرة الطويلة)
إتينمورز
مملكة رودور
كاروك
غابة ميركوود
الخور الشرقي
(سيلدوين (نهر رانينيج)
(كارنين (نهر المياه الحمراء)
بحر رون
وادي دريمريل
لورين
أندوين
الأرض البنية
العالم
دونلاند
ر
و
ن
1
فــورودويث
أنجمار
جبال أنجمار
تارن دوم
هنا كانت في الماضي
المملكة المسحورة
مملكة أنجمار
مملكة أرنور الضائعة
خليج فوروشيل الجليدي
المرتفعات الشمالية
تلال إريادور
إتينمورز
مملكة رودور
فورنوست
إريادور
مينهيرياث
إرياث
خليج لون
هارلوند
هارليندون
فورليندون
الجبال الزرقاء
ثارباد
كاردولان
براندوين
إنيـدويث
لورين
أندوين
العالم
شمال
أميال
50 100 150 200

4

هـاراد الدُنيـا

خانـد

ن

و

ر

شمال

أميال

50 100 150 200

روهـان

العالم

فانجورن

إمنيت الغربية

إمنيت الشرقية

الثنية الجنوبية

امين موويل

سارن جيبير

الطية الغربية

الطية الشرقية

داجورلاند (سهل المعركة)

موراثون

إريد ليثوي (جبال الرماد)

مسافطنيه

آيزنهاوت

باراد-دور

هضبة جورجوروث

موردور

أوران

نورنين

إريد الطل

أنوريـن

ميناس

جوندور

لونجستر أند

أدهيلوند

دول أمروث

أرض الأمير

ليبينين

إيثير أندوين

دولفولاس

جوندو الجنوبية

الآن أرض موضح

(جدل وصحراوية

نهر بوروس

بوروس

طريق هاراد

هيرنين

3

روهـان

العالم

فانجورن

إمنيت الغربية

إمنيت الشرقية

الطية الغربية

سارن جيبير

حدود الجليد

الثنية الشرقية

أدورن

إريد نيمرايس

جوندور

أدهيلوند

دول أمروث

أرض أنيا

إيثير أندوين

دولفولاس

تلال جوندور الغربية الخضراء

(انفالاس) شاطئ جوندور الطويل

(شبه جزيرة أندرامت (رأس سونيا)

صحراء شعب درو

لوند داير

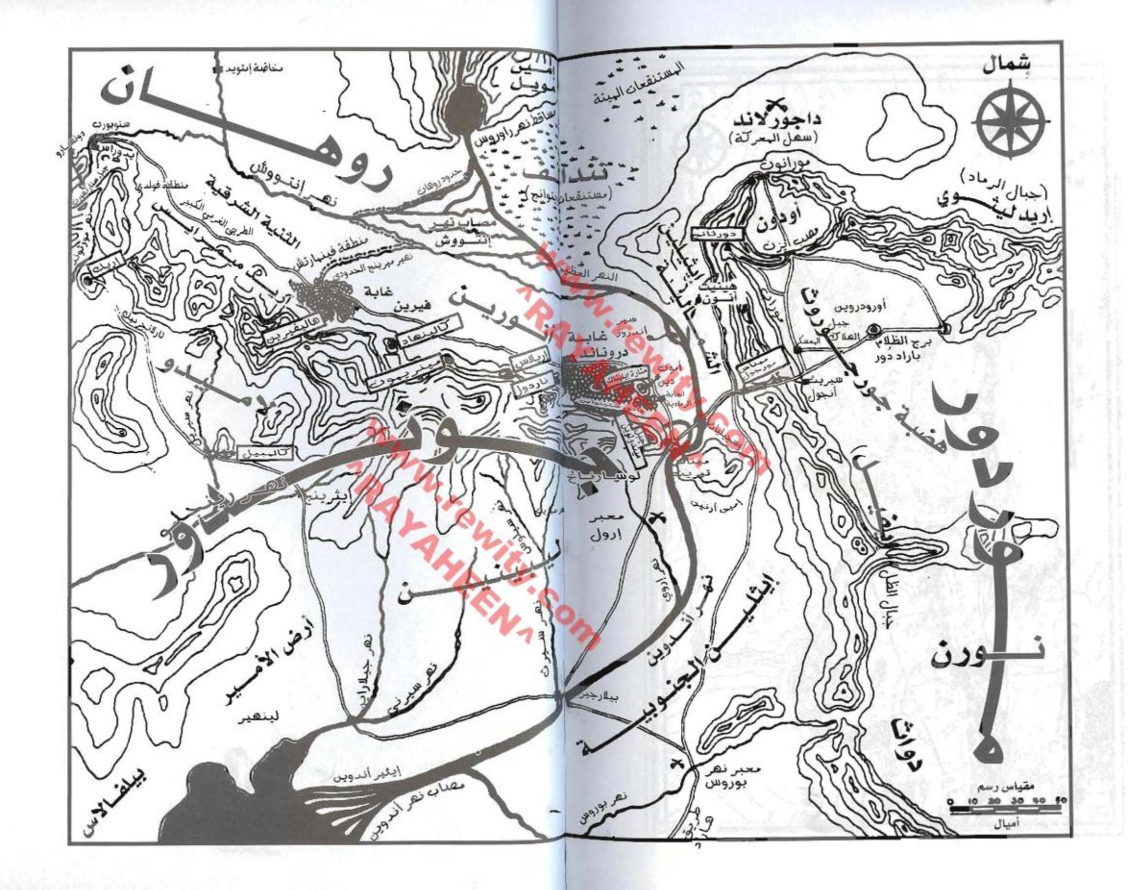
مرفأ

آيزنجارد

شمال

أميال

50 100 150 200



شمال
داجورلاند
(سهل المعركة)
مورانون
(جبال الرماد)
إريد ليثوي
أودون
هينيت أنون
أورودروين
برج الظلام
باراد دور
هضبة جورجوروث
ميناس مورجول
سيريث أنجول
جبال الظل
مـوردور
نــورن
مقياس رسم
أميال
معبر نهر بوروس
نهر بوروس
إيثليين الجنوبية
نهر أندوين
بيلارجير
معبر
لوسارناخ
ليبنين
أرض الأمير
لينهير
بيلفالاس
إيثير أندوين
مصاب نهر أندوين
نهر سيريني
جوندور
أنوريين
فيرين
غابة
غابة دروناند
روهان
نهر إنتووش
مصاب نهر إنتووش
المستنقعات الميتة
إمين مويل
مساقط نهر راوروس
الثنية الشرقية
الطريق الغربي الكبير
نهر ميرينج الحدودي
مخاضة إنتويد
إدوراس
كالينهاد
هاليفيرين
مينريمون
أمون دين